

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجيلالي بسيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية



## مشروع النهضة في المغرب العربي

1867 – 1954م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث و المعاصر

- تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

- إبراهيم لونيبي

- إعداد الطالب :

- قاسمي الطاهر

### أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة س/ بلعباس	أستاذ التعليم العالي	- بوشنافي محمد
مشرفا ومقررا	جامعة س/ بلعباس	أستاذ التعليم العالي	- لونيبي إبراهيم
مناقشا	جامعة س/ بلعباس	أستاذ محاضر " أ "	- سحولي بشير
مناقشا	جامعة الشلف	أستاذ محاضر " أ "	- ميسوم ميلود
مناقشا	المركز الجامعي بالبيض	أستاذ محاضر " أ "	- شاطو محمد الأمين
مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر " أ "	- حجازي مصطفى

. السنة الجامعية : 2017 / 2018م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كلمة شكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات ، و أصليّ و أسلمّ على سيدنا محمّد و آله أجمعين .

أتوجّه بجزيل الشّكر و عبارات الإمتنان و التّقدير و العرفان إلى المشرف على هذا العمل الأستاذ الدكتور لونيبي إبراهيم على تفضّله و إكرامه بإشرافه و متابعته لنا لإنجاز هذا العمل العلمي .

كما أتقدم بالشّكر الجزيل إلى القائمين على شؤون كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بجامعة جيلالي ليابس بسيدي بلعباس على تقديمهم التسهيلات لإنجاز هذا العمل .

كما أنوّه و أقف وقفة إجلال واحترام أمام السادة أعضاء لجنة المناقشة المحترمين رئيسا و مشرفا و مناقشين على مجهودهم في تصويب و تقييم هذا البحث .

## إهداء

أهدي هذا العمل إلى روح والدي الطاهرة تغمده الله برحمته و عفوهِ و واسع رحمته .

و إلى أمي الفاضلة أطال الله في عمرها .

إلى زوجتي وأبنائي و إلى كل أقاربي و أصدقائي و زملاء العمل .

## المختصرات

### 1- اللغة العربية :

- تر : ترجمة .
- ت : توفي .
- ج : الجزء .
- ج . ع . م . ج : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .
- د . ت : دون تاريخ الطبع .
- د . د : دون دار الطبع .
- د . م : دون مكان الطبع .
- س : السنة .
- ص : الصفحة .
- ص ص : صفحات .
- ط : الطبعة .
- ع : العدد .
- م : التاريخ الميلادي .
- مخ : مخطوط .

## 2- اللغة الفرنسية :

- P page

-PP pages

- Op.Cit المرجع السابق

- ibid المرجع نفسه

- ( A.S.C) Académie des sciences coloniales أكاديمية العلوم الإستعمارية

- ( C.G.T.T) La confédération générale tunisienne

جامعة عموم العملة التونسيين

# مقدمة

يسعى هذا البحث لمعالجة موضوع مشروع النهضة في المغرب العربي خلال الفترة الممتدة ما بين 1867 و 1954م ضمن اتجاهاتها، وكذا الوقوف على دورها في تفعيل الفعل الحضاري في شتى مجالاته و صورته، بعد شعور العرب بخطورة درجات الضعف والهوان، والتخلف التي وصلوا إليها، و ما رأوا عليه الأجنبي من قوة مادية وعسكرية، وحسن تنظيم شؤونه في شتى ميادين الحياة ، منذ حملة نابليون على مصر سنة 1798م.

وبمعنى آخر هذه الدراسة تتناول موقف العقل المغربي من الصدمات العنيفة المتوالية والوافدة من أوروبا، بفعل ما شهدته من تطور و تقدّم في الميادين الإقتصادية والتجارية والعسكرية.. وأثر ذلك في إيقاظ الوعي النهضوي لدى النخب المغربية، التي اجتهدت حتى تخرج من وضعها المزري، و تتطّلع إلى مواكبة الركب الحضاري، و بذل ما في وسعها لإحياء ركائز وجودها و تجديد دعائم بقائها .

كما تدرج الدراسة في إطار العلاقات والروابط القائمة بين الشرق والغرب، ضمن ما اصطلح عليه بالتدافع الحضاري التاريخي بين أوروبا و شمال إفريقيا أو البلدان المغربية بوجه الخصوص، والذي بدأ بين الطرفين منذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا والأندلس، وتواصل حتى اكتساح الحركة الإستعمارية الأوربية للبلدان المغربية خلال العصر الحديث .

لقد اصطدم العرب بإنجازات الغرب و اعجبوا بها ، وأقبلوا عليها محاولين تفسيرها، فلم يتردد بعضهم في تبني كل ما جاء به هذا الفكر من انجازات تقنية وعلمية و نظريات فلسفية و مذاهب أدبية و فنية ، بينما البعض الآخر تردّد في ذلك محاولا التوفيق بين تلك النظريات والمذاهب و بين تراث العرب الفكري، بينما الفريق الثالث امتعض من تلك المنجزات و رفضها جملة وتفصيلا .

وكان الوطن العربي أمام مفترق طرق، بين مآثر الماضي و نكبات الحاضر، خاصة بعدما أُغلق باب الإجتهد و مستسلما بشكل سلبي للقضاء والقدر بعدما؛ كما تخلى عن ميدان الجدّ ومدافعة تحديات الحياة، فاستسلم للإستعمار كرها و طوعا، ولمّا أنهكته أمراض الجهل وأثقلته تبعات التخلف، واكتوى بنار الغزو الأجنبي وأطماعه؛ تنبّه متأقلا



يتلمس طريق خلاصه، محاولا النهوض و الإنبعاث من جديد، إلا أنه كان لزاما عليه تقديم توضيحات جسام في شتى جبهات النهوض الحضاري .

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر برزت على مستوى الوطن العربي؛ يقظة ووعي ثم نهضة إصلاح شملت مختلف الميادين، سعى من خلالها روادها بعث مشروع نهضوي، جعل ضمن أولوياته طرد الإستعمار الأوربي و تحرير الأوطان، والنهوض بها في شتى ميادين التطور الفكري والحضاري، مع مواكبة الحضارة الحديثة والمعاصرة، وتحقيق هدف الإنسان العربي في العيش الكريم، و فرض مقومات بقائه .

واتفق الإصلاحيون على أن الإنحطاط والتخلف، كان سببه بالأساس تخلي المسلمين عن تعاليم دينهم و مآثر حضارتهم، كما اتفقوا على أن التقليد و غلق باب الإجتهد والتجديد كان من أسباب تقهقرهم و انتكاستهم الحضارية، فلم يقدرُوا بعدها على النهوض من جديد أو تغيير واقعهم المزري الذي يتخبطون فيه .

- أسباب و دواعي اختيار الموضوع :

تتجه أسباب اختياري للموضوع إلى مجموعة عوامل تصب في ما يلي :

- رغبتنا الملحة في الإمام بمشروع خير الدين التونسي الإصلاحية بشكل خاص؛ كواحدة من أبرز التجارب النهضوية في العصر الحديث على مستوى المغرب العربي، و العالم الإسلامي، و التعرف إلى باقي المساعي الإصلاحية على مستوى المغرب العربي .

- التعرف على النشاط الإصلاحية المغربي، و دوره في تأصيل العمل النهضوي ومواكبة نظيره في المشرق العربي؛ مما يجسد وحدة الشعور والمصير المشترك، في مسعى عربي شامل للسير في دروب النهضة .

- البحث في قضايا النهضة المغربية، وأبعادها المحلية والإقليمية؛ و ما حققته من إنتاج فكري و رصيد معرفي، و تجارب رائدة .

- رصد خصوصيات الطابع النهضوي في بلدان المغرب العربي، و علاقته بالسلطة الإستعمارية والنخب التقليدية .

- الوقوف على التحدّيات العملية والنظرية التي اصطدمت بها النهضة، و وقفت في وجهها كعائق فرض وجوده كبديل حضاري و خيار استراتيجي .

- تردّي أوضاع الأمة العربية و الإسلامية سياسيا و حضاريا، و فشل البدائل الأخرى في تحقيق ما كان يتطلع إليه النهضويون العرب سواء في المشرق أو في المغرب .

وسعيا لتحقيق هذه الأهداف اخترنا ما استطعنا جمعه مما كتبه المشاركة و المغربية في هذا الشأن، باعتبار تشابه الأوضاع العربية في شتى المجالات؛ و الهمّ المشترك للحركات الإصلاحية في سعيها للعودة بالأمة إلى عزها و قوتها، و تحقيق الريادة، و كان أهمها :

- مصادر رواد الحركة الإصلاحية، كمؤلف " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "

وما كتبه بعض رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و بعض مؤلفات الإصلاحيين المغاربة، و ما كتب في أهم الجرائد المعبرة عن هذا التوجه .

- مراجع المفكرين والباحثين العرب المهتمين بقضايا النهضة العربية ومعيقاتها، كمؤلفات مالك بن نبي الخاصة بمشكلات النهضة و شروطها، و مؤلفات علال الفاسي كـ " النقد الذاتي" و"دفاع عن الشريعة"، و مؤلف ألبرت حوراني " الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م"، و أنور الجندي "اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار"، و عبد الإله بلقزيز "العرب والحدثة"، ولطيفة عميرة "سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس"،، و غيرها .

لقد حددنا مجال البحث والدراسة بدءً من سنة 1867م باعتبارها السنة التي صدر فيها كتاب " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" لرائد الإصلاح المغربي خيرالدين التونسي، الكتاب الذي اعتبره مرتكز النظرية الإصلاحية والنهضوية في المغرب العربي، والصدى الهام الذي لقيه على مستوى العالم العربي .

كما اتخذنا من سنة 1954م حداً تنتهي إليه هذه الدراسة؛ باعتبارها معلماً تاريخياً على المستوى الوطني والعالمي؛ موعد إندلاع الثورة التحريرية الكبرى، و هي واحدة من الحركات التحررية النموذجية في العالم خلال الفترة المعاصرة، و واحدة من ثمرات حركة النهضة الجزائرية التي اشتركت جل القوى الوطنية والإسلامية في صنعها و إنتاجها .

بذلك فإننا حاولنا أن يتميّز بحثنا هذا عن الدراسات السابقة من خلال :

- عرض واقع مشروع النهضة على مستوى بلدان المغرب و ليس كل قطر على حدة .
- تناول أصول النهضة في المشرق والمغرب العربيين قبل سنة 1867م؛ كمعلم بداية دراسة النهضة على مستوى المغرب العربي .
- انفردت هذه الدراسة بمعالجة مراحل تطور مشروع النهضة في المغرب العربي، مع إبراز أهم الإتجاهات التي سلكتها في مساراتها التنويرية والتحديثية .
- منهج الدراسة :

حاولت خلال هذه الدراسة تناول الحقائق التاريخية للحركة الإصلاحية و مشروع النهضة في المغرب العربي، على ضوء المصادر و المراجع التي تطرقت إليها، و مناقشة

قضاياها بالوصف والتحليل، محاولا نقدها علميا و منطقيا لتشخيص العوائق الحقيقية التي أجهضت مشروع الأمة في مرحلة من مراحل انتكاساتها .

- إشكالية الدراسة :

إن موضوع مشروع النهضة في المغرب العربي و ما تحقّق منه و ما لم يتحقّق كإشكالية كبرى، يعتبر واحد من القضايا الهامة التي شغلت الفكر العربي المعاصر، وتناولته النخب بكثير من الوصف، وقليل من الرؤى الواقعية والتحليل الموضوعي، ولإجلاء اللبس وفهم حقائق و مرامي مشروع النهضة و مآلاته، فإنه لا بدّ من طرح الإشكالية التالية:

- ما مدى أهمية ومكانة النهضة كمشروع أمة في كتابات وأدبيات المصلحين والمفكرين والنخب المغاربيين ؟ .

و يمكننا تفريع الإشكالية إلى التساؤلات التالية :

- ما هي أهم مسارات واتجاهات النهضة في المغرب العربي، و المجالات التي طرقتها، كركائز وأسس في قيام صرح النهضة ؟ .

- ما هي المعوقات الميدانية والإشكاليات النظرية التي حالت دون تحقيق النهضة التي حلم بها و تطلّع إلى تجسيدها الجيل الأول من النهضويين، و بقيت مشروعا مؤجلا إلى حين ؟

- خطة البحث :

لمعالجة إشكاليات البحث فإننا تناولناه وفق خطة تتضمن مقدمة و فصل تمهيدي وأربعة فصول و خاتمة .

- في الفصل التمهيدي تناولنا إشكالية المفاهيم التي تدور حول مسميات النهضة و ما يتعلق بها، ثم تناولنا أصول النهضة قبل سنة 1867م في كل من المشرق والمغرب العربيين .

- الفصل الأول يؤرّخ لبواعث الإصلاح و النهضة في بلدان المغرب العربي، من حيث الظروف والأسباب الذاتية، والتيارات والمؤثرات الخارجية، و يناقش دور العلماء واتجاهاتهم، و البعثات العلمية و دور المؤسسات الدينية و الثقافية في ذلك .

- الفصل الثاني تناولنا فيه المراحل التي تطور من خلالها مشروع النهضة من سنة 1867م إلى غاية 1954م، و جزأتها إلى ثلاثة أدوار، "مرحلة النشؤ" 1867-1918م، الشباب " 1919-1939م" ثم مرحلة النضج "1939-1954م". و تعرضت في كل مرحلة لأهم القوى الوطنية التي تحفّزت و بادرت للسعي نحو التغيير والنهوض حسب الوسائل والظروف المواتية، وأفردت بالدراسة كل بلد مغربي على حدة، مناقشا علاقات القوى السياسية والإصلاحية بالسلطة الإستعمارية، ومن سار في فلكها من تيارات رجعية وتغريبية، و كذا المجالات التي تناولها المصلحون في أدبيات النهضة .

- أما الفصل الثالث فإني تعرضت فيه للمجالات التي تناولت النهضة وفق رؤى بعض النهضويين البارزين في المغرب العربي كخيرالدين التونسي و عبد الحميد ابن باديس وعلال الفاسي و مالك بن نبي ..

- أما الفصل الرابع فأفردته بدراسة دروب النهضة واتجاهاتها، مع إبراز فلسفة ومرتكزات كل اتجاه لطروحاته الإصلاحية والنهضوية، و نظرة كل اتجاه في قضية موضوع "تحرير المرأة" .

- أما الفصل الخامس والأخير استعرضت فيه المعوقات الميدانية والإشكاليات النظرية التي أجهضت مشروع النهضة، و فرضت تأجيله من خلال أطر قائمة و معطيات واقعية، كما عقدت مقارنة علمية بين مشروع النهضة وإشكاليات الحداثة . وختمت هذه الدراسة بحوصلة لأهم النتائج التي استخلصتها من الفصول المتناولة، هذه النتائج بمثابة حقائق، و معالم، و رؤى في مسار المشروع النهضوي المغربي .

أما ملاحق البحث فهي تشمل مراسلات رجال الإصلاح و بعض الهيئات، و بيانات صادرة عن زعماء سياسيين، و نصوص مختارة، و بعض القرارات الإدارية الصادرة عن السلطات الإستعمارية .

كما صنفت الفهارس إلى ثلاثة أقسام، أولها خاص بالأعلام والثاني خاص بالمذاهب والفرق أما الثالث فخصّصته للمصادر و المراجع، إلى أن ختمت قائمة الفهارس بفهرس للمواضيع و المحتويات .

**- صعوبات البحث :**

من بين الصعوبات التي واجهتني، عدم تمكني من الوقوف على الدور الأرشيفية المغاربية الأخرى، مما سيقبل ربما من نوعية الدراسة التي تعرضت للموضوع بشكل أو بآخر، وكذلك نقص الكتابات التاريخية التي تناولت وعالجت قضية النهضة في مراحلها المصيرية و ما صاحب ذلك من غموض .

- تمهيد :

لقد برزت الحركة الإستعمارية منذ حوالي سنة 1500م، حيث بادرت بتطويق العالم الإسلامي تجارياً، ثم اخترقته سنة 1798م، عن طريق حملة نابليون على مصر، بعد نجاح الثورة الفرنسية<sup>(1)</sup>، والعالم الإسلامي الذي انحدر يومها بشكل متسارع إلى الضعف الذي وقع معظمه تحت سلطة الخلافة العثمانية، التي تعاني تحديات مستمرة على مستوى أقاليمها الداخلية وعلى مستوى علاقاتها بالدول الغربية التي بدأ نفوذها يمتد إلى داخل كيانها .

بدأ الإستعمار الأوربي يضع يده شيئاً فشيئاً على مختلف أجزاء العالم الإسلامي، سواء بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشر بفرض المعاهدات السياسية والإقتصادية، فسقطت الجزائر عام 1830م، وتونس عام 1881م، ومصر عام 1882م، والسودان 1899م، و ليبيا في 1911م والمغرب عام 1912م ، ثم منطقة الهلال الخصيب "العراق - الشام" عام 1918م، حين دخل اللورد أنبني (H.Allenby) مدينة القدس وأعلن عبارته الشهيرة : (( الآن انتهت الحروب الصليبية ))<sup>(2)</sup> .

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، انتشرت عبر مختلف أرجاء العالم الإسلامي أفكارا اصطلاح عليها في الأدبيات المعاصرة، العربية والإسلامية، بالفكر الإسلامي الحديث، أو بفكر النهضة و حركة الإصلاح الإسلامي<sup>(3)</sup> إصلاحية شبيهة بأفكار الوزير خير الدين التونسي، والشيخ محمد عبده، كما كانت تظهر في جميع البلدان الإسلامية المتحضرة نخبه من المصلحين، و يعود ذلك كله إلى عوامل عدّة، داخلية وخارجية دفعت بهؤلاء النخب إلى التحرك والسعي لإحداث تغيير جذري وشامل، لمواكبة التطورات الحديثة الخطيرة والمتسارعة<sup>(4)</sup> .

1- الثورة الفرنسية ( 1789- 1799م ) ، مجموعة أحداث بدأت في سنة 1789م بدءا بالاستيلاء على حصن الباستيل في باريس ، أدت إلى القضاء على النظام الملكي سنة 1792م ، و إعلان المبادئ الديمقراطية و المناداة بـ ( الحرية ، المساواة و الإخاء ) ، كان لها تأثيرها في أوروبا والعالم كله ، خلالها ظهر نابليون بونابرت على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية، ينظر:

- المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق، بيروت ، ط. 36 ، 1997م ، ص 192.

2- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار، دار بوسلامة للنشر والتوزيع. تونس، ط.2. تونس 1985. ص. 186 .

3- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد، الفكر الإسلامي و قضايا الإصلاح والتجديد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص. 45.

4- نفسه، ص، 46 .

ويمثّل الفكر العربي الإسلامي وحدة متكاملة، في اتجاهاتها وأعماقها التاريخية، فالمذاهب والفرق والمدارس والحركات السياسية أو الفعل العسكري، ماهي سوى مظاهر تطوّر هذا الفكر نحو تحقيق الغايات المحددة وفق إجتهد الأفراد والجماعات، أو حتى باسم هيئات رسمية أو شعبية .

والفكر الإسلامي يتحرّك وفق قاعدة أساسها (( الثبات في الأصول والتطور في الفروع))، فالثبات يكون ضمن "المفاهيم الأساسية والقيم الأصيلة" التي يقوم عليها الإسلام وتتصل بالعقائد العامّة والقواعد الكلية للشريعة، أما التطور والحركة فتشمل الفقه وفي كل ما لا يصادم التوحيد والنبوّة والعدل والحرية والحق<sup>(1)</sup> .

فالفكر الإسلامي تطور عبر تاريخه من خلال مراحل ما يعرف عهود الإنتصار أو الإنكسار، بحيث تتجدّد فيه روح الصلّاحية لكل زمان ومكان من خلال فقه النوازل، والإنبعثات بفضل جود (( قوة شابة دافعة ))<sup>(2)</sup> في الفكر الإسلامي، تتجدّد خلال الإحتكاك المباشر والواسع للغرب، في شكل تحدي وضغط شديد على العالم الإسلامي،<sup>(3)</sup> حيث صاغ مفاهيمها مصلحو الحركة الإصلاحية الحديثة، لأجل (( إعادة تأكيد حقيقة الإسلام الفريدة الكاملة))<sup>(4)</sup> .

بعدما قامت الخلافة العثمانية بدورها، في حماية وحدة المسلمين شرقا وغربا مدة أكثر من أربعة قرون متواصلة، انحدرت إلى الضّعف بفعل أسباب و عوامل داخلية وخارجية، لما دبّ فيها الفساد و برزت فيها علامات التمزق والإنهيار، فتجدّدت في الأمّة العربية والإسلامية تلك الروح الدافعة لليقظة، خاصة بعدما تبين إنكسارها عند غزو نابليون لمصر سنة 1798م و احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، لتبدأ دعوات التجديد والإصلاح عبر مشارق ومغارب العالم العربي والإسلامي<sup>(5)</sup> .

1- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق.ص14 .

2- المرجع نفسه. و الصفحة نفسها .

3- زكي الميلاد،من التراث إلى الإجتهد .. مرجع سابق، ص،45

4- ألبرت حوراني،الفكر العربي في عصر النهضة 1798- 1939 ، دار النهار للنشر، ط3 .بيروت.ص410 .

5- نفسه،ص411 .



فالإستبداد المحلي، ثم الشر الإستعماري الذي لحق بالأوطان، و ما أنجرّ عنه من كوارث جسيمة أتت على الأخضر واليابس، دفع بالعلماء العاملين المصلحين للجهر بالحق والدعوة إلى الواجب الذي فرضه الإسلام ((..يدفع الطغيان المستنيرين من أبناء المجتمع إلى تكثيف جهودهم، وتنشيط حركتهم من أجل تنوير الناس، واستنهاض همهم، من أجل مقاومة الإستبداد، و مقارعة المستبد للتخلص منه ))(1) .

وكانت الدعوة السلفية التي انتهجها العلماء خلال العهود السابقة تسعى إلى التجديد، تظهر بينفترة و أخرى، من قبل علماء مجتهدين، يقومون بتصحيح العقائد ومحاربة البدع وتنقية الشعائر، وإبراز معالم الإسلام. ولعلّ من أبرز هؤلاء المجددين نجد " تقي الدين بن تيمية" الذي ظهر في الشام، خلال القرن الرابع، و" محمد بن عبد الوهاب" في بلاد نجد خلال العصر الحديث، و"ولي الدين الدهلوي" في بلاد الهند، و"محمد بن علي الشوكاني" (2) في اليمن، واستندت دعوتهم على مقولة الإمام مالك (( لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ))(3) .

ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه السلف الأولون، من الصحابة والتابعين والأئمة والأعلام، من القرون الثلاثة الأولى للإسلام، في عقائدهم وفهمهم للإسلام واجتهادهم للخروج من الأوضاع المزرية و إعادة مجد الإسلام والمسلمين، و بذلك سنجد تشابها بين أجيال العلماء، السابقون واللاحقون، تربط بينهم إستمرارية الدعوة والإصلاح، فبرز لاحقا علماء مجدّون، رواد النهضة الإسلامية الحديثة المعاصرة، من أمثال محمد عبده و رشيد رضا و طاهر الجزائري والشريف بن محمد علي السنوسي والشيخ عبد الحميد بن باديس و علال الفاسي .

1- عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الإستبداد و مصارع الإستعباد، تقديم: أسعد السحمراني، دار النفائس، ط4، لبنان 2011، ص20 .  
2- \* محمد بن علي الشوكاني(1760-1834م): ولد في هجرة شوكان باليمن و تعلّم في صنعاء و تتلمذ على علمائها، تولى التدريس و الإفتاء في سن مبكرة دون أن يتقاضى أجرا على ذلك،، من مؤلفاته: البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع،فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، نيل الاوطار و شرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخبار، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، القول المفيد من أدلة الغتهداد و التقليد، الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد. انظر:

- لطيفة عميرة، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري 1889-1940م ، ط1، دار الأيام ، عمان الأردن، 2015م، ص120 .  
3- ناصر حيدر، العالم العربي بين القومية العربية والجامعة الإسلامية ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع .الجزائر .2014.ص 19.18 .

ولا شك أنّ فترة القرن العشرين تعتبر بحق أغنى فترات تاريخ الدّعوة الإسلاميّة، حيث اجتمع في قرن واحد عدد هائل من جهابذة علماء الدين والمصلحين، حتى صار من الصعب على المؤرّخين أن يتّفقوا على مجدّد هذا القرن كما كان ذلك واضحا في القرون السابقة<sup>(1)</sup>.

## 1- مفاهيم النهضة: المشروع، اليقظة، النهضة، الإصلاح .

### 1-1- المشروع :

جاء في القاموس الجديد، أنّ المشروع هو ما بدأت بعمله، و ما يُهيأ من البوادر ليُدرس، و يُقرّر<sup>(2)</sup>، وتوسّع المفهوم خلال العصر الحديث ليشمل الإعداد لإنجاز عمل ما، يتضمّن برنامج عمل من عدة نقاط أو مراحل، يستغرق إنجازه مدة زمنية معينة، ويقابل لفظة مشروع باللّغة الأجنبيّة، كلمة " Projet " و تعني، مقصد، عزم، مشروع، وخطّة<sup>(3)</sup>.

### 1-2- اليقظة :

اعتبر سعد الله اليقظة؛ على أنّها شعور لا يعني العمل والإنتاج ولا الإزدهار والإنجاز العظيم، إنه مجرد فتح للعينين والتعرف على الأشياء<sup>(4)</sup>، بينما استعمل الأوروبيون تعبير النهضة في معنى اليقظة عندنا، لذلك فالجزائريون سنة 1830م قد استيقظوا على الإحتلال وهو يطيح بحكومتهم ويستولي على أملاكهم و يغتصب أراضيهم، فقاموا يتحسّسون مواقعهم يجمعون شملهم لمقاومته، وكذلك فعل التونسيون والليبيون والمراكشيون.

بينما "بلقزيز" اعتبر اليقظة خروج من سبات مزمن أضاع فيه العرب والمسلمون موعدهم مع التاريخ<sup>(5)</sup>، بينما عرّف "الصحوّة" على أنّها خروج المسلمين من غفلتهم عن دينهم و موروثهم الثقافي والحضاري<sup>(6)</sup>.

1- مولود عويمر، أعلام و قضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر، 2007، ص، 1312.  
 2- علي بن هادية، بلحسن البليش، القاموس الجديد، ط7، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص، 1079.  
 3- سهيل إدريس، جبّور عبد النور، المنهل قاموس عربي فرنسي، ط9، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص، 234.  
 4- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، عالم المعرفة، طبعة خاصة الجزائر 2011. ص، 214.  
 5- عبد الإله بلقزيز، العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين، ط1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، 2007، ص، 16.  
 6- عبد الإله بلقزيز، المرجع نفسه، ص، 16.

1-3- النهضة :

جاء في معجم مقاييس اللغة أن لفظة النهضة : من فعل نهض، النون والهاء والضاد أصلٌ يدلُّ على حركة في علو، ونَهَضَ من مكانه: قام. ويقولون: ناهضةُ الرجل: بنو أبيه الذي يَغضبون له. ونهض النَّبْتُ: استوى والنَّاهِضُ: الطائر الذي وَفَرَ جناحاهُ وتَهَيَّأَ للنُّهوض والطيران. ونَهَاضُ الطُّرُقُ: صُعْدُها وَعَتَبَها، الواحدة نهضة<sup>(1)</sup>. وهي الطَّاقة والقوَّة، والوثبة في سبيل التقدّم الجماعي، والتقدّم بعد التأخّر والإنحطاط<sup>(2)</sup>.

بينما يقابل لفظة النهضة باللّغة الأجنبية كلمة "Renaissance"، و تعني تولّد، تجدد، نهضة<sup>(3)</sup>.

وتفيد كلمة نهضة القيام واليقظة، فالشخص الناهض ينهض من نومه فيستيقظ وينهض من قعوده فيقوم، فالنوم والقيود أو الجلوس يفيد الركود، أما النهوض فإنه يفيد الحركة والتغيير<sup>(4)</sup>، فنقول نهضةً، وتعني وثبة في سبيل التقدّم الإجتماعي والفكري وغيرهما<sup>(5)</sup>.

وتعبير النهضة أطلقه سعد الله على نشاط الحركة الوطنية خلال فترة العشرينات من القرن العشرين<sup>(6)</sup>، بينما محمد عابد الجابري يرى أنّ مفهوم "النهضة" في اللّغة العربية يفيد النهوض واليقظة والحركة للمواجهة<sup>(7)</sup>، ومشروع النهضة بمعنى الولادة الجديدة، مشروع للتجديد والتحديث داخل الإسلام و تحت رايته وفق ما تقتضيه متطلبات العصر وتحدياته الحضارية العامة<sup>(8)</sup>.

1- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، ج1، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، لبنان، 1979، ص، ص، 363، 364.  
2- علي بن هادية، بلحسن البليش، القاموس الجديد.. المرجع نفسه، ص، ص، 1256، 1257.  
3- سهيل إدريس، جيتور عبد النور، المنهل .. المرجع نفسه، ص، 890.  
4- لطيفة عميرة ، سؤال النهضة .. مرجع سابق، ص، 76.  
5- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، المجلد الثالث، عالم الكتاب، القاهرة، 2008، ص، 2294.  
6- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ .. المرجع السابق، ص، 217.  
7- محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص، 65.  
8- المرجع نفسه، 2013، 73.

ومن جهة أخرى، هناك من يرى أنّ مفهوم "النّهضة" مفهوم إشكالي يطرح ويلازم منطق الإصلاح، ولكن لا يتطابق معه، وبالتالي فإنّ مفهوم النهضة (( يؤسّس لفعل الإصلاح، ويمنحه قاعدته النظرية والإيديولوجية بل والمعرفية(1) .

إلاّ أنّه من خلال تداول لفظة النهضة في التاريخ العربي الحديث، فإنّها تشمل دلالات تتلاقى و تترادف و تتماهى في فكر حركة الإصلاح و في كتابات أعلامها ومقاصدهم منذ محمد بن عبد الوهاب، والطهطاوي، وخيرالدين التّونسي، و محمد عبده، و رشيد رضا، وعلال الفاسي ومالك بن نبي، و عبد الحميد بن باديس وجمعيته(2) .

#### 1-4- الإصلاح :

إنّ مفهوم الإصلاح ليس غريبا عن الإسلام، فالقرآن الكريم هو مصدر فكرة الإصلاح في الجماعة الإسلامية، فقد كانت كلمة الإصلاح لسان حال كل نبي و رسول، جاء لقومه من أجل تغيير سلوكهم الديني والاجتماعي والسياسي، حيث قال الله تعالى: (( إِنِ ارِيدُ إِلاَّ الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ ))(3) .

و الإصلاح نقيض الإفساد، و قد جاء في تفسير ابن باديس قوله: "الإصلاح" هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإحداث إختلال فيه(4) .

ويؤكد النبي "ص" أن عملية الإصلاح في الأمة هي عملية متواصلة، و سنة ربّانية يُبادر بها علماء هذه الأمة ومفكروها إلى يوم القيامة حيث قال "ص": (( إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ))(5) .

ويستهدف الإصلاح تحقيق التغيير على مستوى النفوس، وإصلاح أوضاع البلاد ومطاردة الفساد العام الخاص في المجتمعات،(6) و لهذا كان المصلح في غالب الأحيان معارضا للسلطة السياسية، ساعيا للتغيير على سنة الصالحين التي تقتضي التدافع، وليس

1- عثمان أشقرا، الوطنية والسلفية الجديدة بالمغرب، من 1930 إلى 1956م، ط1، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص200.

2- لطيفة عميرة، سؤال النهضة .. المرجع السابق، ص، 76.

3- القرآن الكريم ، الآية 88 ، من سورة هود، برواية ورش عن نافع .

4- كمال عجالي، الفكر الإصلاحي في الجزائر، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص، 32 .

5- الحديث رواه أبو داود في كتاب الملاحم ، 31، باب 1 ، ص 512. و التجديد هنا يقصد به جعل أمر الدين جديدا بإحياء تعاليم الدين ، بعد طمسها من قبل المبتدعة و أهل الضلال و الانحراف ، حيث يتصل هذا الأمر بعلاقة الانسان المسلم من حيث الفهم و العمل و التطبيق .. انظر:

- لطيفة عميرة ، سؤال النهضة .. مرجع سابق، ص ، 78 .

- محمد الدراجي، الحركة الإصلاحية في الجزائر رجال.. وأفكار، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص74 .

على سنة المبتدعة التي تقتضي التنازع والعافية<sup>(1)</sup>، والإصلاح الديني هو إزالة البدع من العقيدة والشريعة<sup>(2)</sup>. و هذا كله مؤداه التغيير للراقي والنهوض إلى ما هو أفضل .  
والإصلاح مصطلح من صميم الدين وجوهره، ومقاصد الشريعة الإسلامية تقوم على فكرة الإصلاح، وتسعى لإبعاد الإفساد، وهناك جملة من القواعد الفقهية والأصولية تؤطر لفعل الإصلاح كقولهم<sup>(3)</sup> :

- درء المفسدة أولى من جلب المصلحة .

- التصرف على الرعية منوط بالمصلحة .

- المصلحة العامة مقدّمة على المصلحة الخاصة .

والشيخ ابن تيمية يقول: (( إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح، وتعطيل المفساد وتقليلها.. والقول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط ))<sup>(4)</sup> .

فالإصلاح إذن مصطلح إسلامي أصيل، و هو يعني في دلالته ترميم ما تعرّض للفساد، وإعادة بنائه من جديد، كما يعني فعل كل ما هو صالح، وإقامة ما هو نافع، وإبعاد ما هو ضار<sup>(5)</sup>. وكذا (( فضح الجمود والدعوة إلى التجديد ))<sup>(6)</sup> .

## 2- أصول النهضة في المشرق العربي وإرهاباتها :

كان المسلمون قد انحرفوا عن مبادئهم و عن روح الإسلام وحقيقته<sup>(7)</sup>، و توقّفوا عن التفاعل الحضاري والحركية الإبداعية في ظل تحكّم تصوّف الدروشة والطرقية الجبرية<sup>(8)</sup> في الفكر الإسلامي العام، التي أفسدت طابع التصوّف الصّحيح، فاندفعت الروح الإسلامية والغيرة على الإسلام في حمل لواء تجديد الإسلام، وانبعثت في يقظة شملت المشرق والمغرب العربيين، بداية من منتصف القرن الثاني عشر الهجري "18م"، هذه اليقظة التي انبثقت منها مختلف مظاهر الإصلاح والتّجديد والنّهضة وغيرها ..

1- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ص28

2- كمال عجالي، الفكر الإصلاحية .. مرجع سابق، ص32.

3- أحمد كافي، مرجع سابق، ص33 .

4- أحمد كافي، المرجع نفسه، ص34 .

5- أحمد كافي، نفسه، ص34 .

6- عثمان أشقرا، الوطنية والسلفية .. مرجع سابق، 207.

7- فادي اسماعيل، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة و التقدم و الحداثة في الخطاب الفكري العربي المعاصر (1978-1987م)، رسالة ماجستير في الأدب ، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1988، ص10.

8- الجبرية :و تعني التسلم الكامل للواقع ، وانسحاب الفرد من المجتمع ، و الاعتقاد بسقوط الإرادة الإنسانية سقوطا كاملا ، و تقبل الأوضاع كما هي دون بذل أي جهد فكري أو عملي لتغييرها و الإستسلام للظلم والنل، كما ادعت أن الإستعمار مقدر علينا لا فائدة من محاربهته . أنظر :

- محمد الدراجي، الإمام عبد الحميد بن باديس و جهوده في تجديد العقيدة الإسلامية، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص59

- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق، ص 49 .

و بدأت اليقظة في الفكر الإسلامي والثقافة العربية في مجالات متعدّدة، و لم تقتصر على مجال الفكر الديني فحسب، فبدأت في مراحلها الأولى في مجالات اللغة والفقه والإجتماع والسياسة..، فاليقظة خصّت تحرير الفكر من قيد التقليد، الذي ساد إثر مرحلة الجمود والقدرية "الجبرية" التي فرضتها مرحلة التخلف، فكان من آثارها المغالاة في ((إعلاء ثقافة القلب دون ثقافة العقل))<sup>(1)</sup>، وهما متكاملتان في الفكر الإسلامي المتّزن والوسطي والثقافة العربية الأصيلة .

ويمكن اعتبار أنّ أصول اليقظة الحديثة تعود إلى دعوة المجدّدين الأوائل، مثل الأشعري وابن حزم والغزالي وابن تيمية وابن خلدون و ابن رشد..الذين برزوا خلال القرن السابع والثامن للهجرة، إلا أنّ هناك أسماء ظلت تتواتر على مدى العصور في مقدمتها: ابن قيم الجوزية والشاطبي و ابن الوزير اليمني..، فلمّا كان القرن الثاني عشر الهجري، ظهر مرتضى الحسيني الزبيدي، و محمد عبد الوهاب، و الحق أنّ هذا القرن كان حافلاً، و كان أبرزهم محمد بن عبد الوهاب في العالم العربي، و الدهلوي في الهند، غير أنّ القرن الثالث عشر الهجري، "19"م برز فيه أكثر المجدّدين، على رأسهم جمال الدّين الأفغاني، و محمد عبد الوهاب و رشيد رضا، ثم عرف القرن الرابع عشر الهجري مجموعة مصلحين ذات صدى و وقع أكبر<sup>(2)</sup>، مثل خيرالدين التونسي، و محمد بن علي السنوسي، والشوكانبي اليمني، و عبد الحميد بن باديس .

والملاحظ أنّ دعوة ابن تيمية كانت علامة اليقظة، وأنّ جميع هؤلاء اتصلوا بها، بل يمكن القول أنّ كلمة ابن تيمية في القرن السابع ظلّت تدويّ بقوة خلال قرون، بفعل المواضيع الحساسة أو "المحظورة" التي أثارها، منها ما جاء في "السياسة الشرعية" لإبن تيمية، اعتبار العمل السياسي نوعاً من التعبّد لله . (( فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرّب بها إلى الله ))<sup>(3)</sup>. حتى حقّقت في القرن الثاني عشر الهجري أكبر إنتصار لها، من خلال

1- أنور الجندي ، المرجع نفسه ص.34 .

2- نفسه، ص35 .

3- ألبرت حوراني، الفكر العربي .. مرجع سابق ص.15 .

بروز مفكرين يسيرون وفق نهجه ويتبنون أفكاره ممتزجة بأفكار الغزالي ودعوته، بحيث كلاهما يربط مصدر المعرفة بـ"العقل، القلب، الروح، الوحي والضمير" ((1)).

## 2-1- دعوة محمد بن عبد الوهاب :

تمثل دعوة محمد بن عبد الوهاب<sup>(2)</sup> التي عرفت بـ"الدعوة الوهابية" تحولاً هاماً وخطيراً على مستوى المجتمع والسلطة والخلافة العثمانية، بفعل التعاليم الجذرية التي تمحورت ضمن مجموعة محاور أهمها :

1- جعل الكتاب والسنة المصدر الوحيد للتشريع .

2- العودة بالإسلام إلى صفائه الأول بمحاربة ما ابتدع من عادات وتقاليد، ومنع الإحتفاء بزيارة القبور، وخروج النساء وراء الجنائز، وعدم إقامة حلقات أذكار يُغني فيها ويرقص، ولا تبرك بالأضرحة، بمعنى محاربة أي شكل من أشكال الوثنية، بما فيه وثنية أصحاب السلطان والحكام<sup>(3)</sup>.

فالعثمانيون كانوا في نظر الوهابيين مغتصبين للخلافة و من حق العرب أن تكون في أيديهم، فتعاهد ابن سعود أمير الدرعية على نشر الدعوة الوهابية بالكلمة وبالسيف، فشعرت الدولة العثمانية بالخطر الذي يهددها، فكأفت واليها في دمشق للتصدي للوهابيين الذين اتجهوا بجيوشهم صوب الشام و فلسطين، ثم لجأ السلطان العثماني في عام 1807م إلى محمد علي والي مصر و طلب منه الخروج لقتال الوهابيين<sup>(4)</sup> .

تردد محمد علي في ذلك، و لما رجح إمكانية تحقيق أهدافه الإستراتيجية التي تخدم مصالحه الشخصية و طموحاته في انتزاع حكم مصر وجعله وراثيا في ذريته بهبة من السلطان، قرر حينها محمد علي استئصال الوهابيين، وسير إليهم أبناءه تباعا، طوسون

1- أنور الجندي، البيضة الإسلامية..مرجع سابق.ص36  
 2- \*محمد بن عبد الوهاب ( 1703- 1791م ): ولد بالعبينة، بوادي حنيفة و هي من أعالي نجد ، كان أبوه الشيخ عبد الوهاب قاضيا ، و يقوم بتدريس التفسير و الحديث و الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، و كان بيته مكانا يقصده طلاب العلم و بعض العلماء ، و كان الإبن محمد يراقب مجلس أبيه عن كثب ، لذلك نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب واسع الثقافة ، و كان شغوفا بالعلم و الدراسة ، و شغل وقته بقراءة كتب الفقه و التفسير و الحديث و العقائد و كتب و رسائل ابن تيمية التي كانت مصدر إلهام له في كثير من المسائل ، ثم توجه إلى الحجاز طلبا للعلم ، ثم رحل إلى العراق و زار بغداد و البصرة و مكث فيها أربع سنوات ، ثم قصد الإحساء ، ثم عاد إلى موطنه يدعو إلى التوحيد و نبذ الشركيات، و حرص على تعريف أهل نجد بأصول التوحيد و نواقضه ، و ألف في ذلك كتاب " التوحيد الذي هو حق الله على العبيد "، و كانت له مؤلفات أخرى .انظر:  
 - هشام سوادى هشام ، تاريخ العرب الحديث 1516-1918م ، دار الفكر ، عمان ،الأردن ،2010، ص215،217 .  
 3- شوقي عطا الله ، عبد الله عبد الرازق، تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، مصر ،2013، ص70.

وإبراهيم بدءا من سنة 1915م إلى غاية سنة 1820م، وتمكّن محمد علي من بسط نفوذه على الجزيرة العربية واليمن، و أصدر السلطان محمود الثاني<sup>(1)</sup> فرمانا بتعيين إبراهيم باشا<sup>(2)</sup> على ولاية جدة مكافأة على خدماته للدولة<sup>(3)</sup>.

## 2-2- إصلاحات محمد علي :

بعدما تسلّم محمد علي السلطنة في مصر من نابليون بعد رحيله من مصر سنة 1805م، بادر محمد علي<sup>(4)</sup> والي مصر بالقيام بمجموعة من الإصلاحات في شتى الميادين، وأوفد الطلاب إلى أوروبا، وأقام مطبعة<sup>(5)</sup>، و إن كان الإهتمام أكثر بالمؤسسة العسكرية، فأنشأ أول كلية حديثة في الوطن العربي كانت مدرسة الطب في القاهرة سنة 1827م، والغرض منها هو تخريج الأطباء المصريين الذين يقومون بمصاحبة الجيوش المصرية لمعالجة المرضى والمصابين في الحروب<sup>(6)</sup>، بمعونة ومساعدة مشبوهة من فرنسا<sup>(7)</sup>.

- \*1- محمود الثاني (1784-1839م) : سلطان عثماني و اصل إصلاحات ابن عمه سليم الثالث، استمرت في عهده الحرب الروسية العثمانية، توفي قبل أن تصله أخبار اندحار جيشه في معركة "نزيب" و تسليم الأسطول العثماني لمحمد علي بالأسكندرية. انظر: - لطيفة عميرة، سؤال النهضة ..مرجع سابق، ص، 14.
- \*2- إبراهيم باشا (1789-1848م) : قائد مصري عيّنه أبوه محمد علي قائدا للحملة المصرية على الوهابيين (1816-1819م) فأخمد ثورتهم ، ثم قاد الجيش المصري ضد الثوار اليونانيين الخارجين على السلطة العثمانية فانتصر عليهم(1825-1828م)، كما ضم الشام و فلسطين إلى ممتلكات أبيه. انظر: - مجموعة من العلماء و الباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2010، ص6.
- 3- شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرزاق، تاريخ العالم العربي ..مرجع سابق، ص 72.
- \*4- محمد علي باشا (1769-1848م) : أصله ألباني ، انخرط في الجيش التركي فأصبح سنة 1801م لواء فيلق عسكري ألباني ، و بعد الإحتلال الإنجليزي لمصر في 11 مارس 1803م ، تدخل بذكاء في غمار الصراع الثلاثي بين الأتراك و المماليك و العلماء ، و انضم في الأخير إلى القوة السياسية ، مؤيدا من طرف الإحتلال الفرنسي الذي ضغط على هؤلاء المتصارعين على أن يكون باشا تركيا ، و يكون رجل الغرب الجديد لفرنسا وأوربا الذي يعول عليه لإنجاز " المهمات المشبوهة " بدعوى الإصلاح و النهوض ، و وافق على هذا الإختيار الباب العالي في 9 جويلية 1809م ، و ضل محمد علي مدة عامين و هو يفكر في كيفية الإيقاع بالمماليك، و انتهى بالقضاء عليهم جماعيا في مجزرة رهيبية ، و عددهم 470 رئيسا بتاريخ 1ماي 1801م ، بعد أن نجح في نصب كمين لهم بدعوة لحضور احتفال المصالحة العامة بينهم ، كما قتل العلماء الذين ساعدوه للوصول إلى السلطة ، و بذلك يقل أن محمد علي أنه شخصية سيئة عرف بالقسوة و غلظة الكبد ، كما قال عنه عبد الرحمان الجبرتي : أنه مخادع، كذاب، لا وعد له، ظالم ، جائر بحق الناس، رجل مستبد ، و وُصف بأنه ميكيافيلي ، في حين نجد البعض الآخر يقول أن هذه الصفات رجحت أن يكون والي مصر ، و ذهب بعض المؤرخين أن محمد علي كان رجل لهو و عبث و نساء و مجون حتى أن بعضهم سماوا الحانات باسمه ، و آخرون يتساءلون عن الإلتباسات و الظروف التي ساعدت ته و هو الأقل حظا من حكم مصر عشية انسحاب فرنسا من مصر؟ انظر: - مسعود طيبي، المشروع النهضوي عند سلامة موسى ، دراسة تحليلية نقدية ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2011م ، ص، 6 .
- محمد علي الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، ط1، مصر ، 2011، ص 353 .
- 5- أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها و تطورها، ط1، مكتبة الحياة للنشر، بيروت، دت، ص، 140 .
- 6- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب ..مرجع سابق، ص، 246 .
- 7- الكثير من الأدلة تشير إلى أن هذه الشبهة هي الحركة الماسونية التي انبثقت في مصر مع مجيء الحملة الفرنسية سنة 1798م ، على يد رجال الحملة الفرنسية ، و أسسوا محفلا ماسونيا في القاهرة باسم " محفل إيزيسي " ، و تمكّن المحفل من ضم بعض الأعضاء المصريين ، و سعت الحملة الفرنسية لفرض الفكر الماسوني بفرض العادات الخبيثة التي استهجنها المسلمون في مصر ، كالبغاء و السفور و تشجيع النساء من الحرافيش و نساء الهوى على ارتكاب المحرمات بشكل علني واضح ، كما تشير الدلائل إلى أن محمد علي مشبع بأفكار الماسونية ، فنقل عنه و هو يفادى الفرنسيين على مسألة احتلال الجزائر ( يقول أن قراري ..لا ينبع من عاطفة دينية ، فأنتم تعرفونني و تعرفون أنني متحرر من هذه الإعتبارات التي يتقيد بها قومي ) ، و قد شهد عصر محمد علي تأسيس أكثر من من محفل ماسوني ، ثم انتشرت في مصر و الشام و تركيا و ظل أعضاؤها يعملون ليل نهار لتفتيت العالم الإسلامي من الداخل، و التمكين " لزعماء الماسونية من في المنطقة مثل ، محمد علي ، و كمال أتاتورك ، و جمال عبد الناصر... من نقل الإنتماء الإسلامي لبلدانهم إلى الخروج عن شريعة الله .. بكل ذلك بفضل " القوة الخفية " أو الماسونية، انظر: - محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية ..مرجع سابق، ص، 343..347.



كانت هيئة التدريس تتكوّن من أساتذة أوربيين يدرسون علم التشريح والجراحة والصحة والصيدلة والكيمياء والنبات وغير ذلك، و كان المتفوقون يرسلون إلى الخارج لإتمام دراساتهم<sup>(1)</sup> .

كما ألحقت بمدرسة الطب مدرسة خاصة بالصيدلة سنة 1929م، ثم مدرسة خاصة بالقابلات والولادة، وألحق بها مستشفى للنساء، وكان التعليم بها باللّغة العربية، كما أنشأ محمد علي أول كُليّة للّغات في الوطن العربي وهي "مدرسة الألسن" بالقاهرة، و تولّى إدارتها رائد النهضة الفكرية في مصر رفاة رافع الطهطاوي، كما أنشئت كليات أخرى شملت معظم العلوم المهمّة، و ساهم في بناء دعامة إقتصاد مصر الحديث<sup>(2)</sup> .

إلا أنّ إصلاحات محمد علي لم تتجذّر في مصر، لأنها لم تكن عمومية و شاملة ضمن، ولم تمس في حركيتها عمق المجتمع المصري، بل اعتبرت نخبوية محدودة و سطحية، لغرض التمكين لسلطة محمد علي وأبائه على مصر والأقاليم المجاورة، إلا أنّ الغزو الإستعماري لمصر سنة 1882م أجهض مشروع النهضة العربية في مصر<sup>(3)</sup> .

## 2-3- المفكرون العرب :

لا يمكن إغفال دور المسيحيين الناطقين بالضاد الذين استفادوا بشكل أو بآخر من الإرساليات والتجارة مع أوروبا، انصرف هؤلاء إلى تعليم اللّغة العربية في النّصف الأول من القرن التاسع عشر، و كان لهم دور بارز في تعزيز دور اللّغة العربية، و من ثمّ بعث ملامح الفكر القومي العربي .

1- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب ..مرجع سابق ، ص ، 247 .

2- ألبرت حوراني، الفكر العربي ..مرجع سابق.ص.ص،73..75 ..

3- هشام سوادى هاشم ، مرجع سابق ، ص، 247 .

### 3-1- الشيخ ناصف اليازجي :

برز الشيخ ناصف اليازجي<sup>(1)</sup> في لبنان كأول أستاذ كبير للعربية، و قد كان جميع كتاب العصر من العرب، بشكل مباشر أو غير مباشر من تلاميذه، حيث تم تأكيد أهمية اللغة العربية كأداة صالحة للتعبير عن الحياة و الأفكار في العالم الحديث، فأصبحت لغة ثقافة مسيحيي لبنان وسوريا، فساعد ذلك على تسرب العلمانية إلى عقول الطلاب المسيحيين، من خلال اللغتين الفرنسية والإنجليزية، كما تبلور خلالها بشعور قومي وبحقوق متساوية بين جميع المواطنين<sup>(2)</sup>.

### 3-2- إبراهيم اليازجي :

عاش إبراهيم اليازجي<sup>(3)</sup> يدعو إلى القومية العربية عقيدة وعملا، غيورا على العرب، يفاخر بماضيهم و مآثر رجالهم، فقد كان من الأوائل المشتغلين بالقضية العربية، ونظم في ذلك أشد قصائده القومية شهرة و ذيوعا، اعتبرها المؤرخون أول صوت عبر عن حركة العرب القومية في العصر الحديث<sup>(4)</sup>، و كان مطلعها :

تنبّهوا واستيقظوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غابت الركب<sup>(5)</sup>

وخلال ستينات القرن التاسع عشر، نشأت صحافة دورية، منها تلك التي كانت تصدر في القاهرة واسطنبول، و التي كانت تقتصر على نشر الأخبار الرسمية، ثم تعاقبت صحف أخرى بالحواضر الكبرى في المشرق العربي .

1\*- ناصف اليازجي (1800-1871م): هو ناصف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط، الشهير باليازجي، شاعر من كبار الأدباء في عصره، أصله من حمص بسوريا، استخدمه الأمير بشير الشهابي في أعماله الكتابية مدة 12 سنة، ثم تفرغ بعدها للتأليف والتدريس في بعض مدارس بيروت، له كتب منها "مجمع البحرين"، "مقامات وفصل الخطاب"، "مختارات اللغة". انظر :

- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 122 .  
- خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج7، ط5، دار الملايين، بيروت، 2002، ص 350 .

2- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 122 .

3\*- إبراهيم اليازجي (1848-1906م) :ولد في بيروت، و من أسرة عربية لبنانية مثقفة، و هو ابن الشيخ ناصف اليازجي المشهور، و هو أحد نوابغ عصره في الأدب و اللغة ، درس في المدرسة الوطنية في بيروت ، ثم اتجه إلى العمل الصحفي فتولى تحرير جريدة النجاح ، و ساهم مع آخرين في إصدار مجلة " الطبيب " إحدى أوائل المجلات العلمية المتخصصة في الوطن العربي ، كما ألف كتابا ضخما عنوانه " نجمة الرائد في المترادف و المتوارد" دعا فيه إلى تعلم التعبير الفصيح و الرجوع إلى أصالة اللغة و طبعها ، و درس علم الفلك حتى انتدب عضوا في جمعيات فلكية في باريس و أمريكا اللاتينية ، و هاجر إلى مصر لأسباب سياسية ، و أسس هناك مطبعة و مجلة علمية، و أصدر مجلة الضياء سنة 1898م ، أصبحت منبرا للأقلام المثقفة ، و صورة الحركة العربية الناهضة. و توفي في مصر. انظر :

- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب .. مرجع سابق، ص، ص، 244 ، 245 .

4- هشام سوادى هاشم ، المرجع نفسه، ص، 245 .

5- المرجع نفسه، ص، 245 .

وكان أول كاتب لبناني حظي بالشهرة والنفوذ في هذا الإطار، فارس الشدياق<sup>(1\*)</sup>، حيث سافر إلى أوروبا، وصف خلالها انكلترا وفرنسا، لكنه كان أقل عمقا من وصف الطهطاوي، وكتب كتاب "الساق على الساق في ما هو الفاريق" بين فيه إثبات تفوق اللغة العربية، ثم كتب الشدياق في صحيفة "الجوائب"، التي تعتبر كأول صحيفة إخبارية وعلمية، حلّ فيها الشدياق بتفصيل، مجرى الحرب الفرنسية الروسية، و الأزمة الشرقية في سبعينات القرن التاسع عشر<sup>(2)</sup>.

وكذلك بطرس البستاني " 1819 - 1883"، لم يكن أقل تأثيرا من الشدياق في عصره، اشتغل ضمن الإرساليات الأجنبية، وفي سنة 1863م أسّس "المدرسة الوطنية"، أهتم فيها بتدريس اللغة العربية والعلوم الحديثة، وساهم بقاموسه العربي "المحيط"، وموسوعته العربية "دائرة المعارف"، و النشرات الدورية التي كان يترأس تحريرها، في خلق نثر عربي حديث، و يبحث للإطلاع على علوم أوروبا الحديثة واكتشافاتها<sup>(3)</sup>.

### 2-3- رواد عصر اليقظة :

خلال أواخر القرن التاسع عشر ظهرت نخبة من الموظفين والعسكريين الكبار والأساتذة، والعلماء الذين رأوا أهمية و ضرورة إصلاح أوضاع الخلافة العثمانية، واعتقد بعضهم أهمية إدخال بعض "التنظيمات" الأوروبية ضمن هذه العملية، فكان جل همهم إصلاح أوضاع المجتمع، و بعث بعض تعاليم الشريعة الإسلامية وفق التحولات الحاصلة في أوروبا في شتى ميادين الحياة .

\*1- الشدياق أحمد فارس (1804-1888م) :أديب لبناني.من رواد الصحافة العربية الاوائل، ولد في عشقوت و توفي في أستانبول.تعلم في مدرسة عين ورقة ،سافر إلى مصر و مالطا و تونس،ثم قصد الأستانة حيث أصدر جريدة"الجوائب"جال في اوربا ،امتاز بمقدرته اللغوية و سهولة اسلوبه،من مؤلفاته"الjasوس على القاموس"،"الساق على الساق فيما هو الفرياق".انظر:  
- المنجد في اللغة و الاعلام،ط36،دارالمشرق،بيروت،1997،ص، 331 .  
2- ألبرت حوراني، مرجع سابق،ص126 .  
3- ألبرت حوراني، نفسه،ص127 .

### 3-4- رفاة رافع الطهطاوي :

نشأ رفاة رافع الطهطاوي<sup>(1\*)</sup> في القاهرة، جيل امتزجت فيهم الليبرالية الإسلامية العثمانية بالحس الوطني المصري، فكان أول كاتب حلل فكرة الأمة المصرية<sup>(2)</sup>، وحاول شرحها و تبريرها، بناء على اعتبارات إسلامية، و كان هدفه أن يجمع بين مكتسبات الحضارة العصرية "الأوربية" ومعطيات المجتمع المصري العربي الإسلامي، من خلال كتابه "مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية" .

وكان الطهطاوي من الرواد الأوائل الذين ساروا في طريق اليقظة الحديثة في مصر، وهو خريج الأزهر، و الأزهر في هذه المرحلة قد غلب عليه الجمود و تأثر بأراء الجبرية والتقليد، بينما كان أستاذه حسن العطار<sup>(3\*)</sup>، قد عُرف بفكره الحر و تطلّعه إلى النهضة، وإن كانت كتابات محمد بن عبد الوهاب قد وصلت إلى القاهرة قبل ذلك، و وجدت لها بعض الأنصار هناك<sup>(4)</sup> .

وقبل زيارة الطهطاوي لباريس كانت أفكاره محافظة، و بعد زيارته واصطدامه بالحضارة الغربية<sup>(5)</sup>، لم ينحرف في أفكاره، بل استطاع أن يقدم منهاجاً حاول من خلاله التوفيق بين الفكر الإسلامي الأصيل ومعطيات العصر الحديث بشكل إيجابي، بذلك اعتبر الطهطاوي<sup>(6)</sup> " أول المفكرين السياسيين العظام في مصر الحديثة" ، كما أكد على أنّ الثروة الوطنية إنما هي نتاج الفضيلة وهي التربية، كما كانت له نظرية خاصة في السياسة، فقد

\*1- رفاة بدوي الطهطاوي(1801-1873م): و لد في طهطا ، و قصد القاهرة فتعلم في الأزهر و تتلمذ على يد الشيخ حسن العطار الذي شجع محمد علي والي مصر على إرساله إلى فرنسا إماماً للصلاة و الوعظ في أول بعثة من الشبان أرسلتها الحكومة المصرية إلى أوروبا لتلقي العلوم الحديثة ، فالظروف أخرجته من العالم القديم لتزجّ به في العالم الجديد ، الأعوام الخمسة من 1826- 1831 التي قضاها هناك كانت أهم أعوام حياته ، فاكتملت معرفة دقيقة باللغة الفرنسية ، فتولى الترجمة في المدرسة الطبية ، و أدار مدرسة الألسن ، و ساهم في تأسيس جريدة الوقائع المصرية ، وكان أحد أعضاء الفريق الذي خطط لنظام التربية الجديد في مصر، كما كان عضواً في عدة لجان، و شجع مطبعة الحكومة في بولاق على نشر الروائع العربية ، بما فيها مقدمة ابن خلون ، و ألف كتباً عديدة، و مقالات مبتكرة ، و نقل إلى العربية مؤلفات فرنسية عدّة ، و أشهر مؤلفاته : " تخلص الإبريز في تلخيص باريس " و" مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية ، المرشد الأمين في تربية البنات والبنين ، نهاية الإيجاز و أنوار توفيق الجليل أنظر :

- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ص25 .

- ألبرت حوراني، الفكر العربي.. مرجع سابق ص94.95 .

2- ألبرت حوراني، المرجع نفسه ص95 .

\*3- حسن بن محمد بن محمود العطار (1190-1250هـ/1776-1835م): من علماء مصر، أصله من المغرب، و مولده و وفاته في القاهرة، أقام زمناً في دمشق ، و سكن " أشكودرة " بألبانيا و اتسع علمه و عاد إلى مصر ، فتولى إنشاء جريدة " الوقائع المصرية " ، ثم مشيخة الأزهر 1246هـ، من مؤلفاته : الإنشاء و المراسلات، ديوان شعر و كتب في المنطق و الأصول.انظر:

- لطيفة عميرة، سؤال النهضة ..مرجع سابق ص25 .

4- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية ..مرجع سابق ص63 .

5- فادي اسماعيل، قراء نقدية في مفاهيم النهضة ..مرجع سابق، ص64 .

6- ألبرت حوراني، الفكر العربي ..مرجع سابق ص75 .

أبقى نظرة التفكير الإسلامي التقليدي للسلطة السياسية، لكنه توسّع في الجوانب الأخرى توسعا جديدا وهاما<sup>(1)</sup>، مثلا رأى أن يكون للحاكم السلطة التنفيذية المطلقة، ولكن ضمن إطار الشريعة ، يحترمها، ويقيم مبادئها .

ورأى الطهطاوي وجوب إنخراط الشعب في العملية السياسية، و يجب أن (( يهذب من أجل هذه الغاية ))<sup>(2)</sup>، كما رأى الطهطاوي أن يكون الحكام من صلب المجتمع، همهم خدمة بلادهم والسعي لرفقيها، أن يكونوا من أبناء الشعب، يقيمون العدل فيه، ويعطوا القضاء استقلاليتة، وأن يقرب هذا الحاكم العلماء المجتهدين للإستتصاح والمشورة<sup>(3)</sup>، فالحكام يجب أن يشجعوا التجارة والزراعة، وأن ينتجوا المعدّات الضرورية للدفاع، وفوق كل ذلك، أن يحترموا مبادئ العدل والمساواة<sup>(4)</sup> .

وبالرغم من إعجاب الطهطاوي بالحضارة الأوربية والنهضة الفرنسية، فقد انتقد الغربيين في كثير من أخلاقهم وعوائدهم وعقائدهم. و من ذلك قضية المرأة في المجتمع الأوربي والعلاقة الحرّة بين المرأة والرجل، كما نقد آراءهم التي ترى بعض الحكماء والفلاسفة أنهم أعظم من الأنبياء<sup>(5)</sup>، كما يرى من خلال كتابه " تخلص الإبريز في تلخيص باريس"، أن الفرنسيين (( أقرب للبخل من الكرم ))، و أن (( الرجال عندهم عبيد النساء ))، ولكن من جهة أخرى، فقد أثنى على كثير من الفضائل، كالنظافة، و تربية الأولاد بعناية وعلى مدة طويلة، و حبّ العمل والمعرفة فهم يحبّون دائما معرفة أصل الشيء، و من طباعهم حب التّغيير، وثباتهم على آرائهم في الأمور المهمّة، ثم وفاؤهم بالوعد، و عدم الغدر، و قلة الخيانة<sup>(6)</sup> .

1- لطيفة عميرة،سؤال النهضة ..مرجع سابق ، 2015، ص،28

2- ألبرت حوراني، الفكر العربي ..مرجع سابق ص94.95.96 .

3- يرى الطهطاوي، أن الثروة الوطنية إنما هي نتاج الفضيلة ، إذ عندما كانت الفضائل الإجتماعية قوية ، كانت مصر مزدهرة .. فقد اهتم باستعادة دور التربية في المجتمع ، لقد صرف معظم حياته معلما و منظما للمدارس ، و أوصى بأن تتعلم البنات مثل البنين، و على قدم المساواة ، خصص في ذلك كتابا سماه " المرشد الأمين في تربية البنات و البنين" ، لكنه يعزو نقص الفضيلة و الإزدهار في مصر إلى الحكم الأجنبي . انظر :

- ألبرت حوراني، الفكر العربي ..مرجع سابق،ص.ص101.102.104 .

4- ألبرت حوراني، المرجع نفسه ص98 و ص 100 .

5- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية ..المرجع نفسه ص64 .

6- ألبرت حوراني، مرجع سابق،ص93.94 .

وعلى الرغم من أن الطهطاوي شهد وهو في باريس الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، إلا أنه لم ينتبه للخطر والشر العظيم الذي ستسوقه أوروبا إلى شعوب و دول العالم الإسلامي، وإن تناول بعض الإشارات الموحية لذلك، بحيث كان يجزم بخطورة أوروبا أخلاقيا .

ويرى الطهطاوي أن العلم بفروعه هو ما دعا إليه الإسلام، و ليست العلوم الفقهية والشرعية فقط، وإن جعل علوم الدين والآداب في الدرجة الأولى من ترتيبه للعلوم، ويقول: ((واعلم أن كل العلوم شريعة ولكل منها فضيلة))<sup>(1)</sup>، ولقد نادى الطهطاوي إلى الإجتهد بضرورة ((أن يتكيف الفقه وفقا للظروف الجديدة))<sup>(2)</sup> .

إن أفكار الطهطاوي كان لها أثر على تطور تفكير الأزهر نفسه، في إلتماسه مفاهيمه الأساسية من ينابيع الإسلام الأولى ، كما كان لذلك أثره فيما بعد في مناهج جمال الدين الأفغاني و محمد عبده وغيرهم<sup>(3)</sup> .

إن مما فسره الطهطاوي في فكره، من قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (( أَوْعَلِمَ يَنْتَفِعَ بِهِ )): أي علم علمه الإنسان لغيره فصار نافعاً، والعلم النافع مرادف للحكمة المفسرة به، فهو ما يوصل إلى الصفات الحميدة قولاً و فعلاً، و يثمر الثمرات الدنيوية والأخروية، قال تعالى: (( وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ))<sup>(4)</sup> حيث فسّر العلماء الحكمة بتفاسير بتفاسير كثيرة ترجع إلى العلم النافع والأفعال الحسنة، فالعلم بهذا المعنى يشمل العلوم النظرية والعملية، و يعني معرفة الحقائق والإقدام عليها، فالعلم يجمع العلوم (( عقلية ونقلية ونظرية وعلمية))<sup>(5)</sup>، و يرى الطهطاوي أنه يجب على مصر أن تتبنى العلوم الحديثة والمبتكرات المنبثقة عنها، دون أن تخشى من ذلك خطراً على دينها، إذ كانت العلوم المنتشرة في أوروبا حديثاً علوماً إسلامية في الماضي، أخذتها أوروبا عن العرب، فإذا استعادتها مصر اليوم، فإنما تستردّ ما هو لها<sup>(6)</sup> .

1- أنورالجندي، البيضة الإسلامية .. مرجع سابق، ط2. تونس 1985. ص66 .

2- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 27.

3- أنورالجندي، مرجع سابق. ص66

4- سورة البقرة، الآية 269، برواية ورش عن نافع .

5- أنورالجندي، مرجع سابق. ص66.67 .

6- ألبرت حوراني، مرجع سابق. ص106 .

وأنّ الذي شدّ انتباه المفكرين المسلمين العرب، و هزّ كيانهم في هذه الفترة، خاصة رفاة وخير الدين التونسي، و من جاء بعدهم أمثال جمال الدين و غيره، إنّما هو مفهوم الحرية السياسية والديمقراطية والمساواة، وهي في الأساس والأصل إسلامية المنبث والمحضن .

### 3-5- جمال الدين الأفغاني :

تمثل أفكار جمال الدين<sup>(1)</sup> مرحلة أكثر تقدما واتساعا من مرحلة محمد بن عبد الوهاب والسنوسي، وأكثر عمقا من مرحلة رفاة و خير الدين في شقّها السياسي، فقد تكشّف في عصره مدى ضغط النفوذ الأجنبي و تسلّطه في الهند والجزائر وفي مصر<sup>(2)</sup>، وأُتيح له أن يطوف العالم ويلتقي بالفلاسفة والملوك، في لندن و باريس وألمانيا و روسيا، ورأى الغرب في مرحلة اكتساحه للعالم الإسلامي، وكان الأفغاني واعيا في مواجهة الخطرين معا: الخطر الداخلي في العالم الإسلامي، خطر الجمود والجبرية، والخطر الخارجي وهو خطر الإستعمار والإلحاد،<sup>(3)</sup> فمتى ذُكرت حركة الإصلاح في أي بلد من هذه البلاد لم يكن بدّ من إرجاعها إلى الأفغاني<sup>(3)</sup> .

1\* - جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) : هو محمد جمال الدين بن صفتّر، من بيت جاه وعزّ ببلاد الأفغان ، من منطقة "كنر" من أعمال كابل، ولد في قرية "أسعد آباد" سنة 1254 هـ، انتقل إلى مدينة كابل، حيث تعلم العربية و التاريخ و علوم الشريعة، و المنطق و الحكمة ثم هاجر إلى الهند حيث تعلم بعض العلوم العصرية على الطريقة الأوربية، ثم ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة 1273 هـ، ثم عاد إلى أفغانستان ليعمل في سلك رجال الحكومة، ثم عاد إلى الحجاز فمصر، و تردد على الجامع الأزهر، و خالطه الكثير من الطلبة السوريين ثم سافر إلى الأستانة و نزل عند الصدر الأعظم علي باشا و أكرمه، ثم عاد إلى مصر سنة 1288 هـ، و لأسباب سياسية اتجه إلى الهند بحث الحكام المسلمين و يحذرهم من خطر النفوذ الأجنبي المحقق بالأمة الإسلامية، ثم غادرها إلى لندن و منها قفل إلى باريس التي أقام فيها ما يزيد عن ثلاثة سنوات، حيث كلفته جمعية العروة الوثقى أن ينشئ جريدة تدعو المسلمين إلى الوحدة تحت لواء الخلافة الإسلامية، و هي جريدة "العروة الوثقى" التي صدر منها ثمانية عشر عددا. انظر: جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، العروة الوثقى لا انفصام لها، مطبعة التوفيق، بيروت، 1328 هـ، ج 1، ص، و، ز . ، و قال فيه مالك بن نبي (( كان رائد الحركة الإصلاحية الحديثة، و لكن دوره لم يكن دور مفكّر يتعمّق المشكلات لينضج حلولها، فإن مزاجه الحاد لم يكن يسمح له بذلك، لقد كان قبل كل شيء مجاهدا و لم تكن ثقافته النادرة سوى وسيلة جدليه مهما هبطت أحيانا إلى مستوى الجماهير فأصبحت وسيلة نشاط ثوري. قصد تنظيم جموع الشعب و إصلاح القوانين دون أن يقصد إلى إصلاح الإنسان الذي صاغه عصر ما بعد الموحدين ))، ترك الأفغاني في جميع من عرفوه انطبعا قويا، و لو لم يكن مبهجا، عن رجل مخلص لعقيدته، عنيد، متقشّف، سريع الغضب للشرف و الدين، عنيف يستحيل ترويضه، أو على حد تعبير بلنط، (( عبقرى بري )) انظر:

- شافية صديق، التغيير من خلال الجماعة، الوهابية، العروة الوثقى، جمعية العلماء المسلمين، ط1، دار قرطبة، الجزائر. 2006. ص36. 37.

- ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، دار النهار للنشر، ط3. بيروت 1977. ص124.

- مولود عويمر، اعلام و قضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط1، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، 2007، ص، ص، 80، 79.

2- و الحق أن جمال الدين الأفغاني تنبّه مبكرا لذلك، بحوالي ربع قرن قبل قبل سقوط الفكرة الإصلاحية، كانت تجربة الإستعمار البريطاني للهند و مصر، و الإستعمار الفرنسي للجزائر و تونس، ماثلة أمام عينيه، معطوفة على شعور حاد لديه بأن الدولة متلكنة في إجراء الإصلاحات الضرورية الكفيلة بتقوية شوكتها في وجه الضغط الأجنبي، لذلك أتى خطابه ثوريا عنيفا و تحريزيا، ثم لم يلبث التاريخ أن أنصفه حين تبين أن ما خشي منه و توقّعه هو عين ما حصل. انظر:

- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحدائة .. مرجع سابق. ص92.

3- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد، .. مرجع سابق، ص49.

ومما قاله الأفغاني ضمن فلسفته الإصلاحية ((والذي يحكم به العقل الصريح، ويشهد به سير الإجتماع الإنساني من يوم علم تاريخه إلى اليوم، أنّ الأمم الكبيرة إذا عراها ضعف الإفتراق في الكلمة أو غفلة من عاقبة، لا تحمد أو ركون إلى راحة، لا تدوم أو افتتان بنعيم يزول، ثم صالت عليها قوّة أجنبية أزعتها ونبّتها بعض التنبيه، فإذا توالى عليها وخزات الحوادث و أفلقتها آلامها، فزعت إلى استبقاء الموجود و ردّ المفقود، ولم تجد بدا من رد النجاة من أي سبيل، وعند ذلك تحسّ بقوتها الحقيقية...))<sup>(1)</sup> .

وكان الأفغاني رفقة تلميذه محمد عبده قد أسّسا في باريس مجلة العروة الوثقى، حيث حملت على كاهلها إيقاظ الأمة الإسلامية و تنبيهها إلى الخطر الداهم، فكتب الرافي أحد مؤرخي سيرة الأفغاني (( لقد اتخذت العروة الوثقى شعارها إيقاظ الأمم الإسلامية، والمدافعة عن حقوق الشرقيين كافة، و دعوتهم إلى مقاومة الإستعمار الأوربي، والجهاد في سبيل الحرية والإستقلال ))<sup>(2)</sup> .

ويمكن أن نجل النقط الكبرى التي اعتبرت كمعالم كبرى في الفكر السياسي عند الأفغاني، هي: تحرير الفكر، تحرير الفرد، و مقاومة النفوذ الأجنبي، و قوام ذلك رابطة تقودها صفوة مستتيرة في أي قطر عربي .

### 5-1- أسس اليقظة في فكر جمال الدين الأفغاني :

وكان الأفغاني أول من صدع بفلسفة يدعو من خلالها إلى اليقظة، والإستعداد للخطر الأجنبي الذي يحدق بالإسلام والمسلمين، وشملت نظرية جمال الدين الأفغاني خطة قائمة على الأسس التالية<sup>(3)</sup> :

### أولا- مقاومة الجبرية والحركات الهدامة :

ويكون ذلك بتصحيح ما رسخ في عقول العوام والخواص، من فهم بعض الكلمات الدينية على غير وجهها، مثل فهمهم القضاء والقدر على معنى يعفيهم من أن يتحركوا لطلب مجد،

1- جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى لا انفصام لها، مطبعة التوفيق، بيروت، 1328هـ، ج1، ص2.  
2- رضوان زيادة، التنوير في عصر النهضة، مقال على موقع: مؤمنون بلا حدود، قسم: الدين و قضايا المجتمع الراهنة، تاريخ التصفح 2018/02/29  
<http://www.mominoun.com/articles/>  
3- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق ص93.



ولا للتخلص من ذل، ومثل فهمهم لبعض الأحاديث الشريفة الدالة على فساد آخر الزمان وقرب انتهائه، فهما يثبّط فهمهم من السعي وراء الإصلاح، فالواجب في ذلك القيام بتحرير العقول من الجمود وتطهير العقيدة، و (( إقناع المسلمين بأنّ عليهم أن يفهموا دينهم الفهم الصحيح ))<sup>(1)</sup> .

بينما هاجم الأفغاني الحركة " النيشيرية " <sup>(2)</sup> التي أسّسها أحمد خان، لما كان منفيًا في الهند بعد 1879م، واعتبرها الأفغاني دسيسة من دسائس دهاء ومكر الإستعمار الإنجليزي، لإضعاف و زعزعة إيمان المسلمين وتفكيك وحدتهم أمام التغلغل الإستعماري، فوضع لمحاربة هذه الحركة أوسع مؤلفاته: "الرد على الدهريين"، كما هاجم فيه الملحدين، من مثل داروين<sup>(3)</sup>، و سبينسر<sup>(4)</sup> مرورًا بنظرائهم في الإسلام، و يرى الأفغاني أنّ الأديان الحقيقية تتطوي على ثلاث حقائق: أولاً: أنّ الإنسان ملك الأرض وأنبل خلق الله، ثانياً: إن المجتمع الديني هو أفضل المجتمعات إطلاقاً، ثالثاً: أنّ الإنسان أرسل إلى هذه الدنيا ليحقق كماله استعداداً للحياة الأخرى، و بهذه الحقائق الثلاث تتجم الفضائل الثلاث، التي هي أساس المجتمع: الحياء والأمانة والصدق، فالدهريون الذين ينكرون تلك الحقائق إنما يهدمون أسس المجتمع الإنساني و ينزلون الناس من قمة المدنية إلى حضيض الحيوانية<sup>(5)</sup> .

- 1- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص142 .
- 2- مأخوذة من كلمة " نيتشر " الإنجليزية ومعناها الطبيعة ، و تقوم بتأويل القرآن على أساس مبادئ العقل و الطبيعة ، أنشأها أحمد خان بعد زيارته لإنجلترا في سبعينات القرن التاسع عشر. انظر :
- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص156 .
- 3- تشارلز داروين(1809-1882م): عالم طبيعي انجليزي ، وضع نظرية في تطور الأحياء أدت به إلى نظرية فلسفية في الطبيعة ، و عالج تبعاً لهذه النظرية مسائل نفسية و أخلاقية ، حاول في بداية حياته دراسة الطب ، لكنه لم يتدوّقه ثم عرض لدراسة اللاهوت في كمبردج ، فما لبث أن انصرف عنها، و اشترك في رحلة علمية حول الأرض طالت خمس سنين(1831-1836م) و جمع خلالها من الملاحظات ما كان من الأساس الأول لنظريته، و قضى زهاء ربع قرن يستكمل ملاحظاته و تجاربه حتى أخرج نظريته، و قضى زهاء ربع قرن آخر يدعمها و يجادل عنها ، أخرج نظرية التطور في كتابه " أصل الأنواع " سنة 1859م ثم طبقها على الإنسان في كتابه " تسلسل الإنسان و الانتخاب الطبيعي " سنة 1871م ، و عالج بمقتضاها مسائل نفسية في كتابه "التعبير عن الإنفعالات في الإنسان و الحيوان" سنة 1872..انظر:
- محمد محمود سيد أحمد طه، أعداء الحداثة مراجعات الفكر الغربي في تأزم فكر الحداثة، ط1، دار الوعي للنشر و التوزيع، الرياض، 1434، ص، 182.
- 4- هيريت سبينسر (1820-1903م): فيلسوف بريطاني حاول تكوين فلسفة شاملة قائمة على الإكتشافات العلمية في عصره، و تأثر بعالم الطبيعة الإنجليزي "داروين" و طبق نظريته في النشو و التطور على علم الأحياء و علم النفس و الإجتماع و علوم أخرى ، يقول بسلطة مجهولة تتجلى في قوى الطبيعة و في مختلف تحولاتها ، و تشكل " الحقيقة الأساسية الكامنة وراء جميع أشكال الدين "، من مؤلفاته: المبادئ الأساسية ، مبادئ علم الاخلاق، انظر:
- محمد شيخاني، التيارات الفكرية المعاصرة و الحملة على الإسلام ، ط1، دار قتيبة للنشر و التوزيع، دمشق، 2008، ص، 315.
- ألبرت حوراني ، مرجع سابق، ص178 .
- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 33 .
- 5- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص، 157 .

### ثانيا - مقاومة النفوذ الأجنبي والإستبداد :

من بين النقاط التي تناولها الأفغاني واعتبرها من الأولويات التي يجب أن يتتبّه لها العرب والمسلمون، هي قضية النفوذ الأجنبي والإسبداد، فدعا بالباح إلى (( تخليص البلاد من النفوذ الأجنبي، و تخليصها من استبداد الملوك والأمراء، وإنشاء النظم الحرّة الدستورية فيها وجمعها تحت راية زعامة واحدة ))، كما حتّ على (( بناء روح الكرامة للمسلمين وإشعار أهل الشرق بعزّتهم و حقّهم في الحرية و زعزعة صروح الظلم ))، ويقول أنه : (( لابد من بعث القرآن و بثّ تعاليمه الصّحيحة بين الجمهور وشرحها على الثابت من حيث تأخذ بهم إلى ما فيه سعادتهم ))(1) .

وكان مسعى جمال الدين الإصلاحى قد تخصّص في العمل السّياسى الذى كان شغله الشاغل، فكان تطلّعه إلى تحقيق هدفه، يرتبط بالثورة، و كان متحمسا في ذلك إلى أبعد الحدود، وهذا ما اعتبره البعض قصورا في برنامجه، فلم يكن قادرا على التطلّع إلى منهج تربوي عملي طويل المدى، على النحو الذى نهجه محمد بن علي السنوسى، ربما مردّد ذلك حرسة على دفع الخطر الدّاهم - الإستعمار الأجنبي- الذى لا يحتمل الإنتظار، وإضاعة الوقت، فكان عليه أن يعلن ما يشبه النّفير العام للأمة، وحتى أنه لم يجد وقتا للإستقرار والتفرّغ للزواج، و بذلك كان يعبر بصدق عمّ يهدّد الأمة في حاضرها ومستقبلها، صادعا بقوله : (( إنّ العالم الإسلامى يجب عليه أن يتّحد اتحادا دفاعيا عامّا، مستمسك الأطراف وثيق العرى، ليستطيع بذلك الدّوذ عن كيانه، و وقاية نفسه من الفناء المقبل، وللوصول إلى هذه الغاية الكبرى، إنّما يجب " تبنّي " أسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه وقدرته ))(2) .

1- العبارات من نصوص جمال الدين، انظر: أنور الجندى، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق ص 93 .  
2- و يعنى به جمال الدين ( قيام حكومة إسلامية واحدة تلتئم بالإسلام و تعليمه .. ترتبط أجزاءها بروابط محكمة و يكون لها مقصد واحد و تحكّم الأقطار كلها بحكومات إمامها القرآن و أساسها العدل و الشورى و اختيار خير الناس لتولى الأمور .. )، انظر: - أنور الجندى ، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق ص 100 .

ويرى كارل بروكلمان أن الأفغاني هو الذي ((بعث في نفوس الشبان المصريين الأمل في التحرر من السيادة الأوروبية إذا ما اكتسبوا ثقافة الغرب المادية و مناهجه التعليمية ابتغاء الدفاع عن الإسلام بوصفه ديناً أكثر إمعاناً في مضمار الرقي)) (1) .

### ثالثاً- الدعوة إلى الوحدة والجامعة الإسلامية :

هذه الدعوة التي أطلق عليها جمال الدين فيما بعد " الجامعة الإسلامية "، والتي إلتفت إليها السلطان عبد الحميد منذ عام 1886م، و حاول أن يوجّهها على النحو الذي يحقق بها مواجهة أوروبا بجهة إسلامية ضخمة، تشمل العالم الإسلامي كلاً، و تبلورت الفكرة بين الأفغاني والسلطان عبد الحميد، فدعاه السلطان الأخير إلى زيارة استانبول سنة 1893م ومبايعته، و لكن هذه الخطة لم تخرج إلى حيز الوجود (2) .

ويعدّ جمال الدين من أبرز دعاة الجامعة الإسلامية حيث شغلت باله طيلة حياته، وجعلها من صميم نهضة المسلمين (3)، و سار في نهجه وفق مبدأ رئيس، وهو التصدي للهجمات والأخطار الإستعمارية على العالم الإسلامي (4) .

ويؤس الأفغاني من حكام زمانه، نظراً لانشغالهم بملذاتهم وأهوائهم، بحيث وقعوا ضحايا مكر البريطانيين والأعييبهم، لقد سمحوا لموظفين أجنب، لا تربطهم بالأمة رابطة الدين ولا رابطة العرق، أن يندسوا في مجالسهم و مشاوراتهم، و يرى الأفغاني أنه من واجب زعماء الرأي الوطني التخلّص من الحاكم الفاسد، قبل فوات الأوان (5) .

وكان الأفغاني يعتبر أنّ مسؤولية الوحدة بين المسلمين في إزالة أسباب الإختلاف، ويقع ذلك على كاهل العلماء، قال في ذلك ((..و كان من الواجب على العلماء قياماً بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع، أن ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية و يتداركوا الإختلاف الذي وقع في الملك، بتمكين الإتفاق الذي يدعو إليه الدين)) (6) .

1- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد .. مرجع سابق، ص، 50 .

2- ألبرت حوراني ، مرجع سابق، ص 146 .

3- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد .. مرجع سابق، ص، 21 .

4- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب الحديث .. مرجع سابق ، ص ، 296 .

5- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 147 .

6- جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ، العروة الوثقى .. مصدر سابق ، ج3، ص 115 .

3-6- محمد عبده :

في أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، كان من أبرز الأحداث المؤثرة على مجرى اليقظة الإسلامية، وفاة جمال الدين الأفغاني عام 1897 ، وهو نفس العام الذي ظهرت فيه الحركة الصهيونية بقيادة تيودور هرتزل، و صدور الدستور العثماني عام 1908م، وسقوط السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909م .

وكان محمد عبده<sup>(1)</sup> قد عاد من منفاه إلى مصر سنة 1885م، حاملا معه تجارب وأفكار سابقه من المصلحين و رجال اليقظة، فاعتبر<sup>(2)</sup> رائد الإصلاح الديني في مصر والعالم العربي بلا جدال، و يؤرّخ له باعتباره يمثل فاتحة المرحلة الثانية في مسيرة النهضة المصرية الحديثة<sup>(3)</sup>، وسيرافقه على هذا الدّرب خلال هذه الفترة، مصلح آخر وهو عبد الرحمان الكواكبي .

وكان المسعى الإصلاحى للشيخ محمد عبده يدور في محور السؤال : كيف السبيل إلى التوفيق بين ما ينبغى للمجتمع الإسلامى أن يكون عليه، وبين ما بات عليه في الواقع؟، في هذا الظرف استطاع محمد عبده أن يبيلور برنامجا إصلاحيا يرتكز بالأساس على التربية والتعليم كأولوية العمل الإصلاحى، بعيدا عن النزاع السياسى<sup>(3)</sup> .

وكان محمد عبده يشدّد على التقليد الأعمى للأوربيين، مما تسبّب في مسخ ثقافى للمجتمع المصرى، من خلال بروز بعض المصربيين المتفرنسين، خاصة في "المعتقدات

1- محمد عبده (1849- 1905م): في قرية على ضفاف دلتا النيل بمصر ، من عائلة عرفت بالعلم ، تعلم في الجامع الأحمدى في طنطا ، الذي كان يومذاك أعظم مركز للثقافة الدينية بعد الأزهر ، إلا أنه ترك التمدرس ، لكن خاله الشيخ درويش نصحه بالعودة إلى الدرس ، فعاد إلى طنطا ثم انتقل إلى الأزهر في القاهرة حيث مكث من 1869 إلى 1877 ، فأحب دروس التصوف ، فانقطع للتحشف ، إلا أن الشيخ درويش تدخل مرة أخرى لنصحه ، إلا أنه اتصل بالأفغانى عند زيارته لمصر ، فأعجب به عبده و أصبح من تلامذته ، ، و اشتهر عبده بفضل المقالات التي كان يكتبها في صحيفة "الأهرام" ، في سنة 1877 أنهى دراسته بنيل شهادة "العالمية" ، و اشتغل مدرسا في الأزهر ، ثم عينه رئيس الوزراء رياض باشا محررا في المجلة الرسمية "الوقائع المصرية" و ثم رئيسا لتحريرها ، فأعجب بمقاومة عرابى باشا وساهم في تنظيم المقاومة الشعبية ، فألقى القبض عليه وسجن ، ثم نفي إلى بيروت ثم التحق بالأفغانى في باريس ، وأصدرا معا مجلة " العروة الوثقى " ، ثم سافر إلى تونس ، ثم عا إلى بيروت حيث مكث ثلاث سنوات يعلم في مدرسة حديثة أنشأتها جمعية خيرية إسلامية ، و كانت داره في بيروت كما كانت في القاهرة ملتقى العلماء و الكتاب و الشباب من المسيحيين و الدروز و المسلمين ، الذين كانوا يقصدونه للتحدث إليه عن الإسلام و اللغة العربية ، و في سنة 1888 سمح له الخديوي بالعودة إلى مصر، فخشي الخديوي من تأثيره في الشباب ، فعينة قاضيا في " المحاكم الأهلية ، و في سنة 1899 عين مفتيا لمصر ، فأصلح المحاكم الدينية وإدارة الأوقاف ، وساهمت فتاويه على تفسير مسائل وفق حاجات العصر ، كما عين عضوا في المجلس التشريعي، و كان مطلعا على الفكر الأوربي ، ككتاب " اميل" لروسو ، و كتاب " التربية " لسبنسر ، و روايات تولستوي ، .. كما كان على صلة طيبة بكرومر الحاكم العام الإنجليزي بمصر، و كان أهم مؤلفاته " رسالة التوحيد "، و تفسيرا لبعض أجزاء من القرآن الكريم ، فأصبح الإمام محمد عبده ، في آخر أيامه ، بفضل كتاباته و مشاغله العامة ، من أوسع الناس شهرة و أحبهم إلى القلوب في مصر ، انظر:

- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 162 إلى 168 .

2- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد . مرجع سابق، ص 75.

3- زكي الميلاد، المرجع نفسه، ص 64.

الميتافيزيقية<sup>(1\*)</sup>، و قال أن ذلك أضحى سلاحا هداما في يد من لا يحسن استعماله<sup>(2)</sup>، لا يقل خطرا عن أهل البدع و الطرقية و سدنة الإستعمار<sup>(3)</sup>.

ورأى محمد عبده أن التّغيير قد وصل مرحلة اللارجوع، و يعترف أنّ المجتمعات الإسلامية في حاجة إلى التّغيير، و اعتبار ذلك ليس مما يجيزه الإسلام فحسب، بل هو من مستلزماته الضرورية، و أنّ الإسلام ممكن أن يكون بديلا صالحا للتّغيير، فمحمد عبده ظل يتساءل: هل بإمكان من يعيش في العالم الحديث أن يبقى مسلما مؤمنا بالإسلام كل الإيمان؟ بذلك لم يتوجّه محمد عبده بكتاباتة للمؤمنين المتسائلين إذا كان بالإمكان قبول المدنية الحديثة، بقدر ما توجه بها إلى الآخذين بالثقافة الحديثة، الشاكّين في صلاح الإسلام، هذه الطبقة في نظره تشكّل الخطر الأكبر على الأمة، لو جرفها تيار العلمانية<sup>(4)</sup>

ويرى محمد عبده أنّ الإسلام دين منسجم تماما مع متطلبات العقل البشري، واكتشافات العلم الحديث، و أنّ الإسلام دين الفطرة، والشيخ عبده عبر أطوار حياته لم يخرج عن حدود الإعتدال في فلسفته الإصلاحية<sup>(5)</sup>، لذلك أيقن أن الأوربيين (( سيذوقون من فتن مدنيّتهم ومفاسدها السيّاسية ما يضطرّهم إلى طلب الخروج من منها، فلا يجدونه إلا في الإسلام))<sup>(6)</sup>، كما (( دعا الإمام إلى تأسيس " النهضة " على " الدين " ))<sup>(7)</sup>.

وعلى الرّغم من تركيز محمد عبده في دعوته الإصلاحية على التربية والتعليم، فإنّ ذلك لا يعني أنه لم يخض في القضايا السياسية، فقد أكّد في إحدى مقالاته أن ذلّ و إذلال المسلمين يكون من حكاهم قائلا: ((إنّ المسلمين في كل بقعة وجيل، أشجع الناس وأعصاهم على الخضوع للأجبيين ولا طريق لإذلالهم وتذليلهم إلا حكاهم وأمرؤهم، فهم

\*1- الميتافيزيقيا (la métaphysique): أو ( ما بعد الطبيعة ) ، علم يتأمّل الموجودات اللامحسوسة و الماورائية، و هي أيضا معرفة الأشياء في ذاتها، و هي دراسة الأشياء من منظور تاريخي و زمني، أي من حيث هي متغيّرة و زائلة، فالميتافيزيقيا عموما هي بحث في المطلق (1)  
(absolu) و اللامشروط (I incoditionné)، و البحث في المبادئ و العلل الأولى لجميع الأمور... انظر:  
- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، د، ط، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص، 460.

2- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 172.

3- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 142.

4- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 172.

5- زكي الميلاد، مرجع سابق، ص، 66.

6- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 178.

7- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 38.

الذين يتيسر لهم أن يفسدوا بأسهم بالظلم المقبول منهم على الرأس والعين، و يبذر بذور الترف و السرف والفسق الذي يدمر البلاد و يهلك العباد ((1)).

وهاجم الشيخ عبده الطريقة السلبية واتهمها أنها ابتدعت شعائر خاصة بها، فخالفت ضمناً أوامر القرآن بشأن الطريقة التي أراد الله أن نعبد به، ودفعت بالفرد المسلم الخضوع لـ "طقوس مخصوصة"، والإعتقاد بـ "وحدة الوجود"، هذه الإعتقادات التي بثها ابن عربي و غيره(2)، حيث قوّضت أسس الجماعة، و هذا ما دفع بالإستعمار الغربي إلى تشجيع و دعم الطريقة ، حيث اضطهد من خلالها إلى حد ما الإسلام السني(3) .

وبعد وقوع الإحتلال الإنجليزي في مصر، راح محمد عبده يسعى في طريق الإصلاح وفق منهج جديد مختلف في أسلوبه ومنهجه عن مخططه المشترك مع جمال الدين الأفغاني، وإن بقيت الغايات واحدة، واعتمد في ذلك " طريق التربية "، كما أشرنا إلى ذلك واعتمد منهج التعليم كأساس للنهضة، واستطاع خلالها أن يصل إلى نتائج بعيدة المدى في مجال الفكر الإسلامي، و في المجتمع، و حتى في الأزهر، و ترك أثراً ضخماً في مختلف جوانب النشاط الإجتماعي والفكري والديني، يتمحور حول النقاط التالية(4) :

- فسّر القرآن بروح العصر، وكشف عن موافقة آياته لقواعد العلم الصحيح المبني على المشاهدة و الإختيار و نواميس العمران، و تحرير العقل من قيود التقليد(5) .

- نقى الإسلام من الشوائب التي طرأت عليه بتوالي العصور، والفهم السليم للدين والتدين على طريقة السلف الصالح(6) .

- دعا وعمل على إصلاح التعليم العالي، والأزهر بوجه خاص .

- الدفاع عن الإسلام ضد الحملات الموجهة إليه(1) .

1- محمد رشيد رضا ، مجلة المنار، المجلد6 ، الجزء الأول، مطبعة المنار، مصر، بتاريخ يوم الإثنين غرة المحرم 1321هـ /30 مارث (آذار) سنة 1903م ، ص609 .

2- لما كان محمد عبده رئيساً للجنة نشر الروائع الكلاسيكية لم يسمح بنشر " الفتوحات المكية " لابن العربي .انظر : - ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص185 .

3- أرنولد غرين ، العلماء التونسيون ، 1873-1915م ، ترجمة حفناوي عمائرية و أسماء معلّى ، الطبعة الأولى ، المجمع التونسي دار الحكمة ، تونس 1995م ، ص

4- أنور الجندي ، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق، ص107 .

5- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص82 .

6- المرجع نفسه، ص82 .

- إعادة النظر في طريقة عرض المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث .
- إلتماس مفهوم الإسلام في القرآن والسنة، و دراسة الحقائق الدينية ضمن موازين العقل البشري (2) .
- الإصلاح عن طريق التربية والتعليم لتحرير العقل وإعادة هداية الدين .
- الإسلام يملك - دون تقليد أعمى للحضارة الأوربية -، الوسائل الروحية لتجديد شبابه والدخول في منافسة مع حضارة و دين آخر (3) .
- الدعوة إلى التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، و ما للشعب من حق العدالة على الحكومة. ((إني أدعو الأمة العربية إلى معرفة حقها على حاكمها)) (4) .
- وقد تعامل عبده مع الإنجليز والخبديوي اسماعيل، في إطار الواقعية السياسية ولو بأسلوب المهادنة؛ على أمل أن يسهل هؤلاء مهمته في الإصلاح، واقتنع الخديوي بذلك إلاّ أن شيوخ الأزهر وقفوا ضد عبده متهما أياه "بالكفر" (5) .
- ومما يلاحظ في استخدامه للمفاهيم والمصطلحات العصرية، فإنّ محمد عبده سار على ذلك على نهج الطهطاوي وخيرالدين والأفغاني، للوصول إلى مقارنة فيما بينها و بين الأفكار السائدة في أوربا الحديثة، مثلا أضحت المصلحة تدريجيا تطلق على المنفعة، و"الشورى" على الديمقراطية البرلمانية، و"الإجماع" على الرأي العام، وأصبح الإسلام نفسه مرادفا للتمدن(6)، إلاّ أنّ الأمر عند استعمال هذه المترادفات لا بد من الحيطة والحذر، نظرا لما تنطوي عليه من تحوير للمعنى الحقيقي للفظ، وما ينجرّ عن ذلك من أضرار على المعاني الدقيقة للفكر الإسلامي .

1- زكي الميلاد، مرجع سابق، ص، 85.

2- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص، 82 .

3- أنور الجندي ، البيضة الإسلامية .. مرجع سابق ص. 149 .

4- أنور الجندي ، المرجع نفسه ص. 165 .

5- محمد عابد الجابري، المشروع .. مرجع سابق، ص، 78 .

6- أنور الجندي ، المرجع نفسه ص. 166.

### 3-7- عبد الرحمان الكواكبي :

الشيخ الكواكبي<sup>(1)</sup> الذي عاش خلال هذه الفترة في الشام بحلب، و واجه نظم الحكم العثماني، وكان جل اهتمامه التركيز على أمرين إثنين هما: الإستبداد، والجبرية الصوفية، وقد شاركه محمد عبده في الأولى قبل الثورة العرابية، و شاركه في الثانية في المرحلة الأخيرة من حياته .

و واصل الكواكبي عمله في مصر مع محمد عبده عام 1898م قبل وفاته سنة 1902م، التقى معه في كثير من المفاهيم ، خاصة حول عوامل الضعف التي حلت بالفكر الإسلامي، والتي يسميها الكواكبي " أسباب الفتور"، غير أن الكواكبي ركّز على الجانب السياسي و علّق عليه أهمية كبرى ، شغل فكره بقضية الإستبداد السياسي وأثره في الدولة والأمة والمجتمع، ويربطه بالجبرية وعوامل الضعف الأخرى، و كان يرى ((أنّ الوحدة العربية القومية أساس لوحدة العالم الإسلامي، وهي أساس لوحد شعوب الشرق ونهضتها، و وحدة الشرق أساس لسلام العالم و رخائه))<sup>(2)</sup> .

ولذلك فقد اختصّ الكواكبي بكتابة مبحث واسع وعميق حول "الإستبداد"، ثم بحث في قضية التخلف، فأفرد لها كتابا بعنوان "أم القرى"، إلاّ أنّه كما يقول فهمي جدعان ليس الكواكبي أوّل عربي يتصدّى للإستبداد بالنقد والتجريح في العصر الحديث، فقد سبقه إلى ذلك مفكّرون كثر من أمثال خيرالدين وابن أبي الضياف والأفغاني..أو من بعض المسيحيين السوريين ممن استقوا كتاباتهم السياسية من فلاسفة الثورة الفرنسية، منتسكيو<sup>(3)</sup>، و روسو<sup>(1)</sup>،

1- عبد الرحمان بن أحمد بن مسعود الكواكبي (1849-1902م): الذي لُقّب نفسه ، في كتابه " أم القرى "؛ بالسيد الفراني ، ولد في حلب بسوريا ، لأسرة تعود في نسبها لآل البيت ، تابع دراسته في المدرسة الكواكبية التي تشرف عليها أسرته ، و كان له نصيب من اللغتين التركية العثمانية و الفارسية ، بعد العربية و علومها و العلوم الإسلامية ، و إطلاع واسع على علوم السياسة ، و الفلسفة و القانون ..، في سنة 1293هـ عين محررا رسميا للجريدة الرسمية بقسميها : العربي و التركي ، في سنة 1295هـ عين كاتباً فخريا للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب ، .. و تدرج في المناصب حتى عين قاضيا شرعيا لراشيا التابعة لولاية سوريا ، فساح في عدة بلدان ، و دخل القاهرة في 1318هـ ، ألف كتاب " طبائع الإستبداد .." و " أم القرى " ، و أصدر جريدة وطنية سماها " الشهباء " ندد بها بالظلم و الظالمين ، و دافع فيها عن حقوق الضعفاء ، و توفي سنة 1320هـ/ 1902م ، و خصّه الخديوي عباس حلمي بجزاة كبيرة و دفن عند جبل المقطم ، و قد نقش عند قبره بيتان من شعر حافظ إبراهيم هما :

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى  
هنا خير مظلوم هنا خير كاتب  
قفوا و اقرأوا أم الكتاب و سلّموا  
عليه فهذا القبر قبر الكواكبي

ينظر :

- عبد الرحمان الكواكبي ، طبائع الإستبداد و مصارع الإستبداد ، تقديم : أسعد السحمراني ، دار النفائس ، ط4 ، لبنان ، 2011 ، ص12.11 .

- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب .. مرجع سابق ، ص، 240 .

2- هشام سوادى هاشم ، المرجع نفسه، ص، 241 .

3- تشالز دي سكوندات و يقب بالبارون دي لابريت منتسكيو ( Montesquieu ) (1689-1755م): من أسرة فرنسية نبيلة ولد ببوردو، و تعلم اللغة اللاتينية و درس القانون بمدينة بوردو ، ثم انتقل إلى باريس سنة 1713م ، و انتخب في العضوية الأكاديمية الفرنسية عام 1728 م ، ثم زار النمسا و



روسو<sup>(1)</sup>، لكنه كان أول عربي- يواصل جدعان - يتصدى للإستبداد بالتحليل والدراسة الجادة<sup>(2)</sup> .

كما يعتبر كتاب الكواكبي<sup>(3)</sup> الأكثر أهمية في نقد الإستبداد وتشريح أصوله ومكوناته وعلائقه ومفاعيله، وإلى اليوم و هو يحافظ على هذا الزخم النقدي، وعلى قيمته المعنوية والفكرية، و مكانته المرجعية والمعرفية، فهو أكثر من عرف من بين المصلحين في العالم العربي والإسلامي بنقد الإستبداد<sup>(4)</sup> .

وكان مفهوم الشيخ الكواكبي للإصلاح والتجديد يحمل طابع "الأمة العربية"، و يمثل مرحلة مهمة في تطور الفكر العربي في انتقاله من المرحلة الإسلامية إلى المرحلة القومية، ويعتبره مؤرخو الحركة القومية العربية<sup>(5)</sup> أول من أطلق تباشير الحركة القومية العربية في تعارضها مع السيطرة العثمانية التركية على العرب<sup>(6)</sup> .

## 7-1- ركائز الإصلاح عند الكواكبي :

و تمحور الفكر الإصلاحي عند الكواكبي في المحاور التالية :

**أولاً:** "العروبة" باعتبار العرب من الأمم المدنية، بدليل سمو لغتهم، و سمو حكمهم وأديانهم، وهم أحرص على الحرية والإستقلال، وأغرق الأمم في أصول الشورى، و لغتهم هي لغة

المجر و إيطاليا و ألمانيا وهولندا و انجلترا ... مما قلب أفكاره الفلسفية ، فنبغ في مناهج البحث ، حتى لقبه البعض برائد المنهج العلمي في التاريخ ، فنشر كتابه " أفكاري " ، و كتاب " الرسائل الفارسية " ، ، نقد فيها الأوضاع القائمة ، و اعتبر الطقوس المسيحية أساطير و خرافات ، و اعتبر أن الدين الإسلامي أكثر ملاءمة لشعوب الشرق ، و كتب كتابه الموسوعي " روح القوانين " سنة 1748م ، استغرق في تأليفه عشرين عاماً . و كان له تأثير كبير في تطور الدستور الفرنسي إبان الثورة الفرنسية 1789م . ينظر:

- جان بيرنجيه و آخرون ، موسوعة تاريخ أوروبا العام ، ترجمة وجيه البوعيني ، مراجعة أنطوان الهاشم ، بيروت ، منشورات عويدات ، 1985م ، ج. 2 ، ص-ص- 684 ، 685 .

- جان توشار و آخرون ، تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة علي مقلد ، بيروت ، دار العالمية للطباعة و الشر و التوزيع ، 1981م ، ص-ص- 308 ، 309 .

- المنجد في اللغة و الأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ط. 36 ، 1997م ، ص ، 558 .

1- جون جاك، روسو ( Jean-Jacques Rousseau ) (1712-1778م): ولد في مدينة جنيف بسويسرا، هاجر إلى باريس بحثاً عن الشهرة والثروة ، و اتصل بالفلاسفة ثم عين كمساعد في السفارة الفرنسية بمدينة البندقية عام 1744م، و اشتهر هناك كفيلسوف ، و كاتب اجتماعي و كتب شعرا و مسرحيات ، نادى بطبيعة الإنسان و بالعودة إلى الطبيعة ، كان من مهدي قيام الفكر الرومانسي في أوروبا، و تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية ، من مؤلفاته : " العقد الإجتماعي " و " اميل " ، " اعترافات " . ينظر:

- المنجد في اللغة و الأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ط. 36 ، 1997م ، ص 269 .

2- فهمي جدعان، أسس التقدم مرجع سابق، ص 299.

3- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهااد .. مرجع سابق، ص، 111.

4- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب .. مرجع سابق، ص ، 240 .

المسلمين، و ترتبط العروبة عند الكواكبي بتجديد مفهوم الإسلام و تجريده من الخرافات والبدع<sup>(1)</sup> .

ويعتبر الكواكبي أن كل إصلاح وطني بلا دين نكسة تدمر كل مسعى للإصلاح، ويقول: ((إن الذين يتبرأون من دينهم، و ينكرون صلة الدين بالقومية ليسوا من أمتنا، إنهم كالعناوين العربية على كتب مترجمة ))<sup>(2)</sup>، كما يرى أنه لا بد أن تسير السياسة والدين جنبا إلى جنب، لتحقيق الإصلاح السياسي، لأن كل جانب يحرص الآخر،<sup>(3)</sup> والحاصل أن كل المدققين السياسيين، يرون أن السياسة والدين يمشيان متكافئين، ويعتبرون أن إصلاح الدين هو أسهل وأقرب طريق للإصلاح السياسي<sup>(4)</sup> .

- **ثانياً:** الدعوة إلى نبذ الخرافات والبدع والتقليد الأعمى والرجوع إلى القرآن، و الأخذ بمنهج السلف الصالح من هذه الأمة، و تجديد الدين وإصلاحه بتقنيته من الشوائب، شوائب الدجل والخرافة و محترفي الدين، مع تجديده و رده إلى أصله، و الإيمان بأن الدين يدعو إلى العلم و العمل و القوة .

كما هاجم الكواكبي الجبرية مثله مثل المصلحين الآخرين، فقال أن من آثراها أنها رغبت المسلم في أن يعيش كالميت قبل أن يموت، وعنده أن تعقيد الدين يرجع إلى العلماء المدلسين<sup>(4)</sup> .

- **ثالثاً:** في مقاومة الاستبداد، يرى أن تقديس الأولياء راجع إلى استثناء عادة تعظيم الملوك، ولأن الملوك يختصون بتصريف الأمور العظيمة، و يتركون لأنصارهم وأعوانهم أن يتصرفوا في الأمور الصغيرة، لهذا جعل الناس من يلجأ إلى الأولياء في قضاء المصالح كمن يلجأ إلى حاشية الملوك، و من هنا تنشأ "الوثنية"، و هي تقديس الإنسان لإنسان مثله، فتنشأ الذلة في نفسه و تنعكس على أعماله و تصرفاته، (( ما عذر أولئك الصوفية الذين جعلتهم الإنعامات على زواياهم أن يقولوا: لا يكون الأمير الأعظم إلا ولياً من أولياء الله،

1- عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد .. مصدر سابق، ص، 47، انظر كذلك .

- علي الحافظ، الإتجاهات الفكرية في عصر النهضة 1798-1914م، ط5، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1987، ص، ص، 165، 164 .

2- أنور الجندي ، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق، ص 167 .

3- عبد الرحمان الكواكبي، مصدر سابق، ص 48 .

4- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مصدر سابق، ص، 301.

ولا يأتي أمرا إلا بإلهام من الله، و إنه يتصرف في الأمور ظاهرا، ويتصرف فيها قطب الغوث باطنا، ألا سبحان الله ما أحلمه ((<sup>(1)</sup> .

- رابعا: دعوته إلى "العدل الإجتماعي" طالب بتعميم العمل المثمر و تحريم الكسب غير المشروع، و منع التفاوت بين أفراد الأمة بغير موجب تقتضيه الخدمة العامة، وإزالة التفاوت المفرط في توزيع الثروة بين الأفراد مهما أوتوا من الكفاءة و العمل، و إقامة مجتمع على التعاون والتضامن و تأميم المرافق العامة والإحتكار .

- خامسا: العمل على التوفيق بين الدين والعمل، وعدم إهمال جانب على حساب الآخر<sup>(2)</sup>. وكان الشيخ الكواكبي مهتما بقضايا الشأن العام وقضايا الأمة العربية والإسلامية، خاصة بعدما تعالت أصوات المشككين وأبواق الإعلام التغريبي عبر الجرائد و الصحف، التي كانت تسير في فلك الإستعمار و تسعى لنيل رضى الحاكم العام الإنجليزي في مصر، ركز الكواكبي حينها على البحث عن تحديد العلل الحقيقية، للإجابة عن السؤال التقليدي والمتجدد، وهو أسباب تأخر المسلمين، فأجمل الإجابة في النقاط التالية :

- 1- تأثير عقيدة الجبر، وأثر مذهب الزهد السلبي في نشر البطالة والكسل<sup>(3)</sup> .
- 2- اختلاف الآراء في فروع أحكام الدين وأثره في تشويش الأفكار .
- 3- خطأ الاعتقاد بأن العلوم الطبيعية والفلسفية منافية للدين .
- 4- الحكم المطلق أو "الديكتاتوري" .
- 5- تفرق الأمة على عصابات وأحزاب سياسية .
- 6- الإستغراق في الجهل والإرتياح له .
- 7- إهمال التربية الدينية والخلقية ، وفساد التعليم والوعظ والخطابة والإرشاد .
- 8- إهمال تعليم النساء .
- 9- فقدان العدل والمساواة في الحقوق بين مختلف طبقات الأمة .

1- عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الإستبداد .. مصدر سابق ، ص54 .

2- أنور الجندي ، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق .ص.167.168 ..

3- أنور الجندي ، .. المرجع نفسه .ص.168

10- إضعاف الرأي العام بالحجر عليه وإشاعة التفرقة فيه(1) .

هذه الأسباب التي شخصها الكواكبي، تبدو أسبابا مفصلية في بقاء المجتمعات العربية لا تراوح مكانها، و حاجزا يمنع أي نهوض، و إن تفاوتت هذه الأسباب فيما بينها، إلا أنها تبقى بمجموعها هي الغالبة في واقع المسلمين حينئذ، تمثل هذه الأسباب عناوين للتخلف والتردي والعجز بكل مظاهره .

7-2- نظرية الإستبداد عند الكواكبي :

يرى الكواكبي أنّ الإستبداد الذي يمثله شخص مستبد، تدعّمه في ذلك ركائز يعتمد عليها ضمن نظامه العام الذي يمارس من خلاله التسلط بكل فنونه و أشكاله :

2-1- الحكم المطلق " الديكتاتوري :

يتناول الشيخ الكواكبي بكثير من التوسع والتحليل، و يعتبر الإستبداد في حد ذاته أنه (داء عضال تنتج عنه أمراض إجتماعية عديدة في كافة ميادين السياسة والتربية والإقتصاد وغيرها، وتتشأ في ظل الحكم الإستبدادي طبقة من الإنتهازيين.. فئة جعلت من نفسها حاشية خاصة بالمستبد، فهم عيناه التي تراقب كل صغيرة و كبيرة.. وهم أعداء للحق و للحرية، ومن شروط الإنتساب إلى هذه الفئة، أن يكون طالب الإنتساب خلوا من أيّة قيم ومبادئ دينية أو أخلاقية..)(2) .

ويقول الكواكبي إنّ (( أصل الداء هو التهاون في الدين ))(3)، والإستبداد شر ما بعده شر يسلمه الله على عباده الذين رفضوا العبودية لله وزهدوا في أحكامه وشرعه، وتشبثوا بالدنيا وزخارفها، على مملكة الله و نعيمها ، فانجروا تجاهلا و طمعا، وغرّتهم فلسفات السياسيين الكذابين اللاهثين على موائد المستبدين، البائعين لضمائرهم لكل نخاس أوطان من الشرق أو الغرب، مقابل دراهم معدودات أو حظوة عند المستبد (( الإستبداد يد الله القوية الخفية يصفع

1- أنور الجندي ، .. المرجع نفسه ص.169 .

2- عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الإستبداد .. مصدر سابق ، ص 19 .

3- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهااد .. مرجع سابق ،ص،124 .

بها رقاب الأبقين من جنة عبوديته إلى جهنم عبودية المستبدين، الذين يشاركون الله في عظمته ويعاندونه جهارا ((1)).

فهؤلاء الناس - كما ترى - استبدوا في حق أنفسهم و في حق الله، فسلبوا عليهم من يستبد بهم، (( فالمستبدون يتولاهم مستبد والأحرار يتولاهم الأحرار، وهذا صريح معنى: "كما تكونوا يولى عليكم " ((2))، وعادة ما رُبط الطغيان بالشرق كما فعل أرسطو، و حتى الأوربيين لما يعبرون عن قسوة الطغيان لدى حاكم أو ملك يصفونه بأنه أقرب إلى الطاغية الشرقي (3).

وفي معرض آخر، يبين الكواكبي كيف تتحوّل الأمة إذا استفرد بها المستبدّ، إلى مرتع كل من هبّ و دبّ من المغتصبين والنهابين، سواء كانوا أفرادا أو دولة أجنبية معتدية، و أعظم شرور المستبد عرقلة الترقّي والتقدّم (4) فيحول الإستبداد المجتمع إلى جثة هامدة، يستطيع النيل منها، كل من أراد من الأعداء المتربصين.. (5)، فالإستبداد يضني الفكر والجسم، فتمرض العقول ويختلّ الشعور وتنتاب الحقائق وتسقط البديهيات، ويتحطّم ناموس الأخلاق (6)، و الإستبداد أصل لكل فساد (7).

## 2-2- الإستغراق في الجهل والإرتياح له :

اعتبر الكواكبي أنّ سبب تلسط المستبد جاء بفعل ظلم الإنسان لنفسه، وذلك بتفريطة في حق ربه، ألغى عقله، وارتمى في غياهب الجهل وارتاح له، ولم يقم بواجب العلم لمعرفة حق الخالق عليه، ففرط و تعدى، فاستحق نيل عقاب الله بتسليط الإستبداد عليه، فالإستبداد ((أعظم بلاء، يتعجل الله به الإنتقام من عباده الخاملين، ولا يرفعه عنهم حتى يتوبوا توبة الأنفة ((8))، بل و يعتبر الإستبداد ضد العلم تماما، وهذا ما باشرت به الدول الإستعمارية

1- عبد الرحمان الكواكبي ، طبائع الإستبداد .. مصدر سابق ، ص 44 .

2- عبد الرحمان الكواكبي ، المصدر نفسه، ص 44 .

3- نبيل هلال هلال، الإستبداد و دوره في انحطاط المسلمين، د. ط. و د. ت. ط. دار الكتاب العربي، القاهرة الترقيم الدول (1.090.376.977)، ص 13،

4- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص 302.

5- عبد الرحمان الكواكبي ، مصدر سابق ، ص 20 .

6- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص 300.

7- عبد الرحمان الكواكبي ، مصدر سابق ، ص 73 .

8- عبد الرحمان الكواكبي ، المصدر نفسه ، ص 44 .

عشية إحتلال المستعمرات، وما فعله الإستعمار الفرنسي في الجزائر ضد العلم لا ينسى أبداً، (( الإستبداد والعلم ضدّان متغالبان، فكل إدارة مستبدة تسعى جهدها في إطفاء نور العلم، وحصار الرعية في حالك الجهل، والعلماء الحكماء الذين تجرّعوا مرارة الإستبداد يسعون جهدهم في تنوير أفكار الناس، والغالب أن رجال الإستبداد يطاردون رجال العلم و ينكّلون بهم، فالسّعيد منهم من يتمكّن من الهجرة، وهذا سبب أنّ كل الأنبياء العظام، عليهم الصلاة والسلام، وأكثر العلماء الأعلام والأدباء النبلاء تقلبوا في البلاد وماتوا غرباء ))(1) .

### 2-3- إضعاف الرأي العام بالحجر عليه وإشاعة التفرقة فيه :

يحجر الإستعمار والمستبد عن الناس عقولهم وحقهم في العدالة الإجتماعية، وحقهم في الإختيار النزيه لممّثليهم، بل ويستغل جهلهم و فرقتهم للإستقواء عليهم ثم إستغلال كل ذلك لصالحه أبتع إستغلال، يسّلون أنفسهم بقولهم أنّ الظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه، وأنّ السلطان ظل الله في الأرض(2) .

ولا شك أن الكواكبي، يمثل مرحلة أساسية و متجدّدة في حركة اليقظة التي امتدت منذ الحركة الوهابية في القرن الثاني عشر الهجري من عام 1740م، والسنوسية في القرن الثالث عشر الهجري من عام 1840م، و أنه تابع جمال الدين الافغاني وعاصر محمد عبده، وكان له سمّته الإستقلالي الواضح(3)، و يرى جدعان أنّ (( الكواكبي يمثل حالة وسطية بين الأفغاني وعبده، فهو في مجالات يتّفق فيها مع الأفغاني ويختلف فيها مع عبده، و في مجالات أخرى يحصل العكس يتّفق فيها مع عبده ويختلف فيها مع الأفغاني ))(4)، ويصوّر أحمد أمين أثر الرجلين بقوله: ((..الأفغاني داع إلى السيف والكواكبي داع إلى المدرسة. الأفغاني حادّ الذكاء حادّ الطبع والكواكبي رزين الذكاء هادئ الطبع ..فلا عجب إذا كان للأفغاني دوي المدافع وكان للكواكبي خريز الماء يعمل في بطئ حتى يُفْتت الصخر ))(5)،

1 - عبد الرحمان الكواكبي ، طبائع الإستبداد .. مصدر سابق، ص 70 .

2- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص، 301.

3- أنور الجندي ، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق ص 171 .

4- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد .. مرجع سابق، ص، 108.

5- زكي الميلاد، مرجع سابق، ص، 109.

وترك الكواكبي مشروعه الإصلاحية، ومنهجه للعرب والمسلمين من أجل العمل بكدّ وجدّ للخروج بهم من واقعهم المزري، من خلال إنتاجه الفكري .

### 3-8- محمد رشيد رضا:

محمد رشيد رضا<sup>(1\*)</sup> تلميذ محمد عبده، اقترح مشروعاً في إطار فكرة الجامعة الإسلامية، و رأى أن الدولة العثمانية بوصفها أكبر دولة إسلامية يجب وبشكل ضروري أن تبقى، ولأنها رمز وحدة المسلمين وللخلافة الإسلامية، واعتبر عبده أنّ سبب ضعف المسلمين و تفرّقهم هو انتشار الأفكار الغربية و ظهور النزاعات الإقليمية بين المسلمين، ورأى أن علاج ذلك هو عودة الرابطة الدينية بين المسلمين<sup>(2)</sup>، وكتب في الموضوع مرارا من خلال مجلة المنار التي أصدرها في القاهرة ، كما ألف في ذلك كتابين، الأول بعنوان: "الوحدة الإسلامية" بينما الثاني بعنوان: "الخلافة أو الإمامة العظمى"<sup>(3)</sup> .

واقترح محمد رضا مشروعاً كخطوة لتحقيق الوحدة الإسلامية، و ذلك بإنشاء جمعية إسلامية تضم كافة الأقطار الإسلامية برئاسة الخليفة ويكون مقرّها مكة المكرمة و يكون للجمعية فروعا في كافة الأقطار الإسلامية، لأن مكة تمثل قبلة المسلمين و مقصد حجاج بيت الله الحرام، وملتقى المسلمين أجمعين للتناصح والتشاور، ومكة في منأى عن دسائس ومؤامرات القوى الإستعمارية المعادية للإسلام والمسلمين<sup>(4)</sup>، و يرى أن ذلك لا يتم إلا من خلال ثلاثة أعمال رئيسية<sup>(5)</sup> :

### الأول: تلافي البدع والتعاليم الفاسدة قبل إنتشارها.

1\* - محمد رشيد رضا(1865-1925م): ولد في قرية قرب القلمون طرابلس الغرب بالشام ، من عائلة شبيهة بعائلة محمد عبده ، من حيث أنها ريفية ذات مكانة و إرث من العلم و التقوى ، بدأ دراسته في الكتاب ، ، و ادخل المدرسة الرشيدية التي كان التدريس فيها باللغة التركية ، ثم دخل المدرسة الوطنية الإسلامية حيث درس العلوم العربية و الشرعية و المنطق و الرياضيات و الفلسفة ، و تخرج فيها على يد الشيخ حسن الجسر ( 1845-1909م) صاحب جريدة " طرابلس " التي أخذ عليه الأفغاني سياستها الإصلاحية ، ، كما اطلع رشيد رضا على أعداد من مجلة العروة الوثقى ، فكان لذلك تأثير عليه ، رحل إلى مصر سنة 1315 هـ حيث التقى بالشيخ محمد عبده فصاحبه و اشتغل معه في العمل الإصلاحي ، و في مصر أنشأ مجلة " المنار " التي أخذت على عاتقها أمر الإصلاح الديني و الإجتماعي و العلمي ، فقد كان لها رواج واسع في العالم الإسلامي . و قد استمر صدورها حتى وفاة مؤسسها في عام 1935م ، كما أسس رشيد رضا في مصر مدرسة الدعوة و الإرشاد ، كما اختير رئيساً للمؤتمر الإسلامي في سوريا ، كما كانت له مؤلفات منها: تفسير المنار ، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، نداء للجنس اللطيف (حقوق النساء في الإسلام) ، الوحي المحمدي ، الوحدة الإسلامية ، الخلافة أو الإمامة العظمى ، الوهابيون و الحجاز .. ، و كانت له رحلات لمختلف البلدان الإسلامية ، و قد فوفى رشيد رضا في القاهرة و دفن فيها . انظر:

- لطيفة عميرة ، مرجع سابق .ص،ص،40،39.

2- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب الحديث .. مرجع سابق ، ص ، 297 .

3- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص، 40 .

4- هشام سوادى هاشم ، مرجع سابق ، ص ، 297 .

5- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص، 42 .

الثاني : إصلاح الخطابة .

الثالث : الدعوة إلى الدين .

ولم يغفل الشيخ محمد رضا الجانب السياسي في ذلك، بل و جعله أول الإصلاح، وذلك "بجعل الحكومة شورية" تُقيم العدل والمساواة بين الرعيّة واختيار موظفين مخلصين وأكفاء، أي جعل الحكام "أجراء للأمة" لاسادة لها أو مستبدين عليها، تحكّمهم وتضبطهم المبادئ والأخلاق الإسلامية<sup>(1)</sup>، فالمؤشر الحقيقي في مسألة صعود وهبوط الأمة، قوله تعالى: (( وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ))<sup>(2)</sup> .

وشهدت الدّعوة إلى الجامعة الإسلامية الكثير من التأييد عند مفكري العالم الإسلامي، منهم الشيخ أبو الهدى الصيادي<sup>(3)</sup>، الذي شدّد على ضرورة الإلتفاف حول السلطان عبد الحميد الثاني ومبايعته خليفة للمسلمين، وأكّد على أنّ اختيار الخليفة و مساندته واجب شرعي فرضه الله على المسلمين، منبّها إلى أهمية الجامعة الإسلامية في ظل المخاطر التي تحدق بهم، و كتب الصيادي في الموضوع رسالة أسماها (( داعي الرشاد إلى سبيل الإتحاد والإنقياد ))<sup>(4)</sup>، أكدّ فيها أهمية إتحاد المسلمين، و أنّ السبيل الوحيد لنهوض الأمة الإسلامية وبعث أمجادها و قوتها هو توحدهم تحت سلطة الخليفة العثماني، وحذّر من أخطار الفتن والدسائس قائلا : (( ما سعد المسلمون وأفلحوا إلا حين اتحدوا و تحابّوا، و ما تشتتوا وضعفوا إلا حين انتشرت بينهم الفتن والدسائس وتفرّقوا شيعا وأحزابا ))<sup>(5)</sup> .

ويرى الشيخ رشيد رضا أنّ فكرة الجامعة الإسلامية تتمحور بالدرجة الأولى حول الإصلاح الديني والإجتماعي مبتعدا نوعا ما على الطابع السياسي للجامعة، باعتبار أنّ العمل

1- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص، 42 .

2- سورة هود، الآية: 117، برواية ورش عن نافع .

3- أبو الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني (1849-1909م) : أشهر علماء الدين في عصره، ولد في خان شيخون من أعمال معرة النعمان بسوريا ، تعلم في حلب و ولي نقابة الأشراف فيها ، ثم أقام بالأسنانة و اتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني فقلّده مشيخة المشايخ ، و لما خلع عبد الحميد نفي الصيادي إلى جزيرة الأمراء في " رينكيو " فمات فيها . ، من مؤلفاته : ضوء الشمس في قوله (ص) بني الإسلام على خمس ، قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي و أتباعه الأكابر ، فرحة الاحباب في أخبار الأربعة الأقطاب، جوهرة الشفاء في طبقات السادة الأشراف ، تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار ، السهم الصائب لكبد من أذى أبا طالب ، دخيرة المعاد في في ذكر السادة بني صياد ، الفجر المنير ، الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الظاهرة ، الغارة الإلهية في الإنتصار للسادة الرفاعية ، و كتب عدة أشعار . انظر :

- فهمي جدعان ، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص 592 .

4- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب الحديث .. مرجع سابق، ص ، 298 .

5- هشام سوادى هاشم ، المرجع نفسه ، ص ، 298 .



السياسي المباشر للجامعة ينطوي عن محاذير كثيرة أقلها تحامل العالم الأوربي على العالم الإسلامي و إثارة الضغينة عند الأقليات التي تعيش في ظل الدولة الإسلامية<sup>(1)</sup> وأما الشيخ شكيب أرسلان رأى أن الجامعة الإسلامية هي الكفيلة بجمع المسلمين، وعارض فكرة إنفصال العرب عن الدولة العثمانية، و دعا إلى جمع كلمة المسلمين تحت رايتها، و في سبيل ذلك، أسس هو الآخر "الجمعية الخيرية" الإسلامية الهادفة إلى نبذ أسباب الفرقة بين المسلمين و تعزيز الروابط بينهم عن طريق تأسيس شبكة المواصلات لربط بلدانهم بعضها ببعض، والتعاون الإقتصادي بين المسلمين باستثمار أموالهم كبديل عن رؤوس الأموال الأجنبية ، مع منع الإمتيازات الأجنبية في البلاد الإسلامية<sup>(2)</sup> .

وإن كانت مختلف وجهات النظر لدى المصلحين الأوائل، كانت تلتقي على أرضية الفكر العربي الإسلامي، و منه تستمد فلسفة الإصلاح والتجديد، فكل الإشكاليات الكبرى التي كانت تصب ضمن تساؤلات: موقفنا من الحضارة، هل نقتبسها كلياً أو جزئياً؟ فطبيعة الدين الإسلامي الملائم للحقائق الكبرى، و مرونة أحكامه في استيعاب التغيرات المستحدثة حسب تغير الظروف و الأمكنة، والإجماع على ضرورة اقتباس خير ما عند الأوربيين كان غالباً على رأي النهضويين، بثتّى وسائل و أساليب النهوض، بشرط صيانة قيمنا الأخلاقية والإجتماعية والروحية التي هي روح الإسلام، فالدين الحق يجمع بين علوم الدنيا والدين، والدنيا لا تحفظ إلا بالدين، و الشريعة الإسلامية تُوجب على الأمة تعلّم الشؤون الصناعية والزراعية والطبية إلى جانب العلوم الدينية، التي يحتاج إليها البشر في معاشهم وصحتهم..، تماماً مثلما دعا إليها الطههطاوي و خيرالدين ثم محمد عبده و رشيد رضا، و غيرهم .

1- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، ص. 85 ، 86 .

2- هشام سوادى هاشم، مرجع سابق ، ص، 299 .

## 2-1- مظاهر اليقظة المضادة في المشرق العربي .

### 1-2- الدعوة الطورانية في تركيا :

بدأت الأفكار المناوئة و التيارات المضادة للخلافة العثمانية والقيم الإسلامية، تأخذ مجراها في المجتمعات العربية بشكل متخفي، خاصة حركة الإتحاديين القوميين الأتراك تحت مسمى "جمعية الإتحاد و الترقى"<sup>(1)</sup>، و حزب " تركيا الفتاة "، والحركة الماسونية، وكان مهندسو وقادة هذين التنظيمين من يهود مدينة سالونيك الذين عرفوا بيهود الدونمة<sup>(2)</sup>، وكذلك دور النفوذ المالي اليهودي القوي في الوصول إلى تحقيق أهداف سياسية؛ كالإنتقال على السلطان عبد الحميد الثاني، وصولاً إلى إستيطان فلسطين<sup>(3)</sup>، والدعم السياسي من الإستعمار والصهيونية، لضرب مشروع اليقظة العربية والإسلامية في مظاهرها آنذاك، كالجامعة الإسلامية والجامعة العثمانية والجامعة العربية بصيغة رشيد رضا .

1- كانت خليطاً من الأجناس والأديان يسودها الترك ، و تأتي بعدهم فئة اليهود مباشرة ، و معهم عثمانيون من أبناء الملل الأخرى ، وكان هدفها الأول القضاء على حكم عبد الحميد و التوصل إلى إقامة حكم جديد يحطم الوحدة الإسلامية ، و يقول شكيب أرسلان في كتابه " حاضر العالم الإسلامي " : ( إن أعضاء حزب الإتحاد و الترقى كانوا في الغالب من شباب تلقى تعليمه في بينات الغرب ، فنشأوا مفتونين بنظم الغرب و ثقافته، و حشوا أدمغتهم بنظريات و مبادئ لا تصلح للتطبيق في غير موطنها ، و كانت صلتهم بالإسلام ضئيلة و كان فهمهم لحقيقة مبادئه و لطبيعة تاريخ أمتهم كان مضللاً أو على غير أساس ، و أن جمعية الإتحاد كانت خاضعة لتأثير الجمعيات الماسونية ، و كان نفوذ اليهود غالباً و ظاهراً وسط و محيط تلك الجمعية ، فاليهود أمداو الحركة و أعانوها بمختلف الوسائل ، و كانت تلك الحركة خليطاً من مبادئ غريبة نظرية ، و عواطف عنصرية ضيقة ، و من أبرز المفكرين و الدعاة الإتحاديين : ضياكوك ألب ، و أحمد أغايف ، يوسف أفجورة ، و هم جميعاً من يهود الدونمة .. انظر :

أنور الجندي، **اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق**، ص.ص 116، 117 و 126 .

2- مجموعة ضخمة من اليهود يتركزون في مدينة سالونيك التركية التي أصبحت تضم لاحقاً خمس محافل للماسونية ، هاجروا من الأندلس بعد عمليات الإسترداد الإسبانية ، وفدوا على تركيا خلال حكم السلطان أبا يزيد الثاني (1461-1512م) رحب بهم السلطان لأنهم يجلبون معهم ثروات مالية ، فقويت الجالية اليهودية في تركيا ، و ظهر من بينهم مستنبي يهودي اسمه " شبتاي " أو " شبتاي زيقي " لقد قرأ و استوعب التوراة و التلمود كما برع في التفسير الإشاري و كان يعطي فيها آراء و أقوالاً تدعو إلى الإعجاب ، كما عرف بفن إتقان تحضير الأرواح مما جعله قادراً على الإتيان بأمور فيها شذو و استحواذ على عقول البسطاء والسذج والطيبين ، و في عام 1648م ادعى النبوة فصدقه أصحابه المقربين و اتبعوه و ذهب إلى بيت المقدس و التف حوله اليهود و أعلن أن الأوان قد حان لعودة اسرائيل ، ثم جيء به عام 1666م إلى استانبول حيث أسلم في عهد السلطان محمد الرابع لمّ خير بين الإتيان بمعجزة تمنعه من القتل أو رميه بالسهم فأدرك "شبتاي أبعاد الموقف و أخطاره و خاف من الموت ، فضل أن يعلن " إسلامه " و من معه من اليهود الذين عرفوا لاحقاً بـ " الدونمة " أي الذين تحولوا عن اليهودية و دخلوا الإسلام ، و إسلامهم تشوبه عقائد هم الأصلية ، و هم من زنادقة اليهود، فعلوا ذلك لتحقيق غاياتهم و مآربهم ، خلال ضعف الدولة العثمانية دخلوا بين أعضاء الجمعيات المختلفة و كانوا أركاناً فيها، واشتد نفوذ اليهود خلال حكم السلطان عبد الحميد ، وأخذوا يسعون ليسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين ، فطلب " قره صو " نائب سالونيك اليهودي مقابلة السلطان عبد الحميد مندوباً عن اليهود و ذلك إثر الخطوة التي خطاها هرتزل عام 1897م بالدعوة إلى الدولة اليهودية في مؤتمر بال بسويسرا، و قد عرض " قره صو " مبلغ خمسين مليوناً من الجنيهات الذهبية لخزينة الدولة و خمسة ملايين لخزينة السلطان، و قد ردّه السلطان رداً عنيفاً ، و كان هذا النائب اليهودي واحداً من اللجنة الخماسية التي أوفدها البرلمان إلى السلطان لتبليغه قرار خلعها عام 1909م . انظر:

- أنور الجندي، **المرجع نفسه**، ص.ص 123 .. 126 .

- محمد علي قطب، **يهود الدونمة، أصلهم، دورهم على الإنتقال العثماني، خطرهم على أمة الإسلام**، ط1، دارالقلم، بيروت. 1987م . ص.ص. 36، 39 ..

3- أبو القاسم سعد الله ، أفكار جامحة .. مرجع سابق، ص 269 .

إلا أنّ الحركة الطورانية سارت في تيار معاكس تماما بدعوتها إلى الجامعة الطورانية التي تهدف إلى صهر جميع عناصر الدولة العثمانية أو تتركب الجميع بما فيهم العرب<sup>(1)</sup> ضمن المجتمع القومي و الثقافي التركي العلماني .

وكان إنقلاب سنة 1908م الموجّه ضد الدستور العثماني، و إنقلاب 1909م الموجّه ضد خليفة المسلمين، حدثا خطيرا في العالم الإسلامي كلّه و في الفكر العربي والإسلامي، فقد وقفت قوى جديدة وجها لوجه في مواجهة حركة اليقظة والتجديد، مما سيفتح الباب على مصراعيه لولوج مشروع أشدّ خطرا إلى مجتمعات العالم العربي والإسلامي بمعىة القوى الإستعمارية والصهيونية، و هو مشروع " برامج التغريب والتجنيد"<sup>(2)</sup>، والذي سيضرب في عمق الهوية العربية والإسلامية على المدى الآني والمستقبلي، و سيعيق ويؤجل تحقيق الآمال الكبرى والطموحة للأمة " مشروع النهضة العربية والإسلامية " .

فكانت حركة الإتحاديين والطورانية واحدة من أدوات البرامج المتتالية التي يصطنعها الإستعمار والصهيونية لضرب مشاريع الأمة الناهضة في المنطقة؛ فتمّ لهم فصل تركيا عن العرب و تعميق البغضاء بينهما بفعل سياسات مقصودة من طرف الإتحاديين تجاه العرب لقطع أوصال العالم العربي والإسلامي .

وأبرز من "جندوا" واستخدموا كأدوات لتنفيذ برامج التغريب في تركيا بداية، هم "يهود الدونمة"، الذين تبوأوا مناصب هامة في تركيا بعد إنقلاب الإتحاديين، و سيعمّقون الهوة بين الأتراك والعرب بالدسائس والتحريض على الكراهية، حيث كانت الصحف<sup>(3)</sup> لا تكف عن

1- أنور الجندي ، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق .ص109 .  
2- تأمرت أوريا على العلم الإسلامي فترة طويلة تزيد على ثلاثة قرون ، و اصطنعت لذلك كل وسائل الحرب و السياسة، و الإقتصاد ، و كانت أكثر الخطط فاعلية هي خطة التغريب و التحويل الفكري ، و " تجنيد " استخدام الأشخاص و الجمعيات بشكل مباشر أو غير مباشر. انظر:

- أنور الجندي ، المرجع نفسه .ص123 .  
3- يشير سعد الله إلى شبكة إعلامية تسيطر عليها الصهيونية في تركيا كصحيفة "جون تورك أو الشباب التركي " الصحيفة الأبرز و الأعظم تأثيرا في أسطنبول ، رئيس تحريرها جلال نوري بيك، و هو ابن لوزير من وزراء جمعية الإتحاد و الترقى ، و صحيفة أسبوعية بالفرنسية بعنوان "الورور"، الجريدة التي اكتسبت وضعية مسؤولة في كل دوائر الانتلجنسيا اليهودية في اسطنبول و سالونيك ، و كانت تقرأ من قبل كل الناس حتى من الخصوم و اللامبالين..و هي من تحرير لوسيان شيوطو ، و هو زعيم الجماعة اليهودية السفردية ، و جريدة أسبوعية أخرى بعنوان " الجوديو ها يهودي " يحررها داود الكانون ، و أسبوعية أخرى بالعبرية عنوانها " ها- ميفسر"، و بهذا فإن كل اللغات الرئيسية لليهود العثمانيين ، و هي العثمانية و الفرنسية و العبرية كانت متداولة، و كان فلاديمير جابوتنسكي مشرفا على جميع هذه الأجهزة الإعلامية ، و تكونت لجنة للإشراف على كل الشبكة الصحافية التي تسيطر عليها الصهيونية ؛ و تتألف من جابوتنسكي ، و الدكتور فيكتور جاكوبس الذي كان عندئذ مسؤولا على كل الأنشطة الصهيونية بتركيا .. انظر :

- أبو القاسم سعد الله ، أفكار جامعة أو منطلقات فكرية في الجدل الثقافي و قضايا شانكة ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، طبعة خاصة ، بيروت ، 2005 . ص.ص.269..285 .

التشهير بالعرب، و تحمل على اللّغة العربية و تاريخ العرب، و يقول "غالب باشا" الذي كان المفتش العام لقوات الدرك في "إستانبول" خلال الأحداث التي أدت إلى خلع السلطان "عبد الحميد" أنه لم يستطع أن يحصل على معلومة صحيحة عما يحدث، و بقي معتصماً بداره وكانت الصحف التي يسيطر عليها يهود "الدونمة" "تزيد المرء كدرا على كدر"<sup>(1)</sup>..الصحف التي قادت الثورة الحمقاء<sup>(2)</sup> بدءاً من مدينة سالونيك التركية، بحيث كان للصهيونية يدها الخفية في تمزيق الداخل العثماني والإسلامي، بالدسائس والفتن، فدفعوا برجلهم في سوريا "جمال باشا السفاح"<sup>(3)</sup> إلى خطة خطيرة حيث بدأ أولاً في محاباة العرب و خداعهم بهدف معرفة خطواتهم واستكشاف أهدافهم ومخططاتهم، ثم راح ينصب المشانق للناشطين والمتتورين والعلماء منهم، كما رفض الإتحاديون كل يد امتدت إليهم من العرب، و وصلوا عملهم في هذا السبيل بتسليم البلاد العربية للإحتلال الأوربي كطرابلس الغرب "ليبيا"، وسيبلغ هذا الصراع ذروته في انضمام العرب إلى فرنسا وانجلترا خلال الحرب الأولى - بعدما وقعوا فريسة مخططاتهم الصهيونية - في إغراء الشريف حسين لمحاربة العثمانيين مقابل وعود الإستقلال والسلطة، مما تسبّب في وقوع نتائج كارثية للعرب والمسلمين في حاضرهم و مستقبلهم، أهمها :

- تمزيق تركة الدولة العثمانية، و تقسيمها بين فرنسا وانجلترا، ضمن اتفاقية "سايكس بيكو 1916".
- إقامة دولة تركية خالصة .
- إعلان تصريح بلفور سنة 1917، الذي يقضي بإقامة وطن قومي لليهود بفلسطين .

1- محمد علي قطب ، يهود الدونمة .. مرجع سابق ص،ص،61،62 .  
 2- أو الثورة المضادة بتعبير عصرنا اليوم ، كانت كالأعصار المدمر ، هدمت و لم تبين ، و اجتاحت بعنف آثار قرون طويلة من الجهد و البناء ، منذ محمد الفاتح إلى عصر عبد الحميد الثاني ، كل ذلك بحجة " الإتحاد " و " الترقى " و " الحرية " .. انظر :  
 - محمد علي قطب ، المرجع نفسه ص.65 .  
 3- \* جمال باشا(1872-1922م) قائد الجيش العثماني في سورية 1915- 1917م).اشتهر بظلمه في إعدام جماعات من شهداء الوطن السوريين و اللبنانيين. اغتيل في تفليس، انظر :  
 - المنجد في اللغة والأعلام، ط6، دار المشرق، بيروت، 1997، ص،203.

ونقد (( كسب النفوذ الغربي من هذا الموقف كسبا غير محدود، فحقّق القضاء على دولة الخلافة بوصفها "الخطر القديم"، والقضاء على الأمة العربية بوصفها القوة الجديدة الشابة التي تحمل لواء اليقظة ))<sup>(1)</sup>.

## 2-2- الإرساليات التنصيرية في الشام :

استطاعت الدول الغربية الأوربية بالخصوص أن تتوغّل بنفوذها عبر البلدان العربية عن طريق الإمتيازات التي منحت لها بعد ضعف الدولة العثمانية ،فكان إبراهيم باشا عام "1847-1868" قد سمع للجمعيات "التبشيرية"<sup>(2)</sup> الأوربية بالنشاط، فأسّست الكلية السورية البروتستانتية عام 1866م، و تواصل تأسيس المدارس الفرنسية والأمريكية في بيروت وبيت المقدس و جبل لبنان، و تبع ذلك تأسيس الجمعيات العلمية اليسوعية من قبل البستاني واليازجي وغيرهم، و تشكلت جمعية الفنون والعلوم عام 1857م، و كان إبراهيم اليازجي قد نظّم قصيدة يمجّد فيها الفكرة الوطنية و يدعو العرب إلى التمرد، كما تغنّى بمآثر العرب وأمجاد الأدب العربي .

وكانت المنصرّة "أنا ميلجان" قد علّقت عن هدف هذه المدارس و مهمتها في بلاد العرب والمسلمين فقالت: (( إنّ المدارس أقوى قوّة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي، وهذا التأثير يستمرّ حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة أوطانهم ))<sup>(3)</sup>.

وكان التنافس شديدا بين فرنسا وإنجلترا على استقطاب المسيحيين في لبنان، فانحاز الفرنسيون نحو الموارد وهم أكثرية السكان النصارى، بينما انحاز الإنجليز نحو الدروز وتسبب ذلك في وقوع إضطرابات .

وتكشف نصوص جورج أنطونيوس، أنه خلال هذه الفترة، بدأ التحول من خط اليقظة العربية الإسلامية الشامل والمتكامل، إلى الإنفصام والتمزّق بين الإسلام والعروبة، والإيقاع

1- أنور الجندي ، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق .ص.132 .

2- (كلمة " إنجيل "، تعني في اللغة اليونانية " بشرى " و منها سمي النصارى نشاطهم لتحويل الناس عن دينهم ، أو على الأقل تشكيك المسلمين في دينهم ، بالتبشير و بالتالي جعلهم نصارى ) ، و لا تعتبر لفظة دقيقة عندنا نحن المسلمين ، لأنه لا جديد يبشرنا به النصارى ، بعدما اعتقدوا زورا بصلب المسيح عليه السلام ، و قولهم كفرا و عدوا ثالث ثلاثة ، فالتبشير كلمة مدلولها عاطفي و مقصدها خبيث و غير بريء . انظر :

- علي ابراهيم النملة ، التنصير ، مفهومه و وسائله و سبل مواجهته ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، 1993 ، ص ، 10 .

3- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة و كيف جنت على أمتنا، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط7، 1995 ، ص،23.

بين الجامعة الإسلامية والتضاد بين القومية العربية والإقليمية المصرية و بين الجامعة الطورانية، و أنّ هذا المخطّط قد رُسم في ظروف معيّنة و بأيد معينة و أنه وجّه وجهة معيّنة (1) .

وكانت الحكومة الفرنسية تمدّ البعثات الدّينية بالمال رغبة في تقوية نفوذها واستمالة أذهان الطلبة و ولاتهم الفكري نحو فرنسا، أما الروس فكان لهم نفس المسعى وأخذوا ينمون صلاتهم بالعرب الأرثوذكس و بطريركي أنطاكيا و بيت المقدس الأرثوذكسيين، كما أخذت بريطانيا تؤيد الدروز وتشجعهم بواسطة ممثليهم القنصلين على الإعتقاد بأنها تتولى حمايتهم سياسيا .. أما الأمريكان فقد حصروا نشاطهم في حقلّي التعليم والتبشير (2) .

ويرى المؤرخون المنصفون، أنّ هذه المدارس قد أثارت الخلافات الطائفية، وأنّها بذلك عملت للقضاء على جهود المصلحين العرب، بل الأكثر من ذلك بدأت تحارب اللّغة العربية العامل الأول في الوحدة العربية، كما شنتّ هذه المؤسسات "التبشيرية" التنصيرية الأجنبية هجوما واسعا على مراكز اللّغة العربية كأداة للثقافة القومية، وعملت على تشجيع نشر اللّغات الأجنبية على حساب اللّغة العربية، هذه المساعي أدت إلى إضعاف الأثر الروحي للثقافة العربية في عقول الطلاب، بمعنى أنّه قد نشأ جيل له ولاء غربي حتى في مفهومه للوحدة العربية، و العمل السياسي، وأخذ هذا الجيل يناوىء حركة اليقظة في خطها العميق الذي سارت فيه، والذي أضحي أداة تغريبية سخرت لتحقيق الأهداف الكبرى للإستعمار الغربي .

1- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق. ص125 .

2- أنور الجندي ، المرجع نفسه ص136 .

## 2-4- المشاريع التغريبية :

كانت للحركة الطورانية الساعية لتكريس التتريك و الماسونية المنسوبة للحركة الصهيونية؛ التي حمل لواءها حزب الإتحاد و الترقى "الإتحاديون"، الذين تمكنوا من السيطرة على الحكم في الدولة العثمانية سنة 1909م، أثرها العميق على الشام، بينما في مصر حيث كانت حركة جمال الدين الأفغاني، قبل الثورة العرابية<sup>(1)</sup> و الإحتلال<sup>(2)</sup> البريطاني لمصر سنة 1882م، التي حملت لواء اليقظة ذات الأبعاد العربية و الإسلامية المندفعة في طريق التجديد و الإجتهد تحرير العقل من قيد التقليد، و مقاومة النفوذ الأجنبي الزاحف .

و بعد الإحتلال الإنجليزي لمصر سنة 1882م، ظهرت حركة محمد عبده، حيث هدف من خلالها إلى تأصيل العلم و التربية كمنهج للحرية و اليقظة معا، و بالتوازي كانت دعوة مصطفى كامل الوطنية، التي سعت إلى هزّ القلوب و نفس غبار الذل و الهوان .

غير أنّ النفوذ الإستعماري البريطاني في مواجهة مستمرة ضد كل عمل إسلامي أو وطني، إن بالقوة العسكرية أو بأساليب التغريب و الإحتواء، و التي تضمنت الإجراءات التالية - أولا: هدم الوطنية و إحلال السياسة "التسييس البراغماتي" بدلا منها .

- ثانيا: تقليص الدعوة المتطلّعة إلى الدعوة في مجال ضيق، هو مصر للمصريين، منفصلا عن العالم الإسلامي و الأمة العربية .

- ثالثا: الإلتقاء بالنفوذ الإستعماري في منتصف الطريق و تقبل ما يوجد به .

- رابعا: الإلتجاه نحو الغرب و الفكر الغربي و المفاهيم و الفلسفات الغربية أساسا، و اعتمادها الوسيلة الوحيدة لبناء الفكر العربي<sup>(3)</sup> .

1- نسبة إلى أحمد عرابي ( 1840- 1911م) ببلدة قرب الزقازيق بالشرقية ، درس في الأزهر مدة عامين ، جندّ وعمره 14 سنة ، فوجد الأتراك يمنعون المصريين من الترقى في الرتب العسكرية ، فانتفتحت بصيرته ، كفاح الأتراك و الشركس و الإنجليز الذين احتلوا مصر سنة 1882م ، و عندما انضم الحديوي بجيوشه للجيش الإنجليزي أعلن عرابي نفسه نائبا للسلطان في مصر ، غير أنّ السلطان اعتبره متمردا ، فوجّه له الإحتلال البريطاني إنذارا رفضه ، و سار بقواته لمواجهة الجيش البريطاني فانهزم ، و خلا الجو أمام القوات الإنجليزية ، و عندما سقطت القاهرة في قبضة الإحتلال ، في سبتمبر 1882م استسلم العرابيون ، و حكم على العرابي بالموت ، ثم استبدلت العقوبة بالنفي إلى ميلانو. انظر:  
- مسعود طيبي، المشروع النهضوي عند سلامة موسى، دراسة نقدي تحليلية ، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ، د،ط ، الجزائر، 2011م ، ص، 8 .

2- يعتبر الإحتلال الأوربي الحديث للبلاد الإسلامية من أقوى و أهم أدوات وسائل التنصير و التغريب التي سعت لها الحركة التنصيرية ، و من الوسائل الكبرى لإجهاذ نجاح أي مشروع نهضوي سياسي و اقتصادي للأمة .. انظر :

- علي ابراهيم النملة، التنصير .. مرجع سابق ، ص ، ص 75.. 79 .

3- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق ص139 .

وكان كرومر<sup>(1)</sup> يهاجم الفكر العربي والإسلامي بشكل مباشر و بدون هوادة، في كثير من التقارير وفي عديد المناسبات، فهاجم الإسلام كنظام حكم، وأثار عليه حملة ضخمة، والإدعاء بأنه دين مناف للمدنية، وأنّ المسلمين لا يمكنهم أن يرتقوا في سلم الحضارة والتمدّن إلاّ بعد أن يتركوا دينهم، و ينبذوا القرآن وأوامره، لأنه يأمرهم بالخمول والتعصّب ويبعث فيهم روح البغض لمن يخالفهم والشقاق و حبّ الإنتقام، و يهاجم بشدّة فكرة الجامعة الإسلامية .

وفي الجملة فإنّه ذهب إلى أكثر من ذلك؛ حيث ادّعى (( أنّ المانع الأعظم والعقبة الكؤود في سبيل رقي الأمة هو: القرآن والإسلام ))، و يواصل مهاجما القرآن قائلاً: ((إنه ينافي العمران لأنه أباح الطلاق و حرّم الرّبا والخمر،..ويجعل المرأة في مركز منحط ))<sup>(2)</sup>. فكانت نصوص كرومر هذه و غيرها تكاد تمثل "المرجعية " التي اعتمد عليها كل دعاة التخريب، سواء كانوا من كتاب الغرب أو المبشرين أو المستشرقين أو حتى من حملة الأقلام باللّغة العربية، و ((يمكن القول أنّ كرومر هو أول من وضع الأساس لتحويل حركة اليقظة من طريقها الطبيعي الأصيل المستمد من مفهوم القرآن إلى طريق التخريب ))<sup>(3)</sup>، فخلال تولّيه منصب حاكم عام في مصر، دعا إلى خلق طبقة من المتفرنجين المستغربين من الوجهة الأوربية والمدنية الحديثة، وقال: (( إنّ هؤلاء هم خلفاء الأوربي المصلح ومساعدوه، كما أطلق يد الإرساليات والمبشرين في مصر والسودان ))<sup>(4)</sup> .

1- كرومر افلين بارينغ(Cromer(1841-1917): مندوب إنجلترا في مصر 1883-1907م ساهم في تنظيم الإدارة في البلاد ،و في علمنة وتخريب المجتمع المصري و برطه بالغرب في شتى الميادين ..انظر:  
- المنجد في اللغة و الأعلام،ط36،دار المشرق،بيروت،1997،ص،462 .  
2- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق ص.139 .  
3- أنور الجندي، المرجع نفسه ص.140 .  
4- أنور الجندي، نفسه ص.140 .



### 3-1- كرومر والتغريب الإعلامي :

بعدما تمكنت بريطانيا من مصر بتحقيق الغلبة العسكرية أو ما يُعرف بـ"القوة الظاهرة"، و حتى تكمل سيطرتها عليها بضرب"القوة الباطنة" و هي عمق المجتمع والدين الإسلامي<sup>(1)</sup>، وهذا من خلال مباشرة "المشروع التغريبي"، بدأ "كرومر" كمنسوب سامي للإحتلال البريطاني في مصر بخلق طبقة أرستقراطية من (العملاء، تتشكّل من الإقطاعيين وأبناء البيوتات الكبيرة وأصحاب المصالح والمنتهجين، ينضوون تحت جناح "حزب الأمة"، وكانت السياسة المعتمدة في خط سيرها، هي موالاة الإستعمار ومُحاسنته، ومعاداة غيره من التيار الوطني بدعوى أنه يعتمد نهج ما أسموه بـ"التحريض")<sup>(2)</sup>

وكانت جريدة "الجريدة" الناطق بلسان حال حزب الأمة، حاملة لواء القومية المصرية ومعارضة لكل اتجاه عربي وإسلامي، مع مُهادنة الإحتلال و"التعاون" البناء معه، و نبذ العنف في خصومته، تماما كما أشارت إليه الجريدة في عددها الأول، بتاريخ 9 مارس 1907م، بقلم لطفي السيد<sup>(3)</sup> الذي قال: (( إن أهم سبل الإقناع وأكبرها في الوصول إلى الغرض، هو سبيل المحاسنة، و هو أجلى مظاهر "الإعتدال")<sup>(4)</sup>، وقد سارت الجريدة على خطة كرومر التي نادى بها، و هي تقبّل صداقة الإحتلال دون معارضته، باعتباره حقيقة واقعية، إذ أنّ المصلحة في الإنتفاع بالمحتلين و قبول فكرهم وحضارتهم، وتقبّل الحرية و الإستقلال على مراحل ...

1- فادي اسماعيل،قراءة نقدية في مفاهيم النهضة .. مرجع سابق،ص،89 .

2- أنور الجندي،مرجع سابق،ص140 .

3- لطفي السيد (1872 - 1963م) :ولد في قرية من قرى مصر السفلى،من عائلة من الفلاحين تتمتع بزعامة محلية تقليدية،كعائلة محمد عبده،إلا أن عائلة لطفي السيد كانت أحسن حالا، شغل أبوه و جده مركز العمدة في القرية،تربيته الأولى كانت قرآنية،لكنه عندما بلغ الثالثة عشرة من عمره أرسل إلى مدرسة ثانوية في القاهرة،و في سنة 1889 دخل كلية الحقوق،و كان رفاقه ممن برزوا في الحياة السياسية بمصر،أمثال مصطفى كامل ، زعيم الحزب الوطني ،وثروت باشا وصدقي باشا اللذان شغلا مركز رئاسة الوزارة،التقى لطفي السيد محمد عبده و أصبح صديقه و تلميذه ، كما التقى بالأفغاني وأعجب به،واشتغل في الحكومة،و تعرف على الفكر الأوربي ،قرأ " أخلاق أرسطو "،حركت مشاعره كتابات تولستوي التبشيرية،اشتغل بالسياسة ثم ترها لما رأى طغيان المصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة ، و التحق بالجامعة و عمل بها كأستاذ للفلسفة، ليصبح عميدا فيها.إنظر:

- ألبرت حوراني ، مرجع سابق،ص201 .

4- أنور الجندي، مرجع سابق، ص140.139.

#### 4-1- دنلوب و تغريب التربية والعلم :

وجاء القسيس الإنجليزي "دنلوب" "D.Dunlop" كمستشار لوزارة المعارف في مصر، ليستكمل برنامج التغريب في عنفوان الإحتلال البريطاني<sup>(1)</sup>، فقد جاء هو الآخر بمخطط يهدف إلى هدم مقومات الفكر الإسلامي، لتعميم البرنامج التغريبي وتحويله إلى فكر وطني شامل، يعمّ المجتمع والمؤسسات والدولة ككل<sup>(2)</sup>، بدءا بخلق طبقة جديدة من متقنين لا تدين كثيرا بالقيم الأساسية للفكر الإسلامي، وتكون ذات ولاء للثقافة الغربية وقيمها، وتضمنت خطة "دنلوب":

- 1- استهداف اللغة العربية والإسلام والأزهر الشريف والمعلم العربي والإسلامي، وتحجيم دورهم في حياة المصريين .
- 2- إفساح المجال للغة الإنجليزية، على حساب اللغة العربية، وتأهيلها للسيطرة الكاملة على شؤون التعليم والإدارة<sup>(3)</sup>.

#### 2-2 تطور مساعي النخب الوطنية القومية والعلمانية والإصلاحية الإسلامية :

##### 2-1- مساعي النخب الوطنية القومية والعلمانية :

كانت مصر في مطلع القرن العشرين، تتسم بخصوبة في أفكار علماء و رجالات اليقظة العربية والإسلامية، رغم الأحداث التي هزت هؤلاء بعد وفاة الكواكبي سنة 1902م، ومحمد عبده 1905م، و وفاة مصطفى كامل 1907م، وسقوط السلطان عبد الحميد عام 1908م .

وحلّ محلّهم لطفي السيد وسعد زغلول بعدما "كَيّفهم" و"هذبهم" كرومر و دنلوب وفق ما تقتضيه الأهداف الإستراتيجية للتغريب في مصر، قد إلتمسا صلتهما بجمال الدين و محمد عبده، كوسيلة إلى الإدعاء بأنهما يسيران في طرقهما، وهو ادعاء يسير عليه "المُصطنعون" الذين "كلفوا" لأداء "مهمّات مضادة" و معيّنة لصالح الإستعمار وأعوانه .

1- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة .. مرجع سابق، ص، 25.

2- فادي اسماعيل، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة .. مرجع سابق، ص، 96.

3- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق، ص، 141.

وحمل لواء التيار الوطني في مصر، بداية عمر مكرم ورفاعة الطهطاوي، امتد إلى أحمد عرابي و مصطفى كامل، كان في الأصل مستمدا من التيار الإسلامي لم ينفصل عنه، إلا حين دعا لطفي السيد إلى فصل مصر عن العروبة وعن الجامعة الإسلامية<sup>(1)</sup>. وكان تيار اليقظة المضادة التي يمثلها التيار التغريبي بزعامة كرومر، ولطفي السيد، وآخرون، التقى بتيار اللبنانيين المتأمركين في هدف واحد، و هو تمزيق الجبهة العربية الإسلامية وتذويبها في التيارات المادية واللايدنية والعلمانية والإقليمية الضيقة .

## 2-2- الليبرالية العلمانية :

في سنة 1899م، نشر قاسم أمين<sup>(2)</sup> كتاب بعنوان "المرأة الجديدة"، يقول فيه أن الإسلام هو أول قانون ساوى بين الرجل والمرأة، و يرى أن الفساد في الإسلام إنما جاء مع أولئك الذين اعتنقوه و جلبوا إليه "عاداتهم و أوهامهم"، لما حجزوا المرأة في البيت، فهو يدعو المرأة إلى كسب رزقها بنفسها حتى لا تبقى تحت رحمة استبداد الرجل، و يقول أن التربية تقضي على هذا الاستبداد و تقضي بذلك على الحجاب و خدر المرأة، لأن الحجاب يمنعها من القيام بواجباتها، والخدر يمنع المرأة من أن تصبح كائنا كاملا، و يعتقد أن الإسلام لم يحرم سفور النساء<sup>(3)</sup>.

واستقى أحمد لطفي السيد، وهو رئيس تحرير صحيفة "الجريدة" من معلميه الغربيين فكرة الحرية، ويقول صراحة<sup>(4)</sup> "إن أسرع السبل لتحرير بلادنا هو نقل التمدن إليها"<sup>(4)</sup>، و يعتقد السيد أن الحرية تقع في قلب ذلك التمدن الذي ينبغي "نقله" في نظره، لأنه لا تمدن

1- هذه الدعوة الجديدة التي حمل لواءها اللبنانيون المتأمركون: كفرح أنطون و سبلي شميل ، و يعقوب صروف، و جرجي زيدان، و سليم سركيس، الذين ارتبطوا بالحركة الطورانية ودعوة الإتحاديين الأتراك و خططهم لتمزيق وحدة العرب والترك، وإلغاء الفكر العربي عن محيطه الإسلامي، وتحويله إلى فكر قومي له طابعه الوطني الخاص، الذي يستمد جذوره من الحضارات القديمة ، كالفرعونية في مصر و الفينيقية في لبنا ، والأشورية في العراق والبربرية في بلاد المغرب، و هذا يعني صراحة كراهية الإسلام والعرب، اللذان كانا نوعا من الإحتلال والغزو، كغزو الفرس و الرومان..انظر:

- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق ص243.244 .  
2- قاسم أمين (1865-1908م): يقال أنه من أصل كردي و أختلف في تاريخ ميلاده، ذا تربية فرنسية، عمل قاضيا، له كتاب صغير في تحرير المرأة سماه "المرأة الجديدة"، بدأه بانحطاط المسلمين، وفق مفهوم الداروينية للإنحطاط، وأن الأمة الإسلامية في تدهور وأنها أضعف من أن تستطيع مواجهة الضغوطات الحديثة، و إذا هي بقيت على ضعفها، فلن تتمكن من البقاء في عالم تسوده قوانين "الإنتقاء الطبيعي"، و يرى أن أسباب الفساد في المجتمعات هي زوال الفضائل الإجتماعية، و يعود ذلك إلى الجهل ، جهل العلوم الحقيقية التي منها وحدها يمكن استنباط قوانين السعادة البشرية، و بيد أن هذا الجهل من العائلة ، بين الرجل والمرأة، وبين الأم و الولد ، و في البلدان الإسلامية لم يرب الرجال والنساء التربية اللازمة لإنشاء حياة عائلية حقيقية ، والمرأة لا تتمتع بالحرية والمكانة اللازمين للقيام بدورها..انظر:

- ألبرت حوراني، مرجع سابق ص204 .

3- ألبرت حوراني، المرجع نفسه ص203.204.205 .

4- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة : دراسة في مقالات الحداثيين ، ط1. مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 2007. ص105 .

ولا نهضة من دونها، كما يعتبرها مسألة المسائل والمصالح<sup>(1)</sup>، طبعاً يقصد الحرية والتمدّن على الطريقة الغربية التغريبية .

وقد صاغ لطفي السيد - كما يقول بلقزيز - في ذلك "نظرية ليبرالية" في الحرية، وتشدّد على أهميتها بشكل كبير، و بيّن مركزيتها في المجتمع والفكر، و خصّها بكتابات لم يضارعه غيره فيها كما و نوعاً<sup>(2)</sup> .

إلا أنّ الشيء الذي أشار إليه لطفي السيّد، و كان صائباً في نظرتة إليه، هو قضية مصر العويصة، هي "حرية القضاء"، فيصرح<sup>(3)</sup> (( بأن هذا الأمر غير موجود في مصر، لأنّ الحكومة مطلقة التصرف تتحكم في المحاكم كما تتحكم في كل شيء آخر، و لأنّ القضاة المصريين لا يشعرون بمعنى الرسالة، بل يستخدمون منصب القضاء كمنطلق لوظيفة رسمية تؤدى منطقياً إلى كرسي الوزارة ))<sup>(3)</sup> .

ولكن من فرط تغنيّ لطفي السيّد بالحرية، ونشدها أيّاهما لدى الإستعمار إستعطافاً لا انتزاعاً، فإنّ بلاده مصر ستبقى تتطلع إلى الحرية الحقيقية ، التي لن تتلها بطريقتها ومن على شاكلته من الوطنيين "المُصطنعين" بيد "كرومر" و أضرابه من الإنجليز، حتى وإن تمّ لمصر ما يبدو أنه تحقيق لحريتها السياسية سنة 1952م<sup>(4)</sup>، فيبقى مخيال الحرية الكاذبة يراود السيد، حتى يتسنّى له كما يقول: (( الإشتراك في إدارة بلادنا وتحقيق سلطة الأمة ))<sup>(5)</sup> .

وتناسى لطفي السيد وغيره من الليبراليين الذين يدعون الحرية، أن الإصلاحيين النهضويين، كانوا الأوائل الذين صدعوا بالحرية، وحذّروا من الشر الجارف للحرية، القائم على الإستبداد والقهر، فدعوا للإستعداد له مادياً و معنوياً، وحذّروا الأمة من مغبة التقليد، والسعي إلى الأخذ بأسباب العلم والنهضة لمواجهة أخطار الإستعمار البغيض، الذي يعتبره السيد "شريكاً" يقاسمه حريات أوروبا وحضارتها، فنتشبت بأهذاب زيف وبريق "المدنية

1- عبد الإله بلقزيز ، المرجع نفسه ص105 .

2- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة .. مرجع سابق ص124 .

3- ألبرت حوراني، مرجع سابق ص214 .

4- ما حدث في الثورة المصرية عام 1952م عندما رفعت شعارات أخلاقية نبيلة لكنّها أفرغتها من المضمون فتحوّلت إلى إرهاب .. انظر:

- إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق .. والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001، ص40.

5- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة .. مرجع سابق ص110، انظر كذلك :

- لطفي السيد، المنتخبات ، ج1، القاهرة ، 1937م، ص297.

الأوربية"، فالأجنبي ما احتل البلاد إلا ليأخذ ويسلب منها كل شيء بما فيها عقول النخبة أو الرعايا، فالإستعمار يسخر الجميع دون استثناء، كعبيد لخدمة تقدمه ورقيه، لينعم وحده بالحرية والأمن، ولكن على حساب حرية الآخرين، بما فيهم العرب والمسلمين بوجه خاص

2-3- القومية العلمانية :

تعود جذور العلمانية في المشرق العربي منذ احتلال نابليون بوناپرت وبسط سلطانه على مصر سنة 1798م<sup>(1)</sup>، حيث كان لفرنسا دورا خفيا في التمكين لمحمد علي من تولي السلطة في مصر؛ لبتّ و ترسيخ النموذج العلماني والحركة الماسونية، بعد الثورة الفرنسية 1789م، مما دفع بفرنسا بعقد صفقات تعاون قبول البعثات الطلابية المصرية في الميدان العسكري والمدني والعلمي<sup>(2)</sup> .

فكان أول من روّج للفكرة القومية في الوطن العربي، و في مصر بالخصوص، هو اليهودي المصري، جيمس صنوع، ومسيحي سوري، وهو أديب اسحاق"1856-1885م"، الذي لعب دورا كبيرا في حوادث 1882م التي أدت إلى الإحتلال البريطاني لمصر، من خلال دوره الصحافي المشبوه<sup>(3)</sup> .

وظهر عبد الله النديم<sup>(4)</sup>، إبان الأزمة بين مصر و بريطانيا، لسان حال عرابي

ورفاقه، فألقي عليه القبض و نفي، ثم عاد إلى مصر واستأنف نشاطه الصحافي، فعبر في مقالاته عن تلك المشاعر التي تراكمت حول مفهوم الأمة، و كوّنت الحالة النفسية المعروفة

1- ارتكب نابليون في مصر أشنع الجرائم، فأمر أولا بفرض الضرائب و الغرامات على السكان، و قطع رواتب الأوقاف المخصصة للقراء، وصادر الدور و المنازل و هدم بعضها .. و اقترف أعمال النهب و النصب و القتل بوحشية متناهية .. و قد وقعت مجازر رهيبة و لعل مجزرة " حيفا " تعطي فكرة واضحة عن مدى القسوة و الوحشية في تلك الحرب غير المتكافئة ، إذ استسلم حوالي 3000 جندي الجيش العثماني لنابليون ، فما كان منه إلا أن أمر بقتلهم قتلا جماعيا دون مبرر لذلك حتى فضّل الكثير من الجند أن يلقوا بأنفسهم في البحر لَمَّا رأوا من وحشية القتل ، فصبغ البحر بلون الأحمر القاني وغطت سطحه الجثث المتناثرة . انظر :

- مسعود طيبي، المشروع .. مرجع سابق، ص، 15 .

2- لقد مكّن محمد علي و أحفاده من بعده للثقافة الأوربية العلمانية و التيارات الماسونية و القومية ، و التيارات الليبرالية و الإشتراكية التغريبية من السيطرة على الحياة الفكرية بعد شلّ دعاة التيار السلفي الإسلامي ، و كان نابليون قد أوقف مناهج التعليم القائمة على الدين تنفيذا لسياسة نابليون الماسوني، و هو أمر أكدّه المؤرّخ الإنجليزي أرنولد توينبي في قوله : (كان محمد علي ديكتاتورا أمكنه تحويل الآراء النابليونية إلى حقائق فعالة في مصر)، انظر :

- محمد علي الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، ط1، مصر، 2011، ص، 347 .

3- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص237

4- عبد الله النديم ( 1845-1896م): ولد في الإسكندرية ، و أنشأ فيها " الجمعية الخيرية الإسلامية " ، ساهم في الكتابة في صحيفتي " المحروسة " و " العصر الجديد "، ثم أصدر " التبكيث و التنكيث " و " الوطن " ، شارك في الثورة العرابية و كان من أكبر خطبائها فلاحقته السلطات المصرية فتخفى عشر سنين، غير أنه ألقى القبض عليه فسجن ، فغادر مصر و أقام في يافا، ثم سمح له بالعودة إلى مصر، فأقام بالقاهرة و أنشأ فيها " مجلة الأستاذ " و كانت وجهته النضال ضد الإنجليز، فنفي إلى الأستانة ، و عمل مفتشا للمطبوعات في الباب العالي إلى أن توفي عام 1896 م . انظر: فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص، 604 .

بـ "القومية"، و شدّد قبل كل شيء على أهمية الوحدة الوطنية، فوضع رواية تمثيلية، عنوانها "الوطن"، و تخلّلت كتاباته نزعة إلى "كره الأجنبي"، ففي مقال كتبه في نقد الخديوي اسماعيل، لام فيه إدخال الأوربيين إلى مصر، الذين فتحوا قاعات للتمثيل ونواد للرقص وأخرى للفساد<sup>(1)</sup>، فاعتبر عبد الله النديم أوّل الوطنيين المصريين الشعبيين، إلا أنه لم يكن يحمل مشروعا إصلاحيا على غرار فكر محمد عبده أو رشيد رضا، حتى وإن اعتبر أنّ أوروبا هي العدو السياسي، يمكن الإستفادة منه .

### 3-1- مصطفى كامل :

لقد توطّدت الفكرة القومية في مصر، بظهور مصطفى كامل<sup>(2)</sup>، المزدوج الثقافة العربية والفرنسية، المناضل مع الوطنيين الفرنسيين ضدّ البريطانيين، وكان قد قام بهجوم على مكتب صحيفة " المقطم " التي أسّسها مسيحيان من لبنان، والمدعّمة لسياسة كرومر، ويعود إليه الفضل في إنشاء ثاني صحيفة مصرية سنة 1900م، و هي "اللواء"، الصادرة باللغتين الفرنسية والإنجليزية، بعدما كان علي يوسف قد أنشأ "المؤيد" في 1889م، وكانت معظم الصحف بأيدي اللبنانيين، واستطاع مصطفى كامل كسب تأييد الخديوي عباس حلمي، و ظن أن كل واحد منهما أنه يَستخدم الآخر، وإن كان كلاهما مُستخدم من الإنجليز، كما توسع نشاط ونفوذ مصطفى كامل وسط شريحة الطلاب بفضل خطاباته الرنانة، إلا أنه يوما خطب واستشهد بعبارة الخديوي إسماعيل الشهيرة وهي ((أن مصر جزء من أوروبا))<sup>(3)</sup> .

وكثيرا ما كان كامل يردّد كلمتي "الحرية والتقدم"، و عرف مصطفى كامل بازدواجية خطاباته، و كم اعتبر سخيفا لما راح يستجدي فرنسا ضد السياسة البريطانية في مصر،

1- ألبرت حوراني ، مرجع سابق ص239 .

2- مصطفى كامل ( 1874-1908 ) : كانت عائلة والده و عائلة والدته تنتميان إلى الطبقة المتقنة الجديدة التي أوجدها محمد علي ، و لم يتلق مصطفى كامل التربية التقليدية في الأزهر، بل تربي تربية حديثة ، دخل كلية الحقوق في 1891 ، و تخرج من جامعة تولوز عام 1894 ، كان خطيبا مفوها و صحافيا ناجحا، برز اسمه كزعيم لفريق من الشباب عرف باسم الحزب الوطني، كأول حزب سياسي في الشرق بعد أن مهّد له بإصدار ثلاث جرائد هي : "اللواء" باللغة العربية، و " اللواء المصري " باللغة الفرنسية ، و الجريدة اليومية " اللواء المصري " بالإنجليزية ، و بعد وفاته خلفه على زعامة الحزب " محمد فريد " و هو رجل جليل لكنه غير فعال ، و تنحى من تلقاء نفسه سنة 1911م، و توفي سنة 1919 ، ثم تسلم سلطة الحزب "عبد العزيز شاويش"، كان أصله تونسي لا مصري ،الذي كان أستاذا للغة العربية في جامعة اكسفورد من قبل، و عرف كيف يوجه مبادئ مصطفى كامل نحو الوحدة الإسلامية ، فغادر مصر إلى تركيا خلال الحرب الأولى، و انتقلت الزعامة إلى سعد زغول. انظر: مسعود طيبي ، المشروع ..المرجع نفسه ، ص،8 ، و كذلك :

- ألبرت حوراني، مرجع سابق ص242 .

3- ألبرت حوراني، مرجع سابق ص247 .

ونسى أو تناسى أنها أبشع استعمار ابتلي به إخوانه المسلمين في شمال إفريقيا والجزائر منذ 1830، و أن الإرهاب والإستعباد الإستعماري ملة واحدة .

وغيرت الحرب العالمية الأولى، كثيرا من الواقع المصري، حيث ترأس سعد زغلول<sup>(1)</sup>، رئاسة الحزب سنة 1919م، ثم شغل عدة وظائف، و تعاون مع محمد عبده، ولطفي السيد و قاسم أمين، في إعادة صياغة القوانين وإصلاح المؤسسات في مصر، تلبية لحاجات العصر الحديث، و كان يتردد على "الصالون السياسي"، الذي كانت تشرف عليه الأميرة نازلي، و بتوجيه من كرومر، عينه الخديوي عباس وزيرا للتربية، واستبدل بعض برامج اللغة الإنجليزية ، باللغة العربية، ثم رقي وزيراً للعدل، و كان على صلة طيبة مع كرومر، حتى أنه علّق صورته في مكتبه إلى جانب صورة بسمارك<sup>(2)</sup> والأفغاني وعبده<sup>(3)</sup>، إلا أنه اختلف مع كنتشنر، فاستقال من الوزارة في سنة 1913 .

وخلال مباشرة سعد للمهام الرسمية، تغيرت عقليته، أو نقول أنه كان متعدد التوجهات والولاءات ظاهريا، و ذلك من خلال علاقاته السياسية المتعددة، والتي غلب عليها الولاء لكرومر أكثر من الأطراف الأخرى، والصور المعلقة في مكتبه تجسد مبادئ ونوايا "الزعيم" على حقيقته، فصور الأفغاني ومحمد عبده "للتبرك" وللتأسي بماضي مصر العربي والإسلامي المجيد، أو ربما "للمويه"، بينما صورة بسمارك للإستتناس والتغطية على صورة كرومر، وإظهارا لتفتحه على مناهج الإصلاح والتنوير الأوربي، و كأنه هو الآخر في طور بناء الأمجاد الوطنية بمصر، على غرار زعيم الوحدة الألمانية بسمارك، و كل ذلك أخيرا، لتبرير وجود صورة كرومر، الصورة الوحيدة التي تتم عن حقيقة نوايا و مهمة سعد، في جعل مستقبل مصر مرهونا بمدى ربطه بالنفوذ البريطاني .

1- سعد زغلول(1857-1927م):ابن إبراهيم زغلول، زعيم نهضة مصر السياسية و أكبر خطبائها في عصره،ولد في إحدى ولايات الدلتا الغربية بمصر، من أب مزارع يشغل مركز العمدة فيها، جاء الأزهر سنة 1871،اتصل بالسيد جمال الدين الافغاني و محمد عبده،اشترك بالثورة العرابية سنة 1881فقبض عليه و سجن شهورا، و تعاطى المحاماة عشر سنوات، ثم عين قاضيا في محكمة الإستئناف، وتعاون مع محمد عبده، ولطفي السيد و قاسم أمين، فيما اعتبروه أهم عمل في زمنهم، و هو إعادة صياغة القوانين وإصلاح المؤسسات في مصر، نتخب سنة 1919م رئيسا للوفد المصري للمطالبة بالإستقلال و فني، وتزوج بابنة رئيس الوزراء مصطفى فهمي باشا، و عين وزيرا للتربية، تم تولى رئاسة مجلس الوزراء سنة 1924م.انظر: - خير الدين الزركلي،الأعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ج3،ط15، دار الملايين، بيروت،2002، ص،83.

2-\* بسمارك أتون فون (1815-1898م): سياسي ألماني، عمل على تحقيق الوحدة الألمانية،أصبح مستشار الإمبراطور غيوم الأول بعد الإنتصار على فرنسا 1870م،جعل من بلاده قوة أوربية ودولة إستعمارية. انظر:

-المنجد في اللغة والأعلام،ط،36،دار الملايين، بيروت،1997،ص،128 .  
-Petit Larousse.librairie Larousse,France,1986,p. 1075.

3- ألبرت حوراني، مرجع سابق،ص255 .

إلا أنّ غاية القوميين الجوهرية تحقيق الإستقلال ولو اسما أو شكليا، إستقلال منقوص السيادة السياسية والإقتصادية والثقافية .. فبقيت هذه الفئة مشدودة التبعية إلى الغرب، على غرار دولة كمال أتاتورك<sup>(1)</sup> صنيعة الغرب .

### 3-2- الدكتور طه حسين :

اعتبر طه حسين<sup>(2)</sup> واحد من الحداثيين المنتصرين للقيم الفكرية الجديدة الوافدة في ركاب الإستعمار الأوربي، شأنه شأن معظم الليبراليين العرب الذين لم تتحرر نظرتهم إلى الحداثة من نزعتها التنصيرية، و من الشعور الإنبھاري بنموذج المدنية الأوربي<sup>(3)</sup>، فميّزت طه حسين (( عقيدة الوفد القومية، فقد كان الوفد مرتبطا من الناحية الثقافية، ارتباطا عميقا بفرنسا ))<sup>(4)</sup>، فانتقد الأزهر بشدّة، و طالب بإخضاع الأزهر لسلطة الدولة ولرقابتها على برامج و تقييد استقلاله النسبي<sup>(5)</sup>، كما اعتماده على منهج الشك الديكارتي في قراءة الشعر الجاهلي من خلال كتابه "في الشعر الجاهلي" الذي شك فيه بشكل مطلق، و طالب بإحلال اللّغة اللاتينية واليونانية وآدابهما، كما كتب عن إنتماء مصر إلى الغرب لا إلى الشرق، فحرس على تدريس التاريخ اليوناني في الجامعة المصرية التي أرادها أن تكون على النمط العصري الأوربي لصناعة مجتمع جديد و ثقافة جديدة، و كان هدفه إنتاج نخبة " مستتيرة "،

1- مصطفى كمال أتاتورك(1881-1937م): قائد تركي، ولد في سالونيك، مؤسس الجمهورية التركية و أول رئيس لها سنة 1923م ، قام بإصلاحات إجتماعية، و سياسية وألغى الخلافة الإسلامية، و غير كتابة التركية من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني. انظر:

- المنجد في اللغة والأعلام، ط36، دار الملايين، بيروت، 1997، ص24.

2- طه حسين ( 1889-1973م): ولد في قرية من قرى مصر العليا سنة 1889م من عائلة فقيرة، و قد فقد بصره في سن باكر ، مما قد يفسر نوعية خياله وبعض الخصائص في إنشائه الأدبي ، التي منها بؤادر نشؤ الأسلوب القصصي و الجدلي، و التكرار اللفظي اللامتناهي ، تربي في "كتاب" إسلامي ، ثم أم الأزهر في سنة الثالثة عشر ، لعب دورا جوهريا في تنشئته ، فيه تعرّف إلى أفكار محمد عبده مدة عشر سنين ، و التحق بحلقة لطفي السيد و "الجريدة" ، و درس اللغة الفرنسية ، و استمع إلى محاضرات في الجامعة المصرية الجديدة كان يلقيها كبار مستشرفي أوربا وأمريكا ، ثم ذهب إلى فرنسا سنة 1915م ، حيث مكث أربع سنوات ، فهناك طالع مؤلفات أناتول فرانس ، واستمع إلى دروس دركهايم ، و وضع رسالة عن ابن خلدون ، و تزوج بالمرأة التي كانت له بمثابة عينيه ، عاد إلى مصر اشتغل كأستاذ و عميد في جامعتي القاهرة و الإسكندرية أولا ، ثم كموظف في وزارة التربية ، ثم من سنة 1950 إلى 1952م كوزير في التربية في حكومة الوفد الأخيرة، و قد مرّ خلال هذه المرحلة النشيطة من حياته بأزميتين حادتين ، الأولى سنة 1926 ، عندما أحدث كتابه " في الشعر الجاهلي " ضجة حملته على تعديله ، أما الأزمة الثانية ، فقد وقعت عام 1932م ، عندما أقالته حكومة صدقي باشا من منصبه كعميد لكلية الآداب في القاهرة لميوله الوفدية ، فأعادته الحكومة الوفدية اللاحقة في 1936م إلى منصبه هذا. طرق طه حسين عددا من الفنون الكتابية ، القصة و الرواية و النقد الأدبي ، و الدراسة التاريخية الإسلامية ، و السيرة الذاتية و المقالة الإجتماعية و السياسية ، و غدا عميدا للأدب المصري، و كان أديبا أكثر منه مفكرا، كان يشيد بمصر الفرعونية، و ناقما على الحكم العثماني في مصر، و اعتبره سبب تخلفا و ادعى أن مصر أوربية أكثر منها شرقية و قد منح عددا من الدكتوراه الشرفية ، كان له أهم مؤلف في التفكير الإجتماعي هو كتابه عن "مستقبل الثقافة في مصر" الصادر سنة 1938م ، انظر:

- ألبرت حوراني ، مرجع سابق، ص388 و ما بعدها .

3- عبد الإله بلقزيز ، العرب و الحداثة .. مرجع سابق، ص148 .

4- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص392 .

5- عبد الإله بلقزيز ، المرجع السابق، ص166 .



كما ترجم كتاب " نظام الأثينيين"<sup>(1)</sup> لأرسطو، وألّف كتاب "قادة الفكر" معرفا فيه بفلسفة اليونان وسياسيها، سعيًا منه لإبراز أصول مصر الإغريقية لإستعادتها والبناء عليها من جديد<sup>(2)</sup>.

ونعتقد، أن هذا النوع من الآراء العقلية، المستوحاة من الفكر العقلي الغربي، كنظرية قاسم أمين في تحرير المرأة، و تمرد طه حسين الجامح على التراث الإسلامي في كتابه "الشعر الجاهلي"، تماشيا مع نظريات الفلاسفة الأوربيين، همّهم في ذلك نقد كل قديم، والتمرد على قيود الدين والإشادة بكل جديد، حتى وإن كان مخالفا للشرائع السماوية، فلا نرى في ذلك إلا نهجا تغريبا يسير في ركب التشكيك في الشريعة الإسلامية، وإمكانية قدرتها في تحقيق إصلاح نهضوي، يحتوي فيه المدنية الغربية ويستوعبها وفق مبادئ الإسلام الصالحة لكل زمان و مكان حسب ما دعا إليه النهضويون .

وكان علال الفاسي في الغرب الإسلامي، قد صدع بهذا العطب النفسي والفكري لدى بعض النخب في أنحاء العالم الإسلامي، فقال: (( أن جلهم ممن تربي في أحضان الأجنبي، وتلقّى من معينه ..وأصيبوا بعقدة نقص أمام الأجنبي، وأصبحوا لا يستطيعون المجاهرة بدينهم، والإعتداد بحضارتهم الخاصة..ثم في المرة الثانية اتصلنا بالغرب ..عسانا أن نتحول إلى شكله، ننطق بقوله، و نناضل عن رأيه، و نفتخر بحسباننا عليه، و قد نسينا أن المسخ يقلب كل شيء ))<sup>(3)</sup>.

1- عبد الإله بلقزيز، المرجع نفسه ص.ص.163.150.

2- عبد الإله بلقزيز، نفسه ص.ص.161.160 .

3- علال الفاسي، دفاع عن الشريعة، "ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص، 69، 70 .

### 3-2- الشيخ علي عبد الرزاق :

من الشيوخ "الإصلاحيين" الذين يمكن أن نصنفهم ضمن المشيخة الرسمية، نجد الشيخ علي عبد الرزاق<sup>(1)</sup>، كما كتب بعد ربع قرن الشيخ خالد محمد خالد<sup>(2)</sup> كتابه "من هنا نبدأ" يسير على نفس خطي علي عبد الرزاق- و محسوب ضمن مفكري "الخطاب الإجهادي التنويري"<sup>(3)</sup>، الذي نظر لما سيعرف بـ "علمانية الإصلاحية الإسلامية" التي ناهضت مبدأ السلطة الدينية وأسقطت شرعيته، و نفتته عن الإسلام كلياً<sup>(4)</sup>.

لقد دعا الشيخ علي عبد الرزاق مصر صراحة إلى تبني مبادئ سياسية أخرى غير مبادئ الإسلام، و زعم أن لا وجود لما يسمونه بالمبادئ السياسية الإسلامية، عقب إلغاء الخلافة الإسلامية في 03 مارس 1924م، و ما انجر عنها من مضاعفات نفسية وإحباط معنوي للمسلمين، وتفكك أوطانهم، وطغيان للإيديولوجية العلمانية ودعاتها، وتراجع آمال المسلمين مع غموض مستقبلهم، فتوج كل ذلك الشيخ عبد الرزاق بنشر كتابه "الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام"<sup>(5)</sup>، عشية نكبة المسلمين بإلغاء كمال أتاتورك<sup>(6)</sup>، ذكر فيه أن القرآن لم ينص على الخلافة، وأن وجود الخليفة ليس شرطاً ضرورياً للعبادة والخير العام<sup>(7)</sup>، و يواصل قائلاً: (( ليس بنا من حاجة إلى تلك الخلافة

1- \* علي عبد الرزاق (1888-1960م): تلقى علي عبد الرزاق كأخيه مصطفى، علومه في الأزهر بداية، ثم وفد على أوروبا و حيث أكمل دراسته في أكسفورد سنة 1913، أشار في كتابه إلى المفكرين البريطانيين السياسيين، هوبز، ولوك. انظر:  
- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص 224.

2- أورد الشيخ خالد محمد خالد نفسه ما أورده الشيخ علي من شبهات و حجج، و تراجع عن ما كتبه هو بدوره، فرد عليه كثيرون، كما ردوا على من سبقه، و كان من أهم الردود رد محمد الغزالي في كتابه (( من هنا نعلم ))، و لم يمض وقت من الزمان حتى تراجع خالد عن أفكاره و آرائه بصراحة، متبرنا مما قاله في كتاب جديد نقض به الأول و عنوانه بـ (( الدولة في الإسلام )) . انظر:  
- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق، ص، ص، 62، 63.

3- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة .. مرجع سابق، ص 126 .  
4- عبد الإله بلقزيز، المرجع نفسه، ص 126 .

5- علي عبد الرزاق، الإسلام و أصول الحكم بحث في الخلافة و الحكومة في الإسلام، بدون طبعة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1988.

6- قام كمال أتاتورك بإعاز من فرنسا و بريطانيا بين سنوات 1922-1924م بإلغاء منصب الخلافة الإسلامية، و غير عاصمتها من الأستانة إلى أنقرة و أحدث دولة تركيا، و اصدر إصلاحات قضى فيها بإلغاء منصب شيخ الإسلام، و غلق المدارس القرآنية و منع العمل بالشريعة الإسلامية .. انظر:

- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين 1919-1934م، ط، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2014م، ص، 346.

7- علي عبد الرزاق، الإسلام و أصول .. مصدر سابق، ص، 16.

لأمور ديننا ولا لأمر دنيانا..فإنما كانت الخلافة و لم تزل نكبة على الإسلام وعلى المسلمين، و ينبوع شر و فساد ((1) .

وغير ذلك من النصوص الأخرى التي تناولها الشيخ علي عبد الرزاق، قد أعلنها صراحة بفصل الدين عن السياسة وأنه لا علاقة بينهما، مصطفى بذلك في صف العلمانيين الذين تبنا أطروحات أساتذتهم الأوروبيين، بعدما نهلوا من علومهم و نظرياتهم المدسوسة ضد الإسلام والمسلمين، فنظرية عبد الرزاق إذن هي بداية الصدع الذي أحدث في حصن الأزهر الشريف من قبل واحد من أبنائه ومشائخه، بإيعاز من التغريبيين في المجتمع المصري أذرع الإستعمار وأدواته .

لقد ترك مؤلف عبد الرزاق صدى و ردود أفعال شديدة اللهجة، منها قول الشيخ رشيد رضا بشأن الكتاب، أنه: (( آخر محاولة يقوم بها أعداء الإسلام لإضعاف هذا الدين وتجزئته من الداخل ))، و قال عنه محمد بخيت: (( إن عبد الرزاق قد فضلّ نظرية(2) السر توماس أرنولد التاريخية على إجماع الفكر الإسلامي بكامله ))(3) .

ويقول الشيخ بخيت في ما ذهب إليه عبد الرزاق(4)، أنها تهددّ ضمناً نظام العقيدة الإسلامية بكامله، و ذلك بمحاولته هدم أحد أسسه، وهي عقيدة الخلافة، فالدين الإسلامي قائم على السعي وراء السيطرة و السلطة والقوة والسؤدد..(5).

و الغالب على العقلانية الليبرالية العربية في الفكر العربي الحديث والمعاصر هو الطابع الدعوي التبشيري بمدنية و ثقافة أوربا(1) و مُحاسنة الإستعمار(2) في كل ما يصدر منه من

1- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة .. مرجع سابق، ص135 .  
 2- إن ارتباط عبد الرزاق في أفكاره بالمستشرق أرلوند يشبه ارتباط طه حسين في أفكاره بالمستشرق مارجيليوت.. انظر:  
 - شافية صديق، المشروع الفردي باستحضار الآخر(إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر)، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص120 .  
 3- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص231 .  
 4- تراجع الشيخ علي عبد الرزاق عن رأيه، حيث كتب في مجلة " رسالة الإسلام " عدد ماي 1951م مقالا تحت عنوان " نقد مقال : الإجهاد في نظر الإسلام "، تحدث فيه على أن الشيطان ألقى في حديثه اعتبار الإسلام رسالة روحانية فقط لا صلة له بشيء من الترتيب الإدارية و السياسية للدولة ، فقال : ( و ما أرى في الأمر إلا أن هناك خطأ في التعبير جرى به لساني في المجلس الذي كنا نتجادل فيه و نستعرض حال المسلمين ، و ما أدري كيف تسربت كلمة روحانية في الإسلام إلى لساني يومئذ ، و لم أرد معناها ، ولم يكن يخطر لي ببال ؟ بل لعله الشيطان ألقى في حديثي بتلك الكلمة ليعيدها جذعة تلك الملحمة التي كانت حول كتاب 5 الإسلام و أصول الحكم )) ، و التي أشرت إليها أنفا ، و للشيطان كلمات يلقيها على ألسنة بعض الناس، و علق الدكتور محمد عمارة على مقالة الشيخ علي بعد تراجع بقوله : (( نقول للعلمانيين : إننا نحن الذين نحترم علي عبد الرزاق عندما نصدق قوله : (( إن الشيطان هو الذي ألقى هذه الكلمات على لسانه )) و ليست له رأيا بل هي - كما قال - رأي الشيطان ؟ فنتبينوا من هو إمامكم و رائد (( تنويركم )) ، إنه ليس علي عبد الرزاق.. بل هو الشيطان؟؟ انظر:  
 - أحمد كافي ، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق، صص، 61، 62 .  
 5- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص213 .

جميل أو قبيح ، فقد كان المفكرون الليبراليون "الحدائين" المشبعين بهذه النزعة، من أمثال سلامة موسى و طه حسين، و سلامة موسى، وعباس محمود العقاد في بدايات كتاباته والظاهر الحداد وغيرهم، كتاباتهم يغلب عليها "التقييم السلبي"<sup>(3)</sup> لأنهم في اعتقادنا أعادوا تدوير "المنتوج الفكري الغربي من غير جهد تأصيلي، مما جعله يبدو دوماً "بضاعة" أجنبية عن التراث والفكر العربي والإسلامي .

واستتكر علال الفاسي في كتابه "دفاع عن الشريعة"، اكتفاء المسلمين بالإيمان فقط، دون العمل بأحكام الشريعة في المعاملات و الإدارة والتشريع و الحكومة، و يقبلون بفصل الدين عن الدولة،<sup>(4)</sup> و ما شرعت الدولة إلا لمصلحة الدين. و ما جعلت الخلافة إلا لتنفيذ أحكام الشريعة<sup>(4)</sup>، و علي عبد الرّازق لم يكن في نص "الإسلام وأصول الحكم" يرفض الخلافة في ذاتها، بل اتجه للإقرار الصريح بضرورة الإحتكام في مجال السياسة إلى<sup>(5)</sup> أحكام العقل وتجارب الأمم و قواعد السياسة<sup>(5)</sup> .

ومنه فإنّ الفكر العربي خلال هذه المرحلة قد شقّ طريقاً و ضرب بجذوره في عمق البلاد الإسلامية؛ بفعل القوة الإستعمارية المادية وأدواتها البشرية، منها أولئك "الحدائين" التخريبيين من أبناء الأمة العربية الذين انطبقت عليهم في مجملهم مقولة ابن خلدون الشهيرة: ((المغلوب مولع بتقليد الغالب)) .

1- عبد الإله بلقزيز، العرب والحدائنة .. مرجع سابق، ص94 .

2- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق، ص139 .

3- عبد الإله بلقزيز، مرجع سابق، ص100 .

4- علال الفاسي، دفاع عن الشريعة ، "ط]، دار الكلمة للنشر و التوزيع ، القاهرة، 2014 ، ص59 .

5- كمال عبد اللطيف، أسئلة النهضة العربية، التاريخ، الحدائنة، التواصل، ط]، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص38.

## 1- بواعث الإصلاح و النهضة في بلدان المغرب العربي

## " تونس - المغرب - الجزائر - ليبيا "

على الرغم من الإنحدار الحضاري- في جانبه السياسي والعسكري- الذي بدأت البلدان المغاربية تسير فيه بشكل بارز أواخر العصور الوسطى، إلا أن الحياة العلمية والثقافية وحركة العلماء بدت متماسكة نوعا ما، و إن تخلّلتها بعض الإضطرابات و"الجفاف" العلمي من حين لآخر، كما لم ينقطع أو ينضب الإنتاج الفكري، و إن تغيّر من حيث نوعيته، و طبيعة المواضيع التي أهتمّ بها العلماء وغلبت على كتاباتهم .

كما بقيت الجوامع والمؤسسات و دور العلم والمكتبات عبر الحواضر العتيقة للبلدان المغاربية، نشطة يختلف عليها الطلبة، وأهل العلم، ينهلون من علومها، يستفتون و يفتون، يتذكرون و يتدارسون شتى فنون العلم والمعرفة .

دخلت البلدان المغاربية بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مرحلة حاسمة في تاريخها الحديث، بفعل تنامي التحديات القادمة من الضفة الشمالية للبحر المتوسط، حيث وقعت تباعا تحت سيطرة الدول الإستعمارية، ممّا يستدعي حشد القوى الوطنية لمواجهة الإستعمار ومخططاته التغريبية والتنصيرية، التي تستهدف الدين الإسلامي والهوية الوطنية العربية والإسلامية .

فإنّ هذا الإرث الحضاري، المادي والبشري الذي هو بحوزة هذه البلدان المغاربية، سترتكز عليه في لحظة عسرتها، بفعل التحديات المصيرية التي فرضها الإستعمار على واقع شعوبها، فتسعى لإحيائه و بعثه من جديد ضمن مشروع نهضوي، لإعادة نفخ الروح في هذه الأمة حتى تستعيد مجدها وعزّها .

## 1- الظروف والأسباب الداخلية :

### 1- الجزائر :

#### - الإحتلال الفرنسي للجزائر 1830م :

يمثل الإحتلال الفرنسي للجزائر أحد مظاهر التخلف والضعف الذي وصلت إليه الجزائر كقطر ضمن المجموعة المغاربية، و كان النفوذ الأوربي قد تغلغل إلى كيان الدولة العثمانية كخلافة إسلامية، و طوّقتها القوى الأوربية، فأصبحت كـ"الرجل المريض" الذي لا يقوى على شيء؛ مستسلما لمصيره المحتوم .

وهذا الراهب الفرنسي المتعصب " الكاردينال شارل لافيغري LAVIGERIE " 1825-1892م، كوّن جماعة من الآباء البيض "Les pères blanc" لتضليل الجزائريين وتحويلهم عن دينهم باستخدام شتى الوسائل، و وضع هذه المهمة من خلال الرسالة التي وجهها إلى الإدارة الفرنسية الإستعمارية بقوله: ((علينا أن نخلص هذا الشعب و نحرره من قرانه، وعلينا أن نعتني بالأطفال لتنتشئتهم على المبادئ غير التي شبّ عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل))<sup>(1)</sup> .

بذلك لم يستيقظ الضمير الوطني بعد غفلة طويلة وسبات عميق، إلا على وقع ضربات مدافع الغازي المحتل، عندها بدأت الأمة تضمد جراحها، و راحت تتلمس طريقها من جديد، وتسعى لتتخذ ما تبقى في رصيدها من قوة وحكمة حتى تتدارك أمرها من جديد . وهذا مالك بن نبي، يرى أن التاريخ عادة لا يلتفت إلى الأمم التي تغطّ في نومها، وإنما يتركها تعيش أحلامها تطربها، وأخرى تزعجها حيناً آخر، فتطربها حين تری في منامها أبطالها الخالدين وقد أدوا رسالتهم، وتزعجها حينما تدخل صاغرة في سلطة جبار عنيد<sup>(2)</sup> .

1- محمد بن سميحة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2014، ص 41.

2- مالك بن نبي، شروط النهضة، ط11، دار الوعي للنشر و التوزيع، الجزائر، 2012، ص 22.

إنّ احتلال الجزائر سنة 1830م، سيكون بمثابة تدشين حلقة مفصلية جديدة خلال العصر الحديث في تاريخ الصراع بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، في التاريخ الحضاري والسياسي للجزائر، مما سيدفعها إلى البحث الجدي والمستमित عن ذاتيتها لفرض وجودها، فشرعت مباشرة في التعبير عن شخصية وجودها؛ بدءًا بتنظيم مقاومات شعبية الواحدة تلو الأخرى عبر كامل جهات القطر الجزائري، و كانت بدايتها مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1832م، وتواصلت هذه المقاومات إلى غاية مطلع القرن العشرين؛ سنة 1908م حيث كان آخرها مقاومة الشيخ بوعمامة .

2- تونس :

- الإحتلال الفرنسي لتونس 1881م :

في سنة 1881م أصبحت تونس ثاني إقليم مغاربي يقع تحت الإحتلال الفرنسي باسم الحماية؛ بعدما كبلتها بديون مالية، و فرضت على الباي محمد الصادق توقيع معاهدة الحماية؛ حيث رضخ لها بكل سهولة مخافة تولية الفرنسيين عرش تونس لأخيه، فجثم الطرفان "الإستعمار والباي" على حرية وحقوق الشعب التونسي، مما سيساعد على عرقلة الحركة الإصلاحية مؤقتًا في تونس، و يُدخل البلاد في متاهات العنف والمسح التغييري .

عندما احتل الفرنسيون تونس سنة 1881م لم يجدوها جامدة وإنما وجدوها تعج بالأفكار التي تراكت من عهد أحمد باي و محمد باي<sup>(\*1)</sup> صاحب عهد الأمان وخيرالدين صاحب كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" الذي طبع سنة 1867م، و تكونت في تونس نخبة متنورة من بينهم الشيخ سالم بوحاجب، و محمد بيرم الخامس، و محمد السنوسي و غيرهم ..

\*1 - محمد باي (1811-1859م): هو محمد باي الثاني بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد بن علي، ولي الحكم في تونس سنة 1855م، و أصدر قانون عهد الأمان سبتمبر 1857م ، كأول دستور في تونس و العالم العربي .انظر:  
- محمد الهادي بن الطاهر المطوي، الطريق إلى الحداثة والتحديث في إعلام (الجوانب) للشدياق، 1861-1884م دراسة ومختارات، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص، 214.

3- المغرب :

1- هزيمة إيسلي 1844م :

إن معظم المؤرخين المغاربة يرجعون تاريخ "ظهور" أو إثارة موضوع الإصلاح في المغرب الأقصى؛ و التفكير فيه بشكل جدّي، إلى موقعة إيسلي حيث انهزم فيها جيش المخزن أمام القوات الفرنسية ، فهزيمة إيسلي كشفت عن الضعف والفوضى و عن طبيعة المرض الحضاري الذي كان يعيشه المغرب، فظهرت المراثي و الأسى في نفوس الناس، وظهرت إثرها حركة فكرية تدعو إلى ضرورة إصلاح الأوضاع و تبحث في سبله و وسائل ذلك<sup>(1)</sup> .

فشرع المغرب في إحداث تغيير في الجانب الإداري والعسكري بالدرجة الأولى، ويربط علال الفاسي بين الصدام الذي وقع بين الجيشين المغربي والفرنسي في إيسلي سنة 1844م وبداية نهضة المغرب<sup>(2)</sup> هزيمة إيسلي بمثابة، الفجر الأول للنهضة المغربية الحديثة<sup>(2)</sup> .

ارتفعت أصوات المفكرين والعلماء، وتعددت القراءات الإصلاحية ؛ فمنهم من اعتبر الإصلاح العسكري من أولوياته، و آخرون اعتبروا الإصلاح الإقتصادي هو المنطلق إلى الميادين الأخرى، لذلك اهتم الملوك العلويين بتشجيع غراسة قصب السكر وتأسيس معمل لها، كما اهتموا بعرض المنتوجات المغربية في المعرض الدولية، فكان محمد الرابع والحسن الأول قد فكرا بشكل جدي في أهمية ضرورة التفكير والشروع في مسيرة الإصلاح<sup>(3)</sup> .

2- هزيمة تيطوان 1860م :

لقد تعرّض لها المغرب لهزيمة نكراء للمرة الثانية، و هذه المرّة أمام إسبانيا، الهزيمة التي أثبتت و بجدارة مدى الهزال الحضاري الذي وصل إليه المغرب، و كشفت

1- علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي ، ط5، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1993م ، ص102 .  
2- أحمد قوال، التحضر، التحديث ، الحدائنة، في المجتمع المغربي الحديث، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء. المغرب 2012م. ص31. انظر كذلك :  
- علال الفاسي، الحركات الإستقلالية ..مصدر سابق. ص85 .  
3- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ص83



الهزيمة على الفساد الذي عمّ كل مفاصله، و شل قدرته على المقاومة أو حماية ما بقي في جنباته أو أعماقه من سيادة و حرمة .

إنهما واقعتان مريرتان دشنتهما الإستعمار الأوربي " الفرنسي والإسباني" في المغرب؛ إيدانا ببداية حلقة جديدة؛ في تاريخ الصراع بين دول الحوض الغربي للمتوسط، مما ولد في المغرب تيار تيارا يرى ضرورة (( الإفتاح على الخارج، و في نفس الوقت إجراء الإصلاحات التي من شأنها تقليص الفارق الذي يفصل المغرب عن البلدان ذات المؤسسات الأحسن تكيّفا مع العالم الحديث ))(1) .

### 3- تدهور الواقع الحضاري في المغرب :

دخل المغرب كبقية الأقاليم المغاربية الأخرى منذ أواخر القرن 18م، مرحلة متردية من الضعف السياسي والتقهقر الحضاري في شتى المجالات المختلفة، فزادت التحديات الداخلية و الخارجية ..

يقول أحد شهود هذه المرحلة، و هو مولاي الطيب العلوي " 1889-1964م" ضمن كتابه "تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي"، أنه في هذا العهد انحطت القيم الأخلاقية، و ظهر التواكل، و ساد الجهل المخيم على النفوس، و عدم الإطلاع على ما يجري عند الجيران، بل في العالم.. وأصبح المغرب عبارة عن مجتمع من الدراويش الذين لا يفكرون إلا في الرغيف.. و لم يقتصروا على العامة بل تعدوهم إلى أرباب الدولة من وزراء و ولاة و قضاة و أرباب ..)) (2) .

ومما زاد الطين بلة، هو استغلال أهل الأهواء و البدع المناخ العام الذي أصبحت العامة غارقة فيه، فنفتوا فيها من أضيالهم و تلبيسات شياطينهم، (( فأدى ذلك إلى إستفحال أمر المشايخ الطرّيقية، بحيث أصبحوا يؤثرون على السياسة العامة، و صاروا عرقلة في سبيل كل إصلاح يُراد إدخاله...بدعوى أنه مخالف للدين .. ))(3) .

1- عثمان أشقرا، الوطنية و السلفية الجديدة بالمغرب من 1830 إلى 1956م، ط1 مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص، 12.  
2- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي راند التنوير الفكري في المغرب، المفكر السلفي المجدد و الزعيم السياسي ، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2010م، ص.ص، 18 ، 19 .  
3- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي راند التنوير ..مرجع سابق ، ص، 19 .

#### 4- ليبيا :

وقعت ليبيا هي الأخرى فريسة أطماع و دسائس القوى الإستعمارية المتربّصة بأمالك و تركة الدولة العثمانية، فكانت إيطاليا تطمح إلى استعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية؛ و لكن هذه المرّة على حساب الشعب الليبي و كرامته، و كانت إيطاليا قد ساقّت أسبابا و ذرائع واهية و مفضوحة عند إعلان عدوانها السّافر على ليبيا سنة 1911م، كدعوى تحرير ليبيا من قبضة العثمانيين، إلا أنّ الإتحاديين الأتراك سلّموا ليبيا لإيطاليا؛ وذلك بتوقيع الطرفين معاهدة لوزان سنة 1911م .

#### 2- الإنحراف العقدي للأمة :

إنّ انحراف قسم كبير من المسلمين عن الإعتقاد الصّحيح، باتخاذهم القبور حرّمات ومعابد، حيث بنوا عليها مساجد، و قاموا بزخرفتها و تغطيتها بالكساء و تأثيثها وتزيين جدرانها، و إيقاد السرج فوق القبور ككنائس النصراني، و سوق الذّبائح إليها و التمسح بجدرانها، و حمل ترابها تبركا، و السجود لها و تقبيلها، و استلام أركانها والطواف حولها، والنذر لأهلها، و تعليق الآمال بهم والتوسل إليهم بالله ليقضوا لسائلهم الحوائج،.. و اخترعوا عبادات و قربات، لم يأت بها الإسلام ..واتخذوا دين الله لهوا ولعبا<sup>(1)</sup> ...

#### 2- التيارات والمؤثرات " الخارجية " :

#### 2-1- حملة نابليون على مصر 1798م :

إن الإحتكاك المغاربي بالمشرق وتفاعل طرفي الوطن العربي مع بعضه البعض، في إطار اللّحمة الإسلامية التي تجمع بين أقطاره؛ ساهم في خلق نبض جماعي و شامل للأحداث والتحوّلات الطارئة؛ و منه فإنّ الوعي الإصلاحي في الوطن العربي والإسلامي برز خصوصا عقب إصطدام الغرب مع الشرق، من خلال حملة نابليون<sup>(2)</sup> على مصر سنة 1798- 1801م .

1- محمد المكي الناصري ، إظهار الحقيقة وعلاج الخليفة ( من مناهضة الطريقة إلى مقاومة الإحتلال ) ، تحقيق . محمد برعيش الصغريوي ، ط 1 ، مطبعة طوب بريس ، الرباط 2010 ، ص، ص ، 7,8 .  
\*2- نابليون بوناپرت (1769- 1821م) : إمبراطور فرنسا الحديثة، أدخل صيبا إلى المدرسة الحربية و تخرّج ضابطا في المدفعية، عيّن قائدا للحملة الإيطالية التي جعلت انتصاراته المتتالية فيها بطلا فرنسا ، و هزم الجيوش الفرنسية عدة مرات ، و قاد الحملة الإستعمارية الصليبية إلى مصر سنة 1789م ، جلب من الفاتيكان أول مطبعة(بولاق)، وسحق المماليك، لكنه هُزم أمام الروس و النمساويين فعزل عن الحكم ، و نفي إلى جزيرة هيلانة..انظر:

تّضح من خلال حملة نابليون على مصر سنة 1798م، الترابط العربي الإسلامي، حيث يذكر أنّ نجدات من المتطوّعين من الشرق العربي والمغرب وصلت إلى مصر وحاربت ضد الفرنسيين، فخرجت حملة من المتطوعين العرب من الحجاز بقيادة رجل مغربي يدعى "الكتّاني" الذي كان يعظ الناس و يدعوهم إلى الجهاد و يحثهم على نصره الحق والدين، وانضم إليهم جملة من أهل الصعيد و كانت لهم وقائع مع الفرنسيين في الصعيد<sup>(1)</sup> .

## 2-2- الطباعة والصحافة :

لقد اهتم العرب منذ انخراطهم في مسالك النهضة والحداثة في منتصف القرن التاسع عشر بـ"الإعلام" بشكل متزايد بعد اكتشافه أنه وسيلة فاعلة في الجماهير والدول من حيث الإتصال والتواصل، والإبلاغ<sup>(2)</sup>، والتفاعل بين المسلمين في تناول قضايا النهضة، وشؤون الأمة الإسلامية وما تتعرّض لها من تحديات .

## 2-1- الطباعة :

لقد كان للطباعة دور فعّال في إحداث تغيير ثقافي بارز في الوطن العربي، حيث ساهمت في إحياء و بعث التراث من جديد من خلال تنشيط عمليات الطباعة، وإنشاء مطابع وصحف أخرجت المجتمعات العربية من عزلتها . وأحييت الطباعة التراث القديم و جعلته في متناول الناس، و نشرت المؤلفات الحديثة في مختلف العلوم والآداب، كما شجّعت الطباعة على حركة التأليف والإرتقاء بالكتاب العربي إلى مستوى مقبول لدى القراء، فسهّلت الطباعة من مهمة إنشاء المدارس الحديثة في الوطن العربي<sup>(3)</sup> .

إلا أن الطباعة في عمومها في الوطن العربي بدأت "طباعة تنصيرية" و اعتبر أول كتاب طبع باللّغة العربية، هو الذي صدر في "فانو" بإيطاليا سنة 1514م، ثم توالى طباعة الكتب العربية عبر مدن جنوة والبندقية و روما،<sup>(4)</sup> لكن جميع تلك المطبوعات كانت بهدف تبشيري ديني بحت<sup>(4)</sup> .

- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص: 18 .

- المنجد في اللغة و الإعلام، ط36، دار المشرق، بيروت، 1997، ص: 567 .

1- شوقي عطا الله ، عبد الله عبد الرازق، تاريخ العالم ..مرجع سابق ، ص، 85 .

2- أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها و تطورها، د.ط، مكتبة الحياة للنشر، بيروت، دبت، ص، 142 .

3- هشام سوادي هاشم ، مرجع سابق ، ص ، 229 .

4- هشام سوادي هاشم ، المرجع نفسه ، ص ، 229 .

و يُذكر أنّ أول المطابع التي أُدخلت إلى الوطن العربي، كانت أوائل القرن السادس عشر، حينما أنشئت واحدة منها في دير قزحيا جنوبي طرابلس الشرق، و من الثابت أنّ أول مطبعة عربية في الوطن العربي، هي التي أسسها أحد رجال الكنيسة المسيحية في حلب سنة 1706م، اختصت بطبع الكتب الدينية<sup>(1)</sup>.

وبعد ذلك بسنوات قليلة، أي في سنة 1712م، وافقت الدولة العثمانية رسميًا على طبع مختلف الكتب، في مطبعة أنشأها "ابراهيم متفرقة"، وهو أحد الصناعيين في القسطنطينية بتأييد من بعض المثقفين العثمانيين، واختصت بطبع الكتب بالحروف العربية ومعظمها باللغة التركية<sup>(2)</sup>.

والجدير بالذكر أنّ الطباعة لم تأخذ دورها الرائد، كوسيلة نهضوية، إلا بعد أن أصبحت جزءا أساسيا من الدولة الحديثة، فكان محمد علي والي مصر بادر في النصف الأول من القرن التاسع عشر سنة 1823م بافتتاح أول مطبعة رسمية<sup>(3)</sup> دائمة في بولاق قرب القاهرة، فزاد نشاطها و تنوعت تخصصات الكتب المطبوعة، وأنشأ لها معملا حديثا للورق، و لم تمض إلا سنوات حتى افتتحت مطابع رسمية و خاصة، تراثية وتعليمية و صحفية أخرى في مصر، حتى بلغ عددها 131 مطبعة كبيرة سنة 1909م<sup>(4)</sup>.

وانتشرت المطابع في بلدان المشرق والمغرب العربيين خلال منتصف القرن التاسع عشر، في سوريا و العراق و غيرها .

## 2-2- الصحافة الرسمية :

كذلك الصحافة في الوطن العربي هي الأخرى، بدأت رسمية إستعمارية، حيث كانت أول جريدة عربية صدرت في الوطن العربي، هي جريدة "التنبيه"، أصدرتها قيادة قوات الغزو الفرنسي في مصر سنة 1800م، لأغراض إستعمارية دعائية، كما كان الحال في الجزائر، حيث أنشأت حكومة الإحتلال الفرنسي سنة 1847م جريدة "المبشر" لتكون واسطة للتفاهم بينها و بين السكان المحليين<sup>(5)</sup>.

كما أصدرت السلطات المحلية العثمانية جرائد رسمية، كتلك التي أصدرها الباي محمد الصادق سنة 1861 في تونس، باسم "الرائد التونسي"، كما أصدر والي بغداد مدحت باشا

1- هشام سوادى هاشم ، المرجع السابق ، ص ، 229 .

2- هشام سوادى هاشم ، المرجع نفسه ، ص ، 229 .

3- أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها و تطورها، د.ط، مكتبة الحياة للنشر، بيروت، د.ت، ص، 140 .

4- هشام سوادى هاشم ، مرجع سابق ، ص ، 231 .

5- هشام سوادى هاشم ، نفسه، ص ، ص، 233، 234 .

جريدة "الزوراء" سنة 1869م، لتكون وسيلة لنشر المراسيم والأخبار لدى الرأي العام في العراق، و تولّى القسم العربي منها الأديب محمود شكري الألوسي، وشارك في تحريرها عبد الحميد الشاوي، أحد أبرع أدباء العرب في العربية والتركية في عصره<sup>(1)</sup>.

### 2-3- الصحافة الشعبية :

أصبح هذا النوع من الصحف أداة الشعب في نشر أفكاره و آرائه، وإيقاظ روح الكفاح ومقاومة الأجنبي وتكريس مبادئ الأمة العربية والإسلامية والإعتزاز بتراثها وأمجادها، فتزايد عددها بسرعة ليقوق عدد صحف السلطة أضعافا عديدة ، و كان من بين أهمّ تلك الصحف "مرآة الأحوال" التي أصدرها في العاصمة استانبول رزق الله حسّون الحلبي سنة 1855م، و كانت تنشر المقالات التي تتضمّن إنتقاد الحكومة العثمانية<sup>(2)</sup>.

أمّا جريدة الجوائب التي ظهرت في اسطنبول سنة 1860م، فقد أنشأها أحمد فارس الشدياق اللبّاني، والتي انتشرت انتشارا عظيما في الشرق والغرب و نالت شهرة واسعة لم تتلها جريدة سواها منذ ظهور الصحافة العربية حتّى ذلك العهد، و كان قراءؤها سلاطين العرب وملوكهم وأمراؤهم وعلماؤهم، فلم تخلُ الجوائب من الأخبار السياسية والمناظرات العلمية بين كبار علماء ذلك العصر<sup>(3)</sup>.

وقام عدد من السوريين الوافدين إلى مصر بإنشاء صحف عديدة شعبية، أهمها جريدة "الأهرام" التي أسّسها الإخوان سليم و بشارة تقلا سنة 1876م، انتقدت سياسة الإنجليز، كما أسّس أديب إسحاق جريدة له، بتشجيع من جمال الدين الأفغاني سنة 1877م<sup>(4)</sup>.

1- هشام سوادي هاشم ، .. مرجع سابق، ص، ص 234,235 .

2- هشام سوادي هاشم ، نفسه ، ص235 .

3- رشاد الإمام،التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر على صدور "عهد الأمان"، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط1،ونس،2010، ص،349

4- هشام سوادي هاشم ، مرجع سابق ، ص236 .

## 4-4- نماذج من الصحف الحرة :

### 4-1- مجلة العروة الوثقى :

تمثّل جريدة العروة الوثقى<sup>(1)</sup>، أشهر جريدة في عصرها على الإطلاق، و واحدة من المعالم الثقافية الهامة في مسار الحركة الفكرية الإسلامية أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، وهي كما جاء في مقدّمها بلقم مدير سياستها جمال الدين الأفغاني: ((تسعى لإنهاض الدول الإسلامية من ضعفها وتنبهها للقيام بشؤونها..وقد أخذت هذه الجريدة من قلوب الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبّه؛ و هي ذات أثر في كل ما جدّ من الحركات الوطنية والحريّة في بلاد الشرق))<sup>(2)</sup> .

وتعتبر العروة الوثقى زبدة أفكار جمال الدين الأفغاني، و بدرجه أقل محمد عبده، وتناولوا فيها فلسفتهم في الإصلاح الإسلامي الشامل لمختلف القضايا التي تعيق الأمة من اللّحاق بالركب الحضاري الذي وصلته أوربا بالخصوص، كما اهتمت بتناول كل ما من شأنه سيساهم في إخراج بلاد المسلمين من أزمتها وتغيير واقعهم نحو الأفضل،<sup>(3)</sup> عالجت موضوع ضعف الإسلام الداخلي، و حثّت المسلمين على التنبّه له و مداواته<sup>(4)</sup>، و ذلك من أجل تحقيق نهضة المسلمين، ولا يتأتّى ذلك إلاّ (( بإطلاق حريات الأقلام على التحرير وإنشاء الفصول الأدبية والعلمية في موضوعات مختلفة لا تخرج في مجموعها على إصلاح الأفكار وتهذيب الأخلاق.. و بيان الواجبات التي كان التقريط فيها موجبا للسقوط والضعف و توضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات، والإحتراس من غوائل ما هو آت ))<sup>(4)</sup> .

1- مجلة العروة الوثقى: مجلة أسبوعية عربية، كان جمال الدين الأفغاني مدير سياستها، و الشيخ محمد عبده محررها و كانت تتولى الإنفاق عليها "جمعية العروة الوثقى" ذات فروع في الهند و مصر و غيرها من أقطار الشرق الإسلامي، صدر العدد الأول منها في 05 جمادي الأولى 1301 هـ . الموافق لـ12 مارس 1884، و العدد الأخير في ذي الحجة 1301 هـ، الموافق لـ أكتوبر 1884م، و كانت توزّع مجانا، و كان قد أعلنت الجريدة الرسمية المصرية أنّ كل من توجد عنده العروة الوثقى يغرم خمس جنيهات مصرية إلى خمسة و عشرين جنيها، و قد نشر منها 18 عددا، و مقر إصدارها باريس أنظر:

- شافية صديق، التغيير من خلال الجماعة، الوهابية، العروة الوثقى جمعية العلماء المسلمين، ط1، دار قرطبة، الجزائر. 2006.ص33 .  
 2- شافية صديق، المرجع نفسه.ص33 .  
 3- ألبرت حوراني، مرجع سابق.ص139 .  
 4- شافية صديق، التغيير من خلال الجماعة ..مرجع سابق.ص35 و39.

## 1-1-1- مرتكزات المشروع النهضوي للعروة الوثقى :

### 1-1-1- التخلّص من النفوذ الأجنبي و الحكم الإستبدادي :

إنّ ممّا أرقّ "العروة الوثقى" ومن ورائها جمال الدين الأفغاني بالخصوص عبر طول مسار دعوته الإصلاحية، هو القضية العويصة والخطيرة جدا، وهي قضية النفوذ الأجنبي في البلاد العربية والإسلامية و من يسانده من الأنظمة الإستبدادية، لمّا رأى جمال الدين الأفغاني (( الرقي في بلاد أوربا، ورأى الإنحطاط في بلاد الشرق التي زارها...توجّهت فكرته إلى إنهاض تلك البلاد جملة وفرادى..أما أساس النهوض لهذه البلاد عنده فهو خلاصها من السلطان الأجنبي و خلاصها من الحكم الإستبدادي ثم تلاؤمها بنوع من الوحدة يقوي التناصر بينها ويكفل لها الغلبة ))(1) .

### 1-2-1- تشخيص أمراض الأمة وتوصيف أدوائها :

سعت العروة الوثقى إلى تشخيص الأمراض المستعصية والمتوطنة في الأمة وإحصاء أزماتها التي تتخر جسدها، كتفرّق كلمتها و تمزق وحدتها، مع ترك الواجبات، واستحكام المصلحة الخاصة في أهلها على المصالح العامة، و ركون الأمراء إلى اللّهو واللّعب وتعاطي الشهوات و ترك المسؤوليات، مع البحث لها عن أدوية و حلول سريعة لكنها فاعلة، لأنّه كلّما استدام الأمر ساءت الأحوال واستشرت الأمراض وتعمّقت جذور الأزمات أكثر (2) .

وترى العروة الوثقى أنّ الداء العضال الذي سبّب الإنحراف المفصلي في تاريخ الأمة، بدأ برأس السلطة وخليفة المسلمين، الذي لم يعد يهتم بنصح العلماء، و لا بمشورة أهل "الحل و العقد"، كما لم يعد يتولى الخلافة صاحب علم وفقه في الدين، فانقسمت الأمة إلى دول و فرق و شيع، ممّا أدّى إلى ضعفها و هوانها في أعين الأعداء .

وحتى يتسنى لهؤلاء الأمراء تحقيق مآربهم، فإنهم يسعون بكل ما أتوا من قوة و حيل و أسباب لأجل إبقاء الأوضاع المتردية كما هي عليه، أو إفتعال أزمات لثني الناس عن المطالبة بحقوقهم، فيعيش المجتمع- كما قال الكواكبي- (( خاملا ضائعا لا يدري كيف

1- شافية صديق، التغيير من خلال الجماعة ..المرجع السابق،ص36 .

2- شافية صديق، المرجع نفسه،ص36.

يَمِيت ساعاته وأوقاته و يدرج أيامه وأعوامه، كأنه حريص على بلوغ أجله ليستتر تحت التراب))<sup>(1)</sup> .

و يتناغم مع قول الكواكبي، قول جمال الدين الذي سبقه في تشخيص أمراض الأمة وهي ترزح تحت حكم المستبدين، وتحليل واقعها المزري، بقوله: (( فشغلوا أفكار الكافة بمظاهرة كل خصم على خصمه، وألهوا العامة بتهيئة وسائل المغالبة وقهر بعضهم البعض، فأدت إلى الذهول عما نالوا من العلوم والصنائع، فضلا عن التقصير في طلب ما لم ينالوا منها، والإعسار دون الترقّي في عواليها، و نشأ من هذا ما تراه من الفاقة والإحتياج وعقبة الضعف في القوة والخلل في النظام ))<sup>(2)</sup> .

### 1-3- نشر العلم وبناء الفرد المسلم :

إن قوة المجتمع الإسلامي لا تتحقّق إلاّ بقوة أفراده، و لا يتأتّى لهم ذلك إلاّ بما نهلوه من معين العلم الديني والأخلاقي وما اتصل بهما من علوم الدنيا، فالعلم قرين المسلم والمسلمة والحكمة ضالتهما، فحيثما كان المجتمع الإسلامي كانت الكتاتيب والمدارس والمعاهد والعلماء ، فيحل الصدق والأمن، فتزدهر المعاملات المثمرة، و ينمو المجتمع نحو التطوّر والرقّي ((..الإنسان في نشأته لوح صقيل، وأوّل ما يخط فيه رسم الدين، ثم ينبعث إلى سائر الأعمال بدعوته وإرشاده..قلّب طرفك في تواريخ الأمم أقصاها وأدناها، تجد برهانا قاطعا على أنّ الأمة متى بخست قيم الأعمال العالية، وأزدري فيها بشأن الفضيلة فقدت ما به قوامها وانهدم بناؤها، و ذهبت كما ذهب أمس، ولا جرم أنّ الكفر مقرون بزوال النعم ))<sup>(3)</sup> .

### 1-4 الجامعة السياسية والدينية :

ترى العروة الوثقى أن بداية نهاية حياة الأمة الإسلامية، كانت لما تمّ الفصل بين الخلافة عن الإمامة الدينية، أي عندما تولى الخلافة أمراء غير متفهمين في الدين وغير مجتهدين ولا توجد لهم دراية بالشرعية و ضرورياتها و مقاصدها، و تفرّق أهل السياسة عن أهل العلم .

1- عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الإستبداد . مصدر سابق، ص، 20.

2- شافية صديق، التغيير من خلال الجماعة . مرجع سابق، ص 49 .

3- شافية صديق، المرجع نفسه، ص 46 .



ومما لا شكّ فيه أنّ الدين الإسلامي يشتمل على كل ما يحقّق للمسلمين سعادتهم في الدنّيا و الآخرة، لكنهم و هم في غمرة الحياة يغفلون وينسون و يتناسون، فيسرع بهم السقوط في هاوية الإنحطاط و التخلّف. و نبّهت مدرسة العروة الوثقى إلى هذا المعنى، بعدم الإلتزام ببعض السنن الثابتة .

((..وهكذا جعل الله بقاء الأمم و نماءها في التحلّي بالفضائل، و جعل هلاكها ودمارها في التخلّي عنها سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم ولا تتبدل بتبدل الأجيال.. مادام القرآن يتلى بين المسلمين.. فإننا لا نرتاب في دعوتهم إلى مثل نشأتهم و نهوضهم إلى مقاضاة الزمان ما سلب منهم، فيتقدّمون على من سواهم في فنون الملاحمة و المنازلة و المصاولة حفظا لحقوقهم و ضنا بأنفسهم عن الذل و ملتهم عن الضياع))<sup>(1)</sup> .

### 1-5- نبذ الطريقة الجبرية :

إن ما ظهر عند المسلمين من انحرافات في الإعتقاد والسلوكيات الموسميّة الضالّة، بفعل الفكر الطرقي المتحجّر<sup>(2)</sup>، و نهج طريق الإستسلام للواقع المزري، والركون للمغتصب الظالم، و تبرير ذلك بالقضاء و القدر، كلّها أمراض يجب تصحيحها و تنبيه الأمة إلى تجنبها، فكانت صيحة "العروة الوثقى" صريحة في ذلك: ((.. ظهر فيهم أقوام بلباس الدّين و أبدعوا فيه و خلطوا بأصوله ما ليس منها، فانتشرت بينهم قواعد الجبر و ضربت في الأذهان حتى اخترقتها و امتزجت بالنفوس حتى أمسكت بعنانها في الأعمال.. بعد حصول النقص في التّعليم و التّقصير في إرشاد الكافة إلى أصول دينهم...))<sup>(3)</sup> .

### 1-6- تسخير الإعلام الحر لبناء الأمة :

إن التّعليم و الصحافة و وسائل الإعلام الأخرى وسائل فعّالة في مشروع البناء النهضوي للأمة، إن أحسن إستغلالها بما يتماشى و الإختيارات الكبرى لبناء مستقبلها، و ما يصون رموز هويتها العربية و الإسلامية و الثقافية الأخرى، فالإعلام وسيلة هامة للبناء كما هي أداة فعّالة للهدم، و لا يمكن الإستغناء عنها بأي حال من الأحوال، و ممّا جاء في العروة الوثقى:

1- شافية صديق، المرجع السابق، ص 53 .

2- Merad. Le Réformisme Musulman en Algérie de 1925 à 1940. essai d'histoire religieuse et sociale ; 2eme édition , les éditions elhikma , Alger. 1999/p63.

3- شافية صديق، مرجع سابق، ص 51 .

(( علمتنا التجارب بأن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى، لتطرق الأعداء إليها، و تكون مداركهم مهابط الوسواس و مخازن الدسائس، بل ويكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلّدهم واحتقار من لم يكن على مثالهم شؤما على أبناء أمتهم يذلّونهم و يحتقرونهم ويستهنون بجميع أعمالهم وإن جلت..))<sup>(1)</sup>

وأخيرا لا بدّ أن نوّكّد أن التدين الصّحيح هو السبيل الوحيد إلى النهوض الصّحيح؛ والبعد عنه هو سبب الإنحطاط، أي أن طبيعة و نوعيّة العلاقة بين المخلوق والخالق هي التي تحرك الأفراد؛ والذي بدوره يحرك المجتمع والأمة والعالم، و تقول في ذلك " العروة الوثقى " : (( إن أبواب رحمة الله مفتحة لديهم و ما عليهم سوى أن يلجوها، وأنّ روح الله نافحة عليهم و ما يلزمهم سوى أن يستنشقوها، والفرص دائما تمدّ أيديها إليهم تطلب إنهاضهم و تنبّه غافلهم و توقظ نائمهم، وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الأولى والصعود إلى مقامهم الأول، إلاّ أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من إعزاز ملّتهم..))<sup>(2)</sup> .

وشنّ خصوم العروة الوثقى حملة مضادة عليها لإجهاض مشروعها، وإطفاء إشعاعها، وهو دأب المستبدّين، عبيد شهوة السلّطة ومُتّع الدنيا، الذين باعوا ضمائرهم للغاصب الأجنبي .

ولمّا كانت دعوة العروة الوثقى المسلمين إلى الوحدة، و التخلّص من النفوذ الأجنبي، واعتماد النظم الحرّة والدستورية في الحكم، فإنّ ذلك لم يرق الأنظمة المستبدّة والتي هي جزء من النفوذ الأجنبي خاصة الإستعمار الإنجليزي، فراحت هذه الأنظمة تضيق وتصادر الحريات العامة، و تمنع إصدار الجرائد الحرّة، و أبرز مثال على ذلك: (( إنعقاد مجلس الوزراء المصري في القاهرة، واهتم بالبحث في شأن "العروة الوثقى"، ثم أصدر قراره إلى وزارة الداخلية المصرية، الذي يقضي بتشديد منع هذه الجريدة من دخول الأقطار المصرية ومراقبتها، مع تغريم كل من وُجِدَتْ عنده نسخة من "العروة الوثقى" بخمسة جنيهات مصرية إلى خمسة وعشرين جنيها ))<sup>(3)</sup> .

1- شافية صديق، مرجع سابق، ص.58 .

2- شافية صديق، المرجع نفسه، ص.61 .

3- شافية صديق، نفسه، ص.36 .

## 3- مجلّة المنار :

كان من أبرز المجالات والجرائد التي وصلت الجزائر مبكرة بعدما سمحت لها السلطات الفرنسية بالتداول، هي مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا، و مجلة المؤيد لعلي يوسف ثم اللواء لسان حال الحزب الوطني المصري، كما شهد عقد الثلاثينات والأربعينات وصول مجلات وجرائد مشرقية إلى الأفراد والجمعيات خاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كمجلة الرسالة والثقافة والفتح، كما نجد جرائد جزائرية وصلت إلى القراء ببلاد المشرق و أصبحت لها صدى وأهمية خاصة في ميدان الإصلاح، منها الشهاب في عهد ابن باديس و البصائر في عهد الإبراهيمي<sup>(1)</sup> .

و زار الشيخ عبده تونس للمرة الأولى سنة 1884م، الزيارة التي مهدت لإهتمام المثقفين بمجلة المنار<sup>(2)</sup> التي تحمل أفكاره الإصلاحية، و هناك جريدتان تونسيّتان ظهرتتا في وقت متقارب و هما "الحاضرة" سنة 1888م، و "الزهرة" سنة 1890م، اهتمتا بأخبار المشرق العربي، و تطورات الدولة العثمانية، و حين ظهرت المنار سنة 1898م حملت جريدتا الحاضرة و الزهرة التونسيّتان أخبارها إلى تونس والجزائر على الخصوص<sup>(3)</sup> .

وسمحت السلطات الفرنسيّة للمنار بدخول مستعمرتيها "تونس والجزائر" ربّما كما يقول سعد الله أنها لا تدعو إلى العنف والثورة، كما أنها بالنسبة إلى الفرنسيين تمثل وجهة نظر الشيخ عبده في الإصلاح، و كان الشيخ معروفا عندهم باعتداله وإيمانه بإيجابيات الحضارة الغربية .

والشيخ محمد النخلي<sup>(4)</sup>، هو أحد علماء الزيتونة يقول سنة 1900م " كنت ولوعا جدا بمبادئ الأستاذين الحكيمين الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وقد

1- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، عالم المعرفة ، مطبعة خاصة . الجزائر 2011. ص ، 526 .  
\*2- مجلة المنار: اعتبرت أهم مجلة إسلامية في عصرها ، و أعظمها و أكثرها تأثيرا، و لا تزال إلى اليوم تحتلّ مكانة مرموقة في الصحافة الإسلامية ، على الرغم من إنقطاع صدورها ، وكان وراء إنشائها المجاهد محمد رشيد رضا، أحد رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، كانت المنار تدافع عن الدين الإسلامي، و تعمل على تربية النشء، و تحارب البدع المنحرفة التي كانت يمارسها بعض رجال الطرق الصوفية كان لها مراسلين في تونس منهم البشير صفر والشادلي درغوث و الهادي السبعي ، أما علي بن الحاج زنين فقد كان وكيل المنار على مستوى المغرب العربي، وكان مقره في تونس. انظر :

- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، عالم المعرفة ، مطبعة خاصة . الجزائر 2011. ص 111.

- موقع: <https://archive.islamonline.net/?p=8921> ، تحت عنوان " المنار من رضا إلى البنا" ، تاريخ الفحص : 2018/03/08م.

3- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ . مرجع سابق. ص 108 .

\*4- محمد النخلي (1879- 1924م) : ولد بتونس تولى منصب القضاء سنة 1931م ومشخة الجامع الأعظم (من شأن الجامعة الزيتونية) تأثر بمدرسة عبده و الأفغاني، وأقام بها نهضة علمية استفادت منها كثير من البلدان الإفريقية، و كان عضوا بجمع اللغة العربية بالقاهرة و المجمع العلمي بدمشق من آثاره: أصول النظام الإجتماعي في الإسلام ..انظر:

- بن خليف مالك، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، أطروحة مطبوعة لنيل شهادة الدكتوراة، ط1، دار طليطلة. الجزائر 2019، ص، 92.

- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 50 .

طالعت ما كتباه من التآليف وعرفت كنه ما يرميان إليه من إعادة مجد الإسلام بواسطة فهم القرآن و مجارة الأمم الأوروبية في العلوم والترقيات البشرية ((1)).

ولقد غطت جريدة المنار زيارة الشيخ عبده الثانية لتونس سنة 1903م، و كانت تعلم أن له قاعدة عريضة من الأتباع يمثلهم سالم بوحاجب عن الزيتونيين والبشير صفر عن الصادقيين - نسبة إلى المدرسة الصادقية - و كانت تجمعهم حركة أطلق عليها عندئذ اسم "الشباب التونسي" أو "تونس الفتاة"، و كانت تنقل المنار عن جريدة "الحاضرة" الصادرة في تونس (2).

وأرى أن التفكير الحديث لدى بعض علماء الأزهر أو مفكري النهضة في المشرق أو المغرب العربيين شابه نوعا من التمرد و التحرر الزائد، الذي يغلب عليه ما قد نسميه "بالشذوذ الفكري"، والذي نتج عن الإرتماء الكلي في أحضان الفكر الغربي نظرياته، أو بحثا من هؤلاء على ما يبدو جديدا على عقلية المجتمع العربي في مخلفات ركام النهضة الأوروبية، لإعادة تسويقه محليا على حساب مبادئ ثابتة في التراث الإسلامي، مما يرجوه هؤلاء من ثناء وحظوة و حتى رفعة لدى الدوائر الإستعمارية، و شهرة و بريق لدى النخب المتتورة. و هذا ما نلمسه في كتابات قاسم أمين، و طه حسين، و مصطفى عبد الرزاق، و الطاهر الحداد و كاتب يسين ..

وفي سنة 1903م قبيل زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر، نشرت المنار مقالا بقلم رشيد رضا يرد فيه على المستشرق الفرنسي "هانوتو HANOTEAU" الذي تعرض للإسلام بقوله أنه دين التواكل والقدرية، و مقال آخر بعنوان "فرنسا والجزائر" نصحت فيه فرنسا "الدولة العظيمة" بحسن معاملتها لمسلمي مستعمرتها و إدارتها في الجزائر لكي تملك قلوبهم، و قد اعتذر رشيد رضا لفرنسا بأنها غير مرتاحة للطريقة التي تسوس بها الجزائر، كما نوّهت المنار بوعود رئيس جمهورية فرنسا للجزائريين أثناء زيارته لبلادهم سنة 1902م بأن أحوالهم ستتحسن، و يذكر سعد الله كيف ترأس شارل جونار JONNART حكومة الجزائر، و منح المسلمين فيها فرص التعلم وإنشاء الصحف والجمعيات المدنية، وفتح حدود الجزائر أمام المجالات وجراند المشرق و تبادل الزيارات،

1- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 108 .

2- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 109 .

لا سيما تلك الزيارات التي تكسب منها فرنسا دعما لسمعتها في العالم الإسلامي مثل زيارة الشيخ محمد عبده، و من ثمة تحقيق مكسب لها على حساب بريطانيا<sup>(1)</sup> .

ونجحت مدرسة المنار إلى حد بعيد و تركت بصماتها على الجيل الذي تولّى قيادة البلاد بعد الحرب العالمية الأولى، فقد نشط تلاميذ الشيخ عبده والمنار في الساحة وأثبت تلامذة الأستاذ أنهم ليسوا دعاة عنف وإنما دعاة تقدم و تعليم، وصدرت جريدتا "الفاروق" و"ذو الفقار" تعلنان أنهما تسييران في ركاب الفكر العبدوي، و كانتا تنشران أفكاره نقلا عن المنار، و مع ذلك منعتهما الإدارة الفرنسية من الإستمرار في الصدور<sup>(2)</sup> .

كما كان لمدرسة الشيخ محمد عبده تأثير متواصل حتى بعد وفاته لدى جيل آخر من المثقفين باللّغة العربية أو لدى مزدوجي اللّغة، وهو الجيل الذي أنشأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>(3)</sup>، بينما النخبة المستغربة المتخرجة من المدارس الفرنسية لم تتأثر بأفكار عبده لأنها لم تكن تقرأ المنار، و لم تكن على علاقة تقريبا بالثقافة العربية والإسلامية .

و وصل تأثير المنار حتى المغرب الأقصى، وهذا أبو شعيب الدكالي<sup>(4)</sup> درس في مصر وأصبح من كبار علماء و قضاة المغرب، قد تأثر بالحركة الإصلاحية في مرحلتها العبدوية و في عهد المنار ورشيد رضا<sup>(5)</sup>، وأصبح واحدا من دعائم السلفية الوطنية الجديدة في المغرب<sup>(6)</sup> .

1- أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق. صص.114.115 .

2- القاسم سعد الله ، نفسه. صص.118 .

3- محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، 30.

\*4- محمد الدكالي(1869-1945م) : هو محمد بن علي الدكالي السلاوي، دكالة، نسبة إلى دكالة بلدة بالمغرب، مؤرخ، و له علم بالأدب، مولده و وفاته في مدين سلا المغربية، تولّى أعمالا في الكتابة و القضاء ،، من كتب" أدواح البستان في أخبار العدوتين و من درج بهما من الأعيان" و أ اتحاف الملا بأخبار الرباط و سلا، ط السكك الإسلامية" و " الحسبة في الإسلام" ، " احوال اليهود في المغرب " قديما و حديثا. انظر:

- خير الدين الزركلي، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج6، ط15، دار الملايين، بيروت، 2002، صص. 305 .

5- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. صص.123، لمعرفة المزيد و مدى تفاعل رجال الحركة الإصلاحية في المغرب العربي مع مجلة المنار، و تحاليل المنار لأحداث هذه الأقطار.. اطلع على المرجع نفسه، صص.109..123.

6- محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي .. مرجع سابق، صص. 84 .

#### 4- الأحداث والتحوّلات العالمية :

##### 4-1- الإحتكاك الحضاري بين ضفتي المتوسط :

إن الإحتكاك الحضاري الحاصل بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، سواء في فترات العنف "الصدام الحضاري" أو العلاقات السلمية التجارية والمصلحية. كل ذلك خلق ما عرف " بالحوار الحضاري " بين شعوب المتوسط، فعرف بعضها ببعض من خلال ما جادت به أوروبا من قيم و مبادئ أو من منتوجات و تقنية، الأخيرة هذه بيّنت مدى تفوق سلع أوروبا في مستوى الجودة والأثمان، ومدى قوة تقنياتها الصناعية في شتى مظاهر الحياة الحديثة .

وكان للغزو الإقتصادي واحتكار أوروبا للأسواق المغاربية و ما تركه من آثار بالغة على الثروات والقيم الوطنية، كما كانت للأنظمة الليبرالية والمبادئ العلمانية والتنظيمات الحزبية والنقابية، و بنية المؤسسات السياسية والإدارية..كل ذلك ولدّ شعور وطني عميق؛ بلور فكرة ضرورة الإصلاح وأهميته؛ خاصة لدى النخب الوطنية التقليدية منها والليبرالية، بدءا من نهايات الحرب الكونية الأولى .

##### 4-2- الحرب العالمية الأولى 1914-1918م :

على الرّغم من الدور السلبي والكارثي للحرب الأولى على شعوب البلدان المغاربية من حيث عمليات التجنيد الإجباري، والتكلفة البشرية الباهظة من الضحايا التي فرض دفعها من أبناء هذه المستعمرات خلال الحرب، حيث (( كان عدد الجزائريين الذين سقطوا خلالها حوالي مائة ألف مجند جزائري))<sup>(1)</sup>، وما قامت به الدّول الإستعمارية من استنزاف لثروات هذه البلدان، فإن النّخب الوطنية المغاربية الإصلاحية والسياسية؛ فإنّها قد حقّقت رصيذا معنويا إيجابيا، ممّا يقوّي فاعليتها على المستوى المحلي والخارجي، كما كشفت الحرب عن حقيقة العلاقات الإمبريالية الإستعمارية، و طبيعة الصراع فيما بينها من جهة، وبين مستعمراتها من جهة أخرى .

وبذلك فإنّ ما أسفرت عنه الحرب الأولى من نتائج وتحوّلات عالمية ومحلية مغاربية؛ وضع الحركة الوطنية بنخبها وتياراتها على محك مصيري، فكان عليها أن تأخذ بزمام المبادرة لتواكب المستجدات والمتطلبات الراهنة؛ حتى تجد لنفسها حيّزا ضمن

1- محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، ص26 .

معادلة الصراع والتدافع مع القوة الإستعمارية، وفعلا هذا ما سارعت إلى تأصيله القوى الوطنية المغربية بمختلف تياراتها، خلال فترة ما بين الحربين "1919-1939م".

#### 4-3- تصريح الرئيس الأمريكي ويلسون 1918م :

قدّم الرئيس الأمريكي ولسن<sup>(1)</sup> للكونغرس الأمريكي عشية نهاية الحرب العالمية الأولى، أربعة عشر "14" مبدأ يخص أوروبا والسلام العالمي وإعادة بناء أوروبا وتحريها، مع تسوية بعض المشاكل العالقة "الألزاس واللورين الفرنسية، والحدود الإيطالية"، كما أعلن صراحة في المبدأ العاشر "10" منح القوميات و جميع الشعوب حق تقرير مصيرها دون تمييز عرقي أو ديني، فانتشرت هذه التصريحات في فرنسا والمغرب العربي وغيرها، و نالت إعجاب الشعوب المضطهدة، و لم تكد الحرب الأولى تضع أوزارها حتى قامت هذه الشعوب خاصّة منها العربية في المشرق والمغرب بطلب استقلالها، وهو المفهوم الحقيقي لمبدأ حق تقرير المصير<sup>(2)</sup>.

#### 4-5- الثورة البلشفية 1917م :

قام الشعب الروسي بمجموعة من الاضطرابات سنة 1917م، و كانت بداية تغيير جذري في المنظومة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأنهى بذلك الحكم القيصري، وأقيمت مكانه حكومة مؤقتة، سرعان ما أزالتها البلاشفة وأقاموا مكانها حكومة اشتراكية أفضت إلى إنشاء الإتحاد السوفياتي، بذلك استطاع لينين<sup>(3)</sup> إقامة ديكتاتورية بروتيتارية مرادفة لدولة العمال<sup>(4)</sup>.

إلا أن صدى هذه الثورة على البلدان العربية كان لها وقع خاص، و ذلك مما كشفته عن حيثيات الصفة التي قامت بها الدول الإستعمارية بدافع المصلحة، و تقاسم ما تبقى من تركة الدولة العثمانية؛ من خلال ما تمّ الإتفاق عليه في إتفاقية "سايكس- بيكو" سنة

1\* - توماس وودرو ويلسون (Thomas Woodrow Wilson) (1856-1924) حكم بين (1913-1921م) سياسي وأكاديمي أمريكي ولد في مدينة شتونتون في فرجينيا، و في 1879م نشر مقال مهم في مجلة دولية و كشف عن اهتمامه المبكر بالحكومة الأمريكية ، درس القانون و مارسه في فترة من الوقت في أطلنطا دون نجاح يذكر، و تابع الدراسات العليا في جامعة جون هيكنز حصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة جونز هوبكنز عام 1886م، و شغل منصب أستاذ و باحث في مختلف المؤسسات قبل اختياره رئيسا للجامعة ، و في عام 1910 رشّحه الحزب الديمقراطي للرئاسة عن ولاية نيوجرزي ، و في سنة 1912/ فاز برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، صاغ ميثاق عصبة الأمم ، و قاتل من أجل السلام في العالم و في أوروبا بالخصوص ، كما وضع تشريعات هامة للولايات،م،أ و توفي سنة 1924م .انظر:

- موقع: قاموسك للسيرة.. <http://biography.yourdictionary.com/thomas-woodrow-wilson> بتاريخ 2018/03/08.

2- يوسف منصري، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين 1919-1934م، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص،ص، 63، 64.

3\* - لينين فلاديمير (1870-1924م): زعيم الثورة الروسية و مؤسس الحزب الشيوعي في روسيا السوفياتية ، أعاد تنظيم الحزب البلشفي بمساعدة رفيقه ستالين 1917م، من كبار منظري الماركسية ، من كتبه: " ما العمل "، " الإستعمار قمة مراحل الرأسمالية "، " الدولة و الثورة"، انظر:

- المنجد في اللغة والأعلام، ط، 36، دار الملايين، بيروت، 1997، ص، 506.

4- ريتشارد أبيجينانزي ، لينين و الثورة الروسية، ترجمة محي الدين مزيد، المجلس الأعلى للثقافة والقاهرة، 2003، ص، 7.

1916م بين فرنسا و بريطانيا؛ بحيث كانت روسيا القيصرية طرفاً، وإنعكاسات آثارها على الوعي السياسي العربي .

#### 4-6- مساعي العلماء وحركتهم :

كان صدى الآراء الإصلاحية للرواد الأوائل الإصلاحيين في العالم الإسلامي دور بارز في تنشيط حركية الوعي الإصلاحي عبر بلدان المغرب العربي، خاصة آراء الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وأصداء مجلتهم "العروة الوثقى" وجريدتهم "المنار" اللتان وجد المغاربة في إنتاجهما المادة التي دفعتهم للإلتحاق بالجو الفكري الإصلاحي الذي غمر العالم العربي، هذا التجاوب بين الأقطار العربية دفعت المقيم الفرنسي في المغرب الجنيرال " ليوتي"<sup>(1)</sup> لأن يصرح قائلاً: (( إن العالم الإسلامي طبل إذا نقر من جهة سمع له طنين في الجهة الأخرى ))<sup>(2)</sup> .

في المغرب الأقصى نجد كوكبة من العلماء الذين تأثروا في هذه المرحلة بالأجواء التي كان يعيش عليها الشرق، من بينهم: محمد مصطفى بن سعد التلمساني التازي، والحاج علي زنبير السلوي، وعبد الله القباج الفاسي، و محمد بن إدريس بوعشرين المكناسي.. ومن الذين درسوا بمصر أيضاً نجد كلا من أحمد أشهبون، و محمد بن كيران الفاسي<sup>(3)</sup>..

ويذكر محمد الحجوي الثعالبي<sup>(4)</sup> أنّ الحاج محمد القباج الفاسي كان من أخلص تلاميذ الشيخ جمال الدين الأفغاني؛ و مرافق الشيخ محمد عبده، و رفيقا للإمام الشيخ محمد المويلحي و سعد زغلول وعبد الله النديم<sup>(1)</sup>، رواد اليقظة في الشرق .

1- لوي هوبير كونزالف ليوتي (Louis Hubert Gonzalve Lyautey) (1854 - 1934م): المقيم العام الفرنسي في المغرب بعد إحتلاله سنة 1912م، جينيرال ثم ماريشال لقمع ثورة المقاومة ، تأثر بداية بهزيمة فرنسا أمام ألمانيا سنة 1870م، انخرط في الجيش وعمل في الهند الصينية ثم في الجزائر لما عين قائدا لمنطقة عين الصفراء سنة 1900م، و في سنة 1903 أصبح جنيرالا يتولى قيادة منطقة وهران بالجزائر، كان يسعى للعمل و المغامرة و ينفر من حياة الدعة والرتابة، و في سنة 1912 بعد احتلال المغرب أرسلت ليوتي كجنيرال مقيم و مفوض عال في المغرب، جمع حوله في المغرب العلماء و العملاء و الجواسيس لمعرفة كل كبيرة وصغيرة في المغرب، أخضع السهول والجبال الأطلسية، كما أخضع قبائل الريف ، و روج لأفكار فرنسا بأن أعمالها العسكرية ليست لأجل الغزو بل تدخل في إطار التهذنة و إخضاع القبائل المتمردة على السلطان، استغل جهود المغاربة و اقتطع نسبة من ميزانية الدولة لفرض وتمكين سلطة فرنسا في المغرب. انظر:

- هوبير ليوتي . موقع قاموسك للسيرة ، <http://biography.yourdictionary.com/louis-hubert-gonzalve-lyautey> بتاريخ 2018/03/08م.

2- أحمد كافي ، مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ط1 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2013. ص، 92، 93 .

3- أحمد كافي، المرجع نفسه ص93

\*4- محمد الحجوي(1874-1956م) : هو محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الفيلاي، من رجال العلم و الحكم ، من المالكية السلفية في المغرب ، سكن مكناسة و وجدة و الرباط ، و درس و درّس في القرويين، و اسندت إليه سفارة المغرب في الجزائر ، و ولى وزارة العدل فوزارة المعارف في عهد الحماية الفرنسية ، و نفر منه كبار مواطنيه و ابتعدوا عنه ، و قال فيه البشير الإبراهيمي أرجوزة : (و هذه صواعق من حجوي- مرسله على الفقيه الحجوي)، و عزل ثم توفي بالرباط، له كتب مطبوعة، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي وأربعة أجزاء، ثلاث



و رغم الإلحاق المبكر للجزائر بفرنسا إداريا وقانونيا منذ 1830م، ثم فصل بقية البلدان المغاربية عن محيطها و واقعها، وربطت قسرا بالمنظومة الإستعمارية الأوربية، فإنّها لم تنقطع عن تراثها المغاربي والمشرقي الموروث، ولا عن حضارتها العربية والإسلامية، فالحج بقي جسرا يربط أطراف البلاد الإسلامية عضويا و روحيا، إضافة إلى تنقل الكتب و الجرائد والمجلات<sup>(2)</sup>.

كما كان لموجات الهجرات النهائية والمؤقتة دور في تفعيل الحركة التواصلية بين المغرب والمشرق العربيين، فكان عدد من المهاجرين قد استقروا وأنجبوا جيلا من العلماء والسياسيين والقادة في المشرق، منهم الشيخ طاهر الجزائري، و هو ابن صالح السمعوني الذي هاجر إلى الشام منتصف القرن التاسع عشر، و حمدان خوجة الذي فضل الإقامة في اسطانبول بينما تولى ابنه علي رضا ولاية طرابلس للدولة العثمانية عدة مرات<sup>(3)</sup>، والأمير عبد القادر الذي تولى أبنائه وأحفاده مراكز قيادية و فكرية و روحية معروفة، إضافة إلى عبد العزيز الثعالبي و صالح الشريف و مكي بن عزوز و محمد الخضر حسين<sup>(4\*)</sup>، والمفتين محمد بن العنابي ومصطفى الكبابي إضافة إلى محمد البشير الإبراهيمي والطيب العقبي .

وكان الزعيم الروحي للجزائر عبد الحميد بن باديس الذي حج و زار بعض بلدان المشرق وأقام لفترة في المدينة المنورة، رجع إلى بلاده وانطلق في مشروعه الإصلاحية النهضوي، إلى جانب الجيل الذي ذهب إلى الأزهر والزيتونة والقرويين، ثم رجع وانخرط في بناء المشروع النهضوي المغاربي مثل العربي التبسي والمولود الحافظي والبشير الزريبي و مبارك الملي و عبد الحي الكتاني<sup>(5\*)</sup> و الفاضل بن عاشور<sup>(1)</sup> .

رسائل في الدين، المحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية، كتاب أحدث ضجة و أتى بفائدة، التعاضد المتين بين العقل والعلم و الدين، مستقبل تجارة المغرب.. انظر:

- خير الدين الزركلي، الأعلام .. مرجع سابق، ص، 96.  
1- أحمد كافي ، مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ط 1 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2013 . ص93

2- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي المعاصر، طبعة خاصة ، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م ، ص524 .

3- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. المرجع نفسه ، ص، 225 .

\*4- محمد الخضر حسين(1876-1858م): هو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق و القاهرة، و ممن تولوا مشيخة الأزهر، درس و درّس في الزيتونة ، و أنشأ مجلة السعادة العظمى سنة 1921م، زار الجزائر ثلاث مرات ، و دمشق و الأستانة و دمشق و نشر سلسلة من أخباره، ثم عمل مصححا في دار الكتب بالقاهرة ، و درّس في الأزهر، و أنشأ جمعية الهداية الإسلامية ، و ترأس مجلة " نور الإسلام" و مجلة"لواء الإسلام"، و عين شيخ الأزهر ، و كان هاديا الطبع وقورا، خص كثيرا من وقته لمقاومة الإستعمار، و انتخب رئيسا لجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا، و له عدة تآليف.. انظر:

- خير الدين الزركلي، ج6، .. مرجع سابق، ص، 114.

- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 51 .

\*5- محمد عبد الحي الكتاني(1888-1962م): هو محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، ولد وتعلم بفاس، و كان عند ولادته على غير ولاء للأسرة العلوية المالكة في المغرب، اعتقل سنة 1909م في دار المخزن ببلده، و لما فرضت الحماية

كما كان للمراسلات وللإجازات والزيارات التي تتم بين العلماء دور في تنشيط العمل الإصلاحي والتوعوي، فزار الجزائر محمد الصالح الرضوي البخاري سنة 1840م، وزيارة أحمد فارس الشدياق وإبراهيم سراج المدني، وزيارة الشيخ محمد عبده سنة 1903م، إلا جانب زيارة الفرق الفنية والمسرحية المصرية مثل فرقة جورج أبيض، وفرقة فاطمة رشدي و فرقة يوسف وهبي (2) .

### 6-1- صدى كتاب خير الدين التونسي :

كان لكتاب خير الدين التونسي "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" في الجزائر والمغرب الأقصى بالخصوص دور في تعميق النظرية السياسية الإصلاحية، و يقول الأستاذ أحمد كافي أن خير الدين أقام بمدينة مراكش و كان على اتصال بالشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني رائد النهضة العلمية والدينية في المغرب، الذي استشهد عام 1909م بسبب مواقفه السياسية(3) .

كما أعجب الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر التادلي الرباطي "ت1311-1894م" بخير الدين التونسي وهو من كبار علماء المغرب، من خلال كتابه "اختصار أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لخير الدين التونسي"(4) .

### 6-2- صدى دعوة جمال الدين الأفغاني :

اعتبر جمال الدين الأفغاني واحد من المفكرين الأوائل الذين وضعوا اللبنات الأولى للعمل الإصلاحي في العالم الإسلامي، فروحه المتوثبة للإصلاح فاقت كل وصف، و كان رجل فكر لا رجل كتابة، و ظل منتقلا بين عواصم الدول العربية والإسلامية والدول الأوربية ناصحا وداعيا المسلمين، ولجئا سياسيا، للأخذ بأسباب النهوض والقوة قبل مباغثة الأعداء لديار الإسلام والمسلمين، والإستعداد لبناء مدينة حديثة في ظل الجامعة الإسلامية(5) .

على المغرب سنة 1912م انغمس في مولاتها ، فحج فتعرف إلى رجال الفقه و الحديث في مصر و الحجاز و الشام و الجزائر و تونس ، و عاد بأعمال من المخطوطات و كان جماعة للكتب، و جاهر بالبيعة لابن عرفة (صنعة الفرنسيين) بعد ابعاد محمد الخامس ، و لما استقل المغرب كان الكتاني في باريس، فاستمر على أن مات بها ، له تأليف منها و فهرس الفهارس، الترتيب الإدارية، تخريج الدلالات السعوية..انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ،.. مرجع سابق ،ص،188.

1- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق ،ص،525 .

2- أبو القاسم سعد الله ،المرجع نفسه ،ص، 526 .

3- أحمد كافي، مرجع سابق،ص،ص، 64 ،97..

4- أحمد كافي، نفسه ،ص،97

5- لطيفة عميرة ، مرجع سابق،ص،16،15.

### 6-3- مساعي محمد عبده :

زار الشيخ محمد عبده تونس أواخر سنة 1884م، أي بعد ثلاث سنوات من إحتلالها من قبل فرنسا، و كان لزيارته أثر بارز في إنتشار مجلة المنار وأفكار الشيخ محمد عبده فيما بعد، و يقول سعد الله أن زيارة الشيخ لتونس كانت برضى من فرنسا، و كان مقيما بفرنسا نفسها، محررا لجريدة العروة الوثقى، و رفيقا لجمال الدين الافغاني، ثم عاد إلى فرنسا بعد زيارته لتونس .

ويقول سعد الله أنّ الشيخ عبده نزل ضيفا على الأميرة نازلي إحدى حفيدات محمد علي باشا وزوجة خليل بوحاجب أخي سالم بوحاجب أحد المعجبين بخيرالدين ومحمد عبده معا، كما استقبله باي تونس وأعيانها وعلمائها، وقد حضر محمد عبده احتفال التونسيين بالمولد النبوي الشريف<sup>(1)</sup>، و يعقّب سعد الله أنه لا يدري إن كان هناك أي تأثير لهذه الزيارة على النخبة التونسية أو على الجزائر، لأن مصادر الزيارة قليلة، إذ لم تغطيها الجريدة الرسمية "الرائد التونسي" ولا جريدة "المبشر" التي كانت تصدر في الجزائر، وكلاهما جريدتين رسميتين، و إن كان هناك أي تأثير فسيكون ربما من خلال تردد الطلبة الجزائريين على جامع الزيتونة أو من بعض المراسلات بين علماء القطرين<sup>(2)</sup> .

الزيارة الثانية التي قام بها الشيخ عبده إلى تونس كانت في سبتمبر 1903م و دامت حوالي أسبوعين، واهتمت بها الصحف وتناولت تفاصيلها كجريدة "الحاضرة" التي اهتمت بها بشكل خاص، وأقيمت للشيخ مادب و مجالس علمية، وألقى محاضرة عامة بعنوان "العلم وطرق التعليم"، كما وجد أيضا معارضة من بعض المحافظين، و كان على رأسهم الشيخ صالح الشريف الذي كان ضد بعض أفكار ابن تيمية<sup>(3)</sup> وابن عبد الوهاب، كما انتقد المحافظون فتوى الشيخ في جواز أكل ذبائح أهل الكتاب ولبس القبعة الأوروبية<sup>(4)</sup>،

1- أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق. ص 108 .

2- أبو القاسم سعد الله ، نفسه. ص 108 .

3- أحمد بن تيمية (1263-1328م) : هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله أبو العباس تقي الدين بن تيمية، وُلد في حرّان، وتحوّل إلى دمشق، فنبغ واشتهر، طلب إلى مصر أين سجن مدة بسبب فتوى أفتى بها، فرجع إلى دمشق ، واعتقل بها كذلك أطلق سراحه ثم أعيد و مات معتقلا بقلعة دمشق، أهم آثاره: درء تعارض العقل والنقل، منهاج السنّة ، الصارم المسلول على شتائم الرسول، الرد على المنطقيين، انظر: - لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 22.

4- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 110 .

ولكن أنصاره كانوا لهم بالمرصاد، منهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور<sup>(1\*)</sup>، ومحمد النخلي .

وقد نتساءل لماذا لم يزر الشيخ عبده الجزائر سنة 1884م كما فعل مع تونس؟ يسوق سعد الله سبب ذلك، و يقول أن من موانع ذلك وجود "لويس تيرمان TIRMAN" على رأس حكومة الجزائر عندئذ، و هو حاكم عرف باتباع سياسة التجهيل الرسمية مع الجزائريين، فمثل هذا الحاكم المتشدد المحاط بغلاة المستوطنين لا يمكن أن نتوقع من السماح لمحمد عبده بزيارة " إقطاعيته " الجزائر، ثم أنه لم يكن حينها في الجزائر مؤسسة دينية - ثقافية كالزيتونة تضم شيوخ العلم و حماة اللغة العربية، فقد قضى الفرنسيون على كل أثر من هذا القبيل، ولم يبقوا إلا على ثلاث مدارس حكومية يديرها مستشرقون فرنسيون و تخرج أنصاف متقفين في العربية والدين ليتولوا القضاء والإمامة في المساجد الرسمية<sup>(2)</sup> .

ولكن لما ترأس " شارل جونا JONNART " حكومة الجزائر، و منح المسلمين فيها بعض فرص التعلم وإنشاء الصحف، عزم الشيخ عبده على زيارة الجزائر و كان مرافقه هو الشيخ أبو القاسم الحفناوي مؤلف كتاب " تعريف الخلف برجال السلف " والموظف الرسمي عند الفرنسيين، و عندما نزل الشيخ عبده مدينة الجزائر اختفى الشيخ الحفناوي وأُحيط الشيخ عبده بالجواسيس، و بقي عبده في الجزائر حوالي عشرة أيام، زار أثناءها مدينة قسنطينة زيارة خاطفة، وأقام الشيخ عبده في منزل عبد الحليم بن سماية<sup>(3)</sup> أحد أساتذة التعليم العربي و أحد المعجبين بأفكار الشيخ عبده، و كان الشيخ عبده يلتقي يوميًا بالزائرين في الجامع القريب من إقامته تتلوه مسامرات في قضايا الشأن العربي والإسلامي .

ولما توفي الشيخ عبده سنة 1905م، تفاجأ أنصاره المغاربة، لأنهم رأوا في ذهابه خسارة لدعوتهم إلى الإصلاح، لكن المنار وصاحبها قد عوضا هذا الفراغ بنشر أفكار

\*1- محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973م): عائلته من أصول أندلسية، نزحت إلى تونس، دخل الكتاب و حفظ القرآن الكريم و بعض المتون العلمية ، تتلمذ على الشيخ محمد النخلي، و الشيخ سالم بوحاجب، افتتح ابن عاشور ميدان التدريس في جامع الزيتونة ، و عين سنة 1907م عضوا ضمن هيئة النظارة العلمية، و هو أول من حاضر بالعربية بتونس، كما كان قاضيا سنة 1911م ، ثم مفتيا سنة 1924م، ثم أصبح عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1950م ، و المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1955م ، و من آثاره العلمية : كتابه في تفسير القرآن الكريم " التحرير والتنوير " في 30 جزء، " مقاصد الشريعة "، " أليس الصبح بقريب "، أصول النظام الاجتماعي في القرآن "، نقد كتاب " الإسلام و أصول الحكم "، " أصول التقدم في الإسلام " .. و غيرها من المنتقيات التي أسهمت في إثراء عصر النهضة في تونس و المغرب العربي عموما . للمزيد انظر:

- محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب، في التعليم العربي الإسلامي، ط3، دار سحنون للطبع والتوزيع، تونس، 2010، ص.ص. 09..12.

-2 أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. صص 113.114

-3 القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص116 .

الشيخ عبده من جهة وتغطية قضايا تونس من جهة أخرى، و نشرت المنار مرثي التونسيين للشيخ عبده من جهة و تغطية قضايا تونس من جهة أخرى و شارك فيها :الشيخ محمد بن مصطفى الخوجة<sup>(1\*)</sup>، و محمد شاكر والطاهر بن عاشور، و غيرهم<sup>(2)</sup> . وكانت الجريدة الفرنسية الواسعة الإنتشار في وقتها وهي " LE TEMPS"، ذكرت أن الشيخ عبده قد "اكتشف" أن له حزبا من الأنصار والمؤيدين ومن تلاميذه الذين "اكتشفهم": محمد بن مصطفى المعروف بابن الخوجة الذي كان يطالع المنار منذ إنشائها لأنه كان محررا في جريدة "المبشر"<sup>(3\*)</sup> الرسمية، وله مؤلفات حول التسامح الديني والمرأة والإسلام تصب كلها في تيار مدرسة المنار، بالإضافة إلى بن سماية، وكذلك عمر بن قدور<sup>(4)</sup> الذي كان يرسل جريدة الحاضرة بتونس والحضارة باستنبول وبعض الجرائد المصرية، و كذلك عمر راسم<sup>(5\*)</sup>، و شيوخ آخرين متصلين بالإدارة الفرنسية منهم محمد بن شنب<sup>(6\*)</sup> الذي كان عضوا في الأكاديمية الإستعمارية بباريس (A.S.C) والمولود بن الموهوب<sup>(1\*)</sup> و عبد القادر المجاوي، والسعيد بن زكري<sup>(2)</sup> .

- \*1- الشيخ مصطفى بن الخوجة ( 1865- 1915م): هو محمد بن مصطفى بن الخوجة ، لقيه عمر راسم بأبي النهضة الجزائرية لأفكاره الواعية و المتسامحة حول الإسلام و العربية ، حقق و نشر مجموعة من كتب التراث العربي مثل تحقيقه لكتاب " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " للشيخ الثعالبي ، اشتغل محررا في الجريدة الرسمية " المبشر " ، ثم عين مدرسا للتفسير و التوحيد و الفقه و الأدب العربي في مسجد فير بالجزائر ، من أهم آثاره : - الإكتراث في حقوق الإناث - اللباب في أحكام الزينة و اللباس و الحجاب .انظر: - لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص، 86 .
- 2- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق. ص110 .
- \*3- المبشر: تعد أول جريدة عربية في المغرب العربي ، و ثالث جريدة في العالم العربي كله صدر بالجزائر العاصمة في 15 سبتمبر سنة 1947م ، أمر الملك فيليب الفرنسي، حتى تكون وسيلة دعائية مضادة للقوى الوطنية المناوئة للسياسة الفرنسية في الجزائر، و كان يقوم عليها موظفون فرنسيون من الولاية العامة ، يساعدهم بعض الجزائريين بتعريب جل موادها المكتوبة أصلا باللغة الفرنسية ، كان أسلوبها ريكا و يغلب عليها الألفاظ العامية ، و تشمل في موادها على أوامر رسمية و أخبار عن فرنسا ، و مواد أخرى في التاريخ و الزراعة و الصناعة ، و قصصا و خرافات مقتبسة عن كتاب ألف ليلة و ليلة ، أو عن بعض كتب الحكايات الرخيصة الأخرى، هذه الجريدة جاءت لغزو نفوس الجزائريين المتأبية بعد غزو بلادهم ، فقد تناولت مثلا في افتتاحية عددها الثاني بأنها ستحارب أهل " الشيطنة " و أن فرنسا لا تخرج من هذا البلد الذي رزقها الله به بفضل جيوشها ، و توقفت عن الصدور سنة 1926م، انظر:
- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م، ص، ص، 49، 51.
- \*4- عمر بن قدور (1886-1932): مفكر وصحفي و شاعر، أسس مجلة الفاروق، و كان كاتباً بليغاً. انظر:
- حياة عمارة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، تحت إشراف، محمد عباس، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2013، ص، 36.
- \*5- عمر راسم (ولد في 1883م) : ولد بالجزائر العاصمة ، التحق بالكتاب في سن مبكرة لحفظ القرآن، فخرمه و هو ابن السبع سنوات ، اشتغل في مسجد "سفير" و عمره لم يتجاوز 12 سنة ، و تلقى في المسجد دروسا في النحو على يد الشيخ محمد بن المصطفى الخوجة ، دخل بعدها مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية " الثعالبية " إلا أنه لم يكمل تعليمه لظروف غامضة، اهتم بالحياة السياسية و الثقافية ، فعمل في مجال الصحافة ، فكتب في الصحف التونسية : التقدّم ، مرشد الأمة ، المرشد، و في سنة 1908م أنشأ صحيفته الخاصة " الجزائر " التي لم تدم طويلا ، ثم أصدر جريدة " ذو الفقار " سنة 1914م ، زج به في السجن لعدة سنوات بسبب رفضه التعامل مع فرنسا. انظر:
- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص، 88 .
- \*6- محمد بن شنب (1869-1929م): هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنب، عالم بالأدب ، كان أستاذ العربية بكلية الجزائر ، تركي الأصل، عربي المنبت و اللسان، ولد بالمدينة ، و اتقن الفرنسية و ألم بالإيطالية و الألمانية و الإسبانية و التركية ، و هو من تلاميذ المستشرق و المستمترغ الفرنسي روني باصيه، و منحتة الجامعة الجزائرية لقب دكتور في الأدب ، كان من أعضاء المجمع العربي بدمشق ، و أكاديمية العلوم الإستعمارية بباريس Académie des Sciences Coloniales, Paris، و صنّف كتابا منها " تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب"، "أبو دلامة و شعره" بالعربية و الفرنسية، "فهرست" لما اشتملت عليه خزانة الكتب المخطوطة في الجامع الكبير و الجامع الصغير بالجزائر، و له بالفرنسية كتاب ما أخذه دانتي "Dante" الشاعر الإيطالي، من الأصول الإسلامية في كتابه" ديفينا كوميديا" طبع سنة 1919، و كتاب في "الأمثال العامية بالدرجة في الجزائر و تونس و المغرب" في ثلاثة أجزاء، و"الألفاظ التركية و الفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية"، و كتب أخرى في نفائس التراث العربي.. انظر:
- خير الدين الزركلي، الأعلام ،.. مرجع سابق، ص، ص، 266، 267 .

6-7- رشيد رضا :

يمكننا أن نعتبر الشيخ رشيد رضا إمتدادا للشيخ محمد عبده، لأنه حمل فكرته وواصل نهجه الإصلاحية والنهضوية، إلا أنه لم يكن يتحرك كشيخه إلى البلدان المغاربية، لكن كانت له علاقات ببعض علمائها وجرائدها، خاصة ما كان يحدث في تونس، و كان يتابع ما تنشره صحف تونس العربية و يقرؤها، كما نوّه الشيخ رضا بنشاط هذه الصحف العربية، كما تناول في جريدة المنار ما يتعلق بنشاط المصلحين و مساعي العلماء الإصلاحية، كما كتب بحرارة ضد الظهير البربري- في جريدة المنار- و كتب عن المؤتمر العالمي الأفخارستي للمنصرين الذي انعقد في تونس سنة 1930م، العاصمة الإسلامية، الأمر الذي اعتبره تعديا و مساسا بمشاعر المسلمين، كما كتب الشيخ رضا ضد مشروع تجنيس التونسيين الذي طرحه الفرنسيون في الثلاثينات، و هاجم الطريقة التجانية متهما شيخها بالدجل و طلب الجاه و المال متوسلا إليهما بالخرافة و إدعاء الكرامات<sup>(3)</sup> .

و عند وفاة الشيخ رضا، أقامت "جمعية الشبان التونسيين" حفل تابين في يناير 1937م، بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته في إحدى القاعات الكبرى بتونس، و كان الحفل برئاسة شيخ جامع الزيتونة، وشارك فيه عبد الرحمان الكعّاك رئيس الجمعية الخلدونية، و علي البهلوان من المدرسة الصادقية، ورئيس تحرير "المجلة الزيتونية" محمد المختار بن محمود و عدد من شيوخ الزيتونة، كما ألقى كلمتا شكيب أرسلان و محبّ الدين الخطيب<sup>(4)</sup> بالنيابة عنهما<sup>(1)</sup> .

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص، 45 و ص 156 و ما بعدها.  
\*1- المولود بن الموهوب (ولد 1866): كان مفتيا بمدينة قسنطينة لمدة طويلة ، و كان في الوقت نفسه أستاذا للفلسفة و العلوم الدينية و الأدب العربي في المدرسة الجزائرية- الفرنسية لقسنطينة ، دعا ابن الموهوب إلى الإصلاح و التقدّم عن طريق التعليم و التسامح و العودة إلى الأصول ونبذ التعصّب ، و هذا ما جعله موضوعا أو مقدمة لحركة ابن باديس الإصلاحية ، أي في الوقت الذي كان فيه ابن باديس لا يزال طالبا .. انظر:  
- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص، 86 .

2- القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 116 .  
3- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق. ص 111 .

\*4- محب الدين الخطيب (1886-1969م) :ولد لأسرة دمشقية يتصل نسبها بالسيد عبد القادر الجبلاني ، اشتهر أفرادها بالعلم و التجارة و كانت فيهم خطابة جامع بني امية الكبير ، تلقى علومه الأولية بدمشق ، و في 1905م قصد الأستانة ملتحقا بكلية الحقوق و الآداب و عمل هناك مع طلائع الشباب العربي فلاحقته السلطات ففر قاصدا اليمن حيث عمل مترجما عند يحيى حميد الدين ، و لما أعلن الدستور العثماني عام 1908م عاد إلى سوريا ، ثم قصد الأستانة ، لكنه غادرها بسبب اضطهاد الحركة العربية و تعسف النزعة الطورانية ، و قصد القاهرة عام 1909م حيث عمل في الصحافة و النشر ، و لما أعلن شريف مكة الثورة العربية سنة 1916 التحق بها ، و في مكة أصدر جريدة " القبلة " و حكم عليه الأتراك بالإعدام ، و لما دخل الجيش العربي دمشق عام 1918م و قيام الدولة العربية فيها عاد إليها و تولى إدارة " العاصمة " أول جريدة عربية حكومية بدمشق، و لما احتل الفرنسيون دمشق عام 1920م ، فر الخطيب إلى مصر ليحضر في " المؤيد " و " الأهرام " و ليؤسس عام 1926 " دار الفتح " و يصدر مجلتي " الزهراء و الفتح " ، و قام كذلك بتأسيس " جمعية الشبان المسلمين " ، كما تولى تحرير مجلة الأزهر لعدة سنوات ، و استمر على التأليف و النشر و الدعوة إلى الإسلام حتى عام 1969 حيث توفي بالقاهرة . انظر:  
- فهمي جدعان ، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص ، ص . 588,587 .  
- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص، 79 .

كما كان للبشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين "1931-1940" ورئيسها "1940-1965" صلته بالشيخ رشيد رضا أوائل هذا القرن، و إتقيا مع بعض في القاهرة و سوريا، و مما قال الإبراهيمي في الشيخ رضا أنه (( أحدث إنقلابا فكريا في فهم الدين وصلته بالدنيا، و قد عاش رشيد رضا مرهوب القلم و اللسان لدفاعه عن الإسلام ضد دعاة التدجيل من المسلمين و دعاة النصرانية من المسيحيين))<sup>(2)</sup>. ولذلك اعتبر الإبراهيمي أن العالم الإسلامي قد فقد في شخص رشيد رضا عالما لا يعوّض .

ولمّا انعقد المؤتمر الخامس لطلبة شمال إفريقيا الذي انعقد في تلمسان سبتمبر 1935م، وقف الحضور لقراءة الفاتحة على روح الفقيد، و كان هذا الموقف أكثر تعبيراً على تقدير النخبة المغاربية لرسالة محمد رشيد رضا و دور في تكريس المساعي النهضوي في الوطن العربي؛ و كان المؤتمر كان يضمّ شخصيات مغاربية، كمحمد إبراهيم الكتاني<sup>(3)</sup> هو الذي طلب قراءة الفاتحة، و كان الإبراهيمي من أبرز الحاضرين في المؤتمر<sup>(4)</sup> .

1- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 113 .

2- أبو القاسم سعد الله ، نفسه. ص 119 .

3- محمد بن ابراهيم الكتاني(1907-1990م): هو محمد ابراهيم بن أحمد بن جعفر الكتاني، من الرواد الذين مهّدوا للحركة الوطنية و النهضة الثقافية و الإصلاح الديني بالمغرب، ولد بفاس و تعلّم بالقرويين، و بعد نجاحه هو و علال الفاسي و عبد العزيز بن ادريس ، رفض الإستعمار تسليمهم شهادتهم العالمية إلا إذا وقّعوا وثيقة تمنعهم النضال لتحرير بلادهم فأبوا ، و لم يحصلوا عليها إلا بعد الإستقلال سنة 1955م ، و تعاطى التدريس بكلّيتي الآداب و الحقوق بفاس و الرباط، من تأليفه: من ذكريات سجين مكافح في عهد الحماية الفرنسية البغيض بالمغرب أو أيام كوليمة ، النظرية العامة للشريعة الإسلامية، طبقات المجتهدين و أعداء التقليد في الإسلام، الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، فضل جامعة القرويين في الدفاع عن السيادة الوطنية خلال العصور، طلائع اليقظة المغربية أو أبو شعيب الدكالي و السلفية، من ذكرياتي عن نشأة الحركة الوطنية بالمغرب.. انظر:

- أحمد العلّونة، ذيل الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط1، دار المنارة للنشر و التوزيع ، جدة ، 1998، ص، ص، 163، 164.

4- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي .. مرجع سابق. ص، ص 119، 120.

### 6-8- شكيب أرسلان :

من بين الشخصيات المحورية المشرقية الداعمة للنهضة الإصلاحية بالمغرب العربي، الأمير شكيب أرسلان<sup>(1)</sup> و تدعيمه المباشر للإصلاح بالمغرب، فقد رحل إليه وأقام به لهذه المهمة حيث (( عقد إتصالا وثيقا مع رجال الحركة الوطنية المغربية، وأصبح منذ ذلك الوقت المناضل عن الحركة الوطنية و مستشارها الأول ))<sup>(2)</sup> .

ومما يؤكد تلك العلاقة النوعية التي خصّها أرسلان للحركة الوطنية المغاربية عموما والمغربية على وجه الخصوص، هو ما نشره الأستاذ الطيب بنونة نشر كتاب (( نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة ))، وكتاب الأستاذ محمد بن عزوز بعنوان: (( وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان إلى المغرب ))، بما يكشف عن عمق التأثير المشرقي في الإصلاح المغربي و مشاركته فيه<sup>(3)</sup> .

### 3- أصول النهضة في المغرب العربي وإرهاصاتهما :

لقد اعتبر القرن التاسع عشر فترة هامة في البلاد العربية عموما والمغرب العربي على وجه الخصوص، فالتحولات الهامة التي شهدتها المشرق العربي، من حملة فرنسية، إلى الحركة الوهابية وحروب محمد علي باشا .. كان المغرب العربي هو الآخر يشهد الحملة الفرنسية على الجزائر، و إرهابات يقظة في مجالات شتى، في تونس و ليبيا والمغرب، أصبح لحركة اليقظة عمل جديد مضافا إلى عملها الأساسي وهو تحرير الفكر إلى مقاومة النفوذ الأجنبي .

1- شكيب أرسلان (1869-1946م) ولد في الشويفات بلبنان ، و فيها نشأ ، دخل المدرسة الحكومية ببيروت ، و انتقل إلى المدرسة السلطانية ، حضر دروس مجلة الأحكام العدلية على الشيخ محمد عبده في مجالسه الخاصة ، و تولى اعمال حكومية في مديرية الشويفات و قائم مقام الشوف ، انتخب مبعوثا من "حوران " في " مجلس المبعوثان" العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، انتخب في المجلس العلمي العربي بدمشق ، و كانت له رحلات كثيرة و أسفار، و تعرف شخصيا إلى جمال الدين الافغاني، و قصد طرابلس للجهاد لما احتلتها إيطاليا، و زار اليمن و المغرب الأقصى، و كانت له صلة بالحركة الوطنية الجزائرية منذ الحرب الأولى، كما زار بلدانا أوربية كثيرة و أقام مدة طويلة في سويسرا مدافعا عن القضايا العربية و الإسلامية ، أبرز أعماله الأدبية : " الحلل السنديسية في الرحلة الأندلسية " ضمن 8 أجزاء ، " لماذا تاخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ؟ " ، " غزوات العرب في فرنسا و شمال إيطاليا و سويسرا، " ابن خلدون ،" ديوان شعر .. انظر :

- فهمي جدعان ، أسس التقدم عند مفكري .. مرجع سابق، ص ، ص . 579,578 .

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص115 وبعدها.

2- أحمد كافي، مرجع سابق، ص96

3- أحمد كافي، نفسه، ص96



### 3-1- المساعي الأولى للإصلاح :

وتأخرت اليقظة في المغرب العربي نسبياً عن المشرق، بفعل عوامل داخلية، منها أن الفكر الإسلامي في المغرب العربي أصيب عند القرن التاسع عشر ومنتصفه بحالة ضعف شديدة وإنحراف في التصوف، والبعد عن جوهر الإسلام، وبقوة مفاهيم الجبرية<sup>(1)</sup> ووحدة الوجود<sup>(2)</sup> والحلول والإتحاد<sup>(3)</sup>، وشيوع التوسل والإستغاثة والشفاعة بالأولياء، وغلب الحديث عن الذات والصفات والقدر و تجمّد الفقه والإجتهد، وغلب طابع التقليد، وترويج الخرافات والشركيات، ومن الإعتقادات ما لم يعرفه السلف الصالح من قبل كما أسلفنا<sup>(4)</sup>، وأخرى خارجية، بحيث تزامنت في المغرب مع التغلغل الإستعماري السياسي والإقتصادي، و احتلاله لبعض البلدان بشكل مبكر كما حدث مع الجزائر .

\*1- الجبرية : يقولون بأن العبد مجبر على أفعاله و لا اختيار له و أنّ الفاعل الحقيقي هو الله تعالى ، و أنّ الله أجبر العباد على الإيمان أو الكفر، ويرى الجبرية أنّ الناس لا اختيار لهم في أعمالهم ، و لا قدرة لهم على أن يغيروا ممّا هم فيه شيئاً ..انظر:  
- موقع الألوكة الشرعية ، كلمة"القدرية و الجبرية " ،الرابط: <http://www.alukah.net/sharia/0/115029> / ، تاريخ الفحص 2018/03/09م .

2- وحدة الوجود:تعني أنه ليس هناك موجود إلا الله ،فليس غيره في الكون ، و ما هذه الظواهر التي نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية " تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً" هذه المظاهر في هذا الكون المشاهد ، و ليس هذا الكون إلا الله " في زعمهم تعالى الله عن ذلك "،انظر: - - موقع إسلام واب ،مركز الفتوى، كلمة " وحدة الوجود " .  
<http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=11542> تاريخ الفحص:2018/03/09م.

\*3- الحلول والإتحاد:الحلول معناه أنّ الله يحلّ في بعض مخلوقاته و يتحدّ معها كاعتقاد النصارى حلوله في المسيح عيسى بن مريم ، واعتقاد بعض الناس حلوله في الحلاج ، و في بعض مشايخ الصوفية، قال ابن تيمية« القول بالإتحاد و الحلول هو كقول النصارى و الغالية في الأئمة من الرفضة و في الشايخ من جهال الفقهاء و الصوفية.» و هما عقيدتان كفريتان. انظر:  
- موقع إسلام واب،مركز الفتوى، كلمة " الحلول والإعتقاد .

<http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=11542> تاريخ الفحص:2018/03/09م.

4- يعتقد التجانيون أن (صلاة الفاتح لما أغلق) تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن ، و قول التجاني ( و من أخذ الورد المعلوم الذي هو لازم الطريقة ، أو عمن أتته يدخل الجنة...بلا حساب و لا عقاب ...) و ورد في مؤلف " جواهر المعاني " (180/2) ، أن التجاني قال : "... من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والإثنين، يدخل الجنة بغير حساب و لا عقاب، إن لم يصدر منه سب في جانبنا و لا بغض و لا أذية ..".انظر :  
- محمد بن علي آل دخيل الله، مختصر التجانية، دار العصمة ، ط1.الرياض.2002.ص64 .

## 1- الجزائر:

### 1-1- دور محمد بن العنابي الإصلاحى :

اعتبر سعد الله، الشيخ محمد بن العنابي<sup>(1)</sup> شخصية سابقة لأوانها، واعتبره داعية التجديد الإسلامى والصحوّة منذ 1826م، حيث عاش في لحظات حرجة من تاريخ الجزائر وتاريخ المشرق الإسلامى، وهو من المصلحين الأوائل الذين طرّقوا باب الإجتهد الذى ظل مقفلاً عدّة قرون نتيجة التأخّر العقلى الذى كان عليه العالم الإسلامى، وهو من روّاد الإصلاح السياسى والإجتماعى و سبق علماء كثيرين في باب التجديد<sup>(2)</sup>، وذلك من خلال كتابه "السعى المحمود في نظام الجنود"، الذى تناول فيه جمود عقلية علماء المسلمين أمام تقدّم العقل الأوروبى، وتخلّف الجيش الإسلامى أمام زحف الجيوش الأوربية، وهو الكتاب "الأول" في العصر الذى عالج موضوع تقليد المسلمين للأوربيين في مبتكراتهم الحديثة<sup>(3)</sup>، كما أشار إلى أنّ الإسلام خالٍ من الإستبداد و روح التعصّب<sup>(4)</sup>.

ويرى ابن العنابي أنّ الأوربيين نظّموا جنودهم ليضروا بالإسلام وأهله، وأمام هذا الخطر الداهم أصبح من المحتمّ على المسلمين أن يتعلّموا منهم ما اخترعوه من صنائع ونظم، لأنّ ذلك يُعتبر مصلحة عليا للدين والأمة الإسلامىة، و ممّا نقله عن بعضهم في كتابه أنّ (( المُلْك بناء والجند أساسه، فإذا قوي الأساس دام البناء وإذا ضعف الأساس

\*1- محمد بن محمود بن حسين الجزائري المشهور بابن العنابي (1775-1851م) : ولد في الجزائر ، و كان رجل علم و سياسة و دين و قضاء، كان ينتمي إلى أسرة جزائرية عريقة في العلم و الوظائف الرسمية و الفقه الحنفي ، و كان والده من طبقة العلماء و يتولّى الفتوى ، و تدرّج ابن العنابي في تولي المناصب الرسمية، كالقضاء ، و سفارة بلاده لدى المغرب الأقصى ، و بحكم اقترابه من السلطة كان يكثر من الأسفار و يتابع مجريات الحوادث و يطالع في الكتب الهامة و ينظر في تطورات الأحداث ، فقد عاش أحداث الثورة الفرنسية 1789م و ما نتج عنها من أحداث، و عاصر في بلاده الجزائر حروبا خارجية ضد الإنجليز و الأمريكان و الفرنسيين ،والإسبان و التونسيين وغيرهم ، و حروبا داخلية كثورة الطريقة الدرقاوية و ثورة ابن الأحرش... كما عاصر عهد التنظيمات في الدولة العثمانية ، و عُرف من الذين مدحوه أنّه عالم المنقول و المعقول، لكنه وجد نفسه في تونس قبيل الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1829م و هو عائد من الحج ، و بعد الإحتلال عرف الجنيرال كلوزيل مكانة العنابي فغاف من تأليب الشعب على الفرنسيين ففاته إلى مصر ، فولّاه محمد علي منصب فتوى المذهب الحنفي،و كان يمنح إجازات للطلبة و العلماء في مصر و تونس ، و كانت للعنابي عدّة تآليف منها: " السعى المحمود في نظام الجنود "و" صيانة الرياسة ببيان القضاء و السياسة "و" شرح كتاب الدر المختار " و " التحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المجازية " ، " العقد الفريد في التجويد " و رسالة له خاصة بالمرأة .. انظر:

- أبو القاسم سعد الله، راند التجديد الإسلامى، محمد بن العنابي المتوفى 1850م، ط2، دار الغرب الإسلامى بيروت، 1990، ص،ص، 12..5.  
 2- عمير اوي أمحدة، أبحاث في الفكر و التاريخ (الجزائر و فلسطين)، د.ط، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2003، ص،ص، 58.  
 3- أبو القاسم سعد الله، راند التجديد الإسلامى، .. مرجع سابق ،ص،ص، 15، 16.  
 4- أبو القاسم سعد الله، مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830-1954"دراسة مركّزة على الجزائر" مجلة الثقافة ،العدد، 79، يناير، فبراير، 1984، و وزارة الثقافة، الجزائر، ص،ص، 62.

انهار البناء. فلا سلطان إلا بجند، ولا جند إلا بمال، ولا مال إلا بجباية، ولا جباية إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل، فصار العدل أساسا لسائر الأساسات<sup>(1)</sup>.

و وضع ابن العنابي قياسا يعتبر فيه كل ما يفيد المسلمين في دنياهم ويجعلهم أعزّة اقوياء يجب الأخذ به لأن الشريعة الإسلامية لا تمنعه بل تفرضه، والتهاون فيه يؤدي إلى الإثم والعار، فهو الذي دعا دوما إلى ضرورة تعلّم اللغات والعلوم الآلية والصناعية، وعلوم الطب والحساب، والعلوم العسكرية، ولا يرى في ذلك حرج أو مخالفة للشريعة، فالتجديد يُعدي كما أن التقليد يعدي<sup>(2)</sup>.

### 1-2- مساعي حمدان خوجة الإصلاحية :

إنّ المكانة الهامة التي تبوأها حمدان خوجة<sup>(3)</sup> كواحد من أعيان مدينة الجزائر، بفضل علاقاته الداخلية و الخارجية الواسعة، و مكانته العلمية العميقة، كل ذلك وغيره، فإننا نعتبره واحد من المصلحين الذين ناضلوا بشكل مستميت من أجل القضية الوطنية، وحقوق الأهالي الجزائريين، بعد ما أصاب بلده بفعل الإحتلال الفرنسي، فقال بهذا الشأن: ((إنني مكسور القلب من جرّاء الأخبار التي تصلني يوميا من الجزائر.. إنّ الدماء تُراق وديانا، و أنّ السخط عام، وأنّ بلدي يسير نحو الخراب<sup>(4)</sup>)). و قال في موضوع آخر والأسى يقطع فؤاده: ((لو أنّي لم أكن في مثل ما كنت فيه من الحيرة والعذاب من جرّاء

1- أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي، .. مرجع سابق، ص،ص،70..77.

2- أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي، .. مرجع سابق، ص،82.

3- حمدان بن عثمان خوجة (1773- 1843م) ينتمي إلى أسرة جزائرية عريقة كانت تمتلك الأراضي الواسعة في سهل متيجة ، و البنائيات الضخمة و المحلات التجارية في مختلف أنحاء العاصمة و ضواحيها ، فكان والده فقيها و أمينا عاما للأليّة" مكتابجي" يشرف على الحسابات الإدارية "الميزانية" و سجلات أسماء و رتب و رواتب الإنكشاريين ، أما حمدان خوجة فتفوّق في تعليمه الثانوي و العالي و تبحّر في علم الأصول ثم درس التاريخ والمنطق و ساح في عالم التصوّف و المنطق ، أصبح حمدان عالما له تصانيف عديدة مثل : - (المرأة )، ورسالة أسماها (حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبداع مما كان ) ، و له كتاب أسماه) إتحاف المنصفين و الأدباء في الإحتراس من الوباء و مما يدل على طول باعه في علم الطب ، ، فكان يتقن اللغة العربية ،اللغة التي كتب بها و ألف و كاتب، كما كان يجيد اللغة التركية ، كما كان يجيد التحدث بالفرنسية و الإنجليزية بطلاقة ، و لكن لا يكتب بهما ، بفعل علاقاته التجارية و احتكاكه بقتصليتي فرنسا و بريطانيا ،و عدّ حمدان خوجة من كبار الأغنياء و ذوي الشأن في مدينة الجزائر،و ( كان له أكثر من دور إصلاحي و سياسي و علمي ) كما قال الأستاذ عميرايو احميدة ، و ترك حمدان للمؤرخين عددا كبيرا من الوثائق الهامة حول مأساة الجزائر ، و رسائل كتبها حول وطنه المسلوب..انظر:

- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة ،تقديم و تعريب و تحقيق ،محمد العربي الزبيبي،ط،2،المكتبة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1981،ص،ص،11..21.

- عميرايو احميدة،أبحاث في الفكر و التاريخ (الجزائر و فلسطين)،د.ط، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2003،ص،56.

4- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة ..مصدر سابق،ص،31.

ما آل إليه بلدي المسكين، لكان بإمكانني أن أجمع وثائق غاية في العجب حول هذا الجزء من إفريقيا<sup>(1)</sup>.

و يُعدّ حمدان خوجة واحد من المفكرين الكبار في العالم الإسلامي الذين ظهوروا في القرن التاسع عشر، و تتجلى أفكاره واضحة في دعوته لليقظة الشاملة<sup>(2)</sup>، رأى ((صلاحية الحضارة الإسلامية أمام تطور الحضارة الأوروبية، مع وجوب يقظة وتطور العالم العربي والإسلامي، ومهاجمة المتعصّبين والمترددين في الأخذ بنظم الحضارة الحديثة))<sup>(3)</sup>، و حرّر حمدان خوجة و زملاؤه مطلع ثلاثينات القرن التاسع عشر برنامجا سياسيا يتضمّن مجموعة مطالب قدّمت للسلطات الإستعمارية الفرنسية، كان من بينها ((استقلال الجزائر و جلاء القوات الإستعمارية عنها))<sup>(4)</sup>.

وقد تناول حمدان خوجة قضايا عصرية وأفكارا تجديدية، تتمحور حول القضايا

التالية :

- العمل على تطهير الدين من الشوائب التي جمّدت العقول .
- نبذ التقليد والدعوة إلى الإجتهد، والتجديد والتخلي عن القديم، وعدم الغلو في الدين<sup>(5)</sup>.
- تفتّنه قبل غيره من رجال الفكر الإصلاحي المسلمين إلى ضرورة بناء الحضارة على أسس بداياتها؛ و هو الإقبال على العلوم التجريبية والرياضيات والطب.
- واعتبر حمدان خوجة من روّاد الإصلاح السياسي والإجتماعي الذي سبق علماء كثيرين في طرح قضية التّجديد والإصلاح قبل أن يطرحها الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده و خيرالدين باشا<sup>(6)</sup>، إلاّ أنه كان أقلّ صدق، ولم تبرز بفعل غمرة الفعل الإستعماري الإصلاحي الفرنسي في الجزائر .

1- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 31.

2- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص، 22.

3- أبو القاسم سعد الله، مدارس الثقافة العربية .. مرجع سابق، ص، 61.

4- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة .. مرجع سابق، ص، 115.

5- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، 22، 23.

6- عمير اوي أحميدة، أبحاث في الفكر و التاريخ (الجزائر و فلسطين)، د.ط، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2003، ص، 58.

- دعوته غير المسبوقة التي نادى بها، وهي التفاهم بين الحضارتين الأوربية والإسلامية (( لأنه لم يكن يري أي فارق بين مبادئ الشريعة الإسلامية الحقّة ومبادئ الحرية الأوربية التي كانت آنذاك تشكّل أساس الحكم الشّوري والجمهوري)).
- دعوته للأخذ بالنظم الديمقراطيةية الشّورية إقتداء بالقرآن .
- العمل على بعث القومية الإسلامية، و دعوته خليفة المسلمين "محمود الثاني" في الدفاع عن المسلمين .
- كان حمدان أوّل من استعمل عبارة "الجزائر للجزائريين"، كما نادى بضرورة استقلال الجزائر (1) .

### 1-3- مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري :

إن العالم الإسلامي قد عرف رجلين ظهرا لإيقاظ المسلمين وهما الإمام شامل الداغستاني (2) في المشرق والأمير عبد القادر في المغرب (3)، و كما يقول سعد الله أنّ الوطنية قد ظهرت بسرعة نتيجة تصرفات الأمير، فهو الذي أخرج الوطنية من ميدان النظرية التي نادى بها حمدان خوجة إلى ميدان التطبيق، فبفضله - أي الأمير - تدعّم التفكير الوطني الجزائري كما تدعّم الفكر القومي المغاربي والعربي (4)، فالأمير (( لم يترك يترك أثرا يعبر عن فلسفته في النظام السياسي والإصلاح الإجتماعي ولكنه عبّر عن هذه الأمور في مواقفه وأفعاله)) (5) .

وعُرف الأمير بالمهارة الدبلوماسية و بالذكاء وسعة الإطّلاع على أحوال العصر، ويظهر ذلك جليا من خلال المعاهدتان التي أبرمهما مع فرنسا، سواء معاهدة ديميشال سنة

1- حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص، ص، 22..28.  
 2- الإمام شامل الداغستاني ( 1797- 1871م ): يُعرف بالمجاهد الأكبر، قاد المقاومة ضد الروس خلال حروب القوقاز لقب بأسد القفقاس و صقر الجبال : كان إماما اختير قائدا للجيش الداغستاني سنة 1834م ، وحقّق انتصارات باهرة على الروس.. حجّ سنة 1870 و توفي بمكة انظر:  
 - مجموعة من العلماء و الباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، ط1، المطبعة العصرية، بيروت، 2010، ص، 1996 .  
 - مقال : " الإمام شامل صقر القوقاز "، موقع : <http://islamstory.com> بتاريخ 2017/07/17 .  
 3- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق ، ص 344 .  
 4- أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء .. مرجع سابق، ص، 130.  
 5- أبو القاسم سعد الله، مدارس الثقافة .. مرجع سابق، ص، 61.

1834م، أو معاهدة التافنة سنة 1837م، و الأهمّ من ذلك هو أنّ الأمير كان لا يتوانى عن الحرب إذا ما رآها الحل الوحيد<sup>(1)</sup> .

والذي ميّز الأمير كإنسان وطني؛ هو روحه التقدّمية وحبّه للنظام، فقد آمن إيماناً عميقاً بضرورة تطوير وطنه، كما أخذ بأسباب الحضارة الحديثة، وأقام دعائم دولة عصرية عمادها تدرّج إداري هرمي، تتوفّر على مؤسسات خدمتية مسؤولة، فرغم شدة تديّن الأمير عبد القادر إلاّ أنه كان ينبذ العصبية؛ و يتمسّك بإنسانيته في سلمه أو حربته، في سجنه أو في سياحته، فاعتبر بحق (( رمز القومية العربية والتسامح الإسلامي ))<sup>(2)</sup> .

## 2- تونس :

### 2-1- مساعي المشير أحمد باشا "1838-1854" :

من بين المبادرات الإصلاحية التي ظهرت في تونس بشكل مبكر نسبياً، نجد المشير أحمد باشا<sup>(3)</sup>، المعروف بالمشير الأول، (( "رائد" سياسة الانفصال عن الدولة العثمانية، ورائد الإصلاح في تونس ))<sup>(4)</sup>، الذي دفعته الفئات الوطنية المثقفة التي استشعرت التخلف الذي تعيشه تونس، و رأت تزايد النفوذ الأجنبي في البلاد، و ما وقع للجارة الجزائر بعدما

1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء .. مرجع سابق، ص، 131.

2- أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص، 133.

3- أحمد باي (1806-1855م): كانت أمّه جارية من سبي جزيرة سبيرة جاءت صغيرة مع أمّها و أختها ، و ليس من المستبعد أن يكون لتلك الوالدة تأثير على ابنها في تقريب و تحبيب العادات الغربية إلى قلبه منذ صغره و هذا ما يتأكد من خلال إتقان أحمد باي اللغة الإيطالية منذ صغره ، إضافة إلى التركية و العربية ، ظل أحمد باي مرتبطاً بأوروبا إلى درجة الإنبهار ، حيث كانت زيارته الأولى إليها سنة 1846م حيث استدعاء أبناء الملك لويس فيليب ( 1830-1847م) الملك الذي لا تزال أنهار الدم في الجزائر تجري بسبب ما فعله في الشعب الأعزل البائس هناك ، مكث عنده أكثر من شهرين يسامره و يضحكه ، و يحضر معه عروض الفنون المسرحية المقامة في القاعات الكبرى، بل و يطلب ربط عرى الصداقة مع ملك فرنسا لحمايته من الدولة العثمانية .. و لا يدري المسكين الغافل كيف أن الكافر البغيض سيجعله هو - تونس - و الدولة العثمانية - الضحية التالية بعد الجزائر، ومؤرخ دولته أحمد بن أبي الضياف أن الملك استقبل الباي (( استقبال ملوك الدول الكبرى ..!! )) ، كما كان له ولع خاص نابليون بونابرت و توسعاته العسكرية و إنجازاته ، فكانت تُقرأ عليه سيرته ، و لمّا أنشأ المدرسة الحربية في باردو جعل معظم إدارتها أوروبيين، كما كان يعلّق صوره في قاعة استقبال ضيوفه ، (( اعتبره أحمد باي أحد كبار عظماء الدنيا الذين يجب السير على منوالهم )) ، كما زار قبره عند زيارته لباريس ، و نسي أحمد باي أو تناسى ما فعلته حوافر خيول جنود نابليون داخل الأزهر الشريف عندما احتل مصر ، و كيف كان دأبهم في معاملة الأهالي المصريين العزل، نعم سعى أحمد باي إلى الإصلاح و تحديث بلاده تونس و اتخذ أسباباً لذلك ، و لكن أسباب مستوحاة من روح الآخر و ليس من روح تونس العربية و الإسلامية ، صحيح أن أحمد باي وجد الجيش التونسي لا يتعدى تعداده أربعة آلاف جندي ، زاد عليه و طوّره و بنى التكنات و جلب له مصانع لصناعة المدافع و الاقمشة ، حتى وصل التعداد إلى أكثر من خمسين ألف جنديا . و لكن الإشراف و التدريب كان بيد الضباط الأوروبية الذين بثوا في هذا الجند روح الطاعة و الولاء للأجنبي .. و النتيجة تحوّل تونس إلى محمية و مرتع للأوروبيين قبل موعد الحماية ، و بعد إعلان الحماية كانت بداية نهاية تونس، تماماً كما كان الأمر في مصر محمد علي حيث انقض عليه العدو بعد بث الروح الأوروبية و الإنجليزية فيه ، و أوضحت اصلاحاته الشكلية و السطحية في خبر كان للمزيد انظر :

- رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور "عهد الأمان"، دار سحنون للنشر والتوزيع، ط1، تونس،

2010، ص، 40، 50.

4- رشاد الإمام، المرجع نفسه، ص، 41.

غزاها الفرنسيون، و (( الإقتداء بصفة خاصة بالنهضة المصرية ))<sup>(1)</sup>، فكانت بداية خطواته الإصلاحية :

- 1- تأسيس المدرسة الحربية بباردو في 5 مارس 1840م: أنشأه المشير أحمد باي ليكون رمز بداية النهضة في تونس لتخريج الضباط الفنيين والمهندسين، والموظفين .
- 2- تأسيس مدرسة العلوم الحربية: جلب إليه أساتذة من إيطاليا وفرنسا وإنجلترا، بدأت في تدريس الرياضيات والهندسة، واللغتين الفرنسية والإيطالية، و كانت هذه المدرسة بمثابة مدرسة الألسن التي أسسها محمد علي بمصر<sup>(2)</sup> .

وسار المشير أحمد سيرة محمد علي، فأنشأ كلية عسكرية لتخريج الضباط الفنيين والمهندسين العسكريين والموظفين، و استعان في ذلك بضباط إيطاليين وأساتذة أوروبيين للتدريس، و جعل الإشراف عليها للوزير المصلح خير الدين باشا التونسي<sup>(3)</sup>، كما كان للشاعر التونسي القومي الأستاذ محمود قبادو دور رائد في تعريب الفنون العسكرية، كما خرجت الكلية رجالا أكفاء في الجيش و الإدارة<sup>(4)</sup> .

### 2-3- محمود قبادو وفلسفته الإصلاحية :

كان المصلح محمود قبادو<sup>(5)</sup> أحد أساتذة المدرسة الحربية بباردو، منكبًا على الترجمة إلى اللغة العربية، و كان كثير الإحتكاك بالأساتذة الأوربيين بالمدرسة الحربية التي كانت تشمل أساتذة ضباط من فرنسا وإيطاليا وإنجلترا، يدرسون الرياضيات، والهندسة والفنون الحربية والتحصينات والتاريخ الحربي والجغرافيا إلى جانب اللغتين

1- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956م، منشورات دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، ط1، ص17.

2- الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص، 17.

3- هشام سوادى هاشم ، تاريخ العرب .. مرجع سابق، ص ، 248 .

4- هشام سوادى هاشم ، نفسه ، ص ، 248 .

\*5- محمود قبادو (1812- 1871م) : اعتبر ملهم الإصلاحيين بتونس و نصير خير الدين التونسي في مشروعه النهضوي، ولد بمدينة تونس التحق بجامع الزيتونة ، و تميّز بذكاء قوي و فريجة مفرطة ، و كان له ولوع خاص بعلوم اللغة و البلاغة و الشعر و الإنشاء ، ثم انصرف إلى كتب التصوف ، حتى وصل به الحال إلى التجرد و المشي في أسواق مدينة تونس حافيا مكشوف الرأس رافعا صوته بالتهليل و التكبير، قصد طرابلس ليبيا للإستزادة فأخذ عن السالك محمد ظافر المدني شيخ الطريقة المدنية ، فلزمه كثيرا حتى أخذ عنه الطريقة المدنية ، ثم ساح في البلدان حتى انتهى به الأمر إلى الأستانة و اتصل بعلمائها و شغل في جامع اسطنبول استاذا للفلسفة ، و اتصل به هناك أحمد بن أبي الضياف و أعاده إلى بلده تونس سنة 1841م ، فعينه الباي مدرسا في المدرسة الحربية كما كان أيضا مدرسا في الزيتونة . انظر :

- محمد الهادي بن الطاهر المطوي، الطريق إلى الحداثة والتحديث في إعلام (الجوانب) للشدياق، 1861-1884م دراسة ومختارات، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص، 20 .

- رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي في تونس .. مرجع سابق، ص، 47.

الفرنسية والإيطالية، حيث تمّ لقبادو تلاقح أفكاره الإسلامية الفلسفية بالفكر العلمي الغربي الحديث، و زاد تعمق قبادو في الإطلاع على الفكر الغربي الإشتراك مع مدير المدرسة الحربية الإيطالي كاليغاريس<sup>(1)</sup> و نخبة من طلبة المدرسة ترجمت كتب أوروبية في الفنون الحربية، وغيرها<sup>(2)</sup>.

والقارئ لديوان قبادو و"مقدمته" يكتشف ثروة من الأفكار الإصلاحية الحيّة شملت شتى المشاريع الإصلاحية الكبرى، من دعوة إلى إصلاح الحكم في تونس، إلى تنظيم الإدارة فيها على الطريقة الأوروبية، و كذا إعادة النظر في تنظيم إقتصاد البلاد الذي لا تزدهر الدولة إلاّ بازدهاره، و تعميم التعليم الحربي الحديث،.. وما يتبع ذلك من مصانع ومهندسين وخبراء، مع أهمية التجديد في الدين لمسايرة الشريعة الزمان والمكان بفضل فريضة الإجتهد<sup>(3)</sup>.

ومن الثمار العاجلة التي جناها قبادو بفضل مساعيه الإصلاحية في تونس، هو بروز مجموعة من العلماء المصلحون على طريقة الشيخ قبادو، كانت لهم بصمات واضحة في نهضة تونس بالخصوص، منهم خير الدين التونسي، والجنيرال الوزير حسين<sup>(4)</sup>، الجنيرال رستم<sup>(5)</sup>، والشيخ سالم بوحاجب<sup>(6)</sup>، ومحمد بيرم الخامس<sup>(1)</sup>، ومحمد السنوسي

\*1- ضابط إيطالي جعله عينه أحمد باي مديرا للمدرسة الحربية، ألف كتاب ( تاريخ الإمبراطور نابليون) وترجمه إلى العربية. انظر: رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، 47.

2- رشاد الإمام، نفسه، ص، 109.

3- رشاد الإمام، نفسه، ص، 116.

\*4- الجنيرال الوزير حسين ثاني طلبة الشيخ قبادو بالمدرسة الحربية الذين تأثروا بأرائه، و ساروا على منهج تفكيره في الإصلاح، و أثاروا في الفكر الإصلاحي بتونس، أصله شركسي أيضا، جيء به مملوكا إلى تونس، رُبي في قصر الباي مثل خير الدين، تعلم الكتابة والقراءة، ثم أدخل إلى المدرسة الحربية، فتعلم على يد الشيخ قبادو علوم النحو والأدب والفقه، ثم تفرغ إلى العوم العسكرية والفنون الحديثة، فأجدها جميعا إلى جانب اللغة الفرنسية واللغة الإيطالية، ولما تخرّج عُين ضابطا على الخيالة التونسية تحت إمرة خير الدين، أصبح رئيس المجلس البلدي لمدينة تونس، فأنشأ قانون البلديات، و عمل على تنظيم مدينة تونس على غرار العواصم الأوروبية، ثم عند تولية خير الدين الوزارة الكبرى، أسند إليه وزارة التربية والتعليم، فأدخل إصلاحات واسعة في التعليم، و أنشأ عددا من المدارس الابتدائية والثانوية تدرّس اللغات والعلوم الحديثة، و ساهم بذلك في تلقح الفكر التونسي الأوربي.. انظر:

- رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، 127، 128.

\*5- الجنيرال الوزير رستم هو الآخر مملوك شركسي جُلب إلى تونس و نشأ في القصر، وبعد تعلمه القراءة والكتابة و الصرف و الفقه إلتحق بالمدرسة الحربية، ثم تخصص في العلوم العسكرية، و بعد تخرّجه وُلي قيادة "حرس الباي" و أدخل على هذه الوظيفة إصلاحات جذرية مستوحاة من الانظمة الأوروبية، و في سنة 1868م وُلي وزارة الخارجية، و كلف بمقاومة انتفاضة علي بن غدامه سنة 1864م، ثم عُين وزيرا للداخلية 1865م، فقام بإصلاحات إدارية حتى ظنّ الباي محمد الصادق أن رستم يسعى للحد من سلطته المطلقة في البلاد، فأبعد الباي الوزير رستم خارج البلاد بين عامي 1867 و 1870م، و لما تولى الوزير خير الدين الوزارة الكبرى عُين رستم وزيرا للحرب إلى غاية سنة 1878م. انظر:

- رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، 128، 129.

\*6- الشيخ سالم بن عمر بوحاجب (1828-1919م) ولد بقريّة البنبل قرب مدينة المنستير، تعلم القراءة والكتابة بقرية ثم انتقل إلى بجامع الزيتونة، فتعلم أصول العلوم الشرعية و آداب اللغة العربية على عدد من العلماء منهم الشيخ قبادو الذي أعجب به سالم بوحاجب، و كذلك الشيخ محمد بيرم الرابع، ولما أتمّ تعليمه انتصب للتدريس في الزيتونة فتخرّج على يديه عدد كبير من أشهر العلماء، وانضمّ إلى جماعة المدرسة الحربية الإصلاحيين، و كان يسافر مع حسين و رستم إلى الدول الأوروبية، و شاركهم في تشييد العديد من المشاريع الإصلاحية في تونس، كما اشترك مع صديقه خير الدين التونسي في تحرير كتاب (( أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ))، كما اهتم سالم بوحاجب بإدخال تدريس اللغات الأجنبية و



التونسي<sup>(2\*)</sup>، ثم انضم إلى هذه المجموعة ، شيخ الكتاب المؤرخ الوزير أحمد بن أبي الضياف اعتمد منهجها جديدا في الإصلاح و هو منهج التدرّج، عوض الإصلاح السريع غير المخطّط، و كذلك صار يدعو إلى سنّ قوانين تنظّم البلاد وتحدّ من سلطة الباي المطلقة<sup>(3)</sup> .

## 2-4- الترجمة والطباعة :

لقد اعتبرت التّرجمة في تونس كركيزة أساسية في طريق النهضة الحديثة، حيث كلف أحمد باي العلامة محمود قبادو، بمشاركة بعض الطلبة بمهمة الترجمة، حيث تُرجم ما لا يقلّ عن الأربعين مؤلّفا أوروبيا وتركيا متخصصا في العلوم الحديثة والفنّ الحربي، واعتُبرت هذه الترجمة إحدى ركائز التطوّر العلمي في تونس، إذ ربطت الفكر الإصلاحي في تونس بتيّار التمدّن الغربي الحديث، كما رأى فيها المفكّر الكبير قبادو بداية التقدّم والتمدّن<sup>(4)</sup> .

وعلم خير الدين ما للطباعة والصحافة والنشر من أهمية في مساعيه التّهضوية، فقد كانت نهضة خير الدين بهما قوية و حازمة، إذ بتولّي خير الدين الوزارة الكبرى، بعث قام بتنشيط الإتصال بمركزي النشر ببيروت والقاهرة ، فزادت و تنوّعت الكتب المطبوعة في تونس، كما أصبحت "الرائد التونسي" تصدر بانتظام منذ 1874م، كانت تنشر الأوامر

الرياضيات في جامع الزيتونة ، كما ادخل تحويرات في بعض قواعد أصول الدين التي أصدرها في قالب رسائل ، و يذكر ابن عاشور أنّها كانت نقطة تحوّل في الإصلاح الديني بتونس في القرن التاسع عشر، و في سنة 1905م نصّب الشيخ سالم بوحاجب كمفتي لتونس ، ثم كبير أهل الشورى المالكية انظر:

- رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، ص. 130..132.

\*1- محمّد بيرم الخامس(1840- ) يعود أصله إلى أحد الأتراك العثمانيين الذين فتحوا تونس سنة 1574م ، تعاقب أبواؤه في سلك العلماء و المفتين، إلتحق بجامع الزيتونة أين درس على الشيخ المصلح محمود قبادو و عدة مشايخ آخرين ، اعتنق بيرم أفكار شيخه قبادو و جند نفسه لخدمة ذلك الإتجاه و مناصرة المساعي الإصلاحية ، فتولّى خطة التدريس في الزيتونة سنة 1861م ، و كان شغوفاً بالإصلاح وفق معطيات النهضة الأوربية ، فسافر إلى معظم الدول الأوربية ، و لما تولّى خير الدين خير الدين الوزارة الكبرى و لاه رئاسة جمعية الأوقاف التي أحدثها خير الدين ، ثمّ كلفه بشؤون المطبعة التونسية الحديثة ، و أدخل بيرم على الإدارات التي تولّاها إصلاحات هامة ، منها الوقف الذين جعله مؤسسة استثمارية نامية ..انظر: رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي .. مرجع سابق، ص، ص. 134، 135.

\*2- محمّد السنوسي(1851م-) أصله من مدينة الكاف بتونس ، التحق بجامع الزيتونة ، نبغ في العلوم النقلية و العقلية، و كان من شيوخه محمود قبادو و هو أبرزهم ، بعد أن أنهى تعليمه بالزيتونة تولّى التدريس بها، التحق بالنخبة الإصلاحية في تونس ، و عينه خير الدين محرزاً بالجريدة الرسمية للدولة ( الرائد التونسي ) ، كما عينه كاتباً في جمعية الأوقاف ، سافر إلى الحجاز حاجاً و إلى فرنسا و دون في ذلك رحلتين: الرحلة الحجازية ، و الرحلة الباريزية ، ذكر فيهما كل ما شاهده من مظاهر التّفهّر في الحجاز و الدول الإسلامية ، و قابله بما شاهده من مظاهر التقدّم والمدنية في فرنسا خاصّة في باريس ، كما أصدر عدّة فتاوى على المذهبين المالكي و الحنفي لخدمة حركة الإصلاح ، و يعتبر أولّ تونسي دعا إلى التجديد في موضوع القصاصات الشرعية ، فقد كان أكثر شعره عصرياً ، خاصة إحدى قصائده التي أطلق عليها اسم (( الفريدة في المخترعات الجديدة))..انظر: رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، ص. 135، 136.

3- محمد بيرم الخامس التونسي، صفة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج2، دار صادر بيروت، المطبعة الإعلامية مص، 1303هـ ، ص، 14.

- رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، 140

4- رشاد الإمام، المرجع نفسه، ص، ص. 47، 49.

الرسمية والأخبار السياسية، و تنشر كذلك الأخبار المتعلقة بالتقدم العلم وسير الإكتشافات العلمية<sup>(1)</sup> .

## 2-5- البعثات الرسمية .

من البعثات الرسمية التي أرسلها المشير أحمد باي إلى اسطنبول، تلك التي ترأسها الشيخ ابراهيم الرياحي<sup>(2)</sup>، اتصل الرياحي بعلماء اسطنبول، وألقى دروسا في الشريعة، وكان متأثرا بما شاهده في العاصمة العثمانية<sup>(3)</sup> .

وساهمت البعثات الرسمية وغير الرسمية للتعرف على درجات التمدن والتطور الذي وصلته الدول الأخرى، مما دفع بتداول أخبارها و تحفيز القائمين على شؤون الإصلاح للحث والعمل على الأخذ بأسبابه .

## 3- الإصلاحات الرسمية :

### 3-1- إصدار " عهد الأمان " 1857م :

صدر في تونس قانون "عهد الأمان" في 10 سبتمبر 1857م صيغ على نمط " خط شريف كلخانة " العثماني، و يتألف من مقدمة وأحد عشر فصلا تناولت المبادئ الأساسية العامة، يتضمن إتجاهين الأول إسلامي، لأن بعض فصوله مستنبطة من الشرع الإسلامي، والثاني عصري جديد بالنسبة إلى تلك الفترة التاريخية، قصد منه الإجراءات التحديثية الإصلاحية، وأخذ العلاقة بأوربا بعين الإعتبار في شتى المجالات<sup>(4)</sup>، مع ضمانات حريات الأفراد الأساسية للأجانب<sup>(5)</sup> .

1- رشاد الإمام، مرجع سابق،ص، 464.

\*2- الشيخ ابراهيم الرياحي(ت1850): عالم و مصلح تونسي شهير، ولد بمدينة تستور بتونس تفرغ للعلم بجامعة الزيتونة بالعاصمة، ثم تولى خطة التوثيق ، و هو مفتي تونس و رسولها إلى الباب العالي و إلى المغرب الأقصى.انظر:

- رشاد الإمام،مرجع سابق،ص،63.

3- رشاد الإمام، نفسه،ص،64.

4- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج4، تح،لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1976،ص،ص،240،245.

5- وجيه كوثراني،أفكار النهضة بين أمس واليوم من الدعوة لها إلى البحث فيها،ط1،منتدى المعارف،بيروت،2011،ص،111.

### 3-2- إصدار دستور تونس 1861م :

أصدر دستور تونس رسمياً في شهر أفريل 1861م في عهد الباي محمد الصادق<sup>(1)</sup> "1859-1882م"، و كان للنخبة الإصلاحية في تونس دور في بعثه، واعتبر أول دستور مفصل يبرز في العالم العربي والإسلامي، فدخلت تونس لأول مرة في تاريخها في حياة دستورية شورية قائمة على الأنظمة والقوانين الحديثة ، ولقد كان دستور 1861م نتيجة حتمية لقانون "عهد الأمان" الذي أصدره محمد باي، مع العلم أنّ الباي محمد الصادق لم يتول العرش إلا بعد أن حلف وتعهّد بتحقيقه وإنجازه<sup>(2)</sup> .

إلا أنّ محمد باي بعد اعتلائه العرش تنكّر للإصلاحات و"عهد الأمان"، و يأخذ عليه المؤرخ ابن أبي الضياف استخدام البطش في حق أصحاب مظلمة انتفضوا قبل ثورة 1864م ، يقول ابن الضياف في ذلك: ((...المتسبب في النازلة - ثورة 1864م- هو من كلّف الناس فوق طاقتهم، حتّى ألجأهم إلى التحزّب للشكاية، والإستعداد للمدافعة عن المال والنفس، ولا يكفّ الله نفساً إلاّ وسعها.و من أراد أن يُطاع فليأمر بما يُستطاع..))<sup>(3)</sup> .

وأسهب ابن أبي الضياف يصف واقع الأيالة بعد الحادثة و يقول: ((...واستكانت الإيالة المسكينة لهذه السطوة- سطوة الباي- ولسان حالها يقول: للباطل جولة ثمّ يضمحلّ...ولا نفع للدول إلاّ بثروة رعاياها، ولا ثروة إلاّ بعدل. و في المثل: ما كثر من كثره البغي، ولا قويّ من قواه الظلم، ولا ملك من ملكه الغصب، و سمين الغضب مهزول، و حدّ العدوان مفلول، و عرش الطغيان مثلول...))<sup>(4)</sup> .

\*1 - محمد الصادق (1813-1882م) : هو محمد الصادق بن حسين بن محمود، تولّى العرش الحسيني في 22 سبتمبر 1859م، و في عهده نكبت تونس بالإحتلال الفرنسي، و توقيع معاهدة الحماية في 12 ماي 1881م . انظر:  
- محمد الهادي بن الطاهر المطوي، الطريق إلى الحداثة .. مرجع سابق، ص، 215 .  
2- رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، 359.  
3- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان .. مصدر سابق، ص، 189، 190.  
4- أحمد بن أبي الضياف، الإتحاف .. نفسه، ص، 192، 193.

#### 4- الإصلاحات الشعبية :

##### 4-1- ثورة علي بن غزاهم 1864م :

لقد نُعتت ثورة علي بن غزاهم<sup>(1)</sup> التي اندلعت في مناطق عديدة من تونس، أنها حركة إصلاحية عملية ذات طابع عملي، سعت لتخليص تونس من استئثار التدخل الأجنبي، ولدت مناخا من اليقظة السياسية لدى النخبة والعامّة من الناس في تونس، ورفض الشعب نوعية " الإصلاحات " المستوحاة من الضغوطات والإملاءات الأوربية، وكان شعار المنقذين (( لا مَجْبَى بعد اليوم، ولا مماليك، ولا دستور ))<sup>(2)</sup>، و هذه الثورة في حدّ ذاتها نتيجة طبيعية<sup>(3)</sup> من نتائج سياسة الإصلاح<sup>(3)</sup> المرتجلة وغير العميقة، التي لم تضع في حسابها البعد الإجتماعي في الأيالة. و حتى ابن أبي الضياف المحسوب على البلاط<sup>(4)</sup> لم يكن منسجما مع التيار الإصلاحى الرّسمي الذي نقده في غير موضع من إتحافه وعارضه<sup>(4)</sup>.

##### - تقاطع الفساد الداخلي مع الأطماع الإستعمارية في تونس :

إنّ الباى محمد الصادق الذي عُرف عنه معاداته للإصلاح و رجاله،اهتمامه بملاذاته وحرصه على كرسي الإمارة، فكان يسيء الظن في كل مصلح ناصح بتأثير من وزيره مصطفى خزندار<sup>(5)</sup> و فنصل فرنسا بتونس، فراح المصلحون يطالبون الباى بإنجاز كل ما وعد به قبل ثورة 1864م، وتحذيرهم من مغبّة سياسته وأعماله المضرة بمصلحة البلاد والعباد، و شرحهم له النتائج الوخيمة التي ستنج عن تصرفه الفردي وحكمه المطلق، ومن ذلك ما قام به خيرالدين في التهديد بالإستقالة من رئاسة اللّجنة المالية إذا لم يبادر الباى إلى التوقيع على تحديد و ضبط مصاريف قصره سنة 1870م<sup>(6)</sup>.

1- جان غانياج، ثورة علي بن غزاهم 1864م، ترجمة، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية، تونس، 1965م، ص، 19.

2- جان غانياج، المصدر نفسه، ص، 21.

3- أحمد جدي، محنة النهضة و لغز التاريخ في الفكر العربي الحديث و المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص، 71.

4- أحمد جدي، مرجع نفسه، ص، 72.

\*5- سرقات خزندار و مضارباته المالية و معاملاته المخربة مع المرابين الأجانب و مع أفراد عصابته التي كانت تتكوّن من بعض الأوربيين وجماعات من التونسيين و أشخاص من سوريا و لبنان و مصر حلّوا بتونس و تعاملوا معه من أجل الإثراء السريع ..انظر:

- محمد بيرم الخامس التونسي، صفة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج2، دار صادر بيروت، المطبعة الإعلامية مص، 1303 هـ ، ص..18..27.

6- رشاد الإمام، نفسه، ص، 366.

وهذا ما زاد من حرص المصلحين للمطالبة بمواصلة الإصلاح والحرص عليه، مما دفع بهم إلى تأليف الكتب التي تبدي وجهة نظرهم في أهمية الإصلاح، ككتاب خير الدين<sup>(1)</sup> "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" ومقدمته الرائدة، و كتاب "صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" لمحمد بيرم، وكتاب "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" بمقدمة قيمة في ثمانية أجزاء .

ومما زاد الطين بلة - كما يُقال - لما انحدرت البلاد إلى طريق الهلاك، لما ولى الوزارة واحد من عرابذة تونس وسفلتها- كما قال رشاد الإمام-، وهو مصطفى بن اسماعيل<sup>(2)</sup> الذي وصل إلى رئاسة الوزراء من سنة 1878 إلى سنة 1881م، بفعل سياسة المنطق الديكتاتوري الذي نهجه الباي محمد الصادق، حيث أبعد المصلحين والعلماء وقرب شداد الآفاق، الأجانب و من شايحهم من أبناء البلاد الذين يبيعون و يشترون في مقدرات الأمة و حرّماتها بأبخس الأثمان .

و وصف بيرم الخامس الوضع الذي آلت إليه الأيالة بفعل الفساد والنهب، قائلاً: ((...و ثعبان شاغر فاه لإبتلاع الأموال، فيا لها من حال يرثى لها من رام النزال، و تخرّ لشدّتها شامخات الجبال، افتضحت فيها ربّات الحجال وهوت الأيالة إلى الزوال و تمكّن من القلوب الزلزال و تقاربت الآجال وانقطعت الآمال وعُدّ الصلاح من المحال ..))<sup>(3)</sup> .

إلا أنّ الشيء الذي يؤخذ على هذه المساعي النهضوية، قبل سنة 1867م هو أنها شملت حقل محدود و هو الجانب العسكري في غالبيتها، كما فقدت هذه المساعي الحركية

1- لقد اعتُبر خير الدين واحد من أنصار الحركة الإسلامية الجديدة التي عرفتها الدولة العثمانية تحت ما عُرف بـ"التنظيمات الخيرية" و الداعية إلى اقتباس العلوم و المعارف الغربية و الغفادة منها عبر عملية الإصلاح السياسي مع التمسك بالإسلام كعقيدة و شريعة و ثقافة .. انظر:

- وجيه كوثراني، أفكار النهضة .. مرجع سابق، ص، 122.

\*2- مصطفى بن اسماعيل (1852- 1887م) ولد حوالي 1852م ، لما بلغ ثماني سنوات كان لا عمل له غير التسكّع في الشوارع ممزّق الثياب، يلتقط أعقاب السجائر في المقاهي الأوربية ، ثم اشتغل خماراً بخمارة أحد رعايا جزيرة مالطا بتونس، و استمر في ذلك حتّى إلى أن اشتغل مع أحد الحلاقين كمعاون له في الدكان ، ثم التحق بخدمة أحد ضباط حرس القصر حيث تعرّف عليه الباي محمّد الصادق الذي منحه وكالة إقتناء مشتريات القصر ؛ ثم عيّن جنرالاً على حرس الباي ، ثم رقاّه و ولّاه قيادة عمل الوطن القبلي ، ثم شغل عدّة وظائف عالية في الدولة ، منها وزارة الحرب سنة 1873م ، ثم رئاسة الوزراء من سنة 1878م في سنة 1881م تاريخ إستيلاء الفرنسيين على البلاد ؛ و على إثر موت محمد الصادق تراجع أمر مصطفى بن اسماعيل ، فمات فقيراً معدماً باسطنبول سنة 1887م . انظر:

- الإمام، مرجع سابق، ص، 367.

3- محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الإعتبار .. مصدر سابق، ص، 36.

والإستمرارية، و لم تُصبح ظاهرة علمية شاملة لشتى العلوم في تاريخ تونس الحديث، بل انطبعت بالطابع الفردي المحدود خلال فترة زمنية محدودة كذلك .

وعلى الرغم أهمية المساعي الإصلاحية الحديثة التي بدأتها تونس، و ما قام به المصلحين من مساعي و مجهودات في سبيل النهضة في تونس، إلا أن أذرع الفساد والإستعمار الفرنسي خنق تلك المجهودات، و صيرّ البلاد و مقدراتها لخدمة مصالحه وأهدافه .

وكان احتلال فرنسا للجزائر بداية احتلال بقية البلدان المغاربية، فمهّدت فرنسا لإحتلال تونس بالتدخل في شؤونها الداخلية من خلال فرض سياسات إدارية و إقتصادية، تصبّ في مصلحة الأجانب، حتى انتهى الأمر باحتلال تونس من قبل فرنسا سنة 1881م، فبقيت الأسرة الحسينية تحكم تونس شكليا، و السلطة الفعلية في جانبها الإقتصادي والمالي والدفاع والخارجية بيد سلطات الإحتلال الفرنسي، إضافة إلى فتح تونس أمام المستوطنين الأوربيين والرأسمال الفرنسي، و إفساح للتدخل في شؤون جامع الزيتونة باسم الإصلاح، وتوجيه التعليم والقضاء<sup>(1)</sup> .

### 3- المغرب :

لقد بدأت التحولات في المغرب الأقصى "مراكش" منذ منتصف الأربعينات من القرن التاسع عشر، في عهد عبد الرحمان بن هشام "1822- 1859م"، بفعل تأثيرات الأحداث في الجزائر، فقد واجه غضب الفرنسيين لما ساند مقاومة الأمير عبد القادر، وتمّ الصدام بينه و بين القوات الفرنسية سنة 1844م حيث انهزم الجيش المغربي أمام القوات الغازية في موقعة إيسلي، فاكشف سلاطين المغرب ضعف النظام، وقرروا الدخول في مرحلة التحديث، وصمم المغرب على الخروج من التخلف الإداري والعسكري والمالي، وإصلاح جوانب تعليمية وثقافية هامة، التحول هذا الذي سماه بعضهم باليقظة<sup>(2)</sup>، بينما يعتبر علال

1- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق.ص212 .  
2- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ مرجع سابق. ص 213 .

الفاسي أن الصدام الذي وقع بين الجيشين المغربي والفرنسي في موقعة إيسلي، هو بداية نهضة المغرب، كما قال: (( هزيمة إيسلي بمثابة، الفجر الأول للنهضة المغربية الحديثة ))<sup>(1)</sup> واكتشف المغاربة عندئذ أن الأنظمة العتيقة في الجيش و في الدولة لم تعد مجدية أمام التقدم الأوربي الحديث، وألف العلامة المغربي المكودي حينها رسالة سماها: "كشف الغمة بأنّ الحرب النظامية واجبة على الأمة"، كما ارتفعت أصوات تطالب القيام بإصلاح إقتصادي، فظهر أثر ذلك واضحا في المحاولات التحديثية الأولية التي قام بها المخزن في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859-1873م)، كتجديد غراسة قصب السكر، و تأسيس معمل لتصنيعه وإنشاء المطبعة، ثم عهد ابنه الحسن الأول "1873-1894م" الذي اتّجه إلى تجديد الأسطول وإنشاء مدرسة للسلاح، وإدخال بعض المظاهر الحديثة على جهاز المخزن، و إرسال البعثات إلى الدول الأوربية<sup>(2)</sup>.

إنّ تربيص فرنسا بالمغرب دفعها للتدخل في شؤون المغرب، فشجعت الطائفية والقبلية لزعة أوضاع البلاد الداخلية، ليسهل عليها لاحقا ضم المغرب إلى مستعمراتها، فكان المغرب آخر قلعة عربية إسلامية استولى عليها الأوربيون "فرنسا واسبانيا" ومنعوا تطورها الطبيعي<sup>(3)</sup>.

#### 4- ليبيا :

بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر عمدت الدولة العثمانية إلى فرض الحكم المباشر في ليبيا بعدما كانت تحت سيطرة الأسرة القرمانلية المعترفة بالسيادة العثمانية، و تمّ تعيين الباشوات كحكام معينين مباشرة من استمبول، و ذلك بداية من سنة 1835م ، إلا أنّ النفوذ الأوربي والإيطالي بالخصوص، بدأ يتسرّب إلى ليبيا عن طريق المعاملات التجارية والإقتصادية .

1- أحمد قوال،التحضر..مرجع سابق.ص31 .

- علال الفاسي،الحركات الإستقلالية .. مصدر سابق.ص85 .

2- أحمد قوال ، مرجع سابق.صص.34.35 .

3- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص213

4-1- محمد بن علي السنوسي :

في ليبيا ظهرت الحركة السنوسية التي قادها محمد بن علي السنوسي<sup>(1\*)</sup> - الملقب بالسنوسي الكبير<sup>(2)</sup> - في منطقة واحة جغبوب بليبيا سنة 1842م، و قال الزعيم الليبي السياسي الكبير بشير السعداوي بشأن السنوسي<sup>(3)</sup> (( مهما أوتي المؤرخون والكتاب والشعراء من قوة في البيان وإبداع في البلاغة وهم يتناولون الحقائق عن سيرة السيد السنوسي وأهدافه السامية التي يرمي إليها وقد حقق جزءا منها، فلا يستطيعون إيفاء المقام حقّه ))<sup>(3)</sup> وكانت السنوسية قد بدأت في الجزائر أواسط القرن التاسع عشر، ثم انتشرت في طرابلس وشمال إفريقيا، ثم امتدت جنوبا إلى السودان، و السنوسية في الأصل "نسخة مغاربية" للوهابية المشرقية ، باعتبار محمد علي السنوسي مؤسس الحركة كان في مكة يطلب العلم حين استيلاء الوهابيين عليها فعاشرهم وتلمذ على علمائها وتأثر بمذهبهم، ليعود إلى ليبيا حاملا "مشروعه السلفي"، وسيطر على مناطق واسعة من ليبيا تتمتع بالتححرر من قبضة السلطنة الزمنية العثمانية، وحاول ألا يرتبط بها و كان يفضل العمل المستقل و ربما السري خشية إحتواء حركته سياسيا من قبل العثمانيين<sup>(4)</sup>، فاهتم بتنشأتها وسعى لإحياء الإسلام فيها<sup>(5)</sup> .

وبدأت الحركة السنوسية نشاطها حوالي عام 1840م، في جو مفعم بالعمل الإصلاحي، فارتبطت السنوسية بالدعوة إلى التوحيد من جهة، في ظل تحدي أقليمي خطير الذي يمثله وقوع الجزائر ضمن الإحتلال الفرنسي الذي كان وقعه أشدّ على المسلمين خاصة النخب الإصلاحية .

\*1- محمد بن علي بن السنوسي (1202-1276هـ/1787-1859م): هو أبو عبد الله الخطابي الحسيني الإدريسي زعيم الطريقة السنوسية الأول ومؤسسها ، ولد في مستغانم بالجزائر ، و تعلم بفاس بالمغرب ، و زار تونس، وليبيا ، و مصر، والحجاز ، بني زاوية في جبل أبي قيس بمكة ، وأخرى في منطقة الجبل الأخضر بليبيا و سمّاها " بالزاوية البيضاء" ، ثم انتقل إلى واحة "جغبوب" أقام فيها إلى أن توفي سنة 1859م ، له نحو أربعين كتاب و رسالة، أهم كتبه: الدرر السنوية في أخبار السلالة الإدريسية ، إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن ، الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة و المشاركة، بغية المقاصد ، شفاء الصدر، وغيرها من الكتب والرسائل. انظر:

- خير الدين الزركلي، الأعلام ، قاموس .. مرجع سابق، ص 299 .  
 2- شوقي عطا الله ، عبد الله عبد الرازق، مرجع سابق، ص 73 .  
 3- علي محمد الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ط3، دار المعرفة، لبنان، 2009، ص، 119 .  
 4- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي .. مرجع سابق. ص 216 .  
 5- شافية صديق، التغيير من خلال الجماعة .. مرجع سابق. ص 8.7



وبدأ محمد بن السنوسي دعوته في بيئة إسلامية بصحراء ليبيا، تدعو في جوهرها إلى معرفة الدين الصحيح، و تحضُّ على الإبتعاد عن الرذيلة، و تأمر بالمعروف، و تنهى عن المنكر، و الرجوع إلى الكتاب و السنة، كان يهدف بالدرجة الأولى لتخليص الدين من الشوائب التي علقَت به و البدع التي دخلته<sup>(1)</sup>، و كانت السنوسية تبنى قوتها الروحية على تنظيم الزوايا، للتعليم و التعلُّم<sup>(2)</sup>، التي تحمل مشروع سلفي إصلاحِي، ضمن منهج متكامل أساسه :

- تطهير العقيدة من البدع و الخرافات .

- توحيد المذاهب و جمع العالم الإسلامي في وحدة حقيقية .

- فتح باب الإجتهد .

- نشر الإسلام في القارة الإفريقية .

- مقاومة النفوذ الأجنبي<sup>(3)</sup>.

كانت الطريقة السنوسية عملية أكثر من غيرها من طرق المغرب العربي الأخرى، إذ اتخذت من زواياها مراكز للنشاط الإجتماعي، و حرّمت على أهلها التسوّل و طالبتهم بالسعي و الكدّ في زراعة الأرض و تعميرها، كما يعملون بالتجارة، و ينتقلون بين واحات الصحراء، و ينتقلون بضائعهم، و يروّجون لمبادئهم، فكان مطلوب منهم هذا العمل حتى لا يسود فيهم التواكل، و يقصّرون في تحصيل الرزق، و بالتالي يتأخّرون عن الركب في بقية المجتمعات<sup>(4)</sup> .

كما توسّعت السنوسية في قضية الجهاد و وضعته ضمن مبدأ ضد النفوذ الأجنبي و التصدي لقتاله، وهذا ما سيكون له صدى خلال مقاومة الإحتلال الإيطالي لليبيا عام 1912م،

1- شوقي عطا الله، عبد الله عبد الرازق ، مرجع سابق، ص74 .

2- هشام سوادي هاشم ، تاريخ العرب .. مرجع سابق ، ص ، 222 .

3- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق ص79 .

4- محمود شاکر، ليبية، ط1، دار لبنان للنشر و التوزيع، لبنان، 1972، ص، 37.

وتمحور منهج الإمام محمد بن علي السنوسي في الخطوة التي خطاها الفكر خلال هذه المرحلة نحو اليقظة ، ضمن أمرين أساسيين<sup>(1)</sup> :

- التحرر من الجمود والتقليد و تحرير العقيدة و تعميق مفهوم التوحيد .
- تنقية الطرق الصوفية من مفاهيمها المنحرفة و دفعها إلى العمل الإيجابي البعيد عن مفاهيم الجبرية أو الإتحاد والحلول أو وحدة الوجود .

واعتبر السنوسي أنّ الخلافات المذهبية والخصومات، هي من العوامل التي تعيق حركة اليقظة الإسلامية، و النهوض بالمسلمين و مقومة الغزو الإستعماري الدايم، و دعا إلى ضرورة جمع شمل المسلمين في رابطة إسلامية واحدة<sup>(2)</sup>، و كان إيمانه واضحا بأنّ الإسلام يجاري تطور الأزمان و تحول العصور، و رفض مفهوم الصوفية التقليدي الزاعم بأنّ الإسلام لا تعنيه الدنيا، أو أنّ المسلم لا تعنيه المادة، و دحض القول الذي يردّه خصوم الإسلام من أنّ ما يعانيه المسلمون من تأخر فكري و جمود، إنّما مصدره الدين، ويبدو فكر السنوسي واضحا في مؤلفاته، منها: "المسائل العشر" و "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن"<sup>(3)</sup> .

وكانت السنوسية دعوة دينية مدنية، كما لم تهمل جانب الحياة الدنيا، فقد كان قوامها الإيمان الصحيح، والعمل الصالح والإنتاج والتنظيم السياسي، فكانت هي الأخرى امتدادا للحركات السلفية الأخرى و منها الدعوة والوهابية، وإن اختلفت عنها في وسائل نشر مبادئها<sup>(4)</sup> .

إلا أنّ السنوسية بقيت تتميزّ بضيق أفقها الفكري، و مرتبطة ببيئة محدودة المجال، إلا أنها تخصصت بشكل كبير في التعليم والتربية، واشتهرت زواياها بالعمل الخيري والتطوعي، و ما احتوته من مكتبات مهمة .

1- أنور الجندي، مرجع سابق ص80 .

2 - شوقي عطا الله ، عبد الله عبد الرازق، مرجع سابق، ص74 .

3- أنور الجندي، مرجع سابق ص81 .

4- هشام سوادي هاشم ، مرجع سابق ، ص، 222 .

إن الإحتكاك العنيف بين أوروبا والمغرب العربي خلال العصر الحديث، و الذي بدأته فرنسا باحتلال الجزائر سنة 1830م، و ما انعكس عن ذلك من صدى ومغربي وعربي، و ظهور مقاومات شعبية عبّرت بصدق عن يقظة الروح الوطنية؛ الراضة للغزو الأجنبي، ومخططاته العدوانية، والتي استمرّت إلى غاية مطلع القرن العشرين، ونفس التعبير الوطني المقاوم الراض للاكتساح الإستعماري؛ عبّرت عنه القوى الوطنية في البلدان المغاربية الأخرى، تونس والمغرب و ليبيا .

وأنّ الرّفص الشعبي المقاوم، وما صاحبه من تفكير واجتهاد إصلاحي، عبّرت عنه القوى الفردية والرسمية حسب الإمكانيات المتاحة، و ما نتج عن ذلك من تنظير إصلاحي أو تغيير عملي في مجالات عديدة، كلّ ذلك أعتبر أصولا لليقظة و إرهابات للمشروع النهضوي في البلدان المغاربية .

## 1- تطور حركة مشروع النهضة في المغرب العربي و وسائلها:

## الجزائر - تونس - المغرب الأقصى - ليبيا

شهد المغرب العربي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ظروفًا وتحديات سياسية وعسكرية هزّت كيان الأنظمة السياسية القائمة آنذاك، وخلّلت بنيتها الإقتصادية والتجارية والمالية، كما زادت من حدّة الشّرخ القائم بين السلطة ومواطنيها .

وتفاقت الأوضاع الداخلية لهذه البلدان بفعل الضغط المتزايد عليها من قبل الدول الإستعمارية الطامعة والمتربّصة بها، فسارعت في مدّ نفوذها في هذه البلدان بشتّى الأساليب والذرائع؛ حتى يتسنى لها إيجاد منافذ وحجج لتنفيذ أهدافها لاحقًا .

وعلى الرغم من المساعي اليائسة التي أبدتها السلطة في البلدان لإنقاذ كيانها من الغرق المحتوم، و ذلك بمباشرة تنفيذ بعض "الإصلاحات" الشكلية والمتأخرة جدًا، والتي كانت في عمومها كانت ظرفية ومرتجلة و محدودة .

وفي نفس الظروف كانت "القوى الحيّة" داخل مجتمعات هذه البلدان، قد أدركت مآل الأوضاع المتردية في المجتمع، فتحرّكت بشكل أو بآخر للتعبير أو للصدع بخطورة مجريات الأحداث، فتدخلت بطريقتها حسب إمكانياتها، و وفق مقتضى الواجب الديني والوطني ؛ وما يستلزمه التحدي القائم حينئذ .

فكان لزاما عليها بدايةً مواجهة الغزو الأجنبي السّافر، و ردّ عدوانه بكل ما أتى من قوّة و بقدر المستطاع، و لما تمكّن الإحتلال الغاصب من الإستحواذ على البلاد بقوّة الحديد والنار، باشرت هذه "القوى الحيّة" في البلدان المغاربية في بناء مشروع نهضوي شامل، وإن كان طويل المدى، يبدأ أوّلاً بإعادة بناء وصياغة الإنسان المسلم المعاصر، وتسليحه بالعلوم والمعرف والإيمان الصّحيح والرّاسخ، حتى يتسنى للمواطن المغاربي تحمّل مسؤولياته كاملة في مواجهة التحدّيات المعاصرة في شتّى الميادين .

## 1- دور النشوء 1867-1918 م :

### 1-1- الجزائر 1867-1918 م :

يرى سعد الله في إطار التفاعل الحضاري بين أوروبا والعالم الإسلامي، (( أنّ الجزائريين كانوا أول من نادى بالتضامن بين المسلمين وإصلاح الإسلام مستفيدين من التجربة الأوروبية، وعند الصدام الأول بين أوروبا والدول المغاربية عند إحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، كان حمدان خوجة أول من نادى بالتفاهم بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، فهو الذي تحدّى الأوربيين في زمانه مصرًا على أنّ الإسلام لا يتعارض مع المبادئ الأساسية للتجربة الأوروبية))<sup>(1)</sup> .

وحتى أفكار الجامعة الإسلامية "الجزائرية" أي من وجهة نظر المصلحين الجزائريين كالتّي نادى بها ابن العنابي وحمدان خوجة والأمير عبد القادر- كنسخة محلية جزائرية، كانت أسبق من دعائها في المشرق- النسخة المشرقية - لكن الإستعمار كان في حالة اضطهاد مستمر للشخصية المحلية؛ فضلا عن لجم عواطف الجامعة الإسلامية في الجزائر، كما منعت عن دعائها وسائل التعبير عنها كالصحافة .

### 1- بواذر النهضة :

### 1-1- رواج مخيال الجامعة الإسلامية :

لقد اشتدّ "الصراع الحضاري" بين الجزائر وفرنسا خاصّة في جانبه العسكري إلى أواخر القرن التاسع عشر، إلاّ أنّ حركية من نوع آخر بدت ملامحها لدى مساعي بعض رجال العلم ومراكز التعليم التقليدي والحديث، حيث ظهر بعض من النشاط الفكري الذي ظهر خلال هذه الفترة من الزمن على إثر اتصال بعض النخب الوطنية بنظيرتها المتحفزة للنهضة الإسلامية الحديثة في المشرق<sup>(2)</sup> .

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1992، 4، ص، 110.  
2- محمد بن سميحة، أسس مشروع النهضة.. مرجع سابق، ص، 50.

وجد الجزائريون في الجامعة الإسلامية كما قال سعد الله مصدر الصراع الفكري والتصور الحضاري من خلال الكتب والصحافة، كما شجعت الجزائريين على الهجرة نحو المشرق، وساهمت أفكار الجامعة الإسلامية في التعريف بالقضية الجزائرية من خلال تشجيع الجزائريين على التمسك بمبادئهم و رفض التجنيس، كما ساهمت على نقل مشاكل الجزائريين إلى مجالات أوسع<sup>(1)</sup> .

بينما كانت فرص إبداء أفكار الجامعة الإسلامية من وجهة نظر المشرقيين كانت أفضل حالا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كتوفر حرية التعبير والصحافة، والدوائر المثقفة والتشجيع الرسمي في بعض الأحيان، كما الحال في مصر، ولبنان، واسطنبول<sup>(2)</sup> .

### 1-2- مساعي ونشاط العلماء :

تمثل فترة مطلع القرن العشرين، في عمر البلدان المغاربية مرحلة القلق والبحث عن الذات، و محاولة تصحيح واقعها و مسارها، من خلال ظهور الدعوات الإصلاحية، و ما شابها من قلق فكري و ثقافي و ديني، واضطرابات اجتماعية والبحث الدؤوب عن الطريق المنجية للوصول إلى مصاف الدول المعتبرة في هذا المضمار، مضمار التدافع الحضاري<sup>(3)</sup> .

فإن الذي ساعدهم على هذا التطور واليقظة خلال هذه الفترة من الزمن، العوامل التالية:

1- رواج الفكر التجديدي الإجهادي الذي أطلقه الأفغاني، و محمد عبده، و محمد رشيد رضا و عبد العزيز الثعالبي<sup>(4)</sup>...

2- تأثير مجلة المنار و كتب المصلحين الإصلاحية الإسلامية ، مثل ابن تيمية، و ابن القيم و الشوكاني ..

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية .. مرجع سابق، ص، 113.

2- أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص، 111 .

3- أحمد كافي ، مرجع سابق، ص، 6 .

4- محمد بن سميعة ، مرجع سابق، ص، 59.

- 4- شيوع الفكر الطرقي المضلل، و تحالفه مع الإدارة الإستعمارية التي ارتضته كإسلام رسمي للجزائريين، مما دفع ببعض المصلحين الغيورين للتصدّي لهذا الزيف .
- 5- عودة بعض أبناء الجزائر المخلصين من الحجاز منبت الإسلام ومركز النهضة الإصلاحية الناضجة<sup>(1)</sup> .

خلال هذه الفترة، نلاحظ تقارب وجهات نظر العلماء المحافظين العاملين في سلك الإدارة الفرنسية والعلماء المستقلين أو الأحرار مع وجهات نظر خريجي المدارس الفرنسية من النخبة التي أصبحت تعرف بالمتطورة<sup>(2)</sup>، سعياً منهم لإعادة بناء الذات الحضارية في إطار مقوماتها الخاصة،<sup>(3)</sup> وتثبيت الإسلام كمشروع بديل للطرح الإستغرابي الفرنسي<sup>(3)</sup>،

كما لا يمكن أن نغفل دور حركة المشايخ والعلماء الذين أسسوا للعمل النهضوي في الجزائر الذين سبقوا جمعية العلماء المسلمين، من أمثال الشيخ الحفناوي<sup>(4)</sup>، و ابن سماية، والونيسي وابن الموهوب..فضلا عن حركة النقابات والأحزاب والصحف والجمعيات والأندية التي كان لها دور فعال في اليقظة الوطنية<sup>(5)</sup> .

فكان عبد الحليم بن سماية<sup>(6)</sup> وعبد القادر المجاوي<sup>(7)</sup>، الذي سمي عند البعض بـ"أبي النهضة"، وهو من زعماء الموظفين المستنيرين، كثير الإطلاع مثقفا باللغتين؛

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية .. مرجع سابق، ص، 390.

2- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، عالم المعرفة، طبعة خاصة. الجزائر 2011. ص 215.

3- قاسي فريدة، موقف جمعية العلماء الجزائريين من الثورة- تحليل لمقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي-، مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، ع.30، جوان 2012، ص، 167.

4- \* الشيخ الحفناوي ( 1850 - 1942م )، ولد بقرية الديس قرب مدينة بوسعادة، تعلم النحو و الصرف و العروض و الفقه و التوحيد و المنطق و الحساب على يد والده، ثم واصل تعليمه بالزوايا العلمية في كل من " طولقة " و " العزوية " سنة 1883م توجه الحفناوي إلى الجزائر العاصمة، فعلم مدة طويلة في قسم الترجمة و التحرير في الولاية العامة الفرنسية حيث ساهم في تحرير جريدة " المبشر " الناطقة باللغتين العربية و الفرنسية، ثم درس في الجامع الكبير بالعاصمة، و أخيراً تولى منصب الفتوى سنة 1936م، توفي الشيخ الحفناوي في مسقط رأسه سنة 1942م، أهم مؤلفاته موسوعته التاريخية " تعريف الخلف برجال السلف "، انظر :

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، دار الصائر، طبعة خاصة، الجزائر، ص، 88، 93 .

5- لطيفة عميرة، سؤال مرجع سابق، ص، 89 .

6- \* عبد الحليم بن سماية ( 1866 - 1933م ) : من أسرة علمية من الجزائر العاصمة، درس العلوم الشرعية و الفرنسية في مدرسة الجزائر التي كان والده مدرسا فيها، أتقن اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية و العلوم الإسلامية، زار الشام في طريق عودته من الحجاز لأداء فريضة الحج، و مكث في تونس قصد الحصول على الإجازة من أحد علمائها، علم الأستاذ ابن سماية جيلا من طلاب العلم في المدرسة الثعالبية الرسمية بالعاصمة، إلى جانب تدريسه للنحو و البلاغة و الأدب العربي و التفسير و شرح الأحاديث في المسجد في العاصمة عام 1905م .. انظر :

- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 87 .

7- \* عبد القادر المجاوي ( 1848 - 1914م ) : كان جده محمد مدرسا بجامعة القرويين عدة سنوات، و كان أبوه عبد الله قاضيا في مدينة تلمسان، عاش المجاوي للعلم و التعلم، تميز بجزارة علمه و تنوع معارفه و مشاركته في كل فن بطرف، فكان بمثابة دائرة معارف، حتى أصبح يدعى بـ(شيخ الجماعة) لأنه خرج أجيالا من المتعلمين في القضاء و الترجمة و الصحافة.. ساهم في الإصلاح الديني إذ قاوم البدع والضلالات، توفي بمدينة قسنطينة تاركا حوالي ثلاثة عشر كتابا تتناول موضوعاتها اللغة العربية و علومها. وقسم كتابه "إرشاد المتعلمين" إلى أربعة أقسام: I- في علوم

كتب رسالة "إرشاد المتعلمين" أصدرها سنة 1877م،<sup>(1)</sup> دعا فيها إلى الإصلاح الاجتماعي بنقده للتقليد، كما دعا مواطنيه والمسلمين عامة إلى نبذ الركود وإلى اليقظة والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة<sup>(2)</sup>، والمولود بن الموهوب<sup>(3)</sup>، والشيخ الصالح بن مهنا<sup>(4)</sup> من العلماء الموظفين ينسقون جهودهم مع متقنين منتورين من أمثال محمد بن رحال وأحمد بوضربة والشريف بن حبيلس<sup>(5)</sup>، والشيخ مصطفى بن الخوجة<sup>(6)</sup>، كلهم اقتنعوا بأن سبيل النهوض؛ يعني تعميم التعليم وإصلاح القضاء، و مسايرة التقدم الحاصل في الغرب، دون التخلي عن التراث العربي الإسلامي<sup>(7)</sup>

ومن المؤكد أن هذه الفترة من الزمن - مطلع القرن العشرين - أنها (( لم تكن فترة هادئة.. فقد أصبح واضحا أنها كانت تعيش ثقافيا نهضة نشيطة نسبيا ))<sup>(8)</sup> .  
 (( وعندما ابتدأت النهضة الجزائرية في فاتح القرن الحالي كانت قسنطينة مركز إشعاع كبير بعد العاصمة فظهرت فيها الحركة الإصلاحية ونشطت فيها كتلة النواب وعرفت تطورا في الصحافة والنوادي والمدارس ))<sup>(9)</sup> .

اللسان-2 في علوم الأديان-3 في علوم الأبدان 4- في المعاش، تعرّض للمضايقات الفرنسية، و في مصنّفه "منظومة في الفساد الاجتماعي" شرح فيها رسالة للشيخ المولود بن الموهوب و قدّم لشرحه بمقدمة ذات أهمية في بيان ضرر البدع و ضرورة النهضة العلمية، و سمي تلك المنظومة "اللمع على نظم البدع" مطلعها:

صعود الأسفلينا به دُهينا لأنّ للمعارف ما هُدينا

- انظر :

- سومية أولمان، دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه "إرشاد المتعلمين" في الصمود الفكري بالجزائر، د.ط، مطبعة زينا كرافيك، الجزائر، د.ت، ص، 9، و ما بعدها، ص، 48 .

- بن خليف مالك، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، أطروحة مطبوعة لنيل شهادة الدكتوراه، ط1، دار طليطلة الجزائر 2019، ص، ص، 125، 126 .

- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص، 86 .

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص، ص، 163، 164 .

1- أبو القاسم سعد الله، مدارس الثقافة العربية .. مرجع سابق، ص، 75 .

\*2- المولود بن الموهوب (1866-1939م) : ولد في قسنطينة و كان مفتيا فيها لمدة طويلة ، و كان في الوقت نفسه أستاذا للفلسفة و العلوم الدينية و الأدب العربي في المدرسة الجزائرية- الفرنسية لقسنطينة ، دعا ابن الموهوب إلى الإصلاح و التقدم عن طريق التعليم و التسامح و العودة إلى الأصول و نبذ التعصب ، و هذا ما جعله مقدمة لحركة ابن باديس الإصلاحية . انظر :

- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص ، 86 .

\*3- صالح بن مهنا(1854-1910م) : و هو واحد من رجال العلم و التدريس ، قام بمساعي كبيرة في سبيل توعية أهل قسنطينة سنة 1898م ، فقامت الحكومة الفرنسية بمصادرة مؤلفاته و مكتبته القيمة . انظر :

- بن خليف مالك، الفكر السياسي .. مرجع سابق، ص، 125 .

4- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، عالم المعرفة ، طبعة خاصة الجزائر 2011 . ص 216 .

\*5- الشيخ مصطفى بن الخوجة ( 1865-1915م) ، هو محمد بن مصطفى بن الخوجة ، لقبه عمر راسم بأبي النهضة الجزائرية لأفكاره الواعية و المتسامحة حول الإسلام و العربية ، حقّق و نشر مجموعة من كتب التراث العربي مثل تحقيقه لكاب " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " للشيخ الثعالبي ، اشتغل محررا في الجريدة الرسمية " المبتدأ " ، ثم عُيّن مدرسا للتفسير و التوحيد و الفقه و الأدب العربي في مسجد فير بالجزائر ، من أهم آثاره:- الإكتراث في حقوق الإناث - اللباب في أحكام الزينة و اللباس و الحجاب . انظر :

- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص ، 86 .

6- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 107 .

7- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992. ص. ص. 413 .

8- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية .. المرجع نفسه، ص، 237 .



كانت جهود هؤلاء العلماء تمثل الأسس الأولى لبناء النهضة في الجزائر، استهدفوا إصلاح العقيدة الإسلامية ودعوة الشعب إلى المحافظة على مقومات شخصيته و توجيه أنظاره إلى الأخذ بأسباب العلم والإفادة من وجوه المدنية الحديثة<sup>(1)</sup>، بذلك يمكننا (( أن نسمي هذه الفترة التي تشهدها الجزائر بفترة النهضة العربية ))<sup>(2)</sup> .

كما شهدت الجزائر مطلع القرن العشرين حركة نهضة حديثة تنادي بالتغيير وتدعو إلى التجديد<sup>(3)</sup>، فكان لرجال نهضتها بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم ومؤهلاتهم، إسهامات إسهامات بارزة في مشروع النهضة الذي استهدف بالخصوص في مرحلته الراهنة، هدفين رئيسيين:

- 1- إحياء و بعث مقومات الهوية الوطنية والمحافظة عليها، والعودة إلى منابع الدين الإسلامي الصافية، و نشر الوعي الوطني الإسلامي .
- 2- النهوض الحضاري بالأمة، بإفشال المخططات الإستعمارية المادية والمعنوية<sup>(4)</sup>، وتمكين الأمة من أسباب النهوض والتقدم .

### 1-2- تونس 1867-1918م :

شرعت تونس في عهد أحمد باي "1837- 1855م" في تدشين إصلاحات عديدة في مجالات مختلفة، ربما هذه الإصلاحات هي التي قادت إلى إصلاحات خير الدين باشا خلال

-1

- ALI MERAD : Le reformisme musulman ..OP.Cit .P : 14

2- خير الدين شتر، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939م، دار البصائر، طبعة خاصة 2009، الجزائر، ص50 .

3 - إن التجديد من خلال الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: ( إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها )، فإن عبارة ((مَنْ يَجَدِّدْ لِلأمة دينها )) قد تطلق على الفرد الواحد، كما تطلق على جماعة من العلماء، يتميزون عن غيرهم بمرونة العقل، وعمق الإدراك ، والشجاعة الادبية ، و غزارة العلم ، فينهضون بحركة الإصلاح والتجديد في الأمة، و خلال الفترة المعنية ببحثنا فإننا نرجح هنا علماء رجال الإصلاح والنهضة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين بادروا لتجديد أمر الدين في الأمة، فاحبوا السنة و حاربوا البدعة و صححوا مفاهيم وأركان الإيمان وأقاموا شعائر الإسلام الصحيحة، كما أنكروا المنكر والباطل والضلال الذي سعت فرنسا لتكريسه في المجتمع الجزائري، وأعادوا الأمة إلى دينها و مبادئ هويتها العربية والإسلامية. انظر:

- محمد الصالح الصديق، الإجتهد والتجديد في الفكر الإسلامي، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، صص، 132، 133 .

4- كانت النهضة الإسلامية في الجزائر - خلال الثلاثينات- كما بنتها و رعتها الحركة الإسلامية في إطار جمعية العلماء ، يعني كمرحلى أولى الحديث عن الثورة و السيادة و استعادة القوة المسلوبة. انظر:

- قاسي فريدة، موقف جمعية العلماء الجزائريين من الثورة- تحليل لمقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي-، مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، ع.30، جوان 2012، صص، 166 .

أواخر ستينات القرن التاسع عشر، و إلى انطلاق الإصلاح من جامع الزيتونة، ثم من المدرسة الحربية<sup>(1)</sup> .

وكانت تونس قد أعلنت العمل بالنظام الدستوري سنة 1857م، وذلك من خلال إصدارها قانون "عهد الأمان"<sup>(2)</sup> الذي يضمن المساواة بين سكان إيالة تونس بين الجميع دون التفريق بين أجناسهم وأديانهم، و في سنة 1861م أعلنت الدستور وتخلّت عنه عند إندلاع ثورة شعبية فلاحية عارمة سنة 1864م وهي ثورة علي بن غزاهم<sup>(3)</sup>، إلا أن سياسة المشير أحمد باي قد تولدت عنها فئة إجتماعية متسيّسة ومتعلّمة. وهذه الفئة هي التي ستواجه الإحتلال حين بدأ سنة 1881م<sup>(4)</sup>، و كانت تونس أقرب إلى مرحلة اليقظة العملية المبكرة على مستوى البلدان المغاربية .

ونظرا للسبق الذي حققته تونس في ميدان السعي نحو التحديث والتغيير<sup>(5)</sup>، قبل مجيء الإحتلال في عهد أحمد باي، فإنّ تجربة خير الدين التونسي من خلال كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" الذي نشر سنة 1867م، التي كانت و بقيت نظرية؛ فقد تضمّنت اقتراحات و توصيات لو أخذ بها المسلمون في نظره لنهضوا و صلح حالهم، ويصف بيرم الرابع الكتاب قائلا: (( هو أوّل كتاب مُبتدع في السياسة التي يقتضيها الحال والشرع، وكفى بتقاريض العلماء فيه... ))<sup>(6)</sup>.

1- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق، ص107 .  
 2 - قانون وعهد ، و هو دستور صدر في عهد محمد باي الثاني (1855-1859) ، و جاء محمد الصادق باي (1859-1882م)سعى لمواصلة الإصلاح .فوضع الدستور موضع التنفيذ و لكنه وقع فريسة أهواء وزيره مصطفى خزندار (1840-1873م) من جهة و ضغوط الفرنسيين والإنجليز من جهة أخرى، فتح قانون عهد الأمان الباب على مصراعيه للهيمنة الإقتصادية الأجنبية في تونس ، أما الدستور فهو منبثق عن عهد الأمان في بعض فصوله يزيح الباي عن السيادة و جعل حقيقة السلطة بيد الوزير الأكبر ، و ما انبثق عن الدستور من مجالس ..أنظر:  
 - خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تمهيد وتحقيق، المنصف الشنوفي .ج1. مطبعة وفاء . تونس 2013. ص 33 ،  
 - يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص19.  
 3- \*علي بن غزاهم : زعيم الحركة الشعبية في تونس ، المطالبة بإلغاء الزيادة في الضرائب و تعيين حكام من المواطنين عوض الموالي ، و طالبوا بإلغاء قانون عهد الأمان ، و لقب ببابي العامة ، وصفه ابن أبي الضياف بشيء من الإحتقار و أنه رجل من أولاد مساهل ، من عامة من ينسب نفسه إلى العلم ، و قصارى أمره ، معرفة حروف الكتابة ولم يكن له قدم في أمره ولا شهرة . ينظر :  
 - ابن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان .. مصدر سابق، ص 121 .  
 4- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي .. مرجع سابق. ص214 .  
 5- أبو القاسم سعد الله ، المرجع نفسه. ص215 .  
 6- الإمام،التفكير الإصلاحي .. مرجع سابق،ص،428.

## 2-1- رؤية خير الدين التونسي النهضوية :

إن رؤية خير الدين التونسي<sup>(1)</sup> النهضوية، وصرخته التجديدية من خلال كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"، الذي يعتبر من أبرز الكتب التي ألفت في القرن التاسع عشر، يغلب عليه الطابع السياسي، بعضهم يصنفه ضمن كتب الرحلة، من خلال عنوانه، دون مراعاة ((مقدمته التي حوت من الآراء الجوهرية الخطيرة ما يجعل منها مرحلة حاسمة من مراحل التفكير السياسي في العالم العربي الإسلامي الحديث))<sup>(2)</sup> .

فخير الدين، الذي كان (( ذا كفاءة يدعمها تدينه واقتناعه بأن استقلال الإمبراطورية ضروري لخير الإسلام ))<sup>(3)</sup>، يعتبر من أبرز مهندسي ومصممي البرامج الإصلاحية الأوائل في العالم العربي عموماً والمغرب العربي بوجه خاص، الذي كان برنامجاً لا يخص تونس وحدها بل يشمل كامل الدولة العثمانية التي بلغت مرحلة حرجة من تاريخها فيما يعرف بـ : "الرجل المريض" .

إن محور الفكر الإصلاحي عند خير الدين التونسي يتبلور حول قضية جوهرية وهي الإقتباس من الغرب المتحضر لا المستعمر، و لم يدعُ البتة إلى استنساخ التجارب الأوروبية - كحالنا اليوم- بل كان يعرف الحدود بين تعاليم الإسلام و تجارب أوروبا، سيما و أن الأفكار التي تضمنتها كتابه - كما قال سعد الله - أفكار صاغها علماء متورّون من جامع

\*1- خير الدين التونسي (1822-1890م): ولد ببلاد الشركس جنوب شرق جبال القوقاز عام 1822م ، قتل أباه في إحدى الوقائع العثمانية ضد روسيا ، تولى حسين بك تنشأته بالأستانة بعدما اشتراه من سوق الرقيق ، في سنة 1839 اشتراه مبعوث أحمد باي و تربى في قصر الباي، و في سنة 1840 تولى خطة بنباشي ( قائد الخيالة في الجيش ، فترقى في الجيش ، و في سنة 1846 سافر صحبة الباي إلى فرنسا ، و في سنة 1852 ترقى إلى رتبة أمير لواء الخيالة ( جنيرال ) ، و في سنة 1857 كلفه الباي بمهمة إلى باريس قصد فض قضية ابن عياد و بيع مجوهرات لتجهيز عساكر تونسية تساهم في حرب القرم ، و في جانفي 1857 عين وزيراً للبحر، ثم كلف بمهام إلى باريس و لندن ، و توجه إلى الأستانة لطلب فرمان التولية باسم الصادق باي ، و في سنة 1862 تم إعفاؤه من وزارة البحر و رئاسة المجلس الأكبر لمعارضته الشديدة لمبدأ الإقتراض من أوروبا ، و في سنة 1864 كلف بمهام دبلوماسية رسمية إلى الدول الأوروبية ، و في 1864 عين ضمن مجلس الباي للإستشارة ، و في سنة 1867 أصدر كتابه " أقوم المسالك .. " ، و في سنة 1869 عين رئيساً للجنة المالية ، ثم عين وزيراً مباشراً، ثم كلف بمهمة إلى الدولة العثمانية و تحصل على فرمان يوطد العلاقة بين البلدين ، و في سنة 1873 عين وزيراً أكبر، و قام خلال تولي الوزارة بعدة إصلاحات تخص القضاء و الفلاحة و الإقتصاد و الأحباس و التعليم ، ثم عين رئيساً للجنة الإقتصادية و المالية من قبل السلطان عبد الحميد في الأستانة ، ثم عينه وزيراً أعظم للخلافة العثمانية ، و توفي بالأستانة في 30 جانفي 1890 . أنظر :

- خير الدين التونسي، أقوم المسالك .. مصدر سابق. ص.ص.10.12.13..

2 - خير الدين التونسي، أقوم المسالك .. المصدر نفسه. ص.ص. 21

3- ألبرت حوراني ، مرجع سابق.ص.112 .

الزيتونة: كمحمد بيرم الخامس، وسالم بوحاجب، ومحمد السنوسي، وإن كان جامع الزيتونة رغم إصلاح مناهجه يمثل قلعة القديم، فإن المدرسة الصادقية كانت تمثل المنشأة الحديثة، لأنها جمعت بين الثقافتين العربية والفرنسية، وأخرجت قيادات للشباب التونسي<sup>(1)</sup> الذي تقدم طلائع الحركة الوطنية في تونس .

بذلك سيطرت على تفكير خيرالدين التونسي مشكلة الإصلاح من الداخل لا من الخارج، وإحياء القيم الإسلامية الأصيلة كالثورى والحرية والعدل، ونظام الحكم الذي حاد عن الشريعة الإسلامية و انقلب إلى حكم مطلق استبدادي أدى إلى الخراب والتأزم المجحف فكان نداؤه موجهاً أولاً وبالذات إلى زعماء الشعوب العربية الإسلامية، خاصة منهم رجال الدين الذين تواطأوا مع رجال السياسة على إقرار نظام الحكم المطلق، وهذا ما يفسر حرصه على ترجمة كتابه إلى اللغة التركية والفرنسية والإنجليزية<sup>(2)</sup>، وكان نداؤه موجهاً ثانياً إلى أوروبا المشككة في حسن استعداد المصلحين للوثوب والنهضة، فكان كتابه رداً واحتجاجاً على هذه الدعاوى الباطلة .

ويعتبر مؤلف خيرالدين بحق؛ محاولة نوعية في طريق التجديد والتغيير في مختلف الميادين الاجتماعية والسياسية والإقتصادية في تونس، و بين أن تحقيق التطور على غرار الدول الغربية لا بدّ أن يتجسد على أسس منطقية وعقلانية، وفق منجزات الأمم الأخرى، خاصة الأوروبية التي أهتم بها كثيراً في كتابه الذي اعتبر مصدراً أساسياً في فهم الرؤى الجديدة لدى مصلحي أواخر القرن التاسع عشر وتطلعاتهم، التي اتّسمت بكثير من العقلانية و الوضوح والجرأة ، فكان كتابه بحق صرخة قوية من أجل الإصلاح

## 2-2- عوامل بروز رؤية خير الدين الإصلاحية :

كان من بين الأسباب التي دفعت بشكل أو بآخر خيرالدين إلى إصدار كتابه جملة عديدة من الأسباب، و يمكننا أن نجملها فيما يلي :

1- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 215 .  
2 - خيرالدين التونسي، أقوم المسالك .. مصدر سابق. ص.ص 23، 24.

- وجوب إصلاح حال الأمة والنهوض بها<sup>(1)</sup>، فقد ساق لأجل تبرير ذلك أدلة شرعية مستقاة من الكتب الفقهية المنسوبة لكبار علماء الإسلام، والبرهان التاريخي المستمد من الحضارتين العربية والإسلامية قديما و حديثا<sup>(2)</sup>.
- توغل الإقتصاد الأوربي بالأيالة، خاصة في عهد المشير الأول أحمد باي" 183 - 1855"، الذي أمعن في الإسراف والتبذير كثيرا<sup>(3)</sup> شراء بضائع كمالية من أوربا، واقتناء الخمر والحريير.. ونهب المال العام<sup>(4)</sup>، و مزاحمة التجار الأوربيين للصنائع التقليدية المحلية.
- إصدار المشير محمد باي"1855 - 1859" أولى التنظيمات التونسية وهو الإعلان عن "عهد الأمان" سنة 1857م، و الإعلان عن الدستور سنة 1861<sup>(4)</sup>.
- نزيف العملة التونسية إلى الخارج عن طريق أرباح التجار الأجانب من جهة، وعن طريق تهريب الذهب من قبل هؤلاء التجار من جهة أخرى، وبالتالي توظيف هذه الأموال خارج تونس.
- هيمنة الفرنسيين على التجارة الأوربية في تونس.
- احتكار الباي لغلة الزيت المخصصة للتصدير.
- تورط التجار التونسيين في الربا مع التجار الأجانب.
- تفاقم الضرائب مما أدى إلى إندلاع ثورة علي بن غزاهم "ثورة الفقراء" سنة 1864م، وتأزم الأوضاع الطبيعية في تونس خاصة سنة 1867م، كالجذب و"الكوليرا"، ولجوء الحكومة التونسية إلى الإقتراض من الخارج.

1- خير الدين التونسي، أقوم المسالك .. المصدر السابق، ص، 26.

2- وجيه كوثراني، أفكار النهضة .. مرجع سابق، ص، 11، ص، 112.

3 - هرب مصطفى خزندار إلى أوربا سنة 1860 م أحد عشر (11) مليون فرنك أي ما يساوي دخل سنة عادية من الميزانية التونسية، إضافة إلى ما اغتصبه من مجوهرات عائلة محمد باي المتوفي سنة 1856، و بدد هذا الوزير بين عامي 1862 - 1869 ما قدره ثلاثمائة مليون فرنك. كما نهب محمود بن عياد بصفته قابض المال سنة 1852، ما قدره 60 مليون فرنك و تجنس عند هروبه بالجنسية الفرنسية، استرجع منها خير الدين 24 مليون فرنك، و لما كانت سنة 1862 بلغ الدين العام لتونس 28 مليون فرنك، و اقتضت الدولة العثمانية من بريطانيا 750 ملون فرنك، و مصر التي توغلت في الإقتراض، اطلق الأوربيون على عمليات الإقتراض هذه "مال العمائم". أنظر:

- خير الدين التونسي، أقوم المسالك .. مصدر سابق، ص، 35، ص، 37.

4 - دستور انبثق عن عهد الأمان في بعض فصوله، فتح الباب على مصراعيه للهيمنة الإقتصادية الأجنبية في تونس، أفقد الباي السيادة و جعل حقيقة السلطة بيد الوزير الأكبر، و ما انبثق عن الدستور من مجالس .. أنظر:

- خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تمهيد و تحقيق، المنصف الشنوفي، ج.1. مطبعة وفاء. تونس 2013. ص33

- تبرّم خير الدين من تردّي الأوضاع الحضارية للخلافة الإسلامية العثمانية، وانتشار الفساد في المجتمع، حيث عبّر عن ذلك بصدق ((.. إذ أن حالة الإمبراطورية التركية اليوم ليست شبيهة بما كانت عليه في الماضي. لقد بدأت تبرز أخطر مظاهر الانحلال في الداخل بسبب إدارة فاسدة، واختفت بسرعة في الأمة مشاعر الصدق والوطنية، و هي الرابط الأخلاقي للأهالي، و عوضتها الأنانية و الرشوة ..))<sup>(1)</sup> .

### 2-3- خير الدين و مساعيه الإصلاحية كوزير :

لقد حاول خير الدين كوزير تنفيذ بعض برامج رؤيته الإصلاحية لإحداث تغيير جديد في حدود سلطته التنفيذية كوزير، حيث نجده قد مانع عن الإقتراض من أوروبا، وفضّل الإقتراض المحلي من نسيم شمامة<sup>(2)</sup>، و يقول خير الدين في ذلك: ((الأفضل أن ندفع غالبا ثمن إقتراض نقترضه في بلدنا ونحافظ على ذلك على حريتنا من أن نربح بعض الفوائد المادية على حساب استقلالنا<sup>(3)</sup>، فعارض خير الدين بقوة" الباي و خزندار في تطبيق السياسة الإقتصادية التي أدت إلى هذه الأزمة المالية الممهدة بالإحتلال الفرنسي<sup>(4)</sup>، لذلك حرص في (( مهمته السرية ))<sup>(5)</sup>، بعدما اتضحت مطامع فرنسا في تونس، سارع إلى إقفال الباب في وجهها، و تثبيت وضع تونس كجزء من الدولة العثمانية، متمتع بالحكم الذاتي، لإبقاء تونس كجزء من الدولة العثمانية، و تحت حمايتها، مقابل اعتراف الباي بسيادة السلطان و دفع الجزية له، بمعنى محاولته صد النفوذ الأوربي الفرنسي، بالنفوذ العثماني .

ومما يبدو أن خير الدين كان مصلحا معارضا لسياسة الباي، و وزيره خزندار الفاشلة ورفضه الإقتراض من أوروبا، فقدّم إستقالته من كل مناصبه وهو في عنفوان شبابه في سن

1- خير الدين التونسي، مذكرات خير الدين التونسي ، تحقيق وتعريب ، محمد العربي السنوسي .دار الحكمة .مطبعة المغرب للنشر.تونس 2008. ص 149 .

2- \*نسيم شمامة ( 1805-1873 ) : يهودي تونسي صار كبير أحبار اليهود و قابض المال المال بالوزارة بين عامي (1852- 1864 ) فرّ من تونس عند إندلاع ثورة ابن غدهام 1864 ، سرق 20 مليون فرنك من أموال الخزينة .. انظر :

- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .. مصدر سابق. ص36

3 - خير الدين التونسي، المصدر نفسه. ص36 .

4 - خير الدين التونسي ، نفسه. ص38 .

5- ألبرت حوراني ، مرجع سابق. ص110 .

- رشاد الإمام،التفكير الإصلاحي في .. مرجع سابق،ص،226.

الأربعين، فاعتكف في قصره مدة خمس سنوات إلى تاريخ صدور "أقوم المسالك.."، وكان خير الدين كبقية المصلحين التونسيين في منتصف القرن التاسع عشر، يرى بأنّ رأس الداء لا يكمن في عوادي المناخ والأوبئة، و إنّما في نظام الحكم المطلق المسلّط على العباد، الذي فتح باب البلاء على مصراعيه للنفوذ الأجنبي، مع سعي الطبقة الفاسدة نحو الشهوات والإسراف<sup>(1)</sup> .

إلا أنّ الخلاصة التي انتهى إليها خير الدين في علاقاته بالأوروبيين، بعدما خبرهم وعرف سياسيتها و دبلوماسيتها، وهي بمثابة " الحكمة " التي يجب أن يعيها سياسيينا ويأخذوا بها، هي أنّ خير الدين قد اتهم الدول الأوروبية بما قد نسمّيه بـ"النفاق السياسي والإزدواجية الدبلوماسية"، من خلال قوله: (( و بالجملة فسياسة الدول الأوروبية في ممالكنا متناقضة))، بحيث يطلقون تصريحات فيما يخص هذه التنظيمات الجديدة في البلاد العثمانية وأيالاتها، بقولهم: (( أنّ هذه التنظيمات لا تليق بحاكم، فرجوعكم إلى ما كنتم عليه أولى بكم ))<sup>(2)</sup>، و يقولون أنّ بلادنا لا تزال قاصرة على هذه التنظيمات و لم يحن وقتها بعد .

### 1-5- تطور المساعي الإصلاحية في تونس :

شهدت تونس ما قد نسمّيه بالموجة الإصلاحية الثانية في بداية القرن العشرين، وذلك من خلال تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1896م؛ بمبادرة من المصلح البشير صفر "1865-1917م"، وتأسيس جمعية قداماء المدرسة الصادقية<sup>(3)</sup> من قبل علي باش حانبة "1876-1918م"، و في عام 1907م تأسّست "حركة الشباب التونسي"، التي ضمّت العديد

1- خير الدين التونسي، أقوم المسالك .. مصدر سابق. ص 40 .

- رشاد الإمام، .. مرجع سابق، ص، 431.

2- وجيه كوثراني، أفكار النهضة .. مرجع سابق، ص، 115.

3- تأسست في 13 جانفي 1875م و تشكلت لجنة لإعداد قانونها الأساسي تحت إشراف الوزير خير الدين بمساعدة من علماء الزيتونة، اهتمت هذه المدرسة بالإضافة إلى العلوم العربية و الدينية، بتعليم اللغات الأجنبية كالفرنسية و الإيطالية ، و العلوم التكنولوجية بهدف تكوين إطارات لتسيير شؤون الإدارة والشؤون الحربية..انظر:

- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق.ص، 20.

من أعضاء الجمعيات السابقة، اهتمت ببيت الوعي الوطني القومي والمطالبة بالمحافظة على الهوية التونسية، والمطالبة بالحقوق المشروعة للتونسيين<sup>(1)</sup>.

## 2-2- عبد العزيز الثعالبي " 1874-1944م " :

### 2-1- نشأته وبدايات نشاطه :

يعتبر عبد العزيز الثعالبي<sup>(2)</sup> من كبار رجال الإصلاح والنهضة في تونس، (( عالم من أعمق العلماء فهما للإسلام وعقائده وشريعته، أديب وخطيب، سياسي، صحفي، ورحالة ))<sup>(3)</sup>، و قال عنه شكيب أرسلان أنه بحرٌ لا ساحل له، ويصفه برفيقه في الإصلاح الإسلامي<sup>(4)</sup>، وكان جدّه سيدي عبد الرحمان الثعالبي الجزائري<sup>(5)</sup> القاضي المجاهد الذي هاجر من الجزائر إلى تونس، فورث عن حدّه أخلاقه العالية ومبادئه السامية، تخرّج من جامع الزيتونة، فأسس الحزب الوطني الإسلامي، كما كتب في الصحف المحلية داعيا إلى الحرية والإستقلال، كما أسّس جريدة الرّشاد<sup>(6)</sup>، وهذا ينمّ عن مدى وعيه السياسي وشدة تعلقه بالحقوق الوطنية لتونس والتونسيين وعمره لم يتعدّ بعد الثلاثين سنة.

ومنذ هاجر الثعالبي من تونس إلى الأستانة عن طريق أوروبا سنة 1898م لبحث القضية التونسية؛ فإنه ظلّ منتقلا بين تونس و دول المشرق العربي وأوروبا إلى سنة 1937م حيث استقرّ نهائيا في تونس؛ تخلّل ذلك نضال سياسي وحزبي و صحفي وأدبي

1- الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2011م، ص، 19.  
2- \*عبد العزيز الثعالبي (1874-1944م): ابن ابراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي الجزائري ، نشأ و تعلّم في كنف جدّه في مدينة تونس ، فورث عن جدّه أخلاقه العالية و مبادئه السامية فحفظ القرآن و درس النحو و العقائد و الآداب ، التحق بجامع الزيتونة و تخرج منه سنة 1896م حاملا شهادة التطويح ثم دخل مدرسة الخلدونية للدراسات العليا، و كان من الأوائل الذين انضموا إلى أول حزب يؤسس في تونس سنة 1895م ، أسس الحزب الإسلامي ، و كتب في الصحف داعيا إلى الحرية و الإستقلال ، و لما ضيق عليه الإستعمار مجال العمل السياسي غادر تونس متجها إلى الشرق ، ثم عاد إلى تونس سنة 1902 من أجل مواصلة نضاله السياسي ضد سلطات الإحتلال و سجن سنة 1906/ على خلفية نشاطه السياسي ، ثم أطلق سراحه لينفي من البلاد سنة 1912م ، ثم عاد سنة 1914م واصل نشاطه السياسي كالعادة ، فسجن في تونس و فرنسا سنة 1920م ، ثم أطلق سراحه سنة 1923م ، فانكبّ يكوّن جيلا من الشباب التونسي و يعدّم للعمل في شتى الميادين ضمن خطط تربية للإصلاح الإجتماعي والديني، كان يطوف البلاد التونسية لهذه الغاية و يلقي دروسا عامة ، فألب عليه الناس ، فلقى معارضة شديدة من المشيخة التقليدية و سدنة الطريقة ، فسجنته السلطات الإستعمارية و عرضت عليه الهجرة و دفع تكاليفها لكنّه رفض ، فأرغم على الهجرة ، فطاف دولا في الشرق و الغرب ، ليُسمح له بدخول تونس سنة 1937م ، و كان هدفه هذه المرة هو توحيد تيارات الحركة الوطنية التونسية في جبهة واحدة ، إلا أن أطرافا حاصرته و أطلقت إشاعات ضد دعوته فانعزل يكتب مذكراته ، التي اختفت بعد موته . انظر:

- أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية و النهضة الإسلامية ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1984، ص.ص، 10، 40.

3- أنور الجندي ، المرجع نفسه، ص، 157.

4- يوسف منصارية ، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 119.

5- اشترك في قتال الفرنسيين عند إحتلالهم للجزائر سنة 1830م ، عينه الماريشال بيجو كبيرا لقضاة الشرع في الجزائر لكنّه أبى و أصرّ ، لكنه قبل بالأمر أخيرا ، لكنه بعد سنتين سافر متجها إلى تونس ، تاركا في بجاية بيته و عقاره و فضل الهجرة على تولية القضاء تحت سلطة الفرنسيين المحتلين . انظر:

- أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي رائد .. مرجع سابق، ص، 10، 9.

6- أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي .. المرجع نفسه، ص، 10، 11.



واتصالات داخلية و خارجية، و دخول السجون داخل تونس وخارجها، و تراوحت حياة الثعالبي ضمن شكلين فاعلين: (( حياة عامة اهتمّ فيها بالكفاح السياسي واستقلال تونس من وطأة الإستعمار، و حياة فكرية عمل فيها على نهضة العالم العربي الإسلامي علميا وحضاريا(1) .

ونستطيع أن نميّز بين فترتين في مسار العمل النهضوي للثعالبي، الأولى تستغرق مطلع القرن العشرين حتى سنة 1923م سنة سجنه ثم نفيه، و نسميها برحلة " نضال الثعالبي داخل تونس" و إن تخلّلتها فترات زمنية لكنّها قصيرة و متقطعة؛ قضاها الثعالبي خارج الوطني والثانية، من سنة 1923م حيث نفي إلى عودته النهائية إلى تونس سنة 1937م، إلا أنّ هذه المرحلة الثانية سنتعرّض لها ضمن سياق مسار النهضة في تونس "فترة الشباب 1919م- 1939م" .

## 2-2- نضال الثعالبي داخل تونس :

بدأ الثعالبي نشاطه السياسي والصحفي في تونس منذ أواخر القرن التاسع عشر، بتأسيس حزب وأصدار جرائد، لكن السلطات الإستعمارية سرعان ما حلّت الحزب ومنعت إصدار الجرائد، إما بالمنع أو بقوانين تتضمن شروطا تعجيزية لإصدار صحيفة وطنية(2)، ومنعت حق التجمّع أو تأسيس جمعيات(3)، فنفي الثعالبي من تونس سنة 1898م، ليعود إليها سنة 1902م يحمل فكرة الجامعة الإسلامية فقبل بالشتائم في الوسط الشعبي بتحريض من الدعاية الإستعمارية(4) .

و واجه الثعالبي وجماعته مشاريع مضادة لفكرهم النهضوي، تستهدف طمس الهوية العربية الإسلامية لتونس لقطع صلاتها بمحيطها المغاربي والعربي الإسلامي، بحيث استهدفت اعتماد اللهجة العامية التونسية لغة رسمية في الإدارة والمدارس(5)، فألف

1- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 122.

2- أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي .. مرجع سابق، ص، 11.

3- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 56.

4- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، دط، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 2002، ص، 12.

5- أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي .. مرجع سابق، ص، 18.

التعالبي بشأن ذلك كتابا سماه "روح التحرير في القرآن" سنة 1905م، دافع فيه عن الحقيقة في وجه المشنّعين على الإسلام خاصة الفرنسيين، مع أهمية أعمال الإجتهد وتوير الفكر، و بيّن فيه أنّ الإسلام كليل بسعادة الإنسانية جمعاء، و أنّ سبب انحطاط المسلمين يعود إلى البدع المخالفة لدينهم والتي ألصقت بمبادئه السمحة<sup>(1)</sup>، لكنّ الأمر لم يعجب الطبقة التقليدية والسلطات الفرنسية، فلفقت له التهم، فقبض عليه وحوكم بتهمة الكفر والإلحاد، إلا أنّ تحرّك أنصاره أدى إلى إطلاق سراحه .

وسُجن الثعالبي سنة 1906م على خلفية نشاطه واتصالاته السياسية، فأطلق سراحه، ثم عاد الثعالبي إلى نشاطه السياسي كالمعتاد، فأسس جريدة "التونسي" سنة 1908م، كرّسها لخدمة القضايا الوطنية<sup>(2)</sup>، في الحفاظ على أسس الهوية الوطنية و بث الوعي لأجل تحقيق الإستقلال الكامل في ظل وحدة شمال إفريقيا العربية والإسلامية<sup>(3)</sup> .

و في سنة 1912م، أرغم الثعالبي رفقة علي باش حانبه<sup>(4)</sup> على مغادرة تونس على خلفية تهمة فرنسا له بتجنيد متطوعين تونسيين للجهاد في ليبيا عندما نشبت الحرب بين ليبيا و إيطاليا سنة 1911م، وظلّ يتنقّل بين دول المشرق والشرق الأقصى لخدمة القضية التونسية، ثم عاد إلى تونس لمواصلة النضال في هذا السبيل، حيث أُختير سنة 1919م أن يترأس "الحزب الدستوري الجديد"، فسافر لتمثيل القضية التونسية في مؤتمر الصلح خلال هذه السنة ، حيث تقدّم إلى الرئيس ولسن بمذكّرة يطلب فيها إستقلال تونس<sup>(5)</sup> .

1- : يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 129.

2- أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي .. مرجع سابق، ص، 18 .

3- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجي .. مرجع سابق، ص، 07.

4- \*علي باش حانبه (1879-1918م): درس بالزيتونة والمدرسة الصادقية و المعاهد الفرنسية ، فتوظف في العدلية وكان له ضمير وطني وقاد فاشترك في تأسيس جمعية قدام تلامذة الصادقية ، وكان يحمل فكرة الإصلاح في نفسه، فأسس جريدة "التونسي" سنة 1907م ، وحزب تونس الفتاة . و دافع عن حقوق الشعب التونسي ، و ساهم في أحداث طرابلس سنة 1911م، ففتته فرنسا ، فذهب إلى الأستانة و علم بها و ارتقى إلى عدة مناصب عليا ، وقضى بقية حياته في الدفاع عن وحدة المغرب العربي. انظر: يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 36.

5- أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي .. مرجع سابق، ص، 20.

## 2-4- دور وسائل الإصلاح والنهضة في تونس :

كان من بين أهم وسائل الإصلاح خلال هذه المرحلة في تونس نجد جامع الزيتونة الذي كانت له أهمية كبيرة فعلية في نفوس التونسيين خاصة والمسلمين المغاربيين الذي تردّدوا عليه بشكل عام، فكان له الأثر البالغ في صقل شعورهم الوطني، و طبع نفوسهم بطابعه الثقافي الإسلامي، حتى أنّ سلطة الحماية اعتبرته ((معقل الوطنية، و رمز الشعور الوطني)) (1) .

كما كانت لزيارة الشيخ محمد عبده لتونس الأولى سنة 1884م<sup>(2)</sup>، والثانية سنة 1903م، أثر بالغ في تجديد الروح الإصلاحية في نفوس النخبة التونسية، كل ذلك جعل تونس مهيأة للدخول في مرحلة النهضة<sup>(3)</sup> لولا وقوع الحرب العالمية الأولى وكبت الحريات و تشريد القادة .

وكذلك كان من بين وسائل الإصلاح في تونس، نجد الصحافة التي لعبت دور الموقظ أيضا<sup>(4)</sup>، فالى جانب صحف الإحتلال ظهرت الصحف الوطنية<sup>(5)</sup> ممثلة في "الزهرة" و"التونسي"، و"الحاضرة" التي تأسست سنة 1888م كانت أول جريدة عربية حرّة تصدر بالقطر التونسي، وكانت متأثرة بآراء محمد عبده ومحمد فريد، وآراء البشير صفر<sup>(6)</sup> التجديدية الناهضة من جهة أخرى، واستمرت بالصدور حتى سنة 1910م، وقد

1- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 113 .  
 - خير الدين الزركلي، الأعلام ، ج.5، مرجع سابق، ص، 22.  
 2- كانت الزيارة بين 06 ديسمبر إلى 05 جانفي 1885م اتصل أثناءها بالعائلة المالكة و كبار العلماء ، و حضر دروس جامع الزيتونة ، واجتمع برجال الحركة الإصلاحية و منهم البشير صفر. انظر:  
 - يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 28.  
 3- أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق، ص، 215 .  
 4- أبو القاسم سعد الله ، المرجع نفسه. ص، 215 .  
 5- ظهرت الصحافة العربية بتونس أول مرة سنة 1860م ، و كانت جريدة (الرائد التونسي) كأول جريدة أسبوعية في تونس في نطاق حكومي ، و كانت تهتم خصوصا بنشر الأخبار السياسية عن البلاد العثمانية ، واهتمت بالأدب و الفكر، و تنشر في القسم العربي منها أوامر و قرارات الحكومة ، و لما أصيبت تونس بالحماية الفرنسية ، اقتضت الجريدة على نشر أوامر الحكومة و مقرراتها و المسائل الشرعية و كل ما يهم حكومة الحماية . انظر:  
 - يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 23.  
 6- \*البشير صفر(1897- 1965م) : ولد بتونس، و تعلم في المدرسة العلوية، عمل مترجما عدليا بالمحكمة، ثم رئيس جمعية قدماء الصادقية ، ساهم في مؤتمر شمال إفريقيا سنة 1908م كتب في عدة جرائد . ز انظر:  
 - لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 51 .

أدت بعض الجرائد الأخرى<sup>(1)</sup> رسالة حضارية؛ وكانت تقريبا كلها في خدمة الفكر الإسلامي والإصلاح الديني والنهضة العربية والعلمية<sup>(2)</sup>.

وكان محمد باش حامبه قد حضر مؤتمر القوميات الثالث الذي عقد في جوان 1916م بمدينة لوزان وعرض مطالب تونس و الجزائر وركز على منحهما استقلالهما الكامل واسترجاع حقوقهما المغتصبة، كما حضر وفد مغاربي "جزائري، مغربي وتونسي" برئاسة الشيخ محمد العتابي، أمام مؤتمر اللجنة الهولندية الإسكندنافية المنعقدة في شهر نوفمبر 1917م باستوكهولم، و طالبوا باستقلال بلدانهم الكامل دون قيد أو شرط، و هددوا فرنسا بتنظيم ثورة مسلحة ضدها بعدما ذكروها بعودها لهم<sup>(3)</sup>.

وقد كان جامع الزيتونة بمدينة تونس يمثل حصن الدفاع عن العقيدة والتعاليم الإسلامية السمحة، و يسهر على تخليد التقاليد الدينية عن طريق الدروس التي كانت تُلقى بين جنباة والرجال الذين حرص شيوخه على تكوينهم تكوينا متينا و صحيا<sup>(4)</sup>، فرأى التونسيون أنه لا سبيل لإنقاذ أنفسهم، ومقاومة القوى المادية التي تضطهدهم، وتسعى لمسخ هويتهم إلا بالاتحاد في كتلة واحدة، و في كنف الدين الإسلامي الصحيح .

### 3- المغرب الأقصى :

لم يكن المغرب الأقصى<sup>(5)</sup> ضمن أقاليم الدولة العثمانية، الذي عاش تجربته الخاصة سواء قبل مرحلة اليقظة أو بعدها، و كان عهد السلطان الحسن الأول "1873-1894م"

1- كجريدة "بريد تونس" و "الاتحاد الإسلامي" العبد العزيز الثعالبي، و جريدة "مرشد الأمة" للشيخ سليمان الجادوي التي تأسست في 1909م ، و جريدة "المشير" للطبيب بن عيسى التي تأسست سنة 1911م ، و جريدة " البصيرة " (1893-1897) تركية النزعة إسلامية الإتجاه ، و جريدة "سبيل الرشاد" (1895-1897) كان يديرها الثعالبي علمية و سياسية ، عربية و إسلامية، و جريدة "القلم" يديرها محمد البحري 1904م ، وطنية معتدلة ، و جريدة "الصواب" لمحمد الجعاببي 1904م، و هي سياسية إسلامية ، أما الجرائد التي صدرت سنة 1907م فهي "التقدم" و "المنصف" و "المرشد" و "المعارف" و "العدالة"، شارك فيها الثعالبي، و هناك جرائد أخرى صدرت سنة 1908م هي "الفتح" و "الإسلام" ، و قد توقفت كل هذه الجرائد عن الصدور ابتداء من سنة 1911 إلى 1920م بقرار من المقيم العام باستثناء جريدة الزهرة التي صارت شبه رسمية منذ سنة 1904م، انظر:

- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 43.

2- يوسف مناصرية، المرجع نفسه، ص، 30، 31.

3- يوسف مناصرية، نفسه، ص، 61.

4- أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881-1956م، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1986م، ص، 487.

5- المغرب الأقصى خلال العصر الحديث ، شهد حكم سلالتين " شريفيتين "، فبعدهما تمكن محمد أحد أبناء القائم بأمر الله الذي ثار على الوطاسيين، من دخول فاس عام 1549م معلنا نفسه سلطانا على المغرب الأقصى باسم ( محمد المهدي ) ، أضحى مؤسس الدولة السعدية..وكانت معركة وادي المخازن الشهيرة سنة 1578 م ، التي أودت بحياة الملوك الثلاثة ، (سيباستيان البرتغالي ، و عبد الملك المدغم من العثمانيين ، و المتوكل المدغم من البرتغاليين ) ، لينتهي عرش السعديين إلى شقيق عبد الملك أحمد الملقب بالمنصور الذهبي بين عامي 1578 إلى 1603م ، الذي ستختبر فترة حكمه العصر الذهبي للدولة السعدية ، و بوفاته سنة 1603م ظل الصراع على السلطة قائما بين أبنائه الثلاثة ، إلا أن الإنقسام استشرى في البلاد مع تطاحن مراكز النفوذ فيها مما أسفر على إنهيار الدولة السعدية ، و قيام الدولة العلوية سنة 1640م.أسرة أخرى

يشبه عهد السلطان عبد المجيد العثماني، فكلاهما وقع تحت ضغط الدول الأجنبية لإجراء "التنظيمات"<sup>(1)</sup> والتي تعني فتح المجتمع وحماية الرعايا الأجانب وإدخال النموذج الغربي في الإدارة والجيش<sup>(2)</sup>.

و يرى المنوني صاحب كتاب "مظاهر يقظة المغرب" أن كارثة إحتلال الجزائر سنة 1830م، ثم هزيمة المغرب في معركة إيسلي 1844م أمام الفرنسيين، كشفت بصفة خاصة مدى التأخر والإنحطاط الذي وصل إليه الجيش المغربي أمام الجيش الأوربي المنظم والمسلح، و يرى المنوني أن ذلك أحدث يقظة في البلاد التي اضطر سلاطينها مباشرة بعض الإصلاحات على مستوى الجيش<sup>(3)</sup>، و يقول سعد الله أن استيقاظ المغرب كان بفعل المؤثرات القادمة من الجزائر من خلال الأفكار الجديدة والصحافة والدعوة إلى الإصلاح الديني والإجتماعي<sup>(4)</sup>.

إلا أن جمال حيمر، يرى أن الإنبعثات الجديد للمغرب و يقظته، إنما تمخض ذلك عن الهزيمتين اللتين مني بهما المغرب- إيسلي أمام فرنسا 1844م، وتيطوان أمام اسبانيا 1860م-، تماما كما حصل في المشرق، حيث لم تبدأ بوادر الوعي النهضوي الحديث في التبلور إلا بعد إصطدام بأوروبا<sup>(5)</sup>.

سنتولى زمام المبادرة في المغرب الأقصى ، العلويون الذين سيشاركون مع السعديين في نسب واحد يعود الى الإمام علي كرم الله وجهه، والذين استقروا في الجنوب حول واحة تافيلالت ، ويعتبر السلطان مولاي الرشيد 1664-1671م موحد المغرب و المؤسس الحقيقي لدولة الأشراف العلويين التي لا تزال تتوارث عرش المغرب إلى اليوم .انظر:  
- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1977م ، ص،ص 109، 120 .

1- من بين التشريعات المشهورة لـ "التنظيمات" التي جاءت بضغط من الدول الأوربية ، مثلا قانون "خط شريف كلخانة" حيث اعتبرت السلطنة العثمانية رعاياها متساوين من دون تمييز على أساس الدين أو الجنس، و ان كل فرد يمثل أمام القضاء سوف يحاكم و يحكم عليه من دون استئناف وتحقيق ، و إلغاء التزام تحصيل الضرائب على أن يدفع كل فرد ضرائب للدولة بشكل مباشر تتناسب مع ثروته و دخله .. و كذلك قانون "خط همايون" الصادر سنة 1856م يخصّ الطوائف غير المسلمة بقضي باحترام حصاناتها التقليدية و حرية العبادة ، و حق إدارة ممتلكاتها دفعة واحدة دون أدنى عائق ، و تحقيق المساواة الكاملة بين جميع رعايا السلطنة فيما يتعلّق بالضرائب و التعليم و الخضوع لقانون تجنيد واحد ، و إعادة تنظيم الهياكل الإدارية بالولايات .انظر:

- وجيه كوثراني، أفكار النهضة .. مرجع سابق، ص،ص 108، 109

2- أبو القاسم سعد الله ، بحث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 217 .

3- محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1973، ص.ص 11، 13.

4- أبو القاسم سعد الله ، بحث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 107 .

5- جمال حيمر، البعثات التعليمية في عهد السلطان مولاي الحسن، دط، مطبعة ابن ازناسن، الرباط، 2015، ص،ص 22.

عمد سلاطين المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى تدشين مجموعة إصلاحات<sup>(1)</sup> شملت عدة ميادين بغية ضخ دم جديد في عروق جسم المخزن المتعب أصلاً .

ويبدو لنا من خلال بحثنا في مراحل مشروع النهضة في المغرب العربي، أنّ المرحلة التي سميها "مرحلة الشباب 1867-1918م" في المغرب الأقصى من حيث الإنتاج الفكري والسياسي، والمشاريع الإصلاحية التي تدعو لليقظة والإصلاح؛ كانت الأغزر من حيث الكم وحجم الكتابات في هذا الإطار، والتي سنتناول نماذج منها في المجال السياسي بالمغرب الأقصى .

### 3-2- الإصلاحات الفرنسية المضادة :

قد نسمي أساليب الحكم وآليات الإستغلال الإستعماري وأطره القانونية والتشريعية، نسميها تجاوزاً بـ "الإصلاحات الإستعمارية المضادة"<sup>(2)</sup>، والتي ستترسّخ بعد الحماية وبسماها أحدهم بـ "مقاصد الإستعمار"<sup>(3)</sup> التي بدأت في المغرب منذ تنافس الإستعماريين الحاد على المغرب خلال المؤتمر الدولي المنعقد في الجزيرة الخضراء، بهدف التمكين لمصالحهم؛ بإيجاد منافذ للتسلّل إلى مواطن القرار بواسطة المنظومة القانونية التي كيّفت وحوّرت حسب ما يمكن لهم الوصول إلى مبتغاهم، وبالتالي الإنتفاف على مشاريع الإصلاح الوطنية<sup>(4)</sup>، و تنبّه محمد المنوني لذلك من خلال ما قاله: ((التخوّف من أن

1- يقسم المنوني فترة (1830-1912م) إلى ثلاثة مراحل ، فالأولى شملت 1830-1860 حيث تمثل مرحلة الصدمة و البلبلة و القلق في المغرب، ثم مرحلة 1860 حتى سنة وفاة الوزير أحمداد 1900م ، اعتبرها مرحلة مباشرة للمخزن للإصلاحات العسكرية ،ثم مرحلة 1900 إلى سنة فرض الحماية الفرنسية على المغرب 1912م ، اعتبرها مرحلة ظهرت فيها أفكار تنادي بضرورة الإصلاح و التجديد و مواكبة التطور ، و كان فيها النشاط الشعبي الداعي للإصلاح أكثر من مساعي السلطة ..انظر:

- محمد المنوني، مظاهر يقظة .. مصدر سابق،ص، 13.

2- اتفقت فرنسا مع عدة دول و منها إيطاليا على العمل ما أمكن على عرقلة أي إصلاح حقيقي يباشره المغرب بنفسه أو يجتهد في التفكير فيه ، أو مباشرته من المصلحين المغاربة ، ففي رسالة من نكلسن بتاريخ 17/06/1901م : أصبح دور سفارة إيطاليا في طنجة منذ هذا التاريخ ، هو إشغال مشاريع الإصلاحات باتفاق مع فرنسا..، و حتى ملف " الإصلاحات " هذه تم طيه و تأجله للتصدي لما هو أولى منه خطورة في نظر رجال تلك الفترة و هو التصدي للعنف "المقاومة و الجهاد " .. انظر:

- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق،ص، 168 .

3- في كتابه " دفاع على الشريعة " تناول علال الفاسي فصلاً لطيفاً سماه " بعض مقاصد الشريعة الإستعمارية "، ضمّنه تحليلاً عميقاً للأساليب و المداخل القانونية التي وضعتها الدول الأوربية عامة، و سلطة الإحتلال الفرنسي خاصة، لكي تحقّق أهدافها ومقاصدها الإستعمارية في المغرب ..والمزيد انظر:

- علال الفاسي، دفاع عن الشريعة، ط1، دار الكلمة للنشر و التوزيع، القاهرة، 159، 2013 و ما بعدها.

- أحمد الريسوني، علال الفاسي عالماً و مفكراً، ط2، دار الكلمة للنشر و التوزيع، القاهرة، 2014، ص.ص، 85..87.

4- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ط1، دار الكلمة للنشر و التوزيع، القاهرة، 2013، ص167 .

يوأكب الإصلاح تدخل أجنبي يعصف باستقلال البلاد، تم يقضي على الأخلاق والأعراف الوطنية، ويستند أنصار هذا الرأي إلى الإعتبار بما صارت إليه حالة الأمم التي قادتها عمليات الإصلاح إلى الوقوع في شرك الأجنبي ((1).

فعادة ما كانت أساليب الإستعمار التغريبية والثقافية يسميها بالقوانين والإصلاحات، تستهدف صميم الهوية الوطنية كتكريس التجنيس، وتهميش اللغة العربية والتضييق عليها، وفرض اللغة الفرنسية والإدماج، و ترويج العادات الإفرنجية والمحرمات و حمايتها ضمن قوانينها(2).

### 3-3- مجلس الأعيان :

بدعوى الإصلاحات التي "بشّر" بها الإستعمار، أصدر مرسوم ملكي إلى القبائل والمدن لإختيار نوابها في مجلس الأعيان،(انظرالملحق: ص359)، و بدأت جلسات مجلس الأعيان (النواب) تعقد بانتظام من فبراير 1905م إلى 18 ماي 1905م، للنظر في "مشروع الإصلاحات الفرنسية"، و كانت البعثة الفرنسية المكلفة بالمشروع برئاسة " سان روني طاياندي S.R Taillandier " الذي كان سفيرا لفرنسا بالمغرب، للإستماع المفصل للشروح الضرورية التي ستقوم بها البعثة مع مجلس الأعيان(3).

ونجد المبادرة الإصلاحية التي قام بها السلطان عبد الحفيظ(4\*) ضد أخيه عبد العزيز "1907-1908م" قد جاءت في سياق و تبلور مطالب إصلاحية تحديتية حقيقية تضمنتها مشاريع دستورية اقترحها أفراد وجماعات من النخبة المغربية آنذاك أشهرهم جماعة

1- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق،ص170

2- محمد بن سميعة ،.. مرجع سابق،ص،42،43.

3- أحمد كافي، مرجع سابق،ص172

4\* - عبد الحفيظ ( 1863-1937م): عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد الحسني العلوي من سلاطين الدولة العلوية في المغرب الأقصى، و هو ابن السلطان الحسن الأول المتوفي سنة 1894م، كان فقيها أدبيا ، ولد بفاس و أصبح عاملا على مراكش سنة 1905م ،فنادى به الجنود وأهل القبائل الحوزية سلطانا فيها ،وانقسمت الدولة بين عبد العزيز في فاس و أخيه عبد الحفيظ في مراكش ، فاتخذ عبد العزيز من ممثلي الألمان أنصارا ، و اتخذ عبد الحفيظ من الفرنسيين أولياء، و خلع عبد العزيز بفاس و انتظم الأمر لعبد الحفيظ ، و كانت له عدة مؤلفات ،ثارت عليه عدة قبائل كيني مطير و شراقة و حوصر في فاس وقام أخ له ثان بثورة في مكناس فاستولى عليها فألف حكومة و دعا إلى نفسه ، فعمد عبد الحفيظ إلى أفضع الخطط و أسوأها ، فطلب عون الحكومة الفرنسية فأجابته ، و قال ابن جلول : ((من سخرية الأقدار أن تستدعي الجيوش الفرنسية بواسطة ملك ، كان قبل ثلاث سنوات فقط رمز التحرير القومي))، فقضت على الثورتين ، فأعلنت الحماية على المغرب بعد أن أمضى عبد الحفيظ معاهدة 30مارس1912م ، فاستقال و حلّ محله أخيه يوسف، و رحل على طراد فرنسي إلى مرسيليا ثم استقرّ في اسبانيا سنة 1925، و حرّمت عليه فرنسا العودة إلى المغرب فظل في المنفى يتسلّى بالصيد حتى مات في معتزله..انظر:

- خير الدين الزركلي،الأعلام ،ج6.. مرجع سابق، ص،202،228،

"لسان المغرب"، و هذا ما سيعتبر "نزوعا إصلاحيا تحديثيا" والذي سيتخذ مسارات عديدة بعد عام 1912م، أهمها ما سيعرف لاحقا بالسلفية الجديدة<sup>(1)</sup> .

لقد سجّل لأعضاء المجلس الجدارة والمسؤولية والوعي بقضايا المغرب، و كتبت "جريدة إفريقيا السوداء" الفرنسية: (( يظهر أن مجلس الأعيان فرض على العاهل رفض المطالب الفرنسية، والدعوة إلى مؤتمر، و قد تبنى المخزن في النهاية رأي المجلس ))<sup>(2)</sup> .

وتعتبر خطوة مجلس الأعيان المغربي أهم إنجاز ذو إجماع وطني، مدشنا بذلك عهد الممارسة "التشاركية" مع المخزن في الإصلاحات السياسية الوطنية، المتمثلة في الإعلان عن رفض "الإصلاحات" الفرنسية، بذلك بادرت النخبة الإصلاحية في المغرب باقتراح مشاريع إصلاحية؛ لإخراج البلاد من مأزقها وقطع "محاولات التسرب الأجنبي" .

لقد انتهى أمر "الإصلاحات" في المغرب إلى المصير المحتوم الذي انتهت إليه دولة المخزن، بحيث أرغمت على التنازل عن سيادتها لكل من فرنسا وإسبانيا، فمجلس الأعيان الذي أنشأته فرنسا؛ كان أسلوبا ماکرا للتغطية عن الأهداف الإستعمارية التي باتت مكشوفة للخاص والعام خلال الإحتلال الفعلي للمغرب سنة 1912م .

ولقد استغلّ "مجلس الأعيان" المغربي الذي عبّر بحق عن تطلّعات الشعب برفض "الإصلاحات" الفرنسية التي تمهّد للإحتلال، إلا أنّ الرغبة السياسية التي تجمع المصالح العليا للمخزن و فرنسا، فضّل الطرفان تجاهل المطلب الوطني والشعب، لمباشرة مراسيم "الإقتران السياسي" بين المخزن وفرنسا، و فرضه كأمر واقع يوم 30 مارس 1912م، مما سيُدخل المغرب في مرحلة تحديّ أشد وأعنف يمسّ كيانه الإجتماعي والحضاري والعقائدي، ممّا سيدفع بالقوى الوطنية الحيّة بالمغرب للعمل والإجتهد أكثر لاستكمال مشروعها النهضوي .

1- عثمان اشقرا، الوطنية والسلفية الجديدة بالمغرب من 1839 إلى 1956م، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص، 96، 97.  
2- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق، 2013، ص 173



4- ليبيا:

بعد التدخل العثماني المباشر في ليبيا والإنقلاب على حكم الأسرة القرمانلية<sup>(1)</sup> فيها سنة 1835م، يكون ذلك قد دشّن لمرحلة جديدة من الوجود العثماني في ليبيا منذ الفتح العثماني لليبيا سنة 1551م من قبل درغوث و سنان باشا، حيث تمّ لهما انتزاعها من قبضة فرسان القديس يوحنا<sup>(2)</sup> وإحاقها ضمن أراضي الخلافة العثمانية.

وبدأت في ليبيا مرحلة عثمانية جديدة عرفت بعهد البشوات "1535-1911م"، مرحلة العهد العثماني الثاني، تولّى خلالها إدارة الولاية ثلاثة وثلاثون واليا، و لم يكن ولاّة هذا العهد أفضل من سابقهم من الولاة العثمانيين باستثناء الواليين الأخيرين للحكم العثماني في ليبيا أحمد راسم باشا، و رجب باشا<sup>(3)</sup>.

إلاّ أنّه لا بدّ أن نسجّل هنا أنّ ولاية ليبيا خلال هذه الفترة شهدت تولّي ولاّة امتازوا بالخبرة الإدارية والكفاءة العسكرية، فأخلص بعضهم في أداء واجبه و قاوم بشدّة التغلغل الأوربي المتزايد، كما أنّ الدولة العثمانية شدّدت رقابتها على الولاة و عاقبت المسيء منهم<sup>(4)</sup>

وفي ظل هذه الظروف العصيبة التي مرت بها ليبيا، حيث كثرت الإضطرابات والثورات القبلية ضدّ السلطة العثمانية هناك، كنتيجة حتمية لاستئراء الفساد والضعف في كيان الدولة العثمانية<sup>(5)</sup>، عيّن الباب العالي واليا جديدا على ليبيا، وهو محمود نديم باشا

1- الأسرة القرمانلية أصلها من منطقة كرمان أو قرمان جنوب تركيا ، حكمت ليبيا في القرنين 18 و 19م (1711-1835م). انظر:

2- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي و مستقبل المجتمع المدني في ليبيا، برنيق للطباعة و النشر، دت، 25 .  
بدأت كمؤسسة خيرية دينية، في بيت المقدس قبل الحروب الصليبية مأوى للمحتاجين و الججاج المسيحيين الذين يزورون فلسطين ، و عندما نشبت الحروب الصليبية حولت هذه المؤسسة إلى هيئة عسكرية تعنى بالأخص بمعالجة الجرحى في المعارك الحربية، وعندما انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين طرد من القدس فرسان القديس يوحنا مع من طرد من الصليبيين ، فنقلوا مركزهم إلى عكا بفلسطين و بقوا فيها إلى سنة 1291م حيث طردوا منها و نقلوا مركزهم إلى جزيرة رودس ، فأسس الفرسان في هذه الجزيرة مملكة مسيحية تحت رعاية البابا و حماية الملوك المسيحيين ، فتخلّت هذه المؤسسة عن مبادئها الإنسانية التي أسست من أجلها ، و تحوّلت إلى عصابة من القراصنة همهم قطع الطرق و الإنتقام من المسلمين بتقتيلهم و نهب ممتلكاتهم . انظر:

- محمد عمر الجاروني، الإسيبان و فرسان القديس يوحنا في طرابلس د.ط، مطبعة ماجي ، طرابلس 1952، ص، 75..80 .

3- محمد علي عامر، محمد خير فارس ، تاريخ المغرب .. مرجع سابق، ص، 237.

4- محمد علي عامر، محمد خير فارس ، نفسه، ص، 237.

5- لقد بدأ الخطر الداهم عندما تحوّلت الإمتيازات الأوربية التي منحتها لهم الدولة العثمانية داخل البلدان العربية إلى سوس يخر جسد الدولة العثمانية ، ثم جاءت " التنظيمات " و " الدستور العثماني " و ما شابهه من الدساتير التي أصدرتها بعض الإيالات العثمانية تشبهاً و تقليدا شكليا للأوربيين ليس إلاّ، كالدستور الذي أصدره أحمد باي في تونس المعروف بـ " عهد الأمان " ، و الذي أعطى حقوقا للأجانب أكثر من أبناء تونس انفسهم، ممّا وسع من نفوذ و أطماع الأجانب في البلاد العربية ، و (إطلاق يدهم بالعبث فيها ، ففسّح المجال للتيارات والحركات الهدامة بالانتشار في طول البلاد و عرضها، و كان من بينها على سبيل المثال منظمة ( الإتحاد العثماني ) ذات الجذور الماسونية ، تأسست سنة 1889م بزعامة إبراهيم تيمو الروماني ، جعلت أهدافها مقاومة حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، و من هذه الجمعية تفرّعت ( جمعية الاتحاد و الترقّي ) ذات الجناحين

سنة 1872م، حيث رأى أن الولاية تعاني ضعفا في حركة التطور العلمي والإقتصادي، فانصرف إلى تعميمها بتشجيع الزراعة فيها خاصة غراسة الزيتون والأشجار، و بنى قصرا للحكومة من ناحية العزيزية و زوارة، وأقام مطبعة في قصر الحكومة في طرابلس لطبع الأخبار والكتب المدرسية، و سمي المجلة التي أعدتها المطبعة " طرابلس الغرب"، كما، وباشر بتوزيع الوظائف على المتعلمين من الأهالي، كما نظم مجالس الجنايات والحقوق والتجارة<sup>(1)</sup>

وعلى إثر إحتلال فرنسا لتونس سنة 1881م، سارع الوالي العثماني أحمد رستم باشا إلى مباشرة بعض الإصلاحات لإنقاذ الوضع في ليبيا المنهك أصلا، ثم جاء خلفه الوالي رجب باشا سنة 1905م، سارع بدون جدوى لتوقيف تغلغل النفوذ الإيطالي في ليبيا<sup>(2)</sup>.

#### 4-1- الحركة السنوسية والجامعة الإسلامية :

كان موقف ومبدأ الحركة السنوسية من حيث الولاء للدولة العثمانية موقفا واضحا منبثقا من منطلق شرعي، خاصة قبل عزل السلطان عبد الحميد الثاني، لذلك اعتبر زعماء الحركة السنوسية والليبيون عموما عدم الخروج على الدولة العثمانية: (( ولا نرى الخروج على أئمتنا و ولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم، و نرى طاعتهم طاعة لله عزّ وجلّ فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة))<sup>(3)</sup>.

ولمّا كان عبد الحميد الثاني قد اطمأنّ إلى صدق توجه الحركة السنوسية لدولة الخلافة العثمانية، وإخلاصها، حيث لمس ذلك من خلال انزعاج قناصل الدول الأوروبية من

المدني والعسكري، و كان جل أعضائها يحملون أفكارا فلسفية غربية علمانية ، كما دعت هذه الجمعية إلى "الطورانية" و تعني ( وطن الأتراك الأصلي مع تكريس سياسة التتريك )، و جعل أعضاؤها من جنكيزخان و تيمورلنك زعماء قوميين لهم ، فكان ممّن دعا و تبنى الطورانية شخصيات يهودية و صهيونية و قومية ، فتمكّنوا من الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908م ، بفضل نفوذ هذه الحركات الهدامة ، من أذرع صهيونية و ماسونية و قومية ، داخل أجهزة الدولة العثمانية. يقول أيوب صبري أحد قادة الإتحاديين العسكريين: (لقد وقعنا في شرك اليهود ، عندما نفذنا رغباتهم عن طريق الماسونية لقاء صفيحتين من الليرات الذهبية ، في الوقت الذي عرض فيه اليهود ثلاثين مليون ليرة ذهبية على السلطان عبد الحميد لتنفيذ مطالبهم إلا أنه لم يقبل ذلك)). انظر:

- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2001، ص، ص، 460، 463..

1- محمد علي عامر، محمد خير فارس، مرجع سابق، ص، 254.

2- محمد علي عامر، محمد خير فارس، نفسه، ص، 247.

3- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية، الإمام محمد بن علي السنوسي، ج1، ط1، مكتبة الصحابة، 2001، ص، 250.

نشاطها التي تعرقل مشاريعهم التنصيرية التي كانوا ينوون تنفيذها، وحذر السلطان محمد المهدي السنوسي من عمليات التسلل الأوربي داخل القارة الإفريقية، بدعوى الإكتشافات الجغرافية والبحث العلمي مبينا خطرهم على الدين والبلاد، كما أوصاه بأهمية إتفاف السنوسية حول الخلافة العثمانية كضمان قوة وشعار وحدة المسلمين وتضامنهم<sup>(1)</sup>.

#### 4-2- مساعي أحمد راسم باشا الإصلاحية :

كلفت الأستانة أحمد راسم باشا "1881-1896م" بإدارة ليبيا ومنحته سلطات مطلقة في ذلك، و استمرت ولايته في ليبيا اثنتي عشرة سنة، أثمرت إنجازات هامة ، كان يسعى أحمد راسم باشا من خلالها النهوض بهذه الولاية الفقيرة وتحقيق الإستقرار السياسي والإنتعاش الإقتصادي فيها، و حاول أن يسابق الزمن في ذلك بحيث كان لزاما عليه تنفيذ "البرامج الإصلاحية" التي أقرتها التنظيمات العثمانية من جهة، و تأهيل ليبيا لقطع الطريق أمام الأطماع الإستعمارية المتربصة بها .

وقام أحمد رستم باشا في ذلك بتدريب الأهالي على السلاح، وأقام لهم حملات توعية، وافتتح ستا وثلاثين مدرسة، كما أنشأ ورشات صناعية لتعليم الأيتام المهن المختلفة، واهتم بالزراعة و نظمها وأدخل إلى ليبيا زراعة أشجار القهوة، كما شيّد القصور في النواحي والأقضية، وأقام الفنادق في المدن، و حفر الآبار و زودها بالآلات البخارية الحديثة، كما أصلح مطبعة الولاية، وأقام الغرفة التجارية الليبية ومنع تجارة الرقيق، و منع الأهالي من التعامل مع الأجانب أو بيع أملاكهم، أو الإقتراض من بنك روما، إلا أنّ القدر لم يمهل الوالي أحمد راسم باشا حتى توفي سنة 1897م فبكاه الجميع بكاءً مُرا<sup>(2)</sup>.

وسعت ليبيا لإبقاء الرابطة مع الدولة العثمانية مخافة الوقوع ضمن مناطق النفوذ الإستعماري، كما وقع للجزائر، وكنوع من إشراك العناصر الوطنية والعربية في الإدارة، والعمل أحكام بالدستور داخل ولايات الدولة العثمانية، فقد قامت بتعيين ليبيا "مبعوثان"

1- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، ص، 246، 247.

2- محمد علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب .. مرجع سابق، ص، 246.

في مجلس الأمة في إستانبول، و هي تجربة لم تعرفها أقطار المغرب العربي الأخرى، كان منهم سليمان الباروني باشا<sup>(1)</sup> .

#### 4-3- مساعي رجب باشا و إبراهيم أدهم باشا :

كان السباق بين إصلاحات بعض الولاة العثمانيين المتأخرين، وتغلغل النفوذ الإيطالي على أشده قبيل ساعات الحسم النهائي في ليبيا، فكانت ولاية رجب باشا "1906-1908م" الذي سيكون له دور في تمكين تغلغل النفوذ الإيطالي في ليبيا<sup>(2)</sup>، ثم خلف رجب باشا سنة 1908م أحمد فوزي باشا الذي قاوم هو الآخر بنك روما و طالب حكومة الإتحاديين رسمياً بغلقه، كما كان من إصلاحاته إنارة مدينة طرابلس بالكهرباء و دخلت السيارة في عهده الولاية، لكن في المقابل زاد النفوذ الإيطالي هناك بقوة<sup>(3)</sup> .

ثم جاء إبراهيم أدهم باشا، كآخر الولاة العثمانيين الذي حكم الولاية سنة 1910م، فتصدى علانية للإيطاليين وهددهم بالرجوع إلى السلاح، كما طالب حكومة الإتحاديين تزويد الولاية بالسلاح والمدربين العسكريين، إلا أن رئيس وزراء الإتحاديين حقي باشا<sup>(4)</sup> المتزوج من إيطالية، كان يكره إبراهيم ويحقد عليه لمواقفه تجاه الإيطاليين، فصدر فرمانا باسم السلطان يقضي بعزله دون بديل عنه، لأن النية قد عقدها الإتحاديون

\*1- سليمان الباروني باشا(1870-1940م): من قبيلة البارونيين، ولد في جبل نفوسة بليبيا، درس في الجزائر على الشيخ محمد بن يوسف أطفيش في واحات بني ميزاب، حيث معهد بني يسقن الذي أسسه الشيخ أطفيش نفسه، ثم تنقل بين تونس و مصر ، و أسس جريدة الأسد الإسلامي ، و المطبعة البارونية في مصر ، كما تنقل إلى أوروبا و عبر البحر المتوسط في غواصة ألمانية إلى ليبيا ليتولى قيادة المقاومة ضد الإيطاليين .، كان الباروني مهتماً بالنهضة العلمية في وادي ميزاب، فاهتم بطبع الكتب الخاصة بالمذهب الإباضي، و مؤلفات شيخه أطفيش ، كما شجع المطابع و المجلات، و تفادى الخلافات المضرة ، و هو الذي شجع أبا اليقضان على إنشاء المطبعة العربية في الجزائر، واهتم الباروني بالنهضة في الجزائر ورحب بإنشاء جمعية العلماء و ينعتها بالجليلة ، و ظل مهتماً بالقضايا الإسلامية و لاجناً بدون وطن بعدما تمكن الإستعمار من ليبيا و بقية الأقطار العربية شرقاً و غرباً ، فلجأ أخيراً عند الملك فيصل و منحه الجنسية ، و كان الباروني ضد حركة والده الشريف حسين سنة 1916م . ليستقر في نهاية الأمر في أرض أجداده البارونيين بمسقط حتى أدركته الوفاة. انظر:

- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق، ص 398-418 .  
2- أنشأ الإيطاليون في ليبيا فروعا لمصرف (بنك دي روما) في طرابلس و برقة ، و أخذ يقدم المساعدات للمزارعين ، فإذا تعذر على هؤلاء المزارعين تسديد ديونهم استولى المصرف على أراضيهم، كما أنشأ مكتبا للبريد في بنغازي، فكان الإيطاليون يرسلون عن طريقه ما يشاؤون من رسائل و تقارير بغير رقابة، كما أنشأت إيطاليا في ليبيا مدارس لتعليم اللغة الإيطالية و نشر ثقافتها ، كما بنت بعض المستشفيات ، كما أخذت ترسل بعض البعثات التنصيرية الكاثوليكية، و بعثات لمسح الأراضي و التفتيح عن المعادن. انظر:

- محمود شاكر، التاريخ المعاصر تاريخ المغرب ، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص، 15 .  
3- محمد علي عامر، محمد خير فارس، مرجع سابق، ص، 249 .

\*4- حقي باشا(1836-1918م) صدر أعظم في حكومة الإتحاديين، متزوج من إيطالية و عُيِّن سفيراً في روما (1910-1911م)، توطأ مع الإيطاليين ضد ليبيا و طلب من الباب العالي محاكمته، أما معاونيه فقد انخرطوا في صفوف الإيطاليين بمجرد دخولهم إليها.  
- محمد علي محمد الصلابي، السنوسية في ليبيا، دار البيارق، عمان، 1999، ص، 11.

لتسليم ليبيا لقمة سائغة لهم، وهذه إحدى ثمار الإنقلاب الذي قاموا به ضد الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني<sup>(1)</sup> .

فأقبلت السفن الإيطالية على احتلال ليبيا؛ فسقطت طرابلس سنة 1911م، ليتم إبرام الصلح بين تركيا وإيطاليا بتوقيع معاهدة أوشي "لوزان"، وتمّ خلالها اعتراف تركيا رسمياً بالحماية الإيطالية على ليبيا سنة 1912م .

#### 4-4- المسعى الإصلاحى :

تناول الدكتور أحمد صدقي الدجاني الفصل الأخير من أطروحته للدكتوراه بعنوان: "اليقظة والنضال الشعبي بين 1882-1911م" في ليبيا واعتبر هذه المرحلة فترة اختمار اليقظة لدى المثقفين، باستشعار الخطر الأوربي المهدق بالبلاد، والدعوة إلى العمل المسلح، والإصلاح والترقي عن طريق الصحافة وغيرها من المنابر، وخاصة خلال السنوات الأخيرة ما بين إنقلاب الإتحاديين في تركيا 1908م والغزو الإيطالي في البلاد 1911م<sup>(2)</sup>

#### 4-1- سليمان الباروني "1870-1940م" :

وكان الشيخ سليمان الباروني، وهو أحد الزعماء الليبيين، النشيطين ثقافياً وسياسياً، وواحد من رجال النهضة الليبية مطلع القرن العشرين، ونصير الجامعة الإسلامية ((بالسيف وبالقلم))<sup>(3)</sup>، دعا المسلمين إلى الوحدة في ظل الإسلام، كما كان يتواصل مع رجال الحركة الإصلاحية سواء في المشرق أو المغرب يتناول معهم مواضيع تتعلق بقضايا الإسلام ومقاومة الإحتلال الأجنبي، يقول سعد الله: ((أنه لا ينكر أحد جهاد سليمان الباروني في حركة الجامعة الإسلامية أوائل هذا القرن و في حرب طرابلس ضد الإيطاليين وقيادته النضال بالسيف والبنادقية خلال عشر سنوات تقريبا من أجل تحرير

1- \* عبد الحميد الثاني ( 1842-1918م) : أخ سلطان عثماني منذ 1876م . سعي للوقوف في وجه تغلغل النفوذ الإستعماري و الماسوني في البلاد العربية ، وقف في وجه الأطماع الصهيونية في فلسطين ، اسقطت حكمه "جمعية الإتحاد و الترقى" التركية سنة 1909م. انظر: - المنجد في اللغة و الأعلام، ط36، دار المشرق، بيروت، 1997، ص. 365 .  
2- عمّار جحيدر، أفاق و وثائق في تاريخ ليبيا الحديث، د. ط ، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1991، ص. 45 .  
3- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص. 216 .

بلاذ طرابلس، فكان يدعو إلى الوحدة الإسلامية وتجاوز الخلافات المذهبية و يقف ضد دعاة الشعبوية ويعني بهم دعاة العروبة ((1).

#### 4-2- دور الصحافة :

لقد ساهمت الصحافة في بعض المدن الليبية بدعم الجامعة الإسلامية، فكان في أول ديسمبر من عام 1908م ظهور جريدة "الكشاف"، و كان مديرها المسؤول محمد النائب الأنصاري، الذي وصف الجريدة بأنها ملتزمة بخط الجامعة الإسلامية(2).

كما صدر العدد الأول من جريد "العصر الجديد" أوائل سنة 1908م، و صفت نفسها بأنها سياسة علمية وجعلت شعارها " من الشعب و إلى الشعب"، و سارت في تيارها بتبني فكرة الجامعة الإسلامية(3).

كما كان لسليمان الباروني باع في مجال الصحافة، بحيث أسس مطبعة في القاهرة سماها المطبعة البارونية(4)، و كذلك " مطبعة الأزهار"(5) التي حدّد هدفها قائلاً: (( أن تكون خادمة للدين، سائرة في ركاب الجامعة الإسلامية، ناثرة للآداب ولكل ما فيه نفع وإرشاد الأمة والهيئة الإجتماعية مترقية في مدارج التقدم)) (6)، كما شجّع على إنشاء الصحف في الجزائر حتى تتصدّى للمشروع التغييري للإستعمار الفرنسي(7)، التي زارها عدّة مرات، وأصدر كذلك جريدة باسم "الأسد الإسلامي" سنة 1908م، و جعل على رأس أهدافها بذل النصح والإرشاد للأمة من أجل التقدم والنهوض بها بين الأمم الحيّة، ومزاحمتها في معترك النهوض(8).

1- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. المرجع سابق. ص.409.

2- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص،248.

3- علي محمد الصلابي، المرجع نفسه، ص،248.

4- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص،399.

5- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص،249.

6- علي محمد الصلابي، نفسه، ص،248.

7- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ.. مرجع سابق. ص،402.

8- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص،249.

#### 4-3- المقاومة الليبية الأولى 1911-1918 :

لقد اعترفت الدولة العثمانية في ليبيا بالسيد أحمد الشريف السنوسي، فأصدر السلطان عشية الحرب العالمية الأولى "فرمانا" يقضي بتعيينه قائدا للحركة السنوسية في ليبيا، و نائبا للسلطان العثماني في إفريقيا، و تسميته وزيرا أول<sup>(1)</sup>..

ولمّا علم أحمد الشريف السنوسي بمعاهدة الصلح التي وقّعها حكومة الإتحاديين مع الإيطاليين أرسل خطابا إلى أنور باشا<sup>(2)</sup>، قال فيه: ((نحن والصلح على طرفي نقيض، ولا نقبل صلحا بوجه من الوجوه، إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد إلى العدو))<sup>(3)</sup>، فباشروا الليبيون عمليات الجهاد عبر شتى جهات البلاد .

#### 4-2- دور الشباب 1919-1938 :

كانت الحرب العالمية الأولى مرحلة هامة في تاريخ اليقظة المغاربية، وكانت تأثيراتها مشتركة بين هذه الأقطار، فكان التجنيد الإجباري، والإحتكاك المباشر بأوربا من خلال الحرب أو العمل ضمن المجهود الحربي، ساعد ذلك على خلق وعي وطني وحسّ حضاري للمجنّدين الشباب أو العمّال المهاجرين في أوربا أو السياسيين وطلاب العلم في المشرق، دفعهم ذلك إلى تشكيل لجان و جمعيات لتحرير بلدانهم، فنسقوا مجهوداتهم وخطبوا الرأي العام العربي والإسلامي لأجل التعاون والتآزر .

ويذكر الشيخ محمد عبده، أن الإسلام الذي كان يدعو وطنيو شمال إفريقيا إليه، باستثناء ليبيا التي كانت تمر بظروف خاصة، إنما هو الإسلام الإصلاحية، فالحركة الإصلاحية المغاربية كانت قد تأثرت بدعوات الإصلاحيين في المغرب والمشرق العربي، كما كان لشكيب أرسلان دور في الدعوة للمزج بين الإصلاح الإسلامي والقومية العربية مما استهوى كثيرا شباب شمال إفريقيا .

1- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي .. مرجع سابق، ص98.  
2- \*أنور باشا(1881-1922م): أصبح فيما بعد من أشهر رجال تركيا، و قد استلم وزارة الخارجية، و كان له دور في ثورة تركستان، و قد قتل و هو يقاتل ضد المستعمرين في بخارى عام 1922.. انظر:  
- محمود شاكر، ليبيا.. مرجع سابق، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، لبنان، 1972، ص43.  
3- محمود شاكر، التاريخ المعاصر تاريخ المغرب، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص20.

2-1 الجزائر 1919-1938م :

إنّ تطوّر الأحداث خلال الحرب الأولى "1914-1918م"، ساهمت في بروز تصوّرات ناضجة للعلماء، مما سيؤثر على مساعيهم في إطار برنامجهم النهضوي، فلقد (( كانوا يدعون الجزائريين إلى اليقظة من سباتهم الطويل))<sup>(1)</sup>، وذكر الشيخ البشير الإبراهيمي<sup>(2)</sup>، أن عدة عوامل دفعت بالحركة الإصلاحية إلى الظهور في الجزائر منها :

- صدى دعوات زعماء الإصلاح، كدعوة الشيخ محمد عبده عبر جريدتي المنار والعروة الوثقى، وجرائد محب الدين الخطيب كجريدة المؤيد .

- الثّورة التّعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس في مساجد قسنطينة ومدارسها، ثم بعد ذلك مساجد ومدارس الجزائر كافة .

- عودة مجموعة من الجزائريين من ذوي العلم والثقافة الإسلامية من الحجاز و مصر وتونس والشّام بعد الحرب العالمية الأولى ومساهماتهم في الحركة التعليمية<sup>(3)</sup> .

وستشهد الجزائر عقب الحرب الثانية ما اصطلح علي بـ"ظاهرة عودة الصحافة"، وقد أشار سعد الله إلى الظاهرة بقوله:<sup>(4)</sup> من الظواهر الهامة التي جاء بها العقد الثاني للحرب، هو إعادة ظهور وتدعيم الصحافة الوطنية. فكلّ اتجاه سياسي وثقافي تقريبا كانت له صحافته الخاصة التي تعكس برنامجه<sup>(5)</sup>، فكان من بواكير الأصوات الوطنية خلال هذه الفترة، ظهور الأمير خالد<sup>(6)</sup> الذي زواج في دعوته النضالية بين الدين والوطنية،

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2،.. مرجع سابق، ص،401.

2- \* محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965م): هو محمد البشير الإبراهيمي، بن محمد بن محمد بن السعدي، ولد بقرية أولاد براهيم بقرية رأس الوادي بدائرة سطيف في الشرق الجزائري، و هي قبيلة عربية النسب، ترعرع في وسط عائلة جزائرية دائمة الصيت، توارث أفرادها العلم أبا عن جد، منذ أكثر من خمسة قرون، يقصدها طلاب العلم والمعرفة من مختلف أنحاء البلاد، فتنكّل بمستلزمات إيوائهم وتعليمهم، إلى أن حصلوا على مبتغاهم العلمي والمعرفي، هاجر الإبراهيمي سنة 1911م إلى المشرق العربي، للاستزادة في طلب العلم والمعرفة، و مكث هناك إلى غاية سنة 1920م، وبعد عودته إلى الجزائر بذل جهودا كبيرة في التربية والتعليم، و قد كانت فلسفته في تكوين النشء، ترتكز على تربيته على الأفكار الصحيحة والأخلاق الحسنة، و كان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، في نادي الترقى بمدينة الجزائر، بغرض محاربة الآفات الاجتماعية، و شارك في المؤتمر الإسلامي الأول سنة 1936م، و بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1940م أختير رئيسا للجمعية. أقام الإبراهيمي في المشرق وبعض البلدان الإسلامية خلال الفترة 1952-1962م طلبا للمساعدة من الأشقاء العرب والمسلمين، لدعم النهضة العلمية والثقافية الناشئة في الجزائر، و لحشد الدعم المادي والمعنوي للثورة التحريرية، مباشرة إثر إندلاعها في الأول من شهر نوفمبر سنة 1954م، ترك الإبراهيمي بعد وفاته الكثير من الخطب والمقالات، و الأحاديث والدروس والمحاضرات، التي جمعت تحت عنوان: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، و هي ذات قيمة أدبية ولغوية وسياسية كبيرة. انظر:

- بشير فايد، الإمام البشير الإبراهيمي داعية الوحدة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص8.

3- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 89.

4- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3،.. مرجع سابق، ص.ص296.

5- الأمير خالد (1875-1936م): هو ابن الهاشمي بن الأمير عبد القادر ولد بدمشق و توفي بها، عاش في الجزائر وتعلّم بها، و دخل معترك السياسة، ففي سنة 1925م.. انظر:



فأيقظ الشعور الوطني وأحيا الأمل في النفوس، ولكن الإستعمار كتم صوته وسارع بنفيه إلى الشام، فبكاه الكتاب والشعراء زعيما وطنيا حرا، بذلك فإنّ الزّخم النهضوي الذي شهدته هذه الفترة ، كانت له جذورا طويلة موعلة في تاريخ النضال الوطني، (( الذي بدأه هؤلاء الرجال كان لهم باع في إثراء المجتمع بالقيم الإجتماعية والعقلية، وتركوا واهم تراث عظيم من عهد النهضة 1900-1914م))<sup>(1)</sup> .

خلال فترة ما بين الحربين شهدت الجزائر نضال سياسي مفعم من مختلف التيارات، وانصبّ الحديث حول ظهور جماعة "الشباب الجزائري" على غرار الشباب التونسي والشباب المصري والشباب التركي، وهو مصطلح وارد على العالم الإسلامي من أوروبا، روّجت له وسائل الإعلام الغربي "الإستعماري"، بهدف إبراز دور النخب التي كونتها المدارس الغربية على حساب النخب التقليدية "العلماء" الذين فاتهم - في نظر وسائل الغرب و أبواقه - ركب الحداثة ولا يفهمون روح العصر<sup>(2)</sup>، و كان ذلك بمثابة تحضير الساحة السياسية سواء في الجزائر أو غيرها من البلدان العربية والإسلامية، من أجل أن تكون في صالح من يراهم الإستعمار أمناء على "مشروعه الحضاري" في إدارة المستعمرات .

## 1-1- الإِتجاه الإِستقلالي :

بدأ هذا الإِتجاه نشاطه الفعلي خلال عشرينات القرن العشرين بقيادة الأمير خالد<sup>(3)</sup> حفيد الأمير عبد القادر بتطبيق تقرير المصير على الجزائر، ثم ظهر حزب نجم شمال إفريقيا سنة 1926م، بزعامة مصالي الحاج، و لم يمتلك برنامجا إصلاحيا، وبقي حتى سنة 1936م يؤمن بمثالية الإِشتراكيين والشيوعيين<sup>(4)</sup>، الذي أخرج الإستعمار بمطالبته

- محمد بن سميحة ، أسس مشروع .. مرجع سابق، ص،52.

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992. ص.ص. 407.

2- القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص216 .

3- الأمير خالد(1936م) : بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري، ولد بدمشق، وانتقل إلى الجزائر و نشأ فيها وترى تربية إسلامية، و دخل المدرسة العسكرية الفرنسية فتخرّج منها ضابطا، و بعد الحرب الأولى 1918م عاد إلى الجزائر، و كان جريئا في دفاعه عن هوية الأمة و المواطنين ، و أنشأ جريدة الإقدام سنة 1920م ، إلا أن السلطات الإستعمارية سارعت إلى نفيه مخافة تنامي نفوذه و أنصاره. انظر:

محمد علي ديبوز، نهضة الجزائر الحديثة .. مرجع سابق، ص،ص،24 و25 .

Benyoucef Benkhedda, *Les Origines du 1<sup>er</sup> Novembre* ed.Dahleb.Alger.1988.p.p.200.203.

-4

المبكرة بالإستقلال، فطلّت السلطات الفرنسية تطارده، و تسجنه، وتحلّ حزبه، ففرّ إلى ويسرا حيث التقى بالأمير شكيب أرسلان الذي أيقظ فيه الضمير الإسلامي<sup>(1)</sup>.

وإذا كانت يقظة الشعوب قد بدأت بالتحرك السياسي، فإنّ يقظة الجزائر أضافت إلى ذلك المطالبة باحترام اللّغة العربيّة و ترسيمها واحترام الشريعة الإسلامية، و قد جسّد هذه المطالبة ابن باديس بين عامي 1920-1940م حين أطلق مشروعه النهضوي في بعث التعليم العربي التاريخ الوطني والإصلاح الإسلامي<sup>(2)</sup>، لأنّ الخط الذي سار عليه ابن باديس وبقيّة العلماء، بحكم ماضيهم، و فلسفتهم الثقافيّة، (قد نادوا بإحياء الشخصية الجزائرية الثقافيّة كوسيلة لإعادة الشخصية السياسيّة)<sup>(3)</sup>.

وكان الإبراهيمي قد التقى ابن باديس<sup>(4)</sup> المدينة المنورة، حيث كان شغلهم الشاغل في معظم أحاديثهم، هو "التخطيط لنهضة و إستقلال الجزائر" (( كنا نؤدّي صلاة فريضة العشاء الأخيرة كلّ ليلة في المسجد النبوي، ونخرج إلى منزلي نسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل.. كانت هذه الأسماء المتواصلة، كلّها تدبيرا للوسائل التي تنهض بها الجزائر، و وضع البرامج المفصّلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلّها صورا ذهنية تتراءى في مخيلتنا..))<sup>(5)</sup>.

1- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة و النشر، الجزائر، 1984، ص، 73.

2- أبو القاسم سعد الله، بحث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 527.

3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، مرجع سابق. ص. ص. 298.

4- عبد الحميد بن باديس (1889-1940م): بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس، ولد في ليلة الجمعة الرابع من شهر ديسمبر سنة 1889م في مدينة قسنطينة، تلقى ابن باديس تعليمه على الطريقة التقليديّة، فحفظ القرآن الكريم، و عرف بنكائه واستقامة خلقه، و سيرته الطيبة، و كان يوم المصلين في صلاة التراويح مدة ثلاث سنوات متواصلة في الجامع الكبير بمدينة قسنطينة، و اختار له والده أحد علماء قسنطينة و هو حمدان الوبيسي ( المولود في 1856) كي يلقنه العلوم العربيّة و الإسلاميّة، و عندما بلغ ابن باديس تسعة عشر عاما سنة 1908م سافر إلى تونس لإكمال تعليمه الثانوي و العالي بجامع الزيتونة، فكان من أساتذته هناك محمد النخلي زعيم النهضة الفكرية في تونس، و كذلك الأستاذ، محمد الطاهر بن عاشور، شيخ الزيتونة و أحد رواد النهضة في تونسية، و محمد الخضر، و محمد الصادق النيفر... و كان ابن باديس مقبلا على العلم شغوقا بالمطالعة، و كان عمره آنذاك ثلاثة و عشرون عاما، ليملك هناك سنة أخرى قضاها مدرسا في جامع الزيتونة، و عرف بين أقرانه بالخلق القويم و المواظبة على أداء الفرائض الدينيّة في أوقاتها، و البعد عن مواطن الشبهات، و في سنة 1913م عاد إلى قسنطينة، فراح يبقي دروسا في الجامع الكبير، ثم قام في السنة نفسها برحلة إلى المشرق العربي فحجّ، و مكث في المدينة المنورة ثلاثة أشهر ألقى فيها دروسا عديدة في المسجد النبوي الشريف، كما إنلقى فيها بعلماء و مفكرين من كافة أنحاء العالم الإسلامي، كما التقى بالشيخ حسين أحمد الهندي، الذي أشار عليه بضرورة العودة إلى الجزائر لحاجتها إلى علمه، كما لازم ابن باديس الشيخ البشير الإبراهيمي طيلة إقامته في المدينة المنورة، و كانا يقضيان وقتهما يبحثان و يدرسان أوضاع الجزائر و الأمة المتردية من جميع النواحي، و يفكران في وسائل العمل من أجل النهوض بها من كبوتها و تخليصها من قبضة الإستعمار و رجال الطرق الصوفيّة المنحرفون و المتعاون معهم معه. انظر:

- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص. ص. 48.. 54.

5- لطيفة عميرة، المرجع السابق، ص 56.

إن ظروفًا محيطة وإمكانيات ذاتية، كلُّها مكَّنت عبد الحميد بن باديس من قيادة حركة التجديد الإسلامي في الجزائر والمغرب العربي، وعمل على بعث العروبة والإسلام فيها، اللذين عمل الإستعمار، ورجال التنصير لمدة قرن من الزمن على محاولة القضاء عليهما، تمهيدا لفرنسة الجزائر و تنصيرها ثم إدماجها في فرنسا<sup>(1)</sup> .

### 3- تونس 1919-1938م :

تونس هي الأخرى شهدت نهضتها بين الحربين أيضا<sup>(2)</sup>، وتواصلت بشكل أقوى وأشدّ خلال هذه الفترة التي أطلقنا عليها مرحلة الشباب "1919-1939م"، و التي دشّنت خلال المرحلة الثانية من النضال الوطني في تونس، حيث برزت عدّة مؤلفات تدعوا إلى الإصلاح، فبعد العزيز الثعالبي<sup>(3)</sup> دافع في كتابه عن "روح التحرير في القرآن" كما كتب عن "تونس الشهيدة"، و كان واحدا من مؤسّسي الحزب الدستوري و زعيما له، وكانت حينها جريدة "الصواب" قد نشرت في صفحتها الأولى يوم 15 جوان 1920م عنوان "الدستور في تونس" متبوع بمجموعة مطالب قدمها الثعالبي للمقيم العام في تونس<sup>(4)</sup>، فاعتُبر بحق ((الباعث الأوّل للحركة الوطنية)) في تونس<sup>(5)</sup> .

وبذلك، يمكننا أن نعتبره أول حزب سياسي يبرز على مستوى المغرب العربي، و دعا الثعالبي من خلاله إلى ضرورة إقامة نظام دستوري في تونس، و تأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب<sup>(6)</sup> .

كما نادى عبد العزيز الثعالبي برفع الحماية عن تونس، فنفته فرنسا و بقي الميدان لأتباعه، وهم جيل جديد من خريجي المدرسة الصادقية والمدارس الفرنسية، و كانت رؤية

1- لطيفة عميرة ، نفسه، ص، 56 .

2- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ.. مرجع سابق. ص218 .

3- عبد العزيز الثعالبي(1876-1944م) : من رواد الحركة الإصلاحية والمفكرين البارزين بتونس في الميدان الإصلاح الاجتماعي و السياسي والديني ، و هو خطيب و محدّث و مؤرخ يستند على الأدلة العقلية و الفلسفية .. جمع الثعالبي بين النضال السياسي الوطني و القومي و العمل الفكري و الحضاري من أجل النهوض بالأمة العربية الإسلامية ، و هو ما أدى بالأمر شكيب أرسلان إلى أن يُشيد بعمله بقوله : إن الثعالبي بحر لا ساحل له .. للمزيد انظر :

- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق.ص، 119.

4- أحمد القصاب، تاريخ تونس .. مرجع سابق، ص، 503.

5- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1856م، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990، ص، 60.

6- الطاهر عبد الله، المرجع نفسه ، ص، 55.

بعضهم في النهضة والإصلاح تختلف عن رؤية شيخهم، فقام بعضهم في الثلاثينات بتأسيس الحزب الدستوري الجديد انتخبوا على رأسه الحبيب بورقيبة<sup>(1)</sup>، حيث سيتبين لاحقاً؛ أنه راعي المشروع التغريبي في تونس، و كان ذلك بداية الإنحراف بالمشروع النهضوي لتونس الحديثة، بعدما تم تفريغه من روحه الإسلامية، بتوجيه من الدوائر الإستعمارية الفرنسية .

إنّ أفكار الجامعة الإسلامية و نشاط رجال النهضة التونسية وجامع الزيتونة، والجمعية الخلدوني، والجرائد التنويرية الوافدة، وضغوط الحماية الفرنسية وجشع المعمرين ومظالمهم، ومصادرة الحريّات.. كانت كلها عوامل ساهمت بشكل أو بآخر في ظهور الحركة السياسية التونسية كجزء هام في تبلور المشروع النهضوي فيها .

وبرز في تونس مطلع ثلاثينيات القرن العشرين مجموعتين من المثقفين والأدباء: الأولى تعرف بـ"جماعة تحت السور"<sup>(2)</sup> رفضوا الأخلاق التقليدية و تحرّروا من كل تبعية اجتماعية، و كانوا يعيشون عيشة بوهيمية<sup>(3)</sup> منهم المسرحيين والمغنيين والرسّامين، ويعبّرون عن أفكارهم باللغة العربية والدارجة، و كان منهم علي الدوعاجي صديق أبو القاسم الشابي والظاهر الحدّاد، وأصدر كتابه "جولة بين حانات البحر المتوسط" الذي أفاض فيه القول حول ملذّات أوربا بنسائها وحاناتها وملاهيها<sup>(4)</sup>

إنّ هذا النوع من "النخبة المثقّفة" التي تمثل الخريجين الحقيقيين من "المدرسة الإجتماعية" للإستعمار الذي كان من أهدافه تجهيل الشعب و تخديره، و تدنيس الشباب

1- أبو القاسم سعد الله ، بحث في التاريخ .. مرجع سابق. ص218.  
2- هو واحد من النوادي الشهيرة في تونس العاصمة بين الحربين ، كان أعضاؤه يجتمعون للأنس وامتاع أنفسهم بالأحاديث الفنية و أدب الفكاهة و الهزل، فيهم الممثل و الموسيقي و الصحفي و القصّاص و و الشاعر و الناثر.. يكتبون بالعامية والفصحى..(.. الحياة البوهيمية هي المسيطرة عليهم، يقومون الليل لا في المآذن والجوامع و لكن بين محلاتّ اللهو والطرب ، ومع بنات الفن في دور الجمعيات و الفرق التمثيلية ..يعبثون و يطربون..) انظر:

- أحمد الطويلي، في الأدب العربي المعاصر، في المشرق والمهجر الأمريكي و تونس، د.ط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 2013، ص، 98، 97.

3- أول ما عرف مصطلح بوهيمي la boheme بفرنسا في منتصف القرن الثامن عشر لوصف أولئك المهاجرين العجر الذين جاؤوا من رومانيا مارين بمنطقة بوهيميا المعروفة اليوم بجمهورية التشيك ، حيث ازدهر هذا المصطلح عام 1885م ، بعد نشر الباريسي هنري موجيه مجموعته القصصية ( مشاهدة من الحياة البوهيمية ) ، و يستخدم مصطلح البوهيميون لوصف فنانيين يعيشون و يدعون إلى التفكير الحر المطلق غير المقيد محاولة منهم لإضفاء أسلوب خاص على إنتاجهم الأدبي والفني ، و لا يمتثلون في سلوكهم و أعمالهم إلى أعراف و تقاليد المجتمع. انظر:

- الموقع <https://ar.wikipedia.org/wiki> ،ابحث كلمة البوهيمية، فحص بتاريخ 2017/09/30 م .

4- أحمد القصاب، تاريخ تونس .. مرجع سابق، ص، 353.

المسلم بأرجاس رذائل الحضارة الغربية، وحدثتها المزيقة، حتى يبقى أسير شهواته، ولا يتطلع إلى قضايا أمته .

### 3-2- المؤتمر الأفخارستي :

يعتبر المؤتمر الأفخارستي هو واحد من المؤتمرات الدينية الإحتفالية للكنيسة الكاثوليكية حيث نظم بمدينة قرطاج بين 7 و 11 ماي 1930م، تم خلاله توزيع منشائر لدعوة التونسيين إلى اعتناق المسيحية، و نظم استعراض لآلاف الأطفال الذين يرتدون أزياء بها صلبان لتخليد ذكرى الحملة الصليبية الثامنة التي قادها لويس التاسع ( Louis IX)، أو لويس القديس (Saint louis)<sup>(1)</sup> لإحتلال تونس سنة 1270م .

وقد أراد الإستعماريون و رجال الدين المسيحي بمؤتمرهم هذا أن يُقنعوا الشعب العربي في تونس بأن الإحتلال الفرنسي هو عمل طبيعي.. فقد أتى الفرنسيون لتخليص التونسيين من الوجود العربي الذي أتى غازيا لهذه الأرض التونسية الرومانية<sup>(2)</sup>، كما تعهدت المسيحية المنتشية بالنصر بجلب الشعوب التي بقيت "ضالة" إلى حظيرتها، وذلك بفضل ما يعتقد أنه بحوزتها وهي وسائل الإقناع العتيدة<sup>(3)</sup> .

وتصدّي علماء جامع الزيتونة بقيادة الشيخ أحمد بيرم لأعضاء المؤتمر، بفتح جدال إعلامي حاد وعنيف فند فيه العلماء التونسيين وشيوخ الزيتونة وطلبتها و رجال الحركة الوطنية، و جريدة "صوت التونسي" مزاعم القساوسة<sup>(4)</sup> و قابل التونسيون ذلك بمظاهرات شعبية، كإضراب عمّال ميناء تونس و بنزرت، وإضراب طلبة جامع الزيتونة و واجهوا الشرطة الفرنسية حيث أسفر ذلك عن اعتقالات في صفوفهم<sup>(5)</sup> .

1- لويس التاسع حكم بين(1226-1270م) ، و في سنة 1244م أصيب لويس التاسع بمرض شديد ألزمه الفراش و نذر حينها لأن أنجاه الرب من مرضه ليخرجن على رأس حملة صليبية من فرنسا لغزو الأراضي المقدسة و استرداد بيت المقدس من المسلمين ، فشفي و قام بحملته الصليبية سنة 1249م حتى يحرر القدس من أيدي سلاطين مصر ، إلا أنه هزم و افتدى نفسه من الأسر و عاد إلى فرنسا ، فقام بإصلاحات سياسية و إنجازات عمرانية .في عام 1270م قاد الحملة الصليبية الثامنة ضد تونس أملا في حمل سلطانها الحفصي على اعتناق النصرانية ، و من ثمة الإنطلاق نحو مصر من أجل استلراجع بيت المقدس، لكن الملك مات دون أن ينجز مهمته.انظر:

- موقع <http://www.marefa.org> /لويس التاسع، فحص بتاريخ 29/09/2017م .

2- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية .. مرجع سابق،ص،55.

3- أحمد القصاب، المرجع نفسه،ص،533.

4- الطاهر عبد الله، مرجع سابق،ص،56

5- موقع شبكة الألوكة ، فحص في 28/09/2017م . <http://www.alukah.net/culture/0/91859>

### 3-3- الحزب الدستوري والصراع بين قديمه وجديده :

لقد كانت غاية الحزب الحر الدستوري التونسي، غداة تأسيسه هو الإستقلال، وانخرط في الحزب إلى جانب التونسيين الكثير من الجزائريين الموجودين في مختلف المدن التونسية، و (( اعتبر الجزائريون قضية الحزب الحر الدستوري التونسي قضيتهم وانتصارها هو انتصارهم، فاندفعوا في العمل فيه و دعموه بجهودهم السياسية والمالية والفكرية.. ))(1) .

وقد بنى الثعالبي الحزب الدستوري التونسي على أسس إيديولوجية طابعها الفكر السلفي الإصلاحى الذي يمتدّ إلى فكر جمال الدين و محمد عبده، بينما الشباب الذين انشقوا عن الحزب درسوا في أوروبا وتشرّبوا من التيارات الفكرية السائدة فيها، وتبنوا أساليب تنظيمية حديثة(2) .

وبمجيء المقيم العام الجديد بتونس سنة 1936م وهو "أرمان غيون" Armand Guillon راحت الإدارة الإستعمارية تعمل كما في بقية البلدان المغاربية الأخرى على تقريب صنف من رجال الحركة الوطنية، أو تيار وطني معين "يتفهم" مسألة تقاطع المصالح السياسية و يقبل في نهاية الأمر بما يعرف " بالحلّ الجزئية "، قد يعول عليه "لتأمين الخيارات الإستراتيجية لكلا الطرفين" .

ولمّا كان الحزب الدستوري القديم بما يحمله من مشروع وطني ونهضوي شامل وأصيل، و من يقف من ورائه من رجال الحركة الوطنية والإصلاحية الإسلامية الذين لا يقبلون التنازل والمساومة عن حق من حقوق الهوية الوطنية، فإنّ هذا التيار سيكون له مناوئين منشقين عنه، أُعتبروا "وطنيين معتدلين ومنفتحين"، بينما السلطات الإستعمارية التي ترى في هذا التيار تهديدا لمشروعها الإستعماري برمته ليس في تونس فحسب بل في كل بلدان المغرب العربي والعالم الإسلامي ككل .

1- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 102.

2- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية .. مرجع سابق، ص، 59.

ولقطع الطّريق على هذا التيار الإصلاحى الذى يمثله والحزب الدّستورى القديم ومن ورائه الثعالبي وجماعته من أمثال محى الدين القليبي والشىخ أحمد كركر..كان أعضاء الحزب الجديى المنشقّين على الحزب القديم قد أختاروا الدكتور محمود الماطري<sup>(1)</sup> رئيسا جديدا للحزب- ذو التوجه الإشتراكي والمقرّب من المقيم العام الفرنسى- الذى (( عمل على انتخاب الحبيب بورقيبة أمينا عاما للحزب تحت ضغط الأعيبه وحيله الحزبية ))<sup>(2)</sup>، و كان المقيم العام الفرنسى " بيروطون " يغذّي النزاع و يؤجّج نار الفتنة بتشجيع الإعلام الصحفى لكلا الطرفين بين مناصري الحزب الدستورى القديم والجديى، فمناصري الجديى يتهمون القداماء بالجمود والرجعية والسلبية والجبن، بينما القدامى يتهمون الجديى بالديماغوجية و الإرتجال والإرتماء فى أحضان الغرب الإستعماري والثقافة الغربية<sup>(3)</sup>. وكان بورقيبة عن طريق الكتلة المعارضة التى شكّلها ضد الثعالبي؛ يترصد الثعالبي فى كل مكان يقصده، الذى أصبح مهددا من قبل أنصار بورقيبة، وهذا ما قام به بالفعل أنصارا لديوان السياسى التابع لبورقيبة خلال الأحداث المأساوية التى وقعت فى مدينة ماطر بينهم و بين أنصار الثعالبي، إلا أنّ الثعالبي لم تنبيه تلك التصرفات من مواصلة الإجتماعات فى صمود وعزيمة، وفضح أعمال الديوان السياسى ورئيسه، واتهمهم بالتواطؤ مع الحكومة الفرنسىة وخيانة القضية<sup>(4)</sup>.

ولمّا كان بورقيبة فى جولاته الإعلامية المناوئة للثعالبي، ولفكرته فى مناطق شتى من تونس، و خلال إجتماع "مركز العروسة" الذى تمّ فى 20 سبتمبر 1937م مع رئيس

1- محمود الماطري(1897-11972م) : ولد فى تونس و عاش بتيما ،و كان جدّه الأول إنكشاريا قدم إلى تونس حوالي 1680م ، زاول الماطري دراسته الإبتدائية و الثانوية بمعهد الصادقية بين عامي(190 إلى 1916م) بعد تحضله على البكالوريا سنة 1919م و واصل دراسته فى كلية العلوم بفرنسا، و حصل على شهادة الدكتوراه فى الطب سنة 1926م و ناضل ضمن الحزب اليساري الفرنسى و كتب فى الصحف الإشتراكية الفرنسىة ، و ناهض دفن المتجنسين التونسيين فى المقابر الإسلامىة بتونس ، و أصبح واحد من محرري و رئيس جريدة( العمل التونسىة ) ، انتقد الإستعمار و نادى بحقوق التونسيين و العدالة الإجتماعية من وجهة نظر إشتراكية ، و عبّته المنصف باي رئيسا لأطبائه ، ثم عُين وزيرا للداخلية سنة 1942م ، و كان الماطري من مؤيدي " سياسة المراحل " الهادفة إلى تطوير العلاقة بين فرنسا و تونس و التدرّج فى الإستقلال التام ، وكان من أنصار الحوار معها ، كما تمّ انتخاب الماطري رئيسا للجنة العمل الفرنسى التونسى من أجل الصداقة و التعاون يوم 5 أبريل 1955م قبيل الإستقلال، و نشر الدكتور الماطري مقالا بجريدة " لو مند " بتاريخ 6 جويلية 1955م بعنوان( ننتمي كلّنا، تونسيون و فرنسيون، إلى العالم المتوسطي) مبررا بذلك النوايا الإيجابية للطرف التونسى الراغب فى تحقيق إستقلاله فى إطار التعاون مع فرنسا.انظر:

- محمود الماطري <http://www.mawsouaa.tn/wiki>

2- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنىة .. مرجع سابق،ص،66.

3- الطاهر عبد الله، نفسه،ص،62.

4- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجى .. مرجع سابق،ص،ص،38،39.

جمعية المعمرين السيد ماري " Mary Emile "، اغتتم بورقبيية فرصة حضوره فركز أثناء حديثه على موضوع التعاون الفرنسي التونسي (( الصريح والعاذل والكاامل))<sup>(1)</sup>، واقتنع السيد ماري بالفكرة " العاادلة " و تعهد بكل ما في وسعه لتحقيق ذلك .

وكان في هذا الظرف قد تقاربت النوايا أو نوع من " التحالف " غير المعلن عنه بجلاء بين سلطات الحماية من جهة، وبورقبيية وأعضاء مكتبه السياسي من جهة ثانية، و زعماء الطرق الدينية المعادين للإصلاح من جهة ثالثة<sup>(2)</sup> .

في حين راهن المقيم العام الفرنسي "بريتون" منذ سنة 1934م، على سياسة تقريب حزب بورقبيية المنشق " الحزب الدستوري الجديد"، مع إبعاد "الحزب الدستوري القديم" الذي يتزعمه الثعالبي، كما أطلق المقيم العام لحزب بورقبيية يده في تأسيس الجرائد والدعاية للسياسة التتويرية الجديدة التي تبني جسور التفاهم والتعاون مع فرنسا<sup>(3)</sup> .

إنّ هذا التوافق الذي بدى مبكراً بين سلطات الحماية والمستوطنين من جهة؛ و بين تيار بورقبيية من جهة أخرى؛ سينسف مساعي القوى الوطنية المغاربية في استكمال اتفاقات النضال المغاربي العسكري والسياسي، والمشروع الوحدوي المشترك، كما سيعقد مستقبلاً مساعي القوى الوطنية من إفتكاك إستقلال نهضوي وطني حقيقي .

وكان مالك بن نبي قد "تنبأ" في تحليله الخاص لمآلات المشهد التونسي حينما قال: (( إنّ الجهات العليا بباريس كانت تريد خيراً للجميع، ولكننا إذا تبصّرنا نحن في الأمر بإمعان، نرى أنّ الإستعمار، لو خيّر في تلك اللحظة، لفضل الجناح الجديد، كما سنؤكد ذلك الأيام... بعد عشرين سنة، ولكن إذا احتمل "الإستعمار" بعد كل ضغط و كل قمع، أن يتحقّق الإستقلال، ترى لمن تُسلم، على الأفضل مفاتيح القلعة؟ أمن الأليق.. أن تسلمها إلى بورقبيية، أم إلى الشيخ الثعالبي ؟.. فمن الواضح .. أنّ الثعالبي يرفع على القلعة "تونس" راية الإسلام، أو ما شابهها، بينما الآخر "بورقبيية" سيجعل منها... قلعة علمانية... إذا لم يبق

1- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجي .. مرجع سابق، ص، 39.

2- يوسف مناصرية، .. نفسه، ص، 41، 44.

3- يوسف مناصرية، .. نفسه، ص، 253.



أي تردّد في لدى الجهات الباريسية تجاه احتمال الإستقلال، يجب أن تسلّم المفاتيح إلى الحزب العلماني.. إذا آن الأوان، ولعلّ الإنشقاق الذي حدث في تلك الحقبة، إنما هي نتيجة مسبقة تمهيدا لإحتمال قد تصيّرهُ الأيام واقعا تاريخيا ((1).

#### 4- المغرب الأقصى 1919-1938م :

##### 4-1- مقاومة عبد الكريم الخطّابي "1921-1926م" :

باشتر المغاربة هذه المرحلة بانطلاق مقاومة عبد الكريم الخطّابي<sup>(2)</sup> ضد الإستعمار المزدوج الإسباني والفرنسي في منطقة الريف، وانتصر على الإسبان في معركة أنوال سنة 1921م واتّهمته السلطات الفرنسية بالتآمر، فسجن في سجن شفشاون عام 1916م، وعاد إلى مدينة أغادير سنة 1919م، و صمّم على القتال من أجل الإستقلال، فحاول الجنيرال سلفستر الإسباني رفقة قوّاته المؤلفة من أربعة وعشرين ألف جندي مجهّزين بالأسلحة و المدفعية التقدّم لإحتلال الريف المغربي؛ لكن قوات الخطّابي استدرجت سلفستر إلى منطقة أنوال الجبلية فحاصرتها و دخلا الطرفان في صدام مسلّح حيث كان النصر فيه حاسما للقوّات المغربية، وأبيد معظم جيش الحملة الإسبانية حيث فقد 15 ألف قتيل على رأسهم الجنيرال سلفستر<sup>(3)</sup>.

وخلال تحالف فرنسا واسبانيا حيث تمكنتا من الإيقاع بالخطّابي، حيث نفي إلى جزيرة في المحيط الهندي. ثم طلب اللّجؤ إلى مصر حيث واصل جهوده من أجل مواصلة النضال من أجل القضية المغربيّة، و أسّس هناك رفقة إخوانه المناضلين المغاربيين ما عرف بـ"لجنة تحرير المغرب العربي" الذي تولّى رئاستها.

1- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 357.

2- \*عبد الكريم الخطّابي (1882-1962م) : قال عنه السير كورتني عضو مجلس العموم البريطاني سنة 1921م : ( إن هذا الرجل الذي يُنادي باسمه أهل آسيا وإفريقيا والهند ، ويتغنّون باسمه... إن هذا الرجل الذي يقاتل باسم الإسلام و يعيد إمارة المؤمنين و الخلافة الإسلامية ، هو الخطر القادم على البلاد الأوربية ) .. ولد الأميرعبد الكريم الخطّابي بمدينة أغادير من بلاد الريف المغربي و ينتمي إلى قبيلة ورياغل من أكبر قبائل البربر، حفظ القرآن في صغره وأرسله والده إلى جامع القرويين بمدينة فاس ، و عيّن قاضيا في مدينة مليلة سنة 1914م ، و قاد مقاومة مسلّحة ضد الإستعمار المزدوج الإسباني و الفرنسي بين عامي 1921 و 1926م ، و انتصر في في عدّة معارك ، فاضطر للإستسلام و نفته فرنسا إلى إحدى الجزر و منها إلى القاهرة ، و كانت له أنشطة في مصر ، كما كان له مع بعض القادة والشخصيات العربية والإسلامية لقاءات و اتصالات ، منهم الشيخ حسن البنا الذي التقى معه في كثير من المناسبات ، و لما اغتيل حسن البنا كتب الخطّابي يقول: (ويح مصر.. و إخوتي أهل مصر ممّا يستقبلون ممّا اقترفوه، فقد سفكوا دم وليّ من أولياء الله...). انظر:

- موقع درأغب السرجاني. [islamway.net/article/49285/-002](http://islamway.net/article/49285/-002) - الأمير-محمد بن عبد الكريم الخطّابي ، فُحص في 20/08/2017م .

3- عثمان أشقراء، الوطنية و السلفية الجديدة بالمغرب من 1930 إلى 1956م، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص95.

مثّلت حينها مقاومة عبد الكريم الخطّابي- كما كانت في ليبيا مقاومة عمر المختار- خطوة و ظاهرة من مظاهر اليقظة الفعلية والإصلاح الشامل في مشروع النهوض المغربي نحو الإنعتاق من نير الإستعمار الإمبريالي ومخططاته التّغريبية، مع العمل على ترسيخ القيم العربية والإسلامية .

وتزامنا مع مقاومة المجاهد عبد الكريم الخطّابي أواخر عشرينات القرن العشرين، اختارت "الحركة الوطنية" في المغرب النضال السياسي والثقافي والإعلامي السلمي، واتخذت شكل أحزاب و جمعيات و نقابات و صحف ومجلات، فراحت تستجدي سلطة الإحتلال بإصلاحات لتأهيل المغرب وإصلاح أوضاعه، لكن فرنسا الإستعماريّة كما في بقية البلدان المغاربية، قابلت هذه المطالب بعناد وأذان صمّاء، وإن كان ردّها في أحسن الحالات لا يعدو إلا أن يكون تسويفا أو وعدا مؤجّلا، كبقية الوعود السّابقة واللاحقة، وهذا مما سيدفع الحركة الوطنية لاحقا إلى تفعيل مستوى تحديها للسلطات الإستعمارية .

#### 4-2- نشاط النخب الإصلاحية والوطنية :

##### 2-1- المدارس التعليمية :

من بين الأنشطة العلمية للمغاربة في هذه الفترة، فتح مدرسة الحياة، التي أسّسها محمد بن اليميني الناصري سنة 1924م بالزاوية المعطاوية بالرباط، كنواة أخرى، كما كانت بقية المدارس الأخرى تهتم بنشر الإصلاح الديني والفكري والخلقي، كما نجد الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي "1844- 1931م"، السلفي الإعتقاد، وأوّل من تظاهر في المغرب بالأفكار الحرّة و الإعتقاد الصّحيح، البعيد عن الأوهام والخرافات الفاسدة<sup>(1)</sup> .

وأبو شعيب الدكالي "1878- 1937م" الشيخ الإمام المفسّر والمحدّث، مقرئ القراءات السبعة، الذي تتلمذ عليه روّاد الحركة الوطنيّة وجيل النهضة، تولى القضاء وترأس وزارة العدل في عهد المولى يوسف، لازم التدريس طيلة حياته<sup>(2)</sup>، و هو من أكثر العلماء تأثرا بالأفكار التي طرحها محمد عبده، و كانت دروسه الحديثية في فاس تحظى باهتمام

1- محمد المكي الناصري، إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة .. مصدر سابق ، ص ، 64 .

2- محمد المكي الناصري، المصدر نفسه ، ص، 65 .

كبير، حيث كان يحضرها الكثير من العلماء، كما ألقى دروس في كل بلدان المغرب العربي (1) .

وكذلك الحاج العتّابي، توجه إلى الشرق، ثم إلى الأستانة وانضم إلى الشخصيات النشيطة تحت ظل الجامعة الإسلامية، و مثل المغرب في المؤتمر الإسلامي، حكمت عليه المحكمة العسكرية الفرنسية بعدم الدخول إلى المغرب والإستيلاء على أملاكه، كما شارك سنة 1917م في مؤتمر ستوكهولم الذي أكد إعلان إستقلال المغرب (2) .

ونجد عبد الله التازي مؤسس جمعية سرية بفاس، تسعى لتفعيل النشاط الوطني في المغرب، و محمد العربي العلوي (3)\*، الرجل الذي كان له من الجرأة و الإقدام والثبات ما جعله يلاقي في دعوته نجاحا عظيما و إقبالا كبيرا (4) .

كما كان أحمد بن جعفر الكتّاني قد عرف بعدائه للإستعمار، اجتمع في داره نجله العلامة محمد بن ابراهيم بن أحمد الكتّاني مع أصدقائه، و منهم علال الفاسي والفقير غازي محمد، و أقسموا على المصحف الشريف على تحرير البلاد من نير الإستعمار، والدفاع على الشريعة الإسلامية والأسس الوطنية (5) .

وكان القاضي عبد الرحمان القرشي "ولد 1835م"، عُين سنة 1923م وزيرا للعدل وإدارة شؤون المعارف الإسلامية، رفض أن يكتب لقضاة النواحي الأمازيغية بالسماح للسكان، أن يتحاكموا أمام المحاكم العرفية "أزرف" وليس أمام القاضي الشرعي، فأجاب: (( يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ )) (6)، فأقيل من مهامه (7) .

1- نغم محمد صالح، الحركات الإسلامية في المغرب العربي (المغرب-تونس- الجزائر)، دراسة لدورها السياسي في ظل التحولات الديمقراطية، ط1. الجنان للنشر و التوزيع، د.م.ط، 2010، ص، 52.

2- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص، 66 .

3- \* محمد بن العربي العلوي (1883-1964م) يُعدّ من رجال الحركة الإصلاحية في المغرب، و من الوطنيين الأحرار، ولد بالقصر الجديد بمدغرة، ثم التحق بجامعة القويين سنة 1900م، ثم تولى قاضيا بأحباس فاس سنة 1914م، ثم رئاسة مجلس الإستئناف الشرعي الأعلى بالربط سنة 1927م، ثم عين وزيرا للعدل سنة 1940م، ساهم بنشاطه العلمي في الحركة الإصلاحية المغربية حتى وفاته سنة 1964م. انظر:

- محمد بلقاسم، الإتجاه الوحدوي في المغرب العربي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1994، ص، 167.

4- عبد الحميد المرنيسي، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي إلى أيام الإستقلال، مطبعة الرسالة، د.ط، الرباط، 1978، ص، 25 .

5- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص، 66 .

6- قرآن كريم، سورة النساء، الآية، 60، رواية حفص عن عاصم .

7- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص، 67 .

## 2-2- الظهير البربري والحراك الشعبي :

أصدرت فرنسا سنة 1930م ما يُعرف بـ ((الظهير البربري))<sup>(1)</sup> سنة 1930م، وكان مشروعا استعماريًا فرنسيًا؛ استهدف الأبعاد المستقبلية للمغرب<sup>(2)</sup>، كتقسيم السكان عملاً بسياسة الإستعمار "فرّق تسد"، و ضرب اللحمة والهوية الوطنية في العمق . فكانت سنة 1930م على مستوى الأقطار المغاربية التي شملها الإستعمار الفرنسي؛ بمثابة المحطة التاريخية للصليبية الفرنسية التي سعت من خلال احتفالاتها في ذات السنة، إحتفالات الذكرى المئوية لإحتلال الجزائر، والمؤتمر الأفخارستي في تونس، وإصدار الظهير البربري في المغرب، لتأكيد انتصار مشروعها التنصيري الذي ترفرف أويته على أرض "المغرب الإسلامي" سابقا، وتمعن من خلالها في التأكيد على دحر الإسلام والمسلمين في عقر دارهم، إلا أن ذلك كان بمثابة الرجة التي هزّت العمق الوطني المغاربي، ممّا زاد من فاعلية نشاط القوى الوطنية والإصلاحية، في إصرارها على إستكمال مشروعها النهضوي الشامل .

و فعلا وكان "السحر انقلب السّاحر" كما يُقال، بحيث خرجت "الحركة الوطنية" المغربية من مرحلة الإصلاح النظري التقليدي، من خلال تنوير الشعب و تكوين الجمعيات، إلى مرحلة الإصلاح بالمغالبة من خلال المواجهة مع الإستعمار، ولكن بشكل عفوي غير منظم إلى حد الآن، بتشكيل تجمّعات في المساجد الكبرى عبر مدن سلا والرباط و فاس، ثم القيام بمظاهرات وخطب سياسية حماسية، ممّا أعطى الحراك الشعبي أو "الحركة الوطنية" وزنا و ثقلا خلال هذه المرحلة<sup>(3)</sup> .

1- صدر في عهد المقيم العام الفرنسي " لوسيان سان " اعتبر غامض الدلالة ، إلا أنه جرّد الحكومة المغربية من سيادتها على القبائل البربرية المسلمة ، وأحدث محاكم عرفية لم يعرفها المغرب في تاريخه ، و أراد جعل البربر رعايا فرنسيين مسيحيين في معاملاتهم و في علاقاتهم بالطبقة الحاكمة المستعمرة ،بمعنى استخدامهم كأدوات لضرب المجتمع المغربي و هويته و في هذا المجال يقول المستشرق الفرنسي جودو فري دومبيني في كتابه " المهمة الفرنسية فيما يخص التعليم في المغرب " الصادر سنة 1928م : (( إن الفرنسية - ليست البربرية- هي التي يجب أن تحلّ مكان العربية كلغة مشتركة و كلغة حضارة ) و يقول (( وجود العنصر البربري مفيد كعنصر موازن للعرب يمكننا استعماله ضد حكومة المخزن)) ، و يقول الكولونيل مارتي في كتابه " مغرب الغد " الصادر في تلك المدة : (( إن المدارس البربرية يجب أن تكون خلايا للسياسة الفرنسية و أدوات الدعاية بدلا من أن تكون مراكز تربية بالمعنى الصحيح ))، و يقول الجنرال بريمون في كتابه " الإسلام والمناهج الإسلامية من وجهة النظر الفرنسية " الصادر عام 1932م ما نصّه : (( يجب محو إسلام البربر و فرنستهم )) . انظر :

- عبد الحميد المرنيسي، الحركة الوطنية المغربية .. مرجع سابق،ص،44.  
- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر (الإستمرارية والتغيير) ،ط1،الدار العربية للموسوعات،بيروت،2014،ص،ص،47،48 .  
2- محمد علي داهش، المغرب العربي .. المرجع نفسه،ص،217.  
3- عبد الحميد المرنيسي، الحركة الوطنية .. مرجع سابق،ص،45.

وعلى إثر الظهير البربري، تحرّكت النخبة الوطنية المغربية و شكّلت وفدا يتكوّن من 24 عضواً يمثّلون سائر الأوساط الشعبية لتقديم عرضة إلى السلطات العليا "الملك"، - كأول وثيقة للإحتجاج الشعبي ضد السياسة الفرنسية التي تستهدف البربر- وتتخصّص نقاطها في :

- 1- إلغاء ظهير 16 ماي 1930م و سائر الظهائر والقرارات التي سبقته .
- 2- تكوين قضاء موحد لسائر المغاربة .
- 3- ربط جميع الموظفين الدينيين والمدنيين بسلطة الملك الشخصية .
- 4- ليس في المغرب دين قومي إلاّ الإسلام واليهودية .
- 5- منع الهيئات الأجنبية وإدارة المعرف من إستعمال وسائل التبشير .
- 6- اللّغة العربية وحدها لغة البلاد الرسمية، ولذلك يجب أن تكون هي الأساسية في التعليم<sup>(1)</sup>

وأظهر الجزائريون مساندتهم لإخوانهم المغاربة؛ بالإحتجاج على الظهير البربري سنة 1930م من خلال الصحف الجزائرية كالبلاغ<sup>(2)</sup>، واعتبرت صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنّ الظهير البربري؛ واحد من المساعي الإستعمارية المبيّنة للطعن في الإسلام و تمزيق شعوب المنطقة<sup>(3)</sup> .

### 2-3- مرحلة تأسيس الحركة الوطنية :

#### 3-1- كتلة العمل الوطني :

تأسّس حزب "كتلة العمل الوطني" سنة 1934م كأول تكتّل سياسي في تاريخ المغرب المعاصر، حيث كانت النخبة الفاعلة قد أصدرت حينها ما عرف بـ"مطالب الشعب المغربي" أو "برنامج الإصلاحات المغربية" السالفة الذكر التي سمّيت بـ"عريضة الظهير

1- عبد الحميد المريني، نفسه، ص48 .

2- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق م.ص326.

3- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء .. ج4، .. مرجع سابق، ص153.

البربري"، فخطوة التأسيس لهذه الكتلة تعتبر فاتحة عهد جديد من الكفاح الوطني في الداخل والخارج ، بذلك وجد المغاربة أنفسهم وجها لوجه مع الحماية الفرنسية<sup>(1)</sup> . وكان من بين أهم الأنشطة التي وضعتها " كتلة العمل الوطني" ضمن جدول أعمالها، كنوع من التدافع الميداني للضغط على سلطات الإحتلال لتقديم المزيد من الحقوق للمواطنين:

- تنظيم احتجاجات ميدانية .
- توزيع المنشورات على المواطنين .
- ترويج أغان وأناشيد توعوية بين الجمهور .
- نشر أبحاث حول البربر والإسلام والشخصيات الكبيرة تبين مفاخرهم ومآثرهم<sup>(2)</sup> .
- كما أسست عدة جرائد ضمن حزب "كتلة العمل الوطني"، منها مجلة "مغرب" أسست في باريس بالتعاون مع بعض الوطنيين والإشتراكيين في فرنسا، إضافة إلى جريدة "عمل الشعب" في فاس، و مجلة " السلام"، و جريدة "الحياة" الصادرة باللّغة العربية، كان رئيس تحريرها عبد الخالق الطريس " 1910-1970م"، و تكلف علال الفاسي بالتنقل بين شمال و جنوب المغرب لتنسيق جهود العمل التوعوي والنضال الوطني<sup>(3)</sup> .
- وفي الوقت نفسه سعت الحركة الوطنية إلى كسب السلطان محمد بن يوسف المعروف باسم محمد الخامس<sup>(4)</sup>، و الذي كان خلال هذه الفترة لا يعارض كثيرا اتجاهات الإقامة العامة الفرنسية<sup>(5)</sup> .

إن "الحركة الوطنية" المغربية حتى أواخر ثلاثينيات القرن العشرين تجددت فيها سمات التخاذل والضعف أمام تعنت و طغيان الإدارة الإستعمارية، بحيث كانت الخطوات السياسية التي تقوم بها "كتلة العمل الوطني" عادة ما تتم وبالتشاور المسبق مع إدارة

1- محمد علي داهش، المغرب العربي .. مرجع سابق، ص، 219.

2- عبد الحميد المريني، الحركة الوطنية .. مرجع سابق، ص، 52 .

3- عبد الحميد المريني، المرجع نفسه، ص، 52.

4- \* محمد بن يوسف " محمد الخامس" (1909-1961م): بن الحسن الأول بن محمد الرابع بن عبد الرحمان بن هشام ، ملك المغرب ، تولى الملك بعد والده مولاي يوسف بين عامي ( 1927-1961م) رمز المغرب الحديث ولد بفاس و تعلم بالرباط ، اتصل في الخفاء باهل الوعي من حملة الفكرة التحريرية في بلاده متجاوبا معهم ، و ولم يعد محمد الخامس يتجاوب مع المطالب الفرنسية الموجهة ضد الحركة الوطنية كتمنعه من امضاء بعض المراسيم ، ففاه الفرنسيون سنة 1953م إلى خارج البلاد و فاشدت المقومة و المطالبة بعودته ، فأعيد سنة 1956م ، و بعد المفاوضات أعلن عن استقلال المغرب في 3 مارس 1956م . انظر:

- حماد القباچ، شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، العالم المفكر والمصلح المناضل، ط1، مؤسسة طوب برس للطبع والنشر، الرباط، 2014، ص، 255.

- خير الدين الزركلي، الأعلام ، قاموس تراجم .. مرجع سابق، ج، 6، ط15، ص، 158، 159.

5- محمد علي داهش، المغرب العربي .. مرجع سابق، ص، 218.

الإحتلال، و هذا ما يدفع بعلال الفاسي إلى مراجعة قناعاته مرة أخرى<sup>(1)</sup> ممّا يفسّر عدم قيامها بالواجب المنوط بها فضلا عن دورها الإصلاحية خلال هذه الفترة من الزمن .

### 3-2- علال الفاسي والسلفية الجديدة :

إنّ الجيل المغربي الذي تعلّم في المدارس الفرنسية سواء في المغرب نفسه أو في فرنسا، و كان معظم أفرادها من العائلات الميسورة " الأرسقراطية " في المدن، والذي كان بطبيّئا في أخذ زمام الأمور، و منذ الثلاثينات من القرن العشرين ظهرت الحركة الوطنية المغربية واتصلت بمثيلاتها في الجزائر و تونس<sup>(2)</sup>، فظهر علال الفاسي زعيم حزب الإستقلال المغربي منتقدا الفكر الإسلامي، والمجتمع الإسلامي في وضعه الراهن، و وضع مخططا للإصلاح ضمن كتابه " النقد الذاتي " .

وفندّ علال الفاسي الإتجاهات الفكرية الخاطئة حول القضايا الدينية والإجتماعية، ويقول أنّه من غير الممكن فصل الحياة القومية للمغرب عن تعاليم الإسلام، و ما دعوى فصل الدين عن المجتمع و إقامة الدولة العلمانية إلا من نتاج المسيحية واختيار أوروبا، فنظرة علال الفاسي إلى الدين نراها كنظرة محمد عبده، فالإسلام عنده يجلّ العقل والحرية، ويشجّع على التقدّم، كما يرفض جميع الوسطاء بين الإنسان والله<sup>(3)</sup> .

وكان محمد بلعربي العلوي يعلن دعمه لمقاومة الخطابية علانية، وأعلنها حربا على الطرفين خاصة التجانيين الذين كانوا يتلقون هدايا من الفرنسيين للقيام بحملة إعلامية مضادة و بث الشكوك داخل وسط القبائل الموالية لعبد الكريم الخطابي<sup>(4)</sup> .

ولا تزال صيحة القاضي بلعربي العلوي مدوية من خلال ما خطه بيده قائلا:  
(أفضل ان أرى المغرب صحراء قاحلة " يتمتع بالحرية والإستقلال، على أن أراه يسير في ركب " الحضارة" مقيدا بأغلال الإستعمار المالي، لقد قبل المغرب حضارة على شكل

1- عبد الحميد المرنيسي، الحركة الوطنية .. مرجع سابق.ص،78 .

2- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق.ص،217 .

3- البرت حوراني ، مرجع سابق.ص،443،444 .

4- حماد القباج، حياة شيخ الإسلام .. مرجع سابق.ص،55 .

عبودية، و ثورة على شكل إستعمار<sup>(1)</sup>، وهو الذي يعود إليه الفضل في بث و نشر الوطنية من خلال محاضراته بجامعة القرويين<sup>(2)</sup> .

وانخرط بعض شباب المغرب في فرق التمثيل المسرحي، حيث أربكوا مخططات الحماية التي تم تكوينها داخل جمعيات قدماء التلاميذ المعترف بها من الحماية، حتى يتجنب أعضاؤها طلب الترخيص، فبرعت في تقديم روايات كتبت بالعربية الفصحى، وقدمت أمام جمهور عريض في مدن مختلفة ولاقت إقبالا منقطع النظير، جعلت "روبير مونتان" Montagne " Robert "1893-1954م"، ضابط المخابرات الفرنسية في المغرب، يقول: (( كانت المسرحيات تلقى نجاحا كبيرا، ومداخل تقدر بعشرات الآلاف من الفرنكات، و كان الهدف هو الدفع قدما بنهضة اللغة العربية النبيلة، وتعظيم العصور الذهبية للقوة الإسلامية.. ))<sup>(3)</sup> .

و بالتالي، فإنه قد تبلور في المغرب خلال هذه الفترة من الزمن تياران متنافسان، وأخذا يتجدران في المجتمع، أحدهما تلاميذ مدارس أعدت لإنشاء نسق إجتماعي جديد موالي للغرب، و تيار آخر يمثله تلاميذ الجوامع، الذين يرتبطون بنسق مجتمعي محلي مطالب بالتجديد، للوقوف في وجه الجبروت الإستعماري، الذي طال رجال الحركة الوطنية والمواطنين المغاربة بشتى صور انتهاكات حقوق الإنسان؛ من نفي وإعتقال وصدامات عنيفة وتتكيل...، رغم الطابع السلمي الذي شاب مساعيهم النضالية .

#### 4- ليبيا 1919- 1938م :

شهدت ليبيا خلال فترة ما بين الحربين 1919-1939م أحداثا وتطورات عسكرية وسياسية هامة في تاريخ ليبيا بالخصوص و تاريخ المغرب العربي بشكل عام، مما سيكون له إنعكاس على تاريخ النضال العربي والإسلامي ضد الإستعمار بشكل عام .

1- محمد المكي الناصري ، إظهار الحقيقة .. مصدر سابق، ص، 76 .

2- حماد القباج، حياة شيخ الإسلام .. مرجع سابق ص194 .

3- محمد المكي الناصري، إظهار الحقيقة .. مصدر سابق، ص، 108 .



#### 4-1- المساعي الوطنية من أجل نهضة الشعب الليبي :

##### 1-1- مؤتمر غريان 1920م :

بعد تفكك الجمهورية الطرابلسية و سقوطها، التي تأسست خلال الحرب العالمية الأولى، و بعد وفاة الزعيم رمضان السويحي<sup>(1)</sup>، و ظهور الكثير من الفتن - صراعات بين الزعامات القبلية -، قرّر الليبيون عقد مؤتمر غريان عام 1920م، حيث انتخب أحمد بيك المريض رئيساً للمؤتمر، و عين عبد الله عزّام مستشاراً، كما شمل المؤتمر أعضاء وممثلين عن كل القبائل، و سعى المؤتمر من خلاله إلى إقامة حكومة قادرة و مؤسّسة على ما يحقّق الشّرّع الإسلامي بزعامة مسلم منتخب من الأمة و يعزل بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها، و أرسل وفد إلى روما لكنّه عاد من هناك من دون نتيجة مرجوة<sup>(2)</sup>.

إن هذا الإجماع على إقامة حكومة دستورية و شرعية في ليبيا، تجسّد بحق طبيعة المجتمع الليبي الذي لا يزال محافظاً في غالبيته، باعتبار تجذّر الثقافة العربية والإسلامية لدى سياسياً، مع بقاء المجتمع الليبي تؤطّره الثقافة السنوسية المنغلقة عن التيارات والثقافات و العادات الغربية .

وبعد جلسات طويلة خرج المؤتمر بالبيان الختامي التالي: ((...إنّ الحالة التي آلت إليها البلاد؛ لا يمكن تحسينها إلاّ بإقامة حكومة وطنية قوية وقادرة ومؤسّسة على ما يحقّق مقاصد الشريعة الإسلامية بزعامة رجل يُنتخب من الأمة، ولا يُعزل إلاّ بحجّة شرعية وقرار من مجلس النواب وتكون له السلطة المدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقرّه الأمة الليبية بواسطة نوابها، وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة ))<sup>(3)</sup>.

1- \* رمضان السويحي (1880-1920م): رمضان بن الشثوي بن أحمد السويحي، من زعماء الجهاد في ثورات طرابلس الغرب على الإيطاليين، ولد و تعلّم في زاوية المحبوب، و لما ضرب الإيطاليون طرابلس الغرب قام مع مجاهدي مصراتة و استشهد رئيسهم سنة 1911م، تولى السويحي رئاستهم، و كان ذلك بدء زعامته وبروزه، و اشترك في وقعة القرضابية سنة 1915م فهزمهم الليبيون و أنخنوا فيهم و أجلاهم السويحي عن مصراتة، و أنشأ فيها حكومة وطنية قوية برئاسته، ثم انتقل إلى مسلاتة و اتخذها مركزاً ثانياً له، و استشهد في غزوة أرفلة ضد الطليان. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج3، ص240.

2- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي .. مرجع سابق، ص16.

3- ابراهيم فتحي عميش، المرجع نفسه، ص116.

وبعد الإتفاق بين الطرفين الطرابلسي والبرقاوي؛ اتجهت "هيئة حركة الإصلاح المركزية" في طرابلس إلى مبايعة محمد إدريس المهدي السنوسي، و حمل "كتاب البيعة" إلى الأمير السنوسي بمقر حكومة برقة في أجدابيا في شهر نوفمبر 1922م، و كان نص البيعة<sup>(1)</sup>، و كان النص بحق يمثل خطوة هامة في المشروع النهضوي الوطني لليبي، حيث تضمن النقاط التالية :

- توحيد الوطن تحت راية أمير مسلم .
- إحياء الأمة و إقامة الدين و حفظ الشرع عن طريق إعلان الجهاد ضد الغزاة الطليان .
- السير بالأمة إلى ما يحقق (( أمانها الشريفة الإسلامية ))<sup>(2)</sup> .

### 1-3- مقاومة عمر المختار 1923-1931م :

واصلت ليبيا خلال عشرينات القرن العشرين النضال العسكري المسلح الذي بدأتها الحركة الوطنية في ليبيا منذ الإحتلال الإيطالي سنة 1911م، إلى سنة 1931م مرورا بمقاومة عمر المختار، فظل المجتمع الليبي مسرحا لتقديم إنجازات نضالية وتضحيات جسيمة ضحّت بالكثير من دم أبناء ليبيا البواسل، ففي ليبيا مورست أعلى درجات النضال الوطني وأقدس مراتب العمل الإصلاحي من خلال مقاومة عمر المختار المجيدة ، فتجلّت فيها النهضة السياسية في قمة عنفوانها، التي رسّخت مبادئ الهوية العربية والإسلامية، تماما كما سعى لترسيخها الأمير عبد القادر، و الشيخ بوعمامة في الجزائر أمام موجة إكتساح المشروع الإمبريالي التغريبي الذي جاءت به الدول الإستعمارية .

وتلخّصت رسالة الرجل الأبيض بالأساس بليبيا، في الإبادة الجماعية للسكان )) من سبي و صلب للنساء، و ذبح بالجملة وقتل الرجال صبورا أمام ذويهم، وانتهاك حرّيات المساجد، فكان عدد القتلى في منطقة برقة و طرابلس أكثر من نصف مليون إنسان<sup>(3)</sup> (570928) .

1- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي .. مرجع سابق، ص، ص، 120..121.

2- ابراهيم فتحي عميش، المرجع نفسه، ص، 121.

3- محمود شاكر، التاريخ المعاصر، تاريخ المغرب ، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص، 26.

ومن الجزائر يومئذٍ صرخ ابن باديس في وجه الإمبريالية الطليانية قائلا: (( و لا تزال إيطاليا توالي عملها التمديني...في طرابلس على مرأى وسمع من المدنية نفسها..ومن دول العالم.. ومن جمعية الأمم..ومن محكمة لاهاي..ومن جمعيات الدفاع عن حقوق الإنسان.. وحتى من جمعيات الرفق بالحيوان..سجل أيها التاريخ، فسيرجع الناس إلى سجلك العادل في مستقبل الأيام))<sup>(1)</sup> .

#### 4-2- إشادة الشعوب المغاربية بالجهاد الليبي والبطل عمر المختار:

كانت شعوب الاقطار العربية، والمغاربية بالخصوص التي سمحت لها ظروفها السياسية، تنظيم المظاهرات والتظاهرات و تنظم المسيرات، وتعلن الحداد تخليدا لذكرى عمر المختار وإحياء لجهاده و بطولته<sup>(2)</sup>، فهو من بين الزعماء القلائل الذين لم يضعوا اسلحتهم بعد أو يرضوا بمساومات المغتصب، ولو إلى حين عملا بما يعرف بـ"استراحة المقاتل" .

وقد تألم ابن باديس للجرائم التي كانت الهمجية الإستعمارية الإيطالية ترتكبها في حق المواطنين العزل في ليبيا، فكتب مقالا في ذلك تحت عنوان " طرابلس برقة تستغيث"، ومما جاء فيه: (( بعدما انتهى الإستعمار الطلياني في طرابلس المسلمة العربية من التقتيل والجلاء والإفناء.. ضرب ضربته لاستئصالها و محو شخصيتها، فجنس أهلها الجنسية الإيطالية هدماً لقوميتها، وألحق أرضها بأرض إيطاليا قتلا لوطنيتها..))<sup>(3)</sup>، كما وقف الحزب الدستوري القديم التونسي موقف سخط واحتجاج ضد تعسف السياسة الإيطالية في ليبيا سنة 1931م<sup>(4)</sup> .

وظل ابن باديس يتناول في جريدة الشهاب قضايا التضامن الإسلامي بين شعوب وأقطار المسلمين خاصة في أوقات العُسرة: (( إن وراء هذا الوطن الخاص "الجزائر"

1- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، عالم المعرفة، ط2، الجزائر، 2009م، ص، 451.

2- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص، 442 .

3- بن خليف مالك، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، أطروحة مطبوعة لنيل شهادة الدكتوراه، ط1، دار طليطة.الجزائر، 2019، ص، 115.

4- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 353.

أوطانا أخرى عزيزة علينا، هي دائما منا على بال، و نحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لا بد أن نكون خدمنا أو أوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص ((1).

أما عند انعقاد المؤتمر الإسلامي في القدس سنة 1931م، و الذي كان يضم ممثلين عن أقطار المغرب العربي منهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي، لم ينسوا قضية إخوانهم الليبيين، فطالبت لجنة المؤتمر الإسلامي بضرورة تقديم الإعانات لإخوانهم المنكوبين في ليبيا(2).

### 3- دور النضوج 1939-1954 :

#### 3-1- الجزائر 1939-1954م :

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939م-1945م، كانت فرنسا لم تقم بأي شيء من مسؤولياتها في الجزائر وتجاه الجزائريين المهذّدين بالمجاعة في أي وقت، و لم تحقق شيئا من المطالب الوطنية وحقّ المواطنين في المساواة، و لم تلغ القوانين الإستثنائية على الرغم من العرائض والشكاوى التي تقدّم بها المواطنين العاديين، والرسميين، ومختلف الهيئات إلى البرلمان الفرنسي الذي لا يقيم للأهالي وزنا، ولا يُعترف بهم كمواطنين، من قبل "الديمقراطية الفرنسية" الراعية لحقوق الإنسان، والحاميّة مبادئ الثورة الفرنسية .

والأكثر من ذلك كان لفرنسا فرصة لأن تدعى التحوّط للأمر حتى لا تتفلسف الأمور من يدها عشيةً إندلاع الحرب، فإنها شدّدت الخناق على رموز الحركة الوطنية بسجنهم، وإصدار قرار بحلّ الأحزاب و تجميد نشاطهم .

وعلى الرغم من ذلك، فقد هرول النواب والنخب الليبراليين والإشتراكيين بحكم وظائفهم الرسمية إلى تأييد(3) فرنسا "الديمقراطية"، العبارة التي يتزلفون بها للسلطة

1- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات .. مرجع سابق، ص، 449.

2- علي محمد محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، 276.

3- كانت التقارير الأمريكية الأمريكية في الجزائر تشير إلى أنّ السكان المسلمين قد برهنوا على صداقتهم و ولائهم للحلفاء، ولعلّ ذلك هو السبب في عدم أخذ السكان في الإعتبار يوم الإجتماع الذي وقع فيه وضع الإستراتيجية لنزول قوات الحلفاء ، بالإضافة إلى أنّ قيادة الحركة الوطنية كانت شبه مفقودة في هذه الأثناء ( خريف 1942م). انظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، ط4، دا رالغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص197.

الإستعمارية، بينما يرون رأي العين عكسها تماما فيما تفعله فرنسا في بلادهم و في أحيائهم وأهليهم و حتى فيهم أنفسهم .

ولكن الأدهى والأمرّ - و كما هو دأبهم في كل مناسبة و من غير مناسبة - أن لا يتخلف رجال الدين الرسميين "المفتيون، القضاة، العدول، المرابطون..إخ " بإصدار فتاوى على هوى "ولي الأمر"، أو كما سميناهم في مناسبات مشابهة بـ "مشيخة الحاكم المتغلب"، (عن الإعلان لولائهم لفرنسا بوجوب الحرب مع فرنسا شرعا ! )<sup>(1)</sup> .

وكان فرحات عباس- قبل أن "يستفيق" من غيبوبته السياسيّة- قد سارع كمتطوع صيدلي للدفاع عن فرنسا الحرة، بينما مصالي الحاج كتب في جريدة الأمة مقالا هاجم فيه الإستعمار الفرنسي، فسجن على إثره، بينما حزب الشعب والعلماء كانوا ينادون بالإستقلال عند إندلاع الحرب، كما تمّ نفي البشير الإبراهيمي إلى مدينة أفلو<sup>(2)</sup>، بينما ابن باديس قبل وفاته قد قطع عهدا مع إخوانه على التضحية من أجل حقوق الجزائريين، وذلك من خلال قوله :

فدوموا على العهد حتى الفنا      وحتى تتالوا الحقوق السنيّه  
تتالوها بسواعدكم      وإيمانكم والنفوس الأبية  
فضحّوا وها أنا بينكم      بذاتي وروحي عليكم ضحية<sup>(3)</sup>

إلا أنّ تشدّد المعمرين من منح الجزائريين حقوقهم، وعرقلة إندماجهم في الحياة السياسيّة والإقتصادية والإجتماعية.. كل ذلك سيمهّد وبعمق للوطنية الجزائرية التي ستأخذ منعرجا جديدا<sup>(4)</sup> .

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية .. ج3، المرجع نفسه، ص، 173.

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية .. نفسه، ص، 186.

3- يوسف بوغابة، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دراسة تحليلية، طبعة خاصة، دار زمורה للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص، 142.

4- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، .. مرجع سابق، ص، 175.

1-1- مبادرات النضج الوطني :

1- مذكرة الجزائريين إلى الحلفاء 20 ديسمبر 1942 :

خلال نزول الحلفاء في الجزائر 08 نوفمبر 1942م تحركت القوى الوطنية من أجل تقديم عريضة بالمناسبة، فتحرّك (( ممثلي المسلمين الجزائريين شعورا منهم بالأحداث الخطيرة التي تشهدها بلادهم..لذلك فهم يطالبون، قبل دعوة جماهير المسلمين للمشاركة في أي مجهود للحرب، بانعقاد ندوة تجمع المنتخبين والممثلين المؤهلين لكل المنظمات الإسلامية..والهدف من هذه الندوة هو وضع دستور سياسي واقتصادي واجتماعي للمسلمين الجزائريين ))(1) .

ويتجلى من خلال الوثيقة مدى حرص الحركة الوطنية على تحقيق العدالة الإجتماعية بين الشعوب و حاجتهم الماسة إلى وثيقة تنظم العلاقات بين السلطة والشعب، وحقوق المواطنين و واجباتهم، و هي مطالب واقعية و مشروعة في منطق الأعراف الدولية ومنظمات حقوق الإنسان، إلا أنّ الدول الإستعمارية على الرغم من المحنة التي كانت تمرّ بها، فإنها لم تمنح مستعمراتها بعضا من حقوقها مما نستنتج منه مدى أنانية الرجل الأبيض ذو الخلفية العنصرية والصليبية في استعباد الإنسان المسالم المستعمر، وجشعه في الإستحواذ على كل شيء دون أن يقَدِّم شيئا .

1- أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص، ص، 266، 267 .

## 2- بيان الشعب الجزائري 10 فبراير 1943 :

عشية إندلاع الحرب العالمية الثانية 1939-1945م، و باسم الشعب الجزائري، قدّم مجموعة من النواب الجزائريين إلى سلطات الحلفاء بالجزائر بما فيه السلطات الفرنسية بتاريخ 10 فبراير 1943م بياناً<sup>(1)</sup> يتضمّن مطالب وطنية، و هي كالتالي<sup>(2)</sup> :

أ- إدانة الإستعمار والقضاء عليه<sup>(3)</sup> .

ب- تطبيق مبدأ تقرير المصير لجميع البلدان، صغيرة كانت أم كبيرة .

ج- منح الجزائر دستورا خاصا بها يتضمّن :

1- الحرية والمساواة المطلقتين لجميع سكانها بدون تميّز بالعنصر أو بالدين .

2- إنهاء الملكية الإقطاعية بتطبيق إصلاح زراعي كبير، و تأمين حق العيش للطبقة الكبيرة من العمّال والفلاحين .

3- الاعتراف باللّغة العربية لغة رسميّة على قدم المساواة مع اللّغة الفرنسية .

4- حرية الصحافة وحق الإجماع. (( وحق إنشاء الجمعيات ))<sup>(4)</sup> .

5- التعليم المجّاني والإجباري .

6- حرّية الديانة لجميع السكّان والعمل بمبدأ فصل الدين عن الدولة لجميع الأديان .

ب- إطلاق سراح جميع المحكوم عليهم والمساجين السياسيين، مهما كان الحزب الذي ينتمون إليه .

من خلال هذا البيان، يتبيّن مدى نضج الحركة الوطنية في هذه الفترة لما استطاعت أن تقدّم مجموعة مطالب حضارية، بحيث كوّنتها حسب الظروف التي ترزح فيها الجزائر كمستعمرة تُصرّ أكثر من أي وقت مضى على النهوض، وإيجاد مكان لها في عالم التدافع الإيديولوجي والصراع من أجل البقاء أو الذوبان و الفناء .

1- إنّ معظم من تكلم عن البيان نسب كتابته إلى فرحات عباس، ثمّ قدّمه إلى النخبة الجزائرية للمصادقة عليه ، أما د. يحيى بوعزيز فقد أكد أن من كتب البيان ، و وضع مطالبه هو الأمين دباغين من حزب الشعب . انظر : يوسف بوغابة، معالم الفكر السياسي .. مرجع سابق، ص، 143.

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، .. مرجع سابق، ص، 270 .

3- يوسف بوغابة، معالم الفكر السياسي .. مرجع سابق، ص، 144.

4- يوسف بوغابة، .. المرجع نفسه، ص، 144.

إنّ الإجماع الذي أبدته الحركة الإصلاحية والنّخب الوطنيّة الأخرى، من خلال "مذكرة سنة 1942م، وبيان سنة 1943م، الموجهان إلى الحلفاء"، يتجسّد من خلالهما مدى النضج النهضوي للحركة الإصلاحية والنّخب الوطنية، و ما ينطوي عليه من أبعاد حضارية وإنسانية، إلّا أنّ هذا النوع من النّضج الإنساني لم تبلغه الدول الإستعمارية - وإن بلغت درجة عالية من النضج التقني- (( فبذل أن يكون الأمريكان أوفياء لمبادئ الميثاق الأطلسي وغيره من الأفكار التي جاءت نتيجة ظروف الحرب، انحازوا ضد الجزائريين و"أهل شمال إفريقيا" إلى الفرنسيين بدعوى أن العرب ما يزالون غير جديرين بالحرية..))<sup>(1)</sup>.

### 3- مجازر 08 ماي 1945م :

وكانت حوادث ماي - كما قال الزبيري - الصفة الأخيرة التي أيقظت النخبة التي كانت تجري وراء سراب الإدماج، و بالتالي اقتنعت باستخدام العنف الثوري<sup>(2)</sup>، واعتبرها الشيخ الإبراهيمي حدا فاصلا بين المطالبة بالحقوق السياسية و بين الإستعداد للثورة المسلّحة لانتراع هذه الحقوق<sup>(3)</sup>، واقتنعت الحركة الوطنية بأهمية الكفاح المسلّح واعتماده كإستراتيجية لأجل مواكبة التحولات العالمية والمحليّة؛ التي تحاصر نفوذ الإستعمار التقليدي الذي تجاوزته الدساتير المعاصرة، والقوانين الإنسانية للمنظمات الدولية .

### 1-2- الإجراءات الإستعمارية المضاد في الجزائر :

#### 1-2- دستور 20 سبتمبر 1947م :

من أجل سعيها للتغطية على جرائمها الإنسانية في حق الجزائريين العزل التي راح ضحيّتها حوالي خمس وأربعين "45" ألف من أبناء الجزائر، أصدرت فرنسا في 20 من شهر سبتمبر 1947 ما سمي بـ: "قانون أو دستور الجزائر"، من أجل ربح الوقت، وإشغال

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، .. مرجع سابق، ص.ص، 200 .  
2- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث للنشر و التوزيع، الجزائر، 1984م، ص، 28 .  
3- يوسف بوغابة، مرجع سابق، ص، 160.



النُخب الجزائرية عن المطالب الرئيس وهو الإستقلال، والذي جاءت بنوده متناغمة مع أطروحة الإشتراكيين في الإبقاء على العلاقات العضوية بين البلدين<sup>(1)</sup> .

## 2-2- فرنسا وصناعة النخبة الموالية :

كان فرحات عباس و جماعته من النواب في مجلس الوفود المالية يتحركون بحرية فضلا عن الحصانة التي لديهم باعتبارهم "رسميين" مقربين لسلطات الإحتلال، بينما يُمنع تحرك أعضاء حزب الشعب كتيار ثوري يسعى لإخراج فرنسا من الجزائر، كما يُمنع نشاط أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تحمل مشروعا متكاملا وبديلا، يسعى ليس لإخراج فرنسا من الجزائر فحسب، و إنما لتجسيد وبعث نهضة الجزائر في شتى المجالات، مع إقامة علاقة ندية مع الدول الأوروبية .

وكان الجنرال الفرنسي جيرو- الذي نافس ديغول على قيادة المقاومة الفرنسية للنازية- قد سيطر على الموقف مدنيا وعسكريا في الجزائر، و كان يرفض أي نقاش سياسي مع الجزائريين بدعوى أنه جاء ليحارب، لا ليناقش في الأمور السياسية، لكن جيرو- كما قال سعد الله - لم يكن صادقا فيما قال، حيث أسرع بإطلاق سراح الشيوعيين ورفض إطلاق سراح الجزائريين الوطنيين وهذا موقف سياسي، بحيث أطلق سراح سبعة وعشرين شيوعيا من سجن الحراش<sup>(2)</sup> .

وفي انتخابات جوان 1951م التي زورتها السلطات الفرنسية، فإنها استبعدت الفائزين واستبدلتهم بأسماء موالية للإستعمار<sup>(3)</sup>، بذلك مكنت السلطات الإستعمارية الفرنسية للعناصر الشيوعية من تبؤ المراكز المفصلية في الدعاية عن طريق جريدة "ليبارتي Leberté" من خلال تضخيم بعض القضايا المثيرة وادعاء مزايا أنهم اكتسبوها دون غيرهم، من بينها:

1- محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 28.  
2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، .. مرجع سابق، ص. ص، 203.  
3- يوسف بوعافية، مرجع سابق، ص، ص، 162، 172.

- إدّعائهم تعميم فرنسا التعليم للجزائريين ومنحهم الحرية والمساواة في الأجور بينهم وبين الفرنسيين و زيادة الحقوق السياسية لهم .
- تعيين سلطات الإحتلال عنصرين من التيار الشيوعي الجزائري في "لجنة فرنسا الحرة" التي كانت تدير المقاومة الفرنسية إلى جانب الحلفاء .
- هؤلاء الشيوعيون كانوا ضد المناداة بالدولة الجزائرية المستقلة<sup>(1)</sup>، طالبوا بمنح الجزائر نوعا من الإستقلال الذاتي وعارضوا بشدّة فكرة الإنفصال<sup>(2)</sup> .

### 3- الثورة التحريرية الكبرى 1954م :

لقد ارتكزت الحركة الوطنية الإصلاحية منذ بدايتها في الجزائر وبلدان المغرب العربي، على التمدد المتدرج الذي أبدته في علاقاتها تجاه الإستعمار، على ضوء الموروث الديني والمبادئ الوطنية، ثم عبّأت قواها حول الثورة التي أضفت عليها طابعا إسلاميا وجهاديا، كما وقف الدين الإسلامي موقف الملهم للشخصية الوطنية والمدافع عنها<sup>(3)</sup> .

وكانت الثورة الجزائرية خلال الخمسينات تأخذ تعاليمها من الإسلام، فالإيديولوجية الإسلامية، ورمزية الخطاب الإسلامي، كانت تحتل مكانة المركز في النضال، وكان شعار الثورة الجزائرية "شعب الجزائر مسلمٌ.."، وأُعلن الجهاد بدل النضال، و كان مقاتلو الثورة يسمّون "المجاهدون" و صحيفتها "المجاهد"<sup>(4)</sup> .

وهذه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ترى في إعلان الثورة على فرنسا استكمالاً لمشروعها النهضوي، والسيد علي مرحوم يذكر أن ابن باديس كان ضمن أصدقائه المقربين، فذكر له أنّ هناك من يدعو إلى الإستقلال، فقال الشيخ: (( يا سبحان الله

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، مرجع سابق، ص.203.

2- محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص.28.

3- نغم محمد صالح، الحركات الإسلامية في المغرب العربي (المغرب-تونس-الجزائر)، دراسة لدورها السياسي في ظل التحولات الديمقراطية، ط1. الجنان للنشر و التوزيع، دم.ط، 2010، ص.49.

4- نغم محمد صالح، المرجع نفسه، ص.46.

وهل من المعقول أن نشيد الجدران دون أن نضع سقفها، إن خاتمة عملنا إن شاء الله ستنتهي بالإستقلال الذي ندعوا إليه ولا بد عندما يأتي الأوان الملائم ((1).

### 3-1- نداء أول نوفمبر 1954م و روح النهوض :

إنّ ممّا جاء ضمن أهداف بيان أول نوفمبر 1954م من أهداف تحمل روح النهوض الوطني والمغربي والإصلاح الشامل فيما يلي ما يلي :

- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الإجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية - التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد و روح الإصلاح التي كانت عاملا هامها في تخلفنا الحالي .

- تحقيق وحدة شمال إفريقيا داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي (2) .

ولقد انطوى بيان أول نوفمبر على أهداف نهضوية على المستوى المحلي الوطني وعلى المستوى المغاربي، بحيث جعل من أهداف الثورة الكبرى "التطهير السياسي" بإعادة الحركة الوطنية إلى وضعها و نهجها الحقيقي الأصيل، والقضاء على الفساد الذي كان سببا في تخلفنا، مع بعث روح الإصلاح في شتى المجالات .

لقد كان نداء أول نوفمبر 1954م نابعا من أعماق صادقة لذلك وجد منفذا سهلا في نفوس جميع المناضلين الذين هبوا لتلبيته، وكلهم إيمان بضرورة إشعال نار الثورة ضد الإستعمار والإستغلال والعبودية(3)، و روى الشيخ حمزة بوكوشة- واحد من الأعضاء الفاعلين في جمعية العلماء المسلمين- أنّ ابن باديس نفسه قال في جمع من أصحابه وتلاميذه، عاهدوني، فلما أعطي له العهد بالمصافحة قال: ((إني سأعلن الثورة على فرنسا ((4).

ونظرا للسرعة التامة التي اعتمدها مفجروا الثورة وجدت جمعية العلماء نفسها صبيحة يوم الإثنين الأول من شهر نوفمبر 1954م، أمام وضع ظلت تنتشده مدة

1- يوسف بوغابة، مرجع سابق، ص، 288.

2- محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص، 252.

3- محمد العربي الزبيري، نفسه، ص، 82.

4- يوسف بوغابة، مرجع سابق، ص، 288، 289.

وجودها<sup>(1)</sup>، وكان داخل الجمعية جناحا يدعو للإلتحاق بركب الجهاد والإمتثال لأوامر القيادة الثورية واحترام كل ما جاء في بيان أول نوفمبر 1954م، وتزعم الجناح الشيخ العربي التبسي، والشيخ حمّاني، والشهيد رضا حوحو، وجناح آخر عُرف بالمعتدلين، بينما الشيخ الإبراهيمي الذي كان في الخارج عند إندلاع الثورة نشر بيانا في اليوم الثامن من شهر نوفمبر أعلن فيه تأييده للثورة<sup>(2)</sup>، كما كتب ابن باديس يوما وهو يتطّلع إلى مثل هذا اليوم الموعود قائلا: ((...فما عهدنا حرية تُعطى، وإنما تُؤخذ، و ما علمنا الإستقلال يمنح ويوهب، إنّما علمنا الإستقلال يُنال بالجهاد والإستماتة و التضحية ))<sup>(3)</sup> .

ولقد ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتقديم تلك المشاتل التي ستتزوّد منها جبهة التحرير الوطني طيلة سنوات الثورة الخالدة<sup>(4)</sup>، بفضل تلك البذور التي بذرها الإمام ابن باديس وإخوانه في الجمعية التي أُنعت في النفوس القيم الوطنية والثورية<sup>(5)</sup>، وأعدّوا جيلا يؤمن بالحرية والكرامة الإنسانية، وهيأوه للجهاد والنضال في سبيل الإسلام والأمة<sup>(6)</sup> .

## 2-4- التيارات المضاد و الإنحراف بأهداف الثورة :

### 4-1- القوى المرتبطة بالإستعمار :

كان الحزب الشيوعي الجزائري الذي انفصل سوريا عن الحزب الفرنسي الذي أعضاؤه جزائريين أوروبيين ومسلمين عرب، أصدر مكتبه السياسي في شهر نوفمبر 1954م بيانا يدين فيه جبهة التحرير الوطني، و يرى فيه أنّ الشيوعيين يفضلون "الحل الديمقراطي" الذي يحترم مصالح كل السكّان الجزائريين بدون تمييز في الجنس والدين، و يأخذ بعين الإعتبار مصالح فرنسا<sup>(7)</sup> .

1- محمد العربي الزبيبي، مرجع سابق، ص، 181.

2- محمد العربي الزبيبي، المرجع السابق، ص، 184، 186.

3- يوسف بوغابة، مرجع سابق، ص، 291.

4- محمد العربي الزبيبي، مرجع سابق، ص، 61.

5-.

Mahfoud Kaddache, *Histoire du Nationalisme* ..Op.cit.p.337

6- عبد الله مقلاتي، إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس و طلابه في الثورة التحريرية، د.ط، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص، 11 .

7- محمد العربي الزبيبي، مرجع سابق، ص، 167.

وعلى الرغم من وقوف العديد من شخصيات و قادة اليسار الفرنسي إلى جانب قضايا المغرب العربي، كاعترافهم بمشروعية نضالات الحركة الوطنية، فإنّ التنظيمات السياسية لهؤلاء قد بقيت منشدة إلى الأُطر المرجعية للمركزية الأوربية، التي تنتقد الإستعمار وممارساته، لكن دون أن تدعوا إلى إلى إلغائه من أصوله، و كما تعترض على سياسات فرنسا، دون أن تتفاحس في التمسك بـ (( عظمتها )) و (( اشعاعها ))، و حتى في (( حقها في المحافظة على إرثها )) بالمستعمرات التي احتلتها سابقا<sup>(1)</sup>.

وهذا البيان - كما يقول الزبيري- كله مراوغة و قلب للحقائق لأنه لا معنى للديمقراطية في منطق الإستعمار ولا وجود البتة للمساواة بين الجزائريين من دون تمييز في الجنس والدين<sup>(2)</sup>.

أما حزب حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية الذي كان الحزب الأقرب إلى هموم المواطن الجزائري، و كانت تشكيلة أعضائه سنة 1946م من خلال ما أورده " بنيامين ستورا" تتكون من 23% ممن تخرّجوا من الجامعات الفرنسية مقابل 4.1% فقط ممن تخرّجوا من الزيتونة والأزهر<sup>(3)</sup>، و كان من بين الذين يحملون التوجه الإسلامي ضمن هذا الحزب نجد يوسف بن خدة ومفدي زكريا و محمد قنانش وبلقاسم زناي.. وغيرهم<sup>(4)</sup>.

والجدير بالذكر أنّ برنامج الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية عام 1953م، نجده يدعو إلى التفكير في مضمون الإستقلال و طبيعة النظام الذي يحكم جزائر الغد بالقول: (( الصيغة التي حدد بها الحزب فهمه للإستقلال هي جمعية تأسيسية جزائرية ذات سيادة منتخبة بالإقتراع العام دون تمييز في الجنس والدين )) أي أن الحزب أراد أن يعطي الكلمة للشعب ليقرّر بنفسه المبادئ والنظم التي تحكّم بمقتضاها البلاد، والوثيقة

1- أمحمد مالكي، الحركات الوطنية و الإستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص، 382.

2- محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص، 169.

3- رابح لونيبي، الحداثة والديمقراطية في إيديولوجية الثورة الجزائرية، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص، 108.

4- يقول توفيق الشاوي سفير الإخوان لأوروبا و العالم الإسلامي أن مصالي الحاج قال له أنّ لقاءه معه ( كان نقطة تحوّل في حياته لأنها وجّهته للتحوّل من العمل النقابي إلى الكفاح الوطني على أساس أولوية الواجب الديني للدفاع عن الإسلام .. ) و أضاف له بأنّه قد (كشف له أنّ العقيدة الإسلامية هي مصدر القوة و منبع الطاقة الهائلة التي تمكن شعلتها من النصر على الإستعمار) انظر.

- توفيق الشاوي، مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي-1945-1995م، دار الشروق، ط1، بيروت، 1998، ص، 67.

كانت ضد الإيديولوجيتين السائدتين في العالم آنذاك وهما الراسمالية<sup>(1)</sup> و الشيوعية<sup>(2)</sup> .  
 لكن هذا الحزب لم يفصح عن الإيديولوجية التي يريدتها والتي لن تكون إلا "مشروع النهضة الإسلامية" التي تنشدها الأمة؛ لأنه من السابق لأوانه طرحها فليس ذلك من أولويات الثورة، ثم كان من الصواب أيضا تأجيل البث فيها لأن الإستعمار و مناصريه من بعض القوى الموالية له كانوا سيجدون من هذه القضية مادة إعلامية دسمة لتأليب الرأي العام المحلي والعالمي<sup>(3)</sup> .

بينما بيان أول نوفمبر 1954م، كأهم وثيقة إيديولوجية ضمن وثائق الثورة حاول التوفيق بين ثلاث توجهات فكرية أعتبرت أنها كانت "سائدة" في المجتمع فطرحت "الديمقراطية" لإرضاء الليبراليين و"الإجتماعية" لإرضاء الماركسيين، أما "إطار المبادئ الإسلامية" فالإرضاء أصحاب المرجعية الإسلامية<sup>(4)</sup>، أم أنه - أي البيان - استغل الإسلام لتحقيق أغراض سياسية<sup>(5)</sup> على حساب طموحات وتضحيات الشعب الجزائري المثبتت بالإسلام أصلا، لأن وثائق الثورة لاحقا سنتخلى عن هذا المطلب لما التفّ الشعب بشكل شامل حول الثورة واحتضنها والتحق بكتائب الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي .

وبذلك يمكن اعتبار فترة ما قبل الصومام أنها ثورة على مستوى القيادة يسودها الإنتماء العربي الإسلامي؛ الذي نجح في إقناع الشعب الجزائري بإمكانية وحتمية إقامة دولة جزائرية ضمن مبادئ الشريعة الإسلامية كما هو مسطرّ في أول وثيقة للثورة الجزائرية "إعلان أول نوفمبر 1954م"، و"بعد الصومام غيّب هذا الإنتساب الحضاري لفائدة المشروع الوطني العلماني للدولة الجزائرية الحديثة"<sup>(6)</sup>، وبالتالي أجهض مشروع النهضة في الجزائرية فغيّبت<sup>(7)</sup> مبادئ ابن باديس لتسود آراء فرانز فانون

1- رابح لونيبي، الحداثة والديمقراطية .. مرجع سابق، ص، 108.  
 2- \*الشيوعية : مذهب فكري يقوم على الإلحاد، و أنّ المادة أساس كل شيء، و يفسّر التاريخ بصراع الطبقات ، و بالتعامل الإقتصادي و ظهرت في ألمانيا على يد كارل ماركس و انجلز و تجسّدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة 1917م ، تعتمد على الملكية العامة لوسائل الإنتاج..انظر:  
 - محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة، مراجعات الفكر الغربي في تأزم فكر الحداثة، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، السعودية، 1434هـ، ص، 95،

1- Benyoucef Benkhedda, Les Origines.. OP.Cit . p222 .

4- رابح لونيبي، مرجع سابق، ص، 109.

3- Benyoucef Benkhedda, Les Origines du ..OP.Cit.p.222 .

6- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق.. مرجع سابق، ص، 214.

"Franz Fanon"<sup>(1)\*</sup>. وبذلك انحصر التيار الإصلاحي في الشعارات و تحكّم التيار الإندماجي من خلال الثقافة الفرنسية في المؤسسات..<sup>(2)</sup> .

و يتساءل ريمون آرون " Raymand Aron " في هذا الإطار بشأن فرنسا قائلًا: (( هل فرنسا غير مخلصّة لذاتها، وغير وفيّة لمبادئها؛ عندما تُصرّ للإبقاء على (( روابط غير قابلة للفسخ)) بينها وبين الجزائر، عندما تريد المحافظة على حضورها بالجبهة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط ..<sup>(3)</sup> .

#### 4-2- الإستراتيجية كإيديولوجيا حدثية :

بعد قيام الضباط الأحرار بالثورة في مصر سنة 1952م بقيادة محمد نجيب ثمّ جمال عبد الناصر؛ أعلن هذا الأخير تبني النظام الإشتراكي كأساس لتحقيق التنمية في مصر، وأبعد الإخوان المسلمين من السّاحة السياسية بحلّ تنظيمهم سنة 1954م، ليشرع في تكريس دكتاتوريته وينصب نفسه زعيما للقومية العربية، فدعمّ الثورة الجزائرية كما سعي لأن يكون " وصيا إيديولوجيا عليها " .

1\*- فرانس فانون (1925-1961م) ولد في مدينة " فور دو فرانس " عاصمة جزيرة المارتنيك في أرخبيل الانتيل ، و تعتبر هذه الجزيرة مستعمرة فرنسية منذ 1635م ، و يعتقد أغلب سكانها أنهم فرنسيين بفعل المسخ و التشويه الثقافي الذي تعرّضوا له ، و ينحدر فانون من أسرة مارتنيكية زنجية بوجوازية تطمح للارتقاء إلى طبقة المعمرين البيض هناك ، و تلقى تعليمه في فور دو فرانس أين تشبّع بتاريخ فرنسا و ثقافتها مثل باقي المارتنيكيين الذين يهيون على ما يعتبرونه وطنهم فرنسا كلّما ألم بها خطر ، فقد إلتحق فانون مثل الكثير من المارتنيكيين بقوات فرنسا الحرّة الموالية لديغول للقتال ضد ألمانيا النازية بعد سقوط باريس عام 1941م ، انتقل فانون إلى باريس بعد الحرب لمواصلة دراسته في الطب النفسي ، فاحتكّ هناك بالأفكار و التيارات الشيوعية ، إلا أنّ فانون ذو البشرة السوداء صدم من قبل سلوك الإنسان الأبيض و شعوره بعقدة نقص رغم ذكائه و تفوّقه على بعض الأوربيين ، و تجلّى هذا الشعور لدى فانون من خلال كتابه ( بشرة سوداء أفتنة بيضاء) الذي نشر بباريس سنة 1951م و يبرز فيه بوضوح ما يعانيه الزنوج من عقدة تجاه البيض و محاولة الإنسان الزنجي التخلّص منها ب " إرتداء اللباس الأوربي و آخر الموضوعات و استعمال الأشياء التي يستخدمها الأوربي و مماثلته في الأشكال الخارجية للتحضّر ... عمل فانون كطبيب نفسي للأمراض العقلية في مستشفى البلدية بالجزائر عام 1953م ، اكتشف أنّ نفس العقدة التي كان يعاني منها الزنجي موجودة أيضا لدى المستعمر تجاه المستعمر في الجزائر ، و كانت فلسفة فانون ضمن كتابه " بشرة سوداء ، أفتنة بيضاء " هي دعوته إلى " النضال و التضحية " إذا أراد الإنسان الزنجي أن يعترف به الإنسان الأبيض ، بحيث كانت الثورة الجزائرية بالنسبة لفانون فرصة لا تموّض لتحقيق هذا الإعراف و فرض نفسه على الإنسان الأبيض الذي يعاني تجاهه بعقدة نقص ، فانضم إلى الثورة الجزائرية كتجسيد عملي لما كتبه في نفس صفحات كتابه ، و دافع عن القضية الجزائرية ضمن مقالاته في صحيفة المجاهد ..وعُين فانون سفيراً للثورة الجزائرية في كوناكري بغينيا حيث كتب أهم إنتاج فكري له على الإطلاق هو كتابه " المعذبون في الأرض " ، حاول من خلاله أن يضع نظريات شاملة للعنف الثوري ضد الإستعمار، ثم يكون بموجبه (إنجيلا) للشعوب المستعمرة كما أطلق عليه البعض، إلا أنّ الطروحات القانونية سنتجلى من خلال من خلال برنامج طرابلس 1962م خاصة طروحاته حول الفلاح و الريف الذي يجب أن تعود إليه مكاسب الثورة و قضايا الحزب و الدولة و التحذير من البيروقراطية و الذين صاغوا هذه الفلسفة الفانونية هم الذين كانوا يعملون إلى جانبهم في الطبعة الفرنسية للمجاهد مثل رضا مالك و مصطفى لشرف..و يعتبره البعض ( منظرا إيديولوجيا للثورة الجزائرية) توفي عشية الإستقلال و دفن على الحدود الجزائرية التونسية في جنازة رسمية ، و منحت له و لزوجته الجنسية الجزائرية ، و اعتبرته الجزائر أحد رموز ثورتها و متفقيها..انظر:

- راجح لونيبي، مرجع سابق،ص،ص،117-128 .

2- ناصر الدين سعيدوني،الجزائر منطلقات وأفاق.. مرجع سابق،ص،214.

3- أمحمد مالكي،الحركات الوطنية .. مرجع سابق،ص،181.

ومنه فإنّ تأثيرات و عدوى الإيديولوجية الحدائنية بلونها الأحمر، بهرت الحدائيين الشيوعيين الجزائريين المعجبين بفرانز فانون، الذين انصرفوا بمبادئ أوّل نوفمبر<sup>(1)</sup> وسُرقت ثورة الشعب الجزائري<sup>(2)</sup> لصالح طموحات السياسيين الوصوليين المحليين والإقليميين .

## 2- تونس 1939-1954م :

لقد دشنت السلطات الإستعمارية في تونس كما في بقية البلدان المغاربية عشية بروز بؤادر الحرب العالمية الثانية "1939-1945م" هذه المرحلة؛ بمزيد من القمع والتضييق على الوطنيين والمواطنين على حد سواء، و عملت على بثّ الخوف والرعب في نفوسهم، ونفت الملك، إلى أن لقي حتفه في ظروف غامضة، كما صفتّ السلطات الإستعمارية المئات من الوطنيين في قفصة و سوسة و صفاقس وغيرها، وقامت إنتفاضات شعبية في نواحي شتى في تونس خاصة في الجنوب كثورة حامد المرزوقي وغيرها<sup>(3)</sup> .

وكان موقف الحزب الدستوري الجديد من هذه الإنتفاضات والكفاح المسلح موقفا سلبيا، لأنّ البورجوازية تسعى لإستلام السلطة عن طريق المفاوضات، و تخشى الكفاح المسلح خشية فقدان مصالحها والحظوة "المتميّزة" التي تحوزها لدى السلطات الإستعمارية

1- إنّ واحدا من المؤرخين الجزائريين المعاصرين صرخ والأسى يعتصر قلبه متسائلا: «فأي دور الأمة لا تعترف بدور رجالها..، وأي مجتمع هذا الذي يقوم على إلغاء سنن الكون و قوانين الطبيعة تحت غطاء إيديولوجية مستوردة وشعارات جوفاء، جعلتنا نتجاهل مواقف الرجال ونتجاوز منجزاتهم في بحثنا عن شعب بدون نخبة وأمة بدون زعامة...؟»<sup>(4)</sup>، وآخر كشاهد القرن؛ و يكتب بمرارة (( "الفتل" كلمة قوية بل جارحة، و لكن لا بدّ من مواجهة الصدمة)) و إنّه ((من المغالطات الخطيرة والأحكام السطحية أن نعتبر الثورة الجزائرية قد حققت أهدافها و استكملت رسالتها بالحصول على الإستقلال))، انظر: .

- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، .. مرجع سابق، ص، 512,282...

..و يقول سعد الله: أنه ((خلال الستينات صدر كتاب ألفه أحد الأجنب عنوانه(الثورة التي فشلت) و هو يقصد الثورة الجزائرية . و اشهد انني عندما قرأته اتهمت الكاتب بالعداء لنا، و بالقصور في التحليل لواقع متغيّر دائما ، ثم مرت الأيام والسنون، فإذا بالجزائريين أنفسهم شاهدون...على فشل ثورتهم في مهمتها .. و اشهد أنني كتبت منذ أكثر من عقد ملاحظا أنّ ثورتنا قد جُرّدت من قيمتها ، و اصبحت شعارات جوفاء تعلن في المناسبات. و لكن ذلك لم يمنعني في التفكير في أسباب الفشل..))، انظر:

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، .. مرجع سابق، ص، ص، 13,12.

1- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق.. مرجع سابق، ص، 282 .  
2- لقد تساءل سعد الله في نفسه -كما يقول- سؤالا محرجا إلى درجة الجرح : هل فشلت الثورة في تحقيق مهمتها ؟ ..حتى يصل إلى قوله : لو رجعنا إلى بيان أوّل نوفمبر، و سألنا روح ابن بولعيد و ابن مهدي و زبانه و عميروش... لأجابوا بأنهم كانوا يحلمن بأكثر من إخراج العدو و استعادة الإستقلال ..لعلهم كانوا يحلمون بجزائر العلم و القوة و الإشعاع، جزائر لا تعرف الليل أبدا، تلك هي ربّما، مهمة الثورة ، فإذا كانت كذلك فإننا نتفق نحن ثلاثتنا...، بأن حلمهم لم يتحقق حتى الآن.. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، .. مرجع سابق، ص، ص، 13,12.



بينما نجد العكس لدى الحزب الحر الدستوري القديم "حزب الثعالبي" الذي دعا وأيد هذا النوع من النضال والعمل التحرري، لأنه جزء من النهوض الوطني الشامل، و كان من دعائه الدكتور الحبيب ثامر، و يوسف الرويسي. وغيرهما غادروا تونس للتعريف بقضيتها في الخارج<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 1944م توفي الزعيم عبد العزيز الثعالبي أبو الحركة الوطنية في تونس وأحد رواد نهضتها الحديثة، فخلفه في قيادة الحزب الدستوري القديم محي الدين القليبي "1901-1954م" الذي نهج على نفس المبادئ التي سار عليها الثعالبي، و ربط محي الدين جهاده بجهاد إخوانه في المغرب وليبيا والجزائر<sup>(2)</sup>.

## 2-1- مؤتمر "ليلة القدر" 1946م :

اجتمع التونسيون سرا يوم 23 أوت 1946م "ليلة القدر" في مؤتمر ضم حوالي 300 شخصية تونسية وطنية من مختلف الطبقات والإتجاهات السياسية والهيئات الوطنية؛ والدستور القديم والدستور الجديد، والإتحاد العام التونسي للشغل والزيتونيين والمستقلين .. باستثناء الحزب الشيوعي، دعا إليه صالح بن يوسف وصالح فرحات والدكتور أحمد بن ميلاد، و كان المؤتمر برئاسة القاضي لعروسي الحداد .. وهو المؤتمر الأول الذي طالب فيه الوطنيون بالإستقلال التام<sup>(3)</sup>، ووقع على مقررات المؤتمر بالإجماع، و كأنه ميثاق وعهد وطني جامع مما عبّر عن رغبة القوى الوطنية في تونس بعزم وتعاضد لتحقيق النهوض الشامل .

وحاولت فرنسا أن تتدارك الأمر، من خلال القيام بـ "إصلاحات مزيفة" عن طريق المقيم العام "جان مونس" الذي أوعز إلى بعض عناصر الحزب الدستوري الجديد - القريب من التوجّهات الفرنسية في تونس - و هو مصطفى الكعّاك لتشكيل الوزارة، وهو المرفوض شعبيا في تونس، و مما زاد وأظهر التواطؤ البورقبي مع السلطات الفرنسية،

1- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية .. مرجع سابق، ص، 70.

2- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر .. مرجع سابق، ص، 171.

3- الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص، 84.

هو إعلان بورقيبة بصفته رئيسا للحزب الدستوري الجديد التخلي عن هدف الإستقلال التّام، و استبداله بأسلوب « خذ و طالب »، الذي جاء عكس تيار الوعي الوطني الذي يستهدف تحقيق الإستقلال التام<sup>(1)</sup>.

## 2-2- مؤتمر الحركات الوطنية المغاربية بالقاهرة :

لقد عقد مؤتمر يضم كافة الحركات التحررية في المغرب العربي بالقاهرة سنة 1947م حضره كافة ممثلي الأحزاب في المغرب العربي، وأسندت رئاستها إلى الأمير عبد الكريم الخطابي وأمانتها العامة إلى الحبيب بورقيبة، واتخذت القرارات التالية :

- أن تلتزم كافة الأحزاب بميثاق عمل وطني تحرري مشترك .

- لا يجوز لأي حزب أو لأي حركة أن تتفرد بمفاوضة مع الإستعمار الفرنسي أو تبحث عن حل إنفرادي لقضيتها .

وكان ممثلي الحركة الوطنية الجزائرية وعبد الكريم الخطابي و يوسف الرويسي قد قرّروا خطة تتمثل فينا يلي :

- 1- إلحاق الطلبة المغاربيين بالكليات العسكرية بالقاهرة و دمشق و بغداد ليكونوا الطلائع القتالية الأولى في صفوف الحركة الوطنية وإدارة الثورة المسلّحة .
- 2- إعلان ثورة شعبية مغاربية شاملة ومسلّحة تمتد من حدود ليبيا شرقا إلى أغادير والصحراء الغربية غربا، كنهضة عسكرية لتدمير ما تبقى من قوة فرنسا الإستعمارية المنهكة أصلا في حروبها بالهند الصينية<sup>(2)</sup> .

وعلى الرّغم من أهمية القرارات الإستراتيجية التي خرج بها ممثلي الحركات التحررية المغاربية إلا أن الحسابات الضيقة، وتغليب حظوظ النفس والتعجيل لتحقيق سبق في قطف النتائج من بعض السياسيين المغاربيين الذين تشرّبوا المبادئ الحداثية الغربية العلمانية.. فإنّ ممثل « الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة نتيجة لإتصالاته

1- محمد علي داهش، مرجع سابق، ص172.

2- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1856م، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990، ص، 73.

المريية من وراء ظهر اللّجنة<sup>(1)</sup>، زاد من الخلاف بينه وبين الممثلين المغاربيين الآخرين مما أفقدهم الثقة بعضهم ببعض .

إلا أن حدة الخلاف بين بورقيية وبقية أعضاء لجنة تحرير المغرب العربي وصلت إلى حدّ القطيعة؛ بسبب الإتصالات التي كان يجريها بورقيية مع أعضاء السفارة الفرنسية بالقاهرة؛ وكانت السفارة قد زوّدت بورقيية بجواز سفر فرنسي<sup>(2)</sup>، مما دفع بهؤلاء إلى فصله عن الأمانة العامة للجنة تحرير المغرب العربي، و عيّنوا مكانه علّال الفاسي رئيس حزب الإستقلال المغربي و<sup>(3)</sup> أصبح عبد الكريم الخطّابي يتهم بورقيية علنا بالإنحراف والتواطؤ مع الفرنسيين ضد حركة التحرير المغاربية، و وصلت حدة الخلاف بينه و بين الدكتور الحبيب ثامر إلى درجة أن قال الحبيب ثامر عنه: <sup>(4)</sup> **«إنني أخشى على تونس من الإستعمار الفرنسي واستعمار بورقيية بعد الإستقلال»** <sup>(3)</sup> .

إلا أن صيحة صاحب المنار "رشيد رضا" التي أطلقها في وجه العرب منذ سنة 1920م ضمن موضوع "الإتحاد والإقتصاد" تظل خالدة و تُكتب بأحرف من ذهب، حيث قال: <sup>(5)</sup> **«إنّ الإتحاد بغير استقلال خير من الإستقلال بغير اتحاد، لأنّ الإتحاد يأتي بالإستقلال المفقود، و فقده يُذهب بالإستقلال الموجود»** <sup>(4)</sup> .

وخلال سنة 1952م أضحي فرحات حشّاد الزعيم النقابي التونسي دون منازع يقود العمل النضالي للشعب، الأمر الذي أربك الحزب الدستوري و قيادته؛ خاصة الحبيب بورقيية المصنّف ضمن طبقة البورجوازية الجديدة المهادنة للعدو، والساعية لإيجاد "قسمة" مع الإستعمار<sup>(5)</sup> .

وفي 05 ديسمبر 1952م اغتالت السّلطات الإستعمارية الفرنسية عن طريق "اليد الحمراء" الزعيم النقابي الشهيد فرحات حشّاد، فتحوّل الأمر إلى صدام عنيف بين

1- الطاهر عبد الله، المرجع نفسه، ص، 73..

2- محمد علي داهش، مرجع سابق، ص، 169.

3- الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص، 74.

4- مجلة المنار، ج1، م22، ص75، ديسمبر 1920م، من موقع : المكتبة الوقفية للكتب المصورة:

<http://ia800305.us.archive.org/3/items/almanaralmanar/almanar22.pdf> تاريخ التصفح /2018/02/24.

5- موقع : إتحاد الشباب الماركسي اللينيني، على الرابط : <http://ujml.over-blog.com> / تاريخ التصفح : 2017/12/02م .

الشَّعب من جهة والسُّلطات الإستعمارية من جهة ثانية، وتشكَّلت خلايا سرية لضرب عملاء الإستعمار وضرب المصالح الإستعمارية، و كلف ذلك ما يقارب 6000 معتقلا سياسيا، واغتيال أخلص العناصر الوطنية<sup>(1)</sup>، إلى جانب القتل الجماعي في المدن والقرى، واستمر ذلك خلال سنوات 1952 إلى سنة 1954م<sup>(2)</sup> .

### 2-3- بورقيبة و سعيه نحو السلطة :

إن الحزب الدِّستوري الجديد و من ورائه الحبيب بورقيبة، المنقلب والمنشق سابقا عن "الحزب الدستوري القديم" حزب الحركة الوطنية الأم وحامل مشروع النهضة في تونس الذي أسسه الثعالبي، فإنَّه قد قبل الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين، مما اعتُبر خيانة للتضحيات والمجهودات الوطنية نحو الإستقلال الكامل والنَّهوض الشامل، فعارضه بشدَّة الحزب الدستوري القديم - من خلال بيان شديد اللَّهجة أصدره الحزب بهذا الشَّأن (ملحق:ص367)، كما رفض زعيمه محي الدين القليبي المشاركة في وزارة شنيق، فسقطت وأعادت السلطات الفرنسية تنصيب حكومة "الكوش" وهو واحد من البورجوازيين التونسيين المعروفين بصلاتهم المريبة مع السلطات الفرنسية<sup>(3)</sup> .

ولقد أدان القليبي وعبد الكريم الخطَّابي و يوسف الرويسي مشاركة الحزب الدستوري الجديد في الحكومة المزدوجة " فرنسية-تونسية " واعتبرها خيانة للأهداف الإستقلالية للمغرب العربي، كما اعبر هؤلاء الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين هو بمثابة تنكُّر لميثاق العمل الوطني الصَّادر بالقاهرة سنة 1947م الذي وافقت عليه جميع الأحزاب، الذي ينصّ على أنه لا مفاوضة قبل الجلاء<sup>(4)</sup> .

1- أدرجنا قضية اغتيال النقابي فرحات حشاد، رمز النضال العمَّالي المغربي، حتى نقارن بأمثلة بين الشخصيات التي تسابق الزمن للوصول إلى الغنائم، بأسلوب تقديم قرابين التنازل و الموالاة للإستعمار والمستبد، على حساب تضحيات الشعوب و النخب و الشخصيات الوطنية، أخلصت في نضالها و تضحياتها دون حساب للحظوة أو المكاسب المادية العاجلة، و في الوقت نفسه يتسلَّق الإنتهازيون و الوصوليون و لو على حساب المبادئ والمصلحة الوطنية و مصير الأمة .

2- الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص، 204.

3- محمد علي داهش، المغرب العربي .. مرجع سابق، ص، 179.

4- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية .. مرجع سابق، ص، 77.

إلا أن الإستعمار الفرنسي بعدما خبر بورقيبة وعرف مدى إيمانه بالمشروع العلماني الفرنسي في مستقبل تونس؛ نفخ فيه من روحه و مكّنه من الإستحواذ على الساحة السياسية في تونس، و بالتالي يضمن من جهته المصالح الإستراتيجية الفرنسية؛ ليس في تونس فحسب، بل في المغرب العربي ككل، و هذا ما أكدّه الأستاذ "غولد ريغر" لما تولى "شارل أندري جوليان" اللّجنة العليا للمتوسط سنة 1936م، هو الذي مكّن بورقيبة من الساحة السياسية الفرنسية (( و ترقى بين عشية و ضحاها من مناضل مشكوك فيه و خطير إلى مخاطب مقبول))<sup>(1)</sup> .

وكانت سلطة الحماية قد وجدت في بورقيبة وجماعته المنشقين عن الحزب الدستوري الحر "القديم" الحليف الإستراتيجي الذي تراهن عليه فرنسا على مستقبلها في تونس، و ذلك لما استدعاهم المقيم العام الفرنسي "بيروتون" سنة 1934م (( ليخبرهم أنّ الإقامة العامة قد رخصت لهم في إخراج جريدتين بالعربية والفرنسية للتعبير على لسان حزبهم و نشر مبادئه..، و كانت تلك هديةً من المقيم العام لنشر أفكار الحزب وسياسته ))<sup>(2)</sup>، الحزب الذي سيعتمد سياسة تعاون "فرنسية - تونسية" صريحة و مكشوفة بقيادة بورقيبة والبحري قيقة، و الطاهر صفر، و محمود الماطري<sup>(3)</sup> .

وتواصل الصّراع بين الطرفين، وأظهر فيه كل فريق وجهه الصحيح، فالحزب الدستوري الجديد بزعامة بورقيبة و رفاقه ظهر مزدوج الشخصية، فهو عربي ديمقراطي أمام الغربيين، وهو إسلامي كاره للأجانب أمام العرب والمسلمين، و كان يعرف كيف يراوغ و يدغدغ مشاعر الشعب، و مخلص في نفس الوقت لأفكاره الغربية، بينما الحزب

1- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجي .. مرجع سابق، ص، ص، 28، 29.

2- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 253.

3- كان الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد القريب من الأطروحات الفرنسية في تونس؛ يتشكل من محمود الماطري رئيسا، و الحبيب بورقيبة كاتباً عاماً، و الطاهر صفر مساعداً له، و محمد بورقيبة أمين المال، و البحري قيقة مساعداً له. و عشرين عضواً آخرين منهم محمد الجعايبي، و يوسف الرويسي، و غيرهم..، قد انشق هذا الحزب الجديد عن الحزب الدستوري القديم بزعامة عبد العزيز الثعالبي حامل لواء النهضة والإصلاح في تونس، و كان الصراع قائماً على قدم و ساق بينهما... انظر:

- يوسف مناصرية، المرجع نفسه، ص، ص، 253، 254.

الدستوري القديم لم يكن يجيد إلا لغة واحدة و هي كراهية الإستعمار، و عدم الثقة في الغرب، و التطلع إلى ربط تونس بأصولها العربية والإسلامية<sup>(1)</sup> .

### 3- المغرب الأقصى 1939-1954م :

وجدت الحرب العالمية الثانية المغرب الأقصى على استعداد و نضج، لاسيما الأحزاب والرأي العام، للمطالبة بالإستقلال<sup>(2)</sup> فكان لحزب "كتلة العمل الوطني" الذي طوّر من أدائه السياسي ثم حزب الإستقلال دور بارز في المطالبة برفع الحماية الفرنسية؛ كما كان من أبرز شخصيات المرحلة الشيخ شعيب الدكالي بدروسه السلفية، الذي تلقى العلم في الشرق فالتفّ حوله الشباب في مدينة الرباط، فلقى نجاحا كبيرا وإقبالا خاصة من شباب مدينة فاس التي كان يقطنها، فتضافرت جهود جماعتي فاس والرباط للدعوة لهذه الحركة وسعت إلى مقاومة المشعوذين سواء عن طريق المحاضرات أو المقالات التي كانوا ينشرونها في صحف الجزائر و تونس<sup>(3)</sup> .

وكذلك محمد العتّابي بنضاله على المسرح الدولي، وعلال الفاسي بزعامته لحزب الإستقلال<sup>(4)</sup> الذي تأسّس في 11 يناير 1944م الذي تزعم الإصلاح السياسي والحضاري للمغرب رافضا ماء جاءت به فرنسا واسبانيا من حداثة ظاهرية، إستلابية ومزيقة، كبديل عن الهوية الوطنية المغربية العربية والإسلامية الأصيلة، كبديل عن المشروع النهضوي الذي تتطلّع الإصلاحية المغربية إلى تجسيده،<sup>(5)</sup> فإذا رضينا نحن بقوانين الأجنبي مكان قوانيننا، وإذا اخترنا لغته مكان لغتنا، و حضارته مكان حضارتنا، فمعنى ذلك أننا لم نزد على أن ورتنا سلطته، و قمنا مقامه في تطبيق البرامج التي كان يعمل لها<sup>(5)</sup> .

فكان ظهور حزب الإستقلال على الساحة المغربية، إيذانا ببداية مرحلة جديدة في الكفاح السياسي في منطقة النفوذ الفرنسي، فكان قد نضجت مطالبه وصبّت في التّديد

1- يوسف مناصرية، نفسه، ص، 256، 257 .

2- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 217 .

3- عبد الحميد المريني، الحركة الوطنية المغربية، .. مرجع سابق 1978، ص، 35.

4- أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ .. مرجع سابق. ص 217 .

5- علال الفاسي ، دفاع عن الشريعة .. مصدر سابق ، ص 26 .

بنظام الحماية، والمطالبة بـ (( استقلال المغرب و وحدة أراضيه وتأسيس نظام ديمقراطي فيه))، الحزب الذي أصبح له ثقل جماهيري كبير منحه قيادة الحركة الوطنية في جميع أنحاء المغرب بلا منازع<sup>(1)</sup> .

### 3-1- وثيقة إستقلال المغرب 11 يناير 1944م :

كان ملك المغرب قد اصطفّ بجانب الحركة الوطنية، بحيث أصبح السلطان رمز الوحدة لكل الإتجاهات السياسية في المغرب، من أجل النضال في سبيل الإستقلال، وتطلّعا مسبقا إلى الملكية الدستورية والديمقراطية، فكان أحمد بلافريج هو الرجل الذي سيقترح اسم "حزب الإستقلال" التّظيم السياسي الجديد الذي (( سيباركه السلطان وتحت رعايته))<sup>(2)</sup>، وكان ذلك في 10 ديسمبر 1943م، والذي ضمّ مختلف الفئات المهنية والوظيفية والأساتذة والشخصيات البارزة كالمفتين والقضاة و كبار الموظفين المخزنيين..

ولقد قرّر المجتمعون الذين كان معظمهم ممّن شكّل حزب الإستقلال، والأحزاب الأخرى تحرير مجموعة مطالب وطنية، عرفت بوثيقة المطالبة بالإستقلال يوم 11 يناير 1944م، هذه الوثيقة التاريخية حضّرت تحت إشراف السلطان و بتنسيق معه))، وبكثير من السريّة والتكتم، وتضمّنت المطالب التالية<sup>(3)</sup> :

1- أن يُطالب باستقلال المغرب و وحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة سيدنا محمد الخامس بن يوسف نصره الله وأيّده .

2- أن يلتمس من جلالاته السّعي لدى الدول التي يهّمها الأمر بالإعتراف بهذا الإستقلال و ضمانه، لوضع إتفاقيّات تحدد ضمن السيّادة المغربية ما للأجانب من مصلحة مشروعة.

3- أن يلتمس من جلالاته أن يشمل برعايته حركة الإصلاح الذي يتوقّف عليه المغرب في داخله، بإحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية في

1- محمد علي داهش، المغرب العربي .. مرجع سابق، ص، ص، 222. 227.

2- عثمان أشقرا، الوطنية والسلفية الجديدة بالمغرب من 1939 إلى 1956، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، 2007، ص، ص، 122.

3- عثمان أشقرا، .. المرجع نفسه، ص، ص، 122.

- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر.. مرجع سابق، ص، ص، 226.

الشرق تُحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي و سائر طبقاته و تحدّد فيه واجبات الجميع، و السلام .

وانعكس تقديم عريضة هذه المطالب للإقامة العامة في "11يناير" باعتقال بلفريج واليزيدي، ونفي وزير العدل محمد بلعربي العلوي إلى الصحراء، و انطلقت المظاهرات، وزاد الحراك الشعبي المغربي مع عودة الزعيم علّال الفاسي من منفاه بالغايبون، وإلقاء السلطان لخطابه الشهير بطنجة في سنة 1947م، حيث أعلن صراحة عن انحيازه إلى صف الحركة الوطنية المطالبة بالإستقلال، مما سيعطي لحزب الإستقلال وزن وأهمية في الداخل والخارج (1) .

### 3-2- مصير المشروع النهضوي في المغرب :

يعتبر علّال الفاسي (2\*) واحد من زعماء النضال والإصلاح في المغرب، خلال فترة

النّضج الوطني والإصلاحي، الأمر الذي دفعه للإنشغال بالإستعمار كظاهرة تاريخية

1- عثمان أشقرا، الوطنية والسلفية .. مرجع سابق، ص،ص، 125، 124.  
2- \*علّال الفاسي (1910- 1974م) : و لد في مدينة فاس، ينحدر من أسرة آل الجد الفهريين العريقة الذين هاجروا من الأندلس إلى المغرب سنة 800هـ نشأ في بيئة علمية عريقة ، و كان أبوه عبد الواحد الفاسي أستاذا بالقرويين ، ساهم في حركة تأسيس المدارس الحرة و تطوع بالتعليم في المدرسة الناصرية ، ونال عالمية القرويين سنة 1930م ، و تطوع لتدريس التاريخ الإسلامي بالجامعة ، ، اتصل بالأوساط الفرنسية و المغربية في باريس و شارك في تنسيق الحركات الوطنية المغربية ، قام مع إخوانه بمظاهرات ضد الظهير البربري سنة 1930م فاعتقل ، ثم نفته السلطات الإستعمارية سنة 1934م إلى السنيغال و غينيا و الغابون ثم إلى الكونغو برازافيل، و ناضل داخل السجن من أجل حقه في القراءة و الكتابة، و احتكّ هناك بأحد الكونغوليين و أدخله إلى الإسلام ، إلى أن أطلق سراحه سنة 1938م ، ، قضى علّال نحواً من عشرين سنة من عمره خارج المغرب ، ما بين منفى إيجباري في " إفريقيا " و منفى إختياري إلى " مصر و أوربا " و غيرها ، في جنيف اتصل بالأمير شكيب أرسلان ، كما اتصل بزعماء الحركات الوطنية في الخارج ، من بينهم الزعماء المغاربة ، فانتخب سنة 1947م كاتباً عاماً للجنة تحرير المغرب العربي التي تضم سائر الأحزاب المغرب العربي ، و دعا للمقاومة المسلحة ، و كان من منظميها داخليا و خارجيا ، و ترأس مؤتمر أحزاب المغرب العربي بطنجة 1958 م ، و هو أحد رجالات الإصلاح و التجديد البارزين في المغرب ، ساهم في وضع دفتر الإصلاحات في المغرب ، قال عنه الملك الحسن الثاني : (كان علّال ، أستاذ للأجيال التي تتلمذت على يديه في الوطنية و العلم ) ، كان سلفياً بقدر ما كان مناضلاً و مكافحاً ، و هو صاحب فكر شمولي، اهتم بموضوع النهضة ، دافع عن بلاده و بلاد العروبة و الإسلام ، حاملاً لواء الثورة ضد الإستعمار و الدعوة إلى تغيير النظام الإجتماعي الفاسد.. ظهر نبوغه و هو في عقده الثاني من خلال قصيدته الشهيرة ( سيعرفني قومي ) ، التي قال في مطلعها :

أبعد مرور الخمسة عشر ألبع      و ألهو بلذات الحياة و أطرب  
ولي نظّر عّال و نفس أبيّة      مّقاما على هام المجرة تطلب  
و عندي آمال أريد بلوغها      تضيق إذا لاعبت دهري و تذهب

سيعرفني قومي إذا جدّ جدّهم      كما عرفوني اليوم إذ قمّتْ أخطبُ  
فما الفذ إلا من يصارح قومه      و ما الفذ إلا من يقول فيُعربُ

ترك علّال الفاسي العشرات من التآليف من بينها : النقد الذاتي ،المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، حفريات عن الحركة الدستورية ، حديث المغرب في المشرق ، كي لا ننسى ، مدخل في النظرية العامة لدراسة الفقه الإسلامي و مقارنته بالفقه الأجنبي ، ، نحو وحدة إسلامية ، المدخل لعلوم القرآن و التفسير، الديمقراطية و كفاح الشعب المغربي لأجلها ، مقدمات في تاريخ التشريع الإسلامي ، النظم و الفكر الإسلامي ، إسهام المرأة المغربية في الكفاح الوطني ، أي الإسلام خير، في المذاهب الإقتصادية ، الحرية ، التيارات الإيديولوجية في العالم العربي ، مقاصد الشريعة و مكارمها ، مهمة علماء الإسلام ، دفاع عن الشريعة ، واقع العالم الإسلامي ، الإنسية المغربية ، قصائد في ديوان من أربعة أجزاء... انظر :  
- أحمد الريسوني، علّال الفاسي ، عالما ومفكرا ، ط2، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2014، ص ، ص ، 22 ، 44 .  
- أحمد بابا العلوي، علّال الفاسي رائد التنوير .. مرجع سابق، ص،ص، 11، 24 ، 27 .  
- علّال الفاسي ، النّقد الدّاتي ، ط 8 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 1999 ، ص، ص ، 371 ، 372 .



متجدرة، شغلت تفكيره ونضاله بل وكرّس حياته كلّها لمحاربتة بكل أنواعه وألوانه العسكرية والسياسية والإقتصادية والثقافية، كما كان مدركا لمقاصد الإستعمار وأبعاده الخطيرة .

وبرز علال الفاسي كشخصية سياسية قد تأثر إلى حدّ التشبّع في بعض الأحيان بفكر مدرسة "العروة الوثقى" التي أسّسها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، و كذلك مدرسة "المنار" التي أشرف عليها الشيخ رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده<sup>(1)</sup>..

وفي رواية أوردها المؤرخ عبد الكريم غلاب، أنّ فكرة و مبادرة تأسيس "جيش التحرير المغربي"، هما أصلا من عمل حزب الإستقلال و زعيمه علّال الفاسي لما كان منفيا في القاهرة، حيث راح ينسق من أجل تدبير أمور السلاح والتمويل، كما أذاع البلاغ رقم واحد لجيش تحرير المغرب العربي من إذاعة القاهرة "صوت العرب"<sup>(2)</sup> .

ومما نلاحظه أنّ الحركة الوطنية المغربية - من بينها حزب الإستقلال - قد تجلّى نضوجها من خلال تقديم "وثيقة المطالبة بالإستقلال"، و ذلك في 11 يناير 1944م، و كان الزعيم علّال الفاسي رئيس الحزب يومها منفيا، وحظيت هذه المبادرة بتأييد من السلطان محمد بن يوسف " الملك محمد الخامس" الذي انحاز إلى مطالب الحركة الوطنية، حيث ألقى خطابا بمدينة طنجة الدولية يومذاك، و طالب فيه علانية باستقلال المغرب، و ذلك في 7 أبريل 1947م، ممّا دفع بفرنسا إلى خلعه و نفيه<sup>(3)</sup> .

إلا أنّ سلطات الإحتلال كعادتها سعت لكسر هذا "الجدار الوطني" المتين في المغرب، بإضعاف الملك و التتكيل بإطارات "حزب الإستقلال"، فضغط الجنيرال "جوان" على الملك للإدلاء بتصريحات تستنكر تصرفات "حزب الإستقلال" و تهديده بالخلع إن هو رفض، فرضخ الملك أخيرا بقبول التضحية بـ "حزب الإستقلال"، الحزب الذي حافظ على شرعية الملكية في المغرب وناضل من أجل بقائها<sup>(4)</sup> .

1- أحمد بابا العلوي، علّال الفاسي رائد التنوير .. مرجع سابق ، ص 10 .

2- عثمان أشقرا، الوطنية والسلفية .. مرجع سابق، ص، 142.

3- أحمد الريسوني، علّال الفاسي .. مرجع سابق، ص ، 21 .

4- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر .. مرجع سابق، ص، 235، 236.

وتوجّهت سلطات الإحتلال إلى "البربر" ورجال الطرق الصوفية، و بعض الإقطاعيين المغاربة كالجلاوي والكتاني، لتتصيب محمد بن عرفة<sup>(1\*)</sup> ملكا على المغرب، لتشكيل طاوور مضاد لضرب المشروع الوطني، بعد نفي محمد الخامس سنة 1953م، الذي كان لا يزال متمسكا ببعض "الحقوق الوطنية المشروعة" خلال هذه المرحلة من الزمن التي عاد فيها إلى خندق الحركة الوطنية ..

إلا أنّ وضع الملك محمد الخامس في منفاه، أصبح فيه كالتقابض على الجمر، بفعل العزل المؤقت وتهديد مستقبله الملكي، ممّا دفع به للقبول أخيرا بحسم موقفه لصالح فرنسا مقابل بشبه إستقلال<sup>(2)</sup>، وهذا يعني إجهاض المشروع النهضوي في المغرب الأقصى<sup>(3)</sup>، كنتيجة حتمية لعدم إستيفاء شروط قيامه بفعل توقيفه في منتصف الطريق، لإكتفاء الملك بنصف ثورة<sup>(4)</sup>.

1\*- محمد بن عرفة (1886-1955م): محمد بن عرفة بن حسن أو محمد السادس حاكم المغرب إبان الإحتلال الفرنسي، و كان بعيدا عن السياسة، و كان يهتم بأراضيه الزراعية، فنصّب الفرنسيون على أمل طي صفحة المطالبة بالإستقلال، مما زاد من الاضطرابات والعنف في المغرب، و محاولات اغتيال بن عرفة، و كان يعرف باسم سلطان الفرنسيين، لأنهم هم الذين أتوا به إلى الحكم بعد نفيهم للملك محمد الخامس. و أقام في مدينة نيس حتى وفاته، و هو عم الملك محمد الخامس. انظر:

- أحمد العلواني، ذيل الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط1، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، 1998، ص،ص، 190، 189.

2- قامت الجمعية الوطنية الفرنسية بالدعوة إلى فتح باب المفاوضات في أكتوبر 1955م، عن طريق الملك محمد الخامس نفسه الذي قبل العودة من منفاه والإتجاه إلى باريس، و قبل بشروط إتفاق " سان كلو" التي كان من أهم بنودها: "المغرب دولة مستقلة مرتبطة مع فرنسا داخل نطاق التعاون المتبادل، أي الإستقلال داخل حدود التكامل (Lindependance dans Linter dependance)"<sup>(1)</sup> أعلن الملك محمد الخامس في خطاب له في 18 نوفمبر 1955م عند وصوله إلى المغرب (الإعتماد على معونة فرنسا لبناء عهد جديد)، و أسفرت المفاوضات بين الطرفين التي انتهت في 2 مارس 1956م بمنح الإستقلال للمغرب، و بموجب الإتفاق احتفظت فرنسا لنفسها ببعض الإمتيازات كاستمرار مرابطة قواتها في بعض المناطق و بعض القواعد العسكرية و استمر التعاون الإقتصادي و الثقافي و التعاون في بعض المجالات العسكرية بين الطرفين، و حافظ القصر على الأوضاع الموروثة، و قام الملك بتعيين " أعضاء المجلس الإستشاري" وعددهم 76 عضوا يمثلون مختلف الإتجاهات السياسية و العلمية والإقتصادية والنقابية. مع تهميش دور القوى والأحزاب السياسية ولاسيما حزب الإستقلال .. ممّا أفسح المجال على مصراعيه لبروز تناقضات إجتماعية وسياسية حادة ألفت بظلالها القائمة على مستقبل المغرب، للمزيد انظر:

- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر.. مرجع سابق، ص،ص، 227.. 262.

- أحمد الريسوني، علال الفاسي .. مرجع سابق، ص،ص، 110.. 112.

3- إنّ البند الذي وضعته فرنسا كأساس للمفاوضات، و قبل به محمد الخامس، اعتبر إنحرافا خطيرا للمشروع النهضوي الذي إنخرطت لأجل تحقيقه كل القوى الوطنية الحيّة، التي جعلت من مصلحة الأمة فوق كلّ اعتبار، فعلا الفاسي كما قال عنه الريسوني أنّه وقف مشدوها لما آلت إليه الأمور قائلا: "لم يكن يخطر ببال أحد من المناضلين الأولين، أن القانون الذي وضعه الفرنسيون لمقاصد إستعمارية سيصبح المتحكّم في كل النشاط الإسلامي في المغرب"<sup>(2)</sup> انظر:

- أحمد الريسوني، علال الفاسي .. مرجع سابق، ص،ص، 110.

4- إن من بين الإنطباعات التي كتبت عن سير المفاوضات و نتائجها، ما كتبه الضابط الفرنسي جورج سبيلمان (1899-1980م) كان ضابط الشؤون الأهلية في المغرب لمدة 35 سنة (1920-1955م) و هو واحد من عناصر مدرسة الجنيرال والمقيم العام الفرنسي لبوطي لا يخفي سروره من النتيجة الرائعة التي انتهت إليها ما عُرف بمفاوضات " الإستقلال"، فيقول: "و في كل الأحوال، لقد تجنّبنا الحل الأسوأ، وأعني بذلك القطيعة، و يبقى الباب مفتوحا على مصراعيه لعلاقات أفضل، أي التعاون الذي أختير دون قيد أو شرط، إذ كانت الفقرة التي تؤكد أنّ فرنسا والمغرب " سيبنيان مستقبلهما المشترك معا دون تدخّل الغير " أحسن عربون للمستقبل.."<sup>(3)</sup>، و كتب سبيلمان و كأنّه يوصي الملك محمد الخامس و يحذّره من شعبه، حتى يحكم قبضته كضامن وأمين لـ " الحق الفرنسي في المغرب" بقوله: "على السلطان محمد الخامس أن يتسلّح عند رجوعه إلى العرش بكل قواه و حنكته ليتعلّب على الفوضى الكامنة تحت الرماد و يمسك بزمام الأمور.."<sup>(4)</sup> انظر:

- جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال 1912-1956م، تر: محمد المؤيد، ط1، مطابع الرباط، المغرب، 2014، ص،ص، 234، 237.

#### 4- ليبيا 1939-1954م :

خلال هذه المرحلة من مراحل نضال البلدان المغاربية لإستكمال مسيرة نهضتها، النخبة الوطنية الليبية وشعبها الأبى، تشبّت بكل شيء قد يساعده على تحقيق ذاته واسرجاع حقوقه المسلوبة .

إنّ مرحلة النضج الخاصّة بالنهضة في بلدان المغرب العربي، بدأت حسب تصوّرنا مع بداية إندلاع الحرب العالميّة الثانية 1939م، و مع تطوّر الأحداث العالميّة و ما انعكس عنها من زخم داخلي، أكسب الحركة الوطنية المغاربية نوعا من الفاعلية والنشاط الممزوج بالآمال العريضة، و رومانسية الخيال الجامح نحو أوهاام قطاف غلال الحرّية، وثمار التضحيات في سبيل إنتصار مبادئ القوى الديمقراطية والعدالة الإنسانيّة التي تقودها دول التّحالف ضد الأنظمة الديكتاتورية والعنصرية المعادية لحرية الشعوب وحقوق الإنسان.

وبعد نهاية مرحلة ما بعد عمر المختار، تشبّنت الحركة الوطنية الليبية خارج ليبيا، إلا أنّ الشيء الذي يميّزها عن غيرها هو أنّ معظمها كان في دول المهجر خاصة في مصر، و ظهر في ليبيا في سنة 1942م "نادي عمر المختار الرياضي" الذي كان له نشاط سياسي يهدف إلى توحيد برقة و طرابلس يقوده الشّباب في تلك الفترة الحرجة، النّادي الذي لم يخف انتقاده للسياسة البريطانيّة في البلاد<sup>(1)</sup>، كما كان في طرابلس عدّة أحزاب سياسية وجماعات و نواد ذات أهداف مختلفة تسعى كلّها للإستقلال و توحيد مناطق طرابلس و برقة و فزان .

#### 4-1- الأمير إدريس السنوسي على خطى الأمير الشريف حسين :

1- علي محمد محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، 277.

شرح إدريس السنوسي<sup>(1\*)</sup> في مفاوضة الإنجليز أثناء و بعهد الحرب الثانية<sup>(2)</sup>، الذين وعدوه كما وعدوا الشريف حسين بالإستقلال إن هو اشترك بقواته وقدم مساعدات لأصدقائه الحلفاء خلال الحرب، فدعا الأمير إدريس مشائخ القبائل، و زعماء المجاهدين الموجودين بمصر أو خارجها، واستخدم السنوسي نفوذه التاريخي والروحي حتى يحمل "الجمعية الوطنية الليبية" على أن تتهج نهجه قائلا: (( و كنتُ شخصا على يقين كامل من أن النصر النهائي سوف يكون من نصيب الحلفاء لإيماني بحتمية انتصار الحرية على الطغيان، وعملت جهدي لإقناع الحاضرين بأن يضعوا ثقتهم في قدرة بريطانيا بحيث نوحّد كلمتنا في مساندها في الحرب))<sup>(3)</sup>، لأنّ بريطانيا وعدته بإعطاء ليبيا (( الإستقلال الذاتي))<sup>(4)</sup>، و ممّا قاله الجنيرال البريطاني ولسون لما عرف بـ"الجمعية الوطنية الليبية" المجتمعمة في الخارج بمصر: (( إنّ اشتراككم مع قوّات صاحب الجلالة في سحق العدو المشترك هو تحرير لوطنكم واستعادة أملاككم وحرّيتكم واستقلالكم )) ثم أضاف أنه على استعداد لتزويد الجيش بكلّ ما يلزمه من أسلحة وعتاد))<sup>(5)</sup>.

وكان السنوسي والسنوسية الجديدة<sup>(6)</sup> تسيطر على الساحة الإعلامية في ليبيا دون إفساح المجال للرأي الآخر الذي يمثّله (( بعض القادة الليبيين الذين انتقدوا سياسة إدريس

1- \* محمد إدريس السنوسي (1890-1983م): هو محمد إدريس بن محمد علي السنوسي، آخر ملوك ليبيا السنوسيين، ولد في برقة، واشترك في الحرب الطرابلسية عام 1911م، خلف أباه في زعامة السنوسية 1915م، و أعلن أميرا على واحات برقة سنة 1920م، غادر ليبيا إلى مصر بعد وقوع أكثر الأراضي الليبية تحت الحكم الإيطالي، ناصر الحلفاء إبان الحرب العالمية الثانية، و اعترفت به بريطانيا أميرا على برقة 1949، و نصب ملكا على ليبيا بعد استقلالها سنة 1951م، و تنازل عن العرش بقيام ثورة سبتمبر 1969م بقيادة القذافي، وانتقل إلى مصر.. انظر: حمد العلوانة، ذيل الأعلام، قاموس تراجم .. مرجع سابق، ص، 166.

2- من بين الأسرار التي تثبت تضحية بعض قادة العرب من بينهم السنوسي بآمال و آمم شعوبهم و تضحياتها و متاجرتهم بها لأجل تحقيق رغبتهم في تولي السلطة، التقرير الذي قدّمه الجاسوس المخابراتي الإنجليزي "كلايتون" و يتضمّن جردا للمحادثات التي تمّت في خريف سنة 1947م بينه و بين قادة عدد من الدول العربية و من بينهم إدريس السنوسي، و قد جاء فيه: (( أكد لي الأمير السنوسي في نهاية الحديث الذي أجرته معه بأنّه لن يعارض في إعطاء بريطانيا العظمى، أو أية دولة حليفة لها الحق في إقامة قواعد عسكرية في برقة بشرط أن يعطى لها الإستقلال، و أن ينصّب هو ملكا. و أضاف بأنّه مستعد لعقد معاهدة من نوع المعاهدات المبرمة مع مصر و شرق الأردن ))، و بعد شهر واحد على وصول إدريس السنوسي إلى برقة حتى أصدر أمر بجلّ جميع المنظمات السياسية و قسده بالأساس نادي عمر المختار الذي كان قد شنّ حملة واسعة على النفوذ الأجنبي في ليبيا خاصة إنجلترا، و في الوقت نفسه أعلن السنوسي تشكيل منظمة سياسية جديدة من ممثلي أحزاب أخرى و شكّل مؤتمرا وطنيا له 15 فرعا في برقة يضم 150 ألف عضو و كان رئيسه محمد الرضا السنوسي و نائبه صادق الرضا السنوسي و عبد القاسم السنوسي، كما كان عدد من الأعضاء القياديين في المؤتمر يشغل مناصب مسؤولة عن الإدارة العسكرية البريطانية، و كان الهدف الأساسي من تشكيل المؤتمر الوطني البرقاري لتحويله أداة طيّعة لتحقيق الأهداف و المصلحة المصالح المشتركة في ليبيا و على حساب مستقبلها بين الحليفين السنوسي والإنجليز.. انظر:

- نيكولاي إينيتش بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، تر: عماد حاتم، ط2، دارالكتب الجديدة المتحدة، ليبيا، 2001، ص، 311، 310.

3- علي محمد محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، 253.

4- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر .. مرجع سابق، ص، 325.

5- علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص، 252.

6- نُظِّقها هنا عن النهج السنوسي الذي انتهجه " خليفهم " إدريس السنوسي و السنوسيون الجدد السياسيين الآخرين بعد مرحلة عمر المختار.. انظر:

في تأييد بريطانيا قبل أن يحصل على ضمانات أكيدة باستقلال ليبيا، و زاد ضغطهم لدرجة أن بعض القادة اضطر أن يهدّد بالإنسحاب من التعاون مع بريطانيا ((1)).

ومنه فبعدما رمى إدريس السنوسي بكل ثقته في بريطانيا في هذه الحرب الثانية، كما رماها نظيره، الشريف حسين خلال الحرب الأولى- من حيث تناظر شبه الدور الدبلوماسي والطموح السياسي بينهما - شرع في إنشاء جيش ليبي يسمى "القوة العربية الليبية" للقتال إلى جانب القوات البريطانية ضد الإيطاليين، و ستعترف بريطانيا رسمياً بالدور الخطير الذي قام به الليبيون في الحرب العالمية الثانية ضد المحور، وتحدثت الصحافة حينها عن تضحيات العرب الليبيين، وقال أحد الضباط البريطانيين: ((سوف لا ننسى كيف مهّد ولاء العرب وإخلاصهم وتضحياتهم طريق النصر الأخير الحاسم)) (2).

إن إدريس السنوسي وقف حجر عثرة أمام استكمال المشروع النهضوي الوطني في ليبيا و تحالف كل من السنوسي والإنجليز ضد وحدة البلاد ومستقبلها وفق خطة "سترينغ" وزير خارجية بريطانيا، وذلك لما (( أعلن إدريس السنوسي أن برقة "دولة مستقلة"، وفي المقابل أعلن "ديك وندول" رئيس الإدارة البريطانية أن الحكومة البريطانية تعترف بالأمير إدريس السنوسي رئيساً لحكومة برقة وأنه يتعهّد باتخاذ كافة الإجراءات من أجل دعم هذه الحكومة )) (3)، فعقبت جريدة "صوت الأمة" أن الجميع في طرابلس يعتبرون أن الأمير تحول إلى أداة في يد السياسة الإنجليزية و أنه خان الشعب الليبي في سبيل أغراضه الخاصة ((4)).

وإنّ ممّا خشي منه المواطن الليبي المتوجّس خيفة من الطريق غير الطبيعي الذي دُفعت ليبيا لأن تسلكه (5)، قد قال: ((..وأخشى ما أخشاه أن العرب رغم يقظتهم و وحدتهم

1- علي محمد محمد الصلابي، نفسه، ص، 257.

2- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر.. مرجع سابق، ص، 327، 327.

- علي محمد محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، 2001، ص، 262.

3- نيكولاي إينيتش بروشين، تاريخ ليبيا .. مرجع سابق، ص، 335.

4- نيكولاي إينيتش بروشين، نفسه، ص، 336.

5- كانت السنوسية عملية أكثر من غيرها من طرق المغرب العربي، و كان من بين أهم مبادئ السنوسية هو (مقاومة النفوذ الأجنبي و التصدي لقتاله)، للمزيد انظر:

- أنور الجندي، اليقظة الإسلامية .. مرجع سابق، ص، 79، 80.

المبتورة سيواجهون تضحيات جديدة و مصاعب شديدة و سيُلعب بهم دور آخر يكونون فيه هم كبش الفداء - لا سمح الله - لأنّ الغرب لا يرتد و الشرق لا يتعظّ..<sup>(1)</sup>.

#### 4-2- مستقبل ليبيا :

تزايدت المعارضة الليبية ضد الوجود البريطاني و الفرنسي في ليبيا، و شرع إدريس السنوسي بتشكيل "الجبهة الوطنية" التي سعت لترسيخ الشرعية السياسية للسنوسي عبر أقاليم ليبيا، و شكّلت هذه الجبهة موقفا معارضا لنادي عمر المختار و طروحاته السياسية، الذي عُقدت عليه الآمال لاستكمال و تحقيق المشروع النهضوي في ليبيا كما أراده عمر المختار و أحرار السنوسية،<sup>(2)</sup> فمارس النادي نشاطه بصورة متعاضمة في ليبيا خاصة خلال سنوات "1946-1947م"، الذي طمح للوصول إلى الدستور الديمقراطي مع ضمانات ضد استبداد السنوسي، الذي أوقف نشاطه نهائيا في نهاية سنة 1947م<sup>(3)</sup>، و بالمقابل سيستعين السنوسي بموظفين بريطانيين في مختلف الدوائر بليبيا، بتوجيه من البريطاني "أديان بلت" رئيس مجلس الوصاية بليبيا<sup>(3)</sup>.

و استطاع الغرب الإستعماري أن يضمن مصالحه في ليبيا عن طريق تثبيت محمد إدريس السنوسي ملكا على ليبيا عوض ابن عمّه أحمد الشريف السنوسي، فهادن الإيطاليين و أصبح مقربا أكثر من البريطانيين، و منذ توليه عرش البلاد انتهج سياسة خارجية موالية للغرب، و وقّع مع كل من بريطانيا و الولايات المتحدة بعض الإتفاقيات سمحت لهذه الدول بإقامة قواعد عسكرية في ليبيا، و عندما تحركت القوى الوطنية لمواجهة هذه السياسة تعرّضت للملاحقة، و أصدرت حكومة السنوسي أوامرها بالغاء الأحزاب و الأنشطة السياسية<sup>(4)</sup>.

1- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، 272.

2- أصدرت بريطانيا في نفس السنة قرارا يقضي بمنح برقة استقلالها و الإعراف بإدريس السنوسي رئيسا لها ليشق الطريق نحو الإستقلال الذي تريده بريطانيا و القوى الإمبريالية الأخرى. ز و بعد شهور قليلة من إعلان الإستقلال سنة 1951م خرجت الجماهير في ليبيا في مظاهرات صاحبة و هم يحملون نعشا مجللا بالسواد و يهتفون ( يسقط الإتحاد) و ( عاشت الوحدة) و فأصدر السنوسي أول قانون في ليبيا المستقلة في مارس 1951م يسمى ( مقاومة الجريمة) فأدخل العديد من الليبيين المعارضين إلى السجن، و نفي آخرين إلى خارج البلاد.. كل ذلك لحمل الشعب على القبول بالواقع الذي يريد السنوسي و من ورائه القوى الإمبريالية على مستقبل ليبيا. انظر:

- محمد علي داهش، المغرب العربي المعاصر.. مرجع سابق، ص، 329، 334.

3- صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، د، ط، المطبعة الفنية الحديثة، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1970، ص، 110.

4- ليبيا في العصر الحديث، موقع: الموسوعة العربية <https://www.arab-ency.com/ar/>، تاريخ التصفح: 2017/12/11 م.

وبعد إجراء انتخابات مجلس النواب مطلع سنة 1952م، صرّح بشير السعداوي في القاهرة بأنّ الإنتخابات في ليبيا قد زوّرت من قبل الحكومة المرتبطة بانجلترا، و الولايات المتحدة الأمريكية باتفاقيات عسكرية، اقتصادية، و تجارية، و ذكر أنّ لجؤ السلطات إلى الإرهاب وسياسة التخويف روّجت لفكرة عدم قدرة البلاد على الحياة دون حماية الدول الأجنبية و ضرورة الخضوع لإرادة هذه الدول<sup>(1)</sup>.

#### 4-3- الدول الغربية واستقلال ليبيا :

إن المناخ الوطني الليبي العام كان مهيباً للإستقطاب مما أكسب حركة التحرر الوطني الديمقراطي - بعد الإستقلال- آليات الصراع في مواجهة نواقص السيادة الوطنية وخروقات الإستقلال السياسي وما كتبت به بريطانيا ليبيا في نصوص و مواد "معاهدة الصداقة والتحالف" البريطانية الليبية الموقّعة في 29 جوان 1953م<sup>(2)</sup>، بدعوى أنّ المعاهدة ((تحمي إستقلال ليبيا من الأخطار الخارجية))<sup>(3)</sup>، والتي أثارت سخطا محليا وتخوّفا إقليميا؛ كانت المدخل الأساسي لنشؤ معارضة وطنية ليبية لسياسات المملكة وارتباطاتها الدولية العائقة لتحقيق التحرر الوطني الديمقراطي الكامل، الأمر الذي سيسمح للقوى الوطنية الحية لاستكمال مشروعها النهضوي، إلّا أنّ الدستور الليبي كان يحظر قيام الأحزاب والتنظيمات بدعوى أنّ مهمة الأحزاب قد انتهت بخروج الإستعمار من البلاد<sup>(4)</sup>.

وكذلك أبرمت الولايات المتحدة الأمريكية مع حكومة الملك إدريس في 09 سبتمبر سنة 1954م اتفاقية، منحت وفقها حق استعمال مناطق في ليبيا للأغراض العسكرية مقابل حصول ليبيا على معونة قدرها 7 مليون دولار<sup>(5)</sup>، و في خطاب العرش الذي ألقاه الملك

1- نيكولاي إينيتش بروشين، تاريخ ليبيا .. مرجع سابق، ص 376.

2- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي .. مرجع سابق، ص 280.

3- صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة .. مرجع سابق، ص 113.

4- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي .. مرجع سابق، ص 263، 264.

5- ابراهيم فتحي عميش، المرجع نفسه، ص 281.

إدريس السنوسي في 09 نوفمبر 1954م وصف الإتفاقية مع الولايات المتحدة بأنها أكبر إنتصار عظيم لليبيين (1) .

لقد واصل الشعب الليبي نضاله من أجل استكمال الحصول على استقلاله الحقيقي، بعيدا عن مساعي وأطماع الدول الكبرى التي كبتت النظام السنوسي الجديد للحفاظ على مصالحها، على الرغم من تتكدر هذا النظام للتضحيات الجسام التي قدمها الشعب الليبي في سبيل تحقيق استقلاله المكامل غير المنقوص، الإستقلال العميق والمشروع ؛ كما تمناه رجال السنوسية الأحرار، و كان آخرهم الشهيد الخالد عمر المختار .

وكتبت صحيفة "أخبار اليوم" المصرية فيما يخص السياسة المنفردة لإدريس السنوسي وحليفته بريطانيا ما نصّه : «يسير الأمير إدريس السنوسي على خطا السياسة الإنجليزية ..إن بريطانيا تشقّ الصف العربي من أجل أن تتغلغل حيث تشاء. و الإنجليز يستخدمون العديد من الزعماء العرب من أجل الوصول إلى أهدافهم»(2)، فأخضعت البلاد للنظام "البوليسي"، فسددت طعنة إلى حركة تحرر الوطني في ليبيا، وأصبح الحكم في أيدي التجمّع الإقطاعي الملكي كعماد رئيسي للأمبريالية في ليبيا(3)، و بالتالي أجهض مشروع الشهيد عمر المختار وإخوانه الذين وقفوا معه في درب الجهاد لبناء ليبيا المستقلة،الناهضة والقوية .

إلا أنّ الشعب الليبي هو الآخر كبقية شعوب الأقطار المغاربية الأخرى؛ التي نكبت في مشروعها الوطني الذي تطلّعت لتحقيقه، وبذل في سبيله الجهد الجهد، وناضلت لأجله النضال المستميت، و كان رجال النهضة والإصلاح، و رجال الحركة الوطنية المخلصين قد جالوا داخل هذه الأقطار و خارجها يصدعون بألسنتهم وأفلامهم، ويعتلون كل منبر، ويتجشّمون كل الصعاب، ويركبون الأخطار؛ لأجل تنوير العقول وإحياء القلوب واستنهاض الهمم، والأخذ بأيدي الجماهير إلى التحرّر من براثن الجهل والذل، والإنعتاق

1- نيكولاي إينيتش بروشين، تاريخ ليبيا من .. مرجع سابق، ص 395.

2- نيكولاي إينيتش بروشين، مرجع سابق، ص، 2001، 322.

3- نيكولاي إينيتش بروشين، نفسه، ص، 377.



من أغلال العبودية، و كسر حُجُب التخلف..، فحسبهم قاموا بواجبهم كما ينبغي، و رسموا للأجيال سبيل النهوض والإرتقاء .

ولقد تضافرت جهود النخب الوطنية المغاربية ضمن مشروعها النهضوي الحضاري، التي مسّت شتى الحقول الأساسية، لبناء الإنسان المغربي المعاصر، و مستقبل صرحه الموحد المتقدم والمزدهر، إلا أنّ الحقل والميدان السياسي تطلّب حينها نضجا سياسيا في مستوى المكر الإستعماري و مراوغاته، و جهدا أكبر و تضحيات جسام، و نفس لا ينقطع حتى نهاية الطريق و ليس منتصفه، باعتبار الطرف الآخر يمتلك من الإمكانيات المادية والأساليب السياسية والقانونية، والإغرائية ما لا تملكه الشعوب المستعمرة، عدا عدالة قضيتها وإيمانها بمبادئها .

وأنّ طبيعة التكوين السياسي لبعض النخب الوطنية، و ما رسخ في عقلها من مبادئ وأفكار بفعل ما بثّه الإستعمار في المجتمعات المغاربية من إعتقادات وأوهام، ضد القيم الوطنية، إضافة إلى الحظوة التي منحتها الإدارة الإستعمارية لهذه الفئة المخدوعة بعبارة "الإستقلال"، المنبهرة، والمفتونة بوعود الحداثة الغربية،.. مما ساهم بقوة في سقوطها عند جلوسها مع المستعمر للتفاوض معه في قضايا تخصّ صميم مستقبل و مصير الأمة .

اعتبرت الإصلاحية المغربية أن سبب النكوص العام يعود إلى البعد عن الدين الإسلامي الحنيف، و عدم التقيد بأحكامه وأخلاقه، الحضارات الإنسانية عبر التاريخ لم تزدهر؛ إلا لأنها آمنت بالديانات السماوية، وعملت بتعاليم أنبيائها وحكمائها .  
فالعقيدة، هي منتهى ما تصل إليه الجماعة<sup>(1)</sup> لحفظ كيانها، وتحقيق أهدافها الفطرية، في قيام حياة إجتماعية منتظمة، متحركة ودائمة، و ما دامت العقيدة فإن الجماعة تدوم، فإذا زالت، فإن تلك الجماعة تتحل، و يفرض وجودها، و قد تعيش المجتمعات بالصحيح من العقيدة أو بالعقائد الخرافية، لكنها لا تعيش بدون اعتقاد<sup>(2)</sup> .

فالمسلمون كما قال محمد عبده، ما عادوا العلم يوما، ولا العلم عاداهم إلا من يوم انحرفهم عن دينهم، وأخذهم في الصدّ عن عمله، فكلمّا بعد عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا و حُرّموا من ثمار العقل<sup>(3)</sup>، فالسعي نحو الإصلاح عند جل المتقّفين؛ كان بدافع الإعتقاد أنه من صميم الإسلام خاصّة في حالة وجود خلل في المجتمع، و يرقى هذا الدافع عند الفقهاء المتخصّصين إلى مرتبة الفريضة التي يُحاسب المكلف شرعا على الإحجام عن أدائها إذا دعت الضرورة إلى ذلك<sup>(4)</sup> .

إلا أن الإستعمار الأوربي الحديث كان أكثر خبثا و بغضا، بسعيه في استهداف عقيدة السكّان، وذلك بنشر التناقضات والمنكرات وتدمير كل القيم والفضائل النبيلة في المجتمعات المستعمرة؛ خاصّة الإسلامية منها، لإغراقها في وحل التخلف والإنقسامات المذهبية والطائفية والإنهيار الأخلاقي..حتى لا تقوم لهذه الشعوب قائمة، وبالتالي يطمئن على مصالحه و نفوذه في هذه المستعمرات .

1- يدعم علال الفاسي كلامه بما ذهب إليه السيد جمال الدين الأفغاني ضمن كتابه " الرد على النيشريين "، و النيشرية أصلها بالإنجليزية " ناتشر " the nature و تعني الطبيعة ، و الهدف منها محو الأديان و وضع أساس الإباحة و الإشتراك في الأموال و البضائع بين الناس عامة ، اسست بمساعدة من بريطانيا الإستعمارية في الهند لضرب الإسلام و المسلمين كجماعة تقوم على أساس إعتقاد صحيح و متين ، الإعتقاد الذي قد يحتوي الإعتقادات جميعها.. ، و يقول الأفغاني أن الشعوب عبر التاريخ، يونان ، رومان ، صينيين ، و عرب و غيرهم ، ارتقوا ثم انحطوا بسبب ضعف عقيدتهم و ضعف تمسكهم بالدين الذي انتحلوه .. ، كما استشهد علال بالفيلسوف " فرويد " الذي أورد أثر الخرافة في حفظ المجتمعات و حمايتها و في تحقيق نصيب من العدالة في الشعوب البدائية .. انظر :

- علال الفاسي، دفاع عن الشريعة.. مصدر سابق، ص44 .

2- علال الفاسي ، المصدر نفسه، ص، ص ، 43، 44 .

3- رضوان زيادة ،التنوير في عصر النهضة، مقال على موقع: مؤسسة مؤمنون بلا حدود.قسم:الدين وقضايا المجتمع الراهنة ،تاريخ التصفّح

<http://www.mominoun.com/articles/2018/02/29/>

4- وجيه كوثراني، أفكار النهضة .. مرجع سابق، ص، 162.

## 1- المجال التربوي، الديني والتعليمي :

إنّ التربية التي تبنتها الحركة الإصلاحية و رجالها في الجزائر، كان يقصد بها جملة من المبادئ والقيم الفطرية التي تنتمي إلى ثقافة أو حضارة متميّزة، و هي الثقافة العربية والإسلامية، والتربية غير التعليم، فالتربية هي عملية البناء العقلي والقلبي والسلوكي للإنسان، أي عبارة عن تنمية الشخصية لدى الإنسان المتعلّم<sup>(1)</sup>.

لقد كانت مهمّة الأنبياء الأساسية هي مهمّة تربوية، الرسول "ص" كان المربي الأول في الإسلام، فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن مهمّة الأنبياء في الأرض<sup>(2)</sup>، حيث قال عزّ وجلّ: (( كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ))<sup>(3)</sup> .

ويتبيّن من ذلك اندماج العلم والعمل، والتعليم والتربية، والحكمة والتزكية، فتعلّم الكتاب يقتضي تعلّم الحكمة التي تشمل شتى المعارف، والأسرار والتجارب، وهذا ما يجعل من الإنسان يكتسب معارف و قيم<sup>(4)</sup>، تجعله أكثر قدرة على تحقيق طموحاته ورسالة الإستخلاف في الأرض .

### 1-1- الجزائر .

#### 1-1- مساعي العلماء الفردية :

كان من بين العلماء الذين بدأوا نشاطهم التربوي والتعليمي في الجزائر قبيل وبعد الحرب العالمية الأولى؛ نجد عبد الحميد بن باديس بعدما تسلّح بثقافة جديدة من خلال زيارته لبلاد المشرق، حيث اتّصل هناك بالإبراهيمي والعقبي، رفيقي درب الإصلاح، واتفقوا وهم في الحجاز على (( العودة إلى الجزائر والقيام بنهضة فيها تتمثل في نشر

1- لطيفة عميرة ، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري 1889-1940م ، ط1 ، دار الأيام ، عمان الأردن ، 2015م ، ص، 167

2- لطيفة عميرة ، المرجع نفسه ، ص، 167 .

3- سورة البقرة، الآية:151، برواية ورش عن نافع .

4- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص، 167 .

التعليم وإحياء اللغة العربية، و بث الإصلاح الديني والإجتماعي واعداد الشعب لتولي مسؤولياته السياسية والقومية ((1)).

وبعودة ابن باديس باشر في تنفيذ مشروعه النهضوي إنطلاقا من مدينة قسنطينة، وكان أساس مشروعه هو "القرآن الكريم"، ولقد أدرك ابن باديس أن القرآن هو مصدر الخلق العظيم، بذلك اهتم بتعليم القرآن وتفسيره للصغار والكبار معا؛ لتحسين المجتمع الجزائري المسلم وإعداده بتربية إسلامية أساسها القرآن وسنة الرسول "ص"، بذلك خاطب ابن باديس الشعب الجزائري مبينا أهمية التمسك بالدين الإسلامي في الحفاظ على بقائه قائلا: ((أيها الشعب الجزائري المسلم الكريم، تالله لن تكون مسلما إلا إذا حافظت على الإسلام، ولن تحافظ عليه إلا إذا فقهته، ولن تفقهه إلا إذا كان فيك من يفقهك فيه، ولهذا فرض الله على كل شعب إسلامي أن تنفر منه طائفة لتتفقه في الدين ((2)).

كما بدأ الطيب العقبي نشاطه الإصلاحية إنطلاقا من مدينة بسكرة؛ حيث اتخذ من المسجد منبرا لبث أفكاره، فهاجم الطريقة والشعوذة والخرافات والمتاجرة بالدين، و دعا إلى السلفية و الإسلام الصحيح القائم على العلم والقوة، فانظم إليه الشاعر محمد العيد آل خليفة، و الشاعر الكاتب الأمين العمودي،.. فأصبحت بسكرة تنافس قسنطينة حركة وعلماء، فأسسوا مطبعة في بسكرة وأصدروا جريدة بعنوان "صدى الصحراء" حملت لواء الفكرة الإصلاحية التي بثها العقبي، و بعد توقيفها أصدر مكانها جريدة "أسماها" الإصلاح ((3)).

وحارب العلماء والمصلحون في الجزائر العادات السيئة والدخيلة التي أدخلها الإستعمار إلى المجتمع العربي الإسلامي، فقاومها أساسا بعلوم القرآن والسنة والمعارف الصحيحة في شتى التخصصات التي تخدم دنيا ودين المجتمع؛ كما يقول ابن باديس: ((فصلاح الفرد هو صلاح المجموع والعناية الشرعية موجّهة كلها إلى صلاح النفوس .. فتكميل النفس هو أعظم المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل و شرع الشرائع ((4)).

1- أبو القاسم سعد الله، مقال: مدارس الثقافة العربية .. مرجع سابق، ص، 83.

2- عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس حياته و آثاره ، جمع و دراسة عمار طالبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ج3 ، ص ، 230 .

3- أبو القاسم سعد الله، مقال: مدارس الثقافة العربية .. مرجع سابق، ص، 84.

4- عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس .. مرجع سابق ، ج1، ص، 232 .

ويقول الشيخ البشير الإبراهيمي بشأن أهمية المدرسة و دورها التربوي (( إن المدرسة هي جنة الدنيا والسجن هو نارها، والأمة التي لا تبني المدارس تُبنى لها السجون ))<sup>(1)</sup> .  
وكذلك من بين علماء الحركة الإصلاحية في الجزائر؛ نجد مبارك الميلي الذي انخرط في الحركة الإصلاحية مباشرة بعد تخرجه من جامع الزيتونة سنة 1924م، وبادر بالتدريس في مدينة قسنطينة، ثم توجه إلى مدينة الأغواط للقيام بواجب الإصلاح فيها، فأنشأ فيها حركة علمية، كما سَير منها البعثات الدراسية نحو جامع الزيتونة، وبعد سبع سنوات عاد الشيخ الميلي إلى مسقط رأسه بميلة ليساهم في تأسيس المساجد، والمدارس، والنوادي الإصلاحية و يقوم فيها مرشداً ومعلماً وخطيباً، وله رسالة مشهورة بعنوان "الشرك ومظاهره"<sup>(2)</sup> .

فالتعليم والتربية<sup>(3)</sup> تكون للرجل والمرأة على حدّ سواء؛ هما الغاية في تكوين الشخصية عقلياً ودينيًا وسلوكياً، وهما المنهج الأسلم والصحيح للنخب الإصلاحية التي تسعى لبناء الأمة و إعادة بعث حضارتها، فالعلم مقترن بالعمل، فينتجان ((الفضيلة كثرة وطنية))<sup>(4)</sup>، يبادر بها المجتمع الإسلامي الحيّ ولا تستقيم الحياة إلاّ بها، فهي نعمة وثروة معنوية تكمل الثروات المادية الأخرى للأمة، هذه الثروات كلها عند تكاملها و بعد

1- عبد الله مقلاتي، إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس و طلابه في الثورة التحريرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص، 395، 396.

2- محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية و نضاله الوطني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص، 395، 396.

3- التربية : هي جملة المبادئ و القيم التي تنتمي إلى ثقافة أو حضارة ما، و التربية غير التعليم ، ذلك لأن التربية تعني عملية البناء العقلي و القلبي السلوكي للإنسان ، أي هي عبارة عن تنمية الشخصية لدى الإنسان المتعلم ، و قد كانت التربية مهمة الانبياء بالدرجة الأولى ، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم كان المربي الأول في الإسلام ، فقد أخبرنا الله سبحانه و تعالى عن مهمة الانبياء في الأرض حيث قال عز و جل : ( لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) سورة آل عمران ، الآية 164 ، برواية ورش. انظر:

4- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص ، 167 .

5- كان الإمام ابن باديس كالمطهطاوي الذي يرى أنّ الثروة الوطنية إنّما هي إنتاج الفضيلة ، إذ عندما كانت الفضائل الاجتماعية قوية ؛ كانت مصر مزدهرة ، و أما مفتاح الفضيلة فهي التربية و التعليم ، لقد صرف كل من الشيخين معظم حياته معلماً ، حيث أسّسا كل على طريقته المدارس والمعاهد و الكليات ، و كلن يعتقدان أنّ التعليم يجب أن يكون متصلاً بطبيعة المجتمع و مشكلاته ، و أن يستهدف تغذية قلوب الصغار بالمشاعر و المبادئ السائغة في بلدانهم ، و أنّ الغاية من التربية و التعليم هي تكوين الشخصية العربية الإسلامية ، لا مجرد حشو عقل المتعلم بكمية من المعارف ، و قد ركز ابن باديس في نشاطه التربوي على تطهير النفس ، و ذلك بإصلاح العقائد و تقويم الأخلاق ، فالباطن أساس الظاهر ، كما أنّ العمل التربوي عنده استهدف تأهيل الشعب الجزائري و تنبيه قدراته الفعلية و الاجتماعية و الخلقية و الإقتصادية و السياسية لكي يتوصل بالنتيجة إلى حياة أفضل في مجتمع أفضل ، ثم تستهدف هذه العملية التربوية ، الدفاع عن الشخصية الجزائرية و الحفاظ على خصوصية التشكل التاريخي الجزائري الذي لا علاقة له أصلاً لفرنسا و للتغريب لا من قريب و لا من بعيد . انظر :

- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص ، 169 ، 170 .

حُسن استثمارها يؤدي ذلك إلى حدوث تغيير في نفسية الأمة، وبالتالي تسعى و بشكل فاعل إلى نهضتها .

ونعتبر أن حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس وإخوانه في الحركة الإصلاحية، هي امتداد واستكمال للجهود الجبارة التي قام بها زعماء الإصلاح والنهوض، منذ الشيخ محمد بن عبد الوهّاب، و جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، إلى رشيد رضا، والكواكبي، والمجاوي، و ابن الخوجة ..

وقد اعتمدت حركة الشيخ الإصلاحية على أسس نظرية وعملية، وهي أن العلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان يبني عليهما الكمال الإنساني، فالتربية الدينية والوطنية معاً؛ كما أنه لا تربية إلا بالعلم والتعلم والعمل بهما<sup>(1)</sup>، و ما أنشأ ابن باديس جريدة "المنتقد" و بعدها جريدة "الشهاب" إلا لتكونا منبرين لترسيخ القيم في الأمة، و تربية النشء على المبادئ و الفضائل<sup>(2)</sup> .

### 1-2- دور النوادي الثقافية ومدارس جمعية العلماء الجزائريين :

لقد شهد مطلع القرن العشرين في الجزائر ميلاد عدة نواد وجمعيات؛ كان أهمها "نادي الترقّي" الذي أسسه جماعة من المحسنين الجزائريين شعورا منهم بضرورة بعث النشاط العربي الإسلامي؛ فكان مهذا للإصلاح بحيث اتخذه أحمد توفيق المدني والطيب العقبي، وغيرهما من المتنوّرين منبرا لتنشيط الحياة الثقافية خلال الثلاثينات، وسيكون مسقط رأس جمعية العلماء سنة 1931م ومنطلق نشاطها واجتماعاتها في السنوات اللاحقة<sup>(3)</sup> .

وظلت الجمعية بمدارسها المنتشرة عبر عموم الوطن تلعب دورها التربوي والتعليمي بعد وفاة ابن باديس سنة 1940م، تحت رئاسة محمد البشير الإبراهيمي، فهاجمت الجمعية

1- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص، 162.

2- أبو القاسم سعد الله، مقال: مدارس الثقافة .. مرجع سابق، ص، 83، 84.

3- أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص، 85.

الطرقية ودعت إلى تطهير الدين كما طالبت باحترام اللغة العربية وتنادي بفصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية<sup>(1)</sup> .

ولإرساء دعائم مشروع النهضة التربوي والتعليمي في الجزائر، استنفرت جمعية العلماء جهودها لإنشاء معهد إسلامي بقسنطينة يكون بمثابة فرع لجامعة الزيتونة وفجمعت التبرعات من السكان، و تمّ إفتتاح المعهد رسميا في أول ديسمبر 1947م، وسمي المعهد باسم رائد النهضة الإصلاحية في الجزائر عبد الحميد بن باديس، كما وافق الشيخ الطاهر بن عاشور اعتماد المعهد فرعا لجامعة الزيتونة<sup>(2)</sup> .

ومما نلاحظه أنّ الإمام ابن باديس كالطهطاوي، وابن الخوجة<sup>(3)</sup>؛ كلهم اعتبروا الفضيلة أجل ما يكتسبه الإنسان وأهم ثروة في المجتمع<sup>(4)</sup>، فالمجتمع المسلم يسعى دوما لإنتاج وتكريس الفضيلة بين أفراده، لأنّه كلّما تحسّن وضع الفضيلة ازدهر المجتمع وبرزت فيه القيم الإيجابية، ومفتاح الفضائل أساسا هي التربية والتعليم، وبالتالي نصل إلى صناعة الشخصية العربية الإسلامية المعطاءة؛ والمتفاعلة إيجابيا مع معطيات المكان والزمان .

- تونس :

### 1-3- المجال التربوي، الديني والتعليمي :

كان لجامع الزيتونة في تونس دور حضاري و قيمي في توجيه الحركة الوطنية التونسية بروحه وتعاليمه، و (( هو الأمين على التراث القومي والحضارة العربية والإسلامية ))<sup>(5)</sup>، و هو محور بؤادر نهضة في تونس، وكانت النخبة التونسية قد نهلت من معين الثقافة والروح الزيتونية التي مدّت المجتمع التونسي بموظفين عبر المحاكم الإسلامية والمدارس التعليمية والتوثيق العدلي<sup>(6)</sup> .

1- أبو القاسم سعد الله، مدارس الثقافة .. مرجع سابق، ص، 87.

2- عبد الله مقلاتي، إسهام شبوخ .. مرجع سابق، ص، 34، 33.

3- محمد بن مصطفى بن الخوجة ، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة ( 1865 - 1915 م ) ، منشورات خمسينسة جامعة الجزائر(1962-1912) ، منشورات ثالة ، الجزائر 2012، ص ، 79 .

4- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص، 204 .

5- الطاهر عبد الله ، مرجع سابق، ص، 220.

6- الطاهر عبد الله ، المرجع نفسه، ص، 221.

وكان البشير صفر<sup>(1)</sup> قد عمد إلى تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1896م التي أدرجت في مقرراتها برنامجا مكملا لما كان يُدرس بجامع الزيتونة، واعتمدت على تعليم التاريخ والإقتصاد السياسي والفيزياء وعلم الإدارة والرياضيات واللغة الفرنسية، بحيث كانت هذه الجمعية تسعى لربط تونس بماضيها الإسلامي و واقعها المعاصر، ليثبت التونسيون بذلك ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده أن الإسلام عامل نهضة وتقدم يوصل أصحابه العاملين إلى أرقى درجات الحضارة والتقدم<sup>(2)</sup>.

فأصبحت المدرسة الخلدونية مركز إشعاع ثقافي وإصلاحي كان له أثر كبير في الحياة الفكرية بتونس مما أدى بأحد المعمّرين إلى القول: ((إذا ما قدر أن تندلع ثورة بالبلاد التونسية فإن هيئة أركان ثوارها تكون قد تخرّجت من الخلدونية))<sup>(3)</sup>.

ويعتبر عبد العزيز الثعالبي أن أخطر التحديات التي تواجه الواقع التونسي هو التعليم، بحيث كانت فرنسا وبشكل عميق؛ تسعى إلى إخراج تونس من الوسط العربي الإسلام وجعلها فرنسية في كل شيء، كما خطّطت فرنسا لطمس اللغة العربية الفصحى "لغة القرآن" و تشجيع النخب الموالية لها لطبع قاموس للغة العامية كمرجع للتعليم في تونس، كما شجعت على وضع تاريخ قومي لتونس يمجّد التاريخ التونسي لما كانت تحت حكم الرومان والوندال و البيزنطيين<sup>(4)</sup>.

وكان الثعالبي يرى أن سياسة التعليم الفرنسية كانت تهدف بالأساس إلى إيجاد يد عاملة من أبناء تونس مسخرة لخدمة الطغمة الإستعمارية والمستوطنين. وبالمقابل تعزل

1- البشير صفر (1917-1965م) : كان مدرسا لمادة التاريخ و الجغرافيا بالمدرسة الخلدونية ، تولى رئاسة جمعية الأوقاف بين عامي(1898-1908م) ،الجمعية التي أسسها الصادق باي عام 1873م بإشارة من وزيره الأكبر خير الدين ، و كان أول رئيس لها هو محمد بيرم الخامس ، و من أعمال البشير صفر خطابه الجريء الذي دافع فيه على عن الحضارة العربية الإسلامية و بين مزاياها على الإنسانية جمعاء ، و كان قد ألقاه أمام أعضاء مؤتمر الجمعية الجغرافية الفرنسية بتونس سنة 1904م ، و كان له صدى عميق في الصحف الأجنبية و الوطنية. كما ذكر في خطاب آخر أمام المقيم العام الفرنسي ستيفان بيشو(1901-1906م) عن إفتقار جمعية الأوقاف إلى المواد الكافية للقيام بواجبها، و ذكر أنّ اليوس قد عمّ قسما كبيرا من التونسيين بسبب المعاملات الإستعمارية. انظر:

- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص،ص،31،30.

2- يوسف مناصرية، نفسه، ص،ص،32،33.

3- يوسف مناصرية، نفسه، ص،ص،34.

4- أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي .. مرجع سابق، ص،ص،47،48 .



القوى الوطنية المفكرة وتحاصرها بقيود الإهمال والحواجز البيروقراطية<sup>(1)</sup>، وكأنها محكوم عليها بالموت البطيء .

وكان رجال الإصلاح في جامع الزيتونة يواصلون نضالهم القانوني والسياسي تجاه السلطات الإستعمارية؛ لأجل الموافقة على فسخ المجال لهم لمباشرة المهام التعليمية والتربوية، فكانت سنة 1947م حيث تحصلت على رخصة لفتح فروعاً للزيتونة عبر أنحاء عديدة من تونس إلى جانب فروع بالجزائر لتدريس العلوم الطبيعية والكيمياء والإحياء والتاريخ والجغرافيا والفلسفة واللغات الأجنبية<sup>(2)</sup> .

## 2- المغرب :

### 2-1- المجال : التربوي،الديني والتعليمي :

لقد تنبّه الكثير ممن اشتغل في موضوع الإصلاح والنهضة في المغرب العربي بالتعليم، وتوصلوا إلى خلاصة بديهية مفادها: أن ما وصل إليه الغرب من تفوق وازدهار، إنما بالعلم لا بالجهل، و لا غرابة لما نجد من أقوال الغربيين ما يؤكد هذه الأطروحة، فهذا بسمارك يقول عندما انتصر على أعدائه، وحقق لبلاده الوحدة الألمانية سنة 1870م (( لقد انتصرنا بمدارسنا ))<sup>(3)</sup> .

وكتب الأستاذ أحمد بن جلون في جريدة الحرية سنة 1940م، مشيدا بالمؤسسات التعليمية، ومعتبرا التعليم منبع النهضة، و مجال تخريج الرجال، حيث قال: (( تمتاز هذه المدرسة عن غيرها كونها منبع هذه النهضة المباركة، ففيها نفتت روح الوطنية في نفوس الشباب المغربي الثائر، ومنها انبعثت أشعة النور الأولى التي أضاعت السبيل لهذا الشعب الضليل، و يكفيها فخرا أن يكون أغلب قادة هذه الحركة الوطنية بالعاصمة من متخرجيها أو من الذين سبق لهم الدراسة فيها و تشبّعوا بروحها، فهي إذن روح الوطنية الحنون، وإليها يرجع الفضل الأكبر إلى إخراج هذه المبادئ المقدسة إلى حيّز الوجود ))<sup>(4)</sup> .

1- أنور الجندي ، عبد العزيز الثعالبي .. مرجع سابق، ص،48.

2- الطاهر عبد الله ،مرجع سابق،ص،222.

3- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق،ص،46

4- أحمد كافي، مرجع سابق،ص،46

وكان محمد بن العربي العلوي "1887-1964م"، شيخ الإسلام والمصلح و رئيس المجلس الأعلى للقرويين، كان من دعاة اقتباس المعارف والمناهج التعليمية العصرية الحديثة النافعة التي كانت من عوامل نهضة الأوربيين<sup>(1)</sup>، و عدّ من كبار السلفية الوطنية الجديدة المغربية، الذي حمل لواءها بكل إقتدار و جدارة<sup>(2)</sup>.

وكانت الصّحف والمجلات الواردة إلى المغرب الأقصى بالخصوص و بلاد المغرب عموما، رغم قلّتها نسبيا وتعدّد المواضيع التي تناولتها، إلا أنّها أجمعت على أزمة التعليم في هذه البلاد، وأنّ إصلاحه مخرج و خلاص لما يسعى إليه المصلحون من نهضة و رقي، و ممّا تناولته هذه الصّحف على سبيل المثال؛ المقالات التي كان ينشرها شكيب أرسلان في مجلة "الفتح"، منها مقال تحت عنوان (( الأزمة الحقيقية الحاضرة في الإسلام هي أزمة التّعليم ))، بحيث أحدثت مثل هذه المقالات أثرها في نفوس المغاربة حتى اعتبروها جديرة بالكتابة بماء الذهب، كما جاء على لسان الأستاذ عبد السلام بنونة<sup>(3)</sup> و أمّا الأستاذ عبد الخالق الطريس الذي يُعتبر من الرّعيل الأوّل للحركة الوطنية؛ هو الآخر ركز على دور التّعليم، معتبرا أيّاه الكفيل دون سواه للقيام بمهمّة الإصلاح التي ندب أنفسهم لها المصلحون، قائلا: (( قلنا دائما إن التّعليم وحده كفيل بإصلاح حال هذه الأمّة، ولقد برهنت الأيام على أن العمل الذي قمنا به من أجل انتشار المعرفة ساعدنا بشكل فعّال على بث روح الوطنية بين الجماهير ))<sup>(4)</sup>.

و كانت قضية التّعليم والتّربية في المغرب تماما كما كان الأمر عند عبد الحميد بن باديس في الجزائر قضية مصير أمّة، خاصة في ظل الهيمنة الإستعمارية التي كان همّها واد الوعي الوطني الذي أساسه التّعليم، فأعتبره كذلك محمد بن العربي العلوي؛ حيث كان التدريس عنده جهادا و وسيلة للتّربية الخلقية والسياسية في كل مكان يحلّ به.. (( في مسجد القرويين بفاس قبل تخرّجه وبعده، و درّس في مساجد الرباط وسلا والدار البيضاء،

1- حمّاد الفّتاح، شيخ الإسلام .. مرجع سابق، ص، 103.

2- محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي .. مرجع سابق، ص، 84.

3- أحمد كافي، مرجع سابق، ص، 47

4- أحمد كافي، نفسه، ص، 47

وحتى أثناء عمله قاضيا.. وكان يدرّس حتى في منفاه.. وكان يخرج في سبيل ذلك إلى الأسواق لتوعية الناس..(1)

كما أشاد الشيخ أحمد بن الموّاز بالتّعليم الغربي الذي أبهر العالم في وقته بنتائجه، العقلية والعلمية، و مما كتب في الموضوع، مؤلفه الموسوم بـ: (( خطوة الأقدام في التّعليم والتّربية في الإسلام ))؛ و نجد من فصول الكتاب: (( الخاتمة الإنصافية في فضل التعاليم الفرنسية ))(2).

وخصّص علال الفاسي فصل "الفكر الإجماعي"، ضمن كتابه "النقد الذاتي"، واعتبر أن الحضارة الحقيقية هي حضارة الوجدان، و حثّ على تقويته، و ترميم ما تهلّج من البناء الإجماعي للمسلمين، ونقضي على منطق السلالة والقبيلة، ونهتم بالدرجة الأولى بالأسرة و خلقها، لتنشأة مجتمع يسوده الإستقرار والتعاون، وأنّ ما تعانيه مجتمعاتنا من أمراض وقبائح، ليس مرده الإسلام، بل هو بفعل تفريطنا في حقيقة الإسلام، فالإسلام- كما قال- أول دين يعتني بالناحية الإجماعية، واعترف بانحطاط المجتمع المغربي، و اعتبر أن مردّ ذلك هم أعداء الإسلام الذين تأمروا على الشعب المغربي(3).

ومن خلال تناول نصوص متن الحركة الوطنية الخاص بالسياسة التعليمية في الفترة الممتدة بين سنة "1930 و1936م"، و من أجل بلورة هذه الموضوعات صاغ الوطنيون مطالب يمكن ضبط مضمونها و نوعها في النسب التالية(4):

1- حمّاد القَبّاج، مرجع سابق، ص، ص، 107، 108 .

2- أحمد كافي، مرجع سابق، ص، 52

3- علال الفاسي، النقد الذاتي .. مصدر سابق ، ص، 210 .

4- عثمان أشقرا، الوطنية و السلفية .. مرجع سابق، ص، 196.

النسب المئوية	التكرار	المضمون/ النوع
34,96%	18	مطالب تقنية "مناهج، برامج، نظام الدراسة"
50,95%	27	مطالب مالية "تمويل، تجهيز"
15,09%	8	مطالب سياسية عامة "التوجيه العام"
100%	53	المجموع

نلاحظ نسبة المطالب المالية والتجهيز، تمثل أعلى نسب الإحتياجات التعليمية في المغرب خلال هذه المرحلة مما يدل على وعي النخبة الوطنية بأهمية التجهيز والدعم المالي في الرقي بهذا القطاع الإستراتيجي لبناء مستقبل الأمة .

و تجلّت مبادئ التعليم الوطني في المغرب ضمن ثلاث ركائز (1) :

- التوحيد: بتوحيد برامج التعليم الحديث للجميع دون تفريق بين مختلف الطبقات الإجتماعية

- التعميم: تكثيف المدارس على اختلاف درجاتها بقدر حاجات البلاد إليها، و جعل التعليم الإبتدائي إجباريا .

- التعريب : جعل التعليم باللغة العربية لجميع المواد الدراسية .

نجد في المغرب الأقصى تيار إصلاحي معتبر يتجه إلى اعتبار البعد عن الدين سبب رئيس في تخلف المسلمين، وعدم التقيد بأحكامه وأخلاقه، نجد أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتّاني، في كتاب "نصيحة أهل الإسلام" (2) .

ومنهم من اعتبر التعليم الديني مدخل الإصلاح بالمغرب، فعلاّل الفاسي ثمن دور القرويين وعلمائها في خدمة الإسلام، كما كان شأن العلماء السابقين من التابعين، و يقول في هذا الشأن: (( و نحن اليوم أحوج ما نكون إلى دراسة جوانب أمثال الإمامين ابن تيمية وابن القيم، لأن الظروف التي نعيش فيها شبيهة بالظروف التي عاشها. فهما خير قدوة لعلماء العصر )) (3) .

1- عثمان أشقر، مرجع سابق، ص، 196 .

2- أحمد كافي، مرجع سابق، ص، 44 .

3- أحمد الريسوني، علاّل الفاسي .. مرجع سابق، ص، 58.

### 3- ليبيا :

#### 3-1- المجال: التربوي، الديني والتعليمي :

كانت الطريقة السنوسية في ليبيا من الطرق الرائدة في مجال تعميق المنهج التربوي في اتباع الحركة، وفق أحكام القرآن والسنة الشريفة، لذلك اهتمت السنوسية بتأسيس الزوايا في كل مكان يصل إليها نفوذها<sup>(1)</sup>.

وركزت الحركة السنوسية عن طريق زواياها، بتربية أتباعها على أداء الفرائض الدينية في وقتها، و تلاوة القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين، لأنه يطهر النفوس، ويحيي القلوب، ويغذي الأرواح، ويصل الأفراد بخالقهم، كما يتعلمون فيها العلوم الشرعية<sup>(2)</sup>.

وفي هذا المنحى كتب الوالي العثماني في ليبيا "كمال باشا" 1893- 1898م رسالة بعثها إلى السلطات العثمانية في اسطنبول؛ مبينا فيها الدور العلمي والاجتماعي الذي تقوم به زوايا الحركة السنوسية المنتشرة في الصحراء الكبرى بين أعراب البادية، و رفع مستواهم الديني والثقافي والخلقي، ومزاحمتها الفعالة للجمعيات التصيرية المنتشرة في افريقيا، و دخول الكثير من الزنوج في الإسلام بتأثير من أنشطة السنوسية<sup>(3)</sup>.

كما جعلت السنوسية من زواياها مراكز لبعض النشاطات البدنية لتعليم الرماية والفروسية، لإعداد الطلبة المرادين على القتال والمبارزة، وتعظيما لفضيلة الجهاد واستعدادا لمواجهة العدو<sup>(4)</sup>.

واهتمت السنوسية بإعداد الفرد المسلم الذي يتوكل على الله، و يحصل على رزقه بنفسه، حيث خصّصت أراضي زراعية تابعة للزوايا لاستصلاحها وزراعتها، كما درّبت أتباعها على ممارسة التجارة، كل ذلك لتدريب المرید على تحصيل الرزق من كسب يده .

1- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية، ج1، .. مرجع سابق، ص225 .

2- علي محمد الصلابي، نفسه، ص228 .

3- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي .. مرجع سابق، ص،246.

4- علي محمد الصلابي، نفسه، ص،225 .

### 3-2- المجال السياسي :

لقد حصل إجماع عند علماء الإسلام حول اعتبار المجال السياسي<sup>(1)</sup> عبادة من العبادات، و مجال من مجالات الدين التي لا يجوز أن يقع التفريط فيها، إنطلاقاً من عدة أدلة من القرآن الكريم، كقوله سبحانه وتعالى: (( مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ))<sup>(2)</sup>، وقوله أيضاً: (( الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ))<sup>(3)</sup>، وتعزز هذا الإجماع بالممارسة العملية والميدانية للصحابة والتابعين الحركيين الفاعلين في ميدان العطاء والبذل والتضحيات، لأجل إبراز مآثر الأمة وتصحيح مسارها على النهج القويم، وعليه أن يتعامل مع الحكام بالنصح، وبيان الحق لهم، وعدم طاعتهم في معصية الله، بل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره، فقتله))<sup>(4)</sup>. رواه الحاكم وصححه، و الخطيب، و صححه الألباني. و سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الجهاد أفضل؟ فقال: كلمة حق عند سلطان جائر. رواه النسائي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألباني<sup>(4)</sup>.

و يعرف عبد الحميد بن باديس نظام الحكم أو الملك أنه (( عموم النظر و شمول التصرف في روابط الناس و معاملاتهم و تصرفاتهم، و تسييرهم في ذلك كله على أصول

1 لقد تنبّه ابن القيم الجوزية في معرض تحليله لمقولة: (( لا سياسة إلا ما وافق الشرع )) إلى خطورة الخلط بين مقولة: (( ما وافق الشرع )) و مقولة: (( لا سياسة إلا ما نطق به الشرع )) حيث قال: (( السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح و أبعد عن الفساد، و إن لم يضعه الرسول و لا نزل به وحى، و إن أردت بقولك " إلا ما وافق الشرع " أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح، و إذا أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط تغليب للصحابة، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل و التمثيل ما لم يجده عالم بالسنن، و لو لم يكن إلا تحريف المصاحف فإنه كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة ))، انظر:

- الجوزية، ابن قيم، الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، المجلد الأول، دار عالم الفوائد، مطبوعات المجمع للمؤتمر الإسلامي، جدة، ص 29.

- عمر أنور الزيداني، السياسة الشرعية عند الجويني، قواعدها و مقاصدها، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2011، ص 30.

2- سورة الأنعام، الآية 38، برواية ورش عن نافع.  
3- سورة الأحزاب، الآية 39، برواية ورش عن نافع.

4-365- موقع "إسلام ويب" مركز الفتوى، الموقع: بتاريخ 2017/02/10.

عادلة توصل كلُّ أحدٍ إلى حقِّه و تكفِّه عن حقِّ غيره ليعيشوا في رخاءٍ و سلامٍ و يبلغوا غاية ما يستطيعون من متع الحياة ((1)).

و يجعل ابن باديس من نصرة الحق أساس قوة و دوام المُلْك، و ذلك بإقامة العدل - قولاً و حكماً و شهادة - بين الناس أجمعين سواء كانوا موالين أو معارضين، و حتى إن كانوا أعداء و جب إقامة العدالة فيهم، ذلك لقوله تعالى: (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ))(2).

و يبدو أنّ أول من استخدم مصطلح "السياسة الشرعية" من الفقهاء المتقدمين ابن عقيل " 104 - 1119م" حيث نقل ابن قيم الجوزية قوله عنه: (( جرى في جواز العمل في السلطنة بالسياسة الشرعية، أنّه هو الحزم ))(3)، كما ذكر ابن القيم هذا المصطلح في كتابه "مجموع الفتاوى" في أكثر من موضع، فقال وهو يردّ على بعض الفقهاء الذين يصفون ما فعله الرسول "ص" من العقوبات أنّه من باب السياسة (( هذه السياسة إن قلت هي مشروعة لنا، فهي حق، و هي سياسة شرعية ))(4).

1- عبد الحميد بن باديس، ابن باديس حياته و آثاره، جمع و دراسة عمار طالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج2، ص9.  
 2- سورة المائدة، الآية، 8، برواية ورش عن نافع.  
 3- عمر أنور الزبداني، السياسة الشرعية .. مرجع سابق، ص25.  
 4- و قد أصبح مصطلح السياسة الشرعية بعد ابن القيم شائعاً بين الفقهاء، بل إنّ بعضهم أفرد هذا العنوان بكتاب مستقل، مثلاً على سبيل المثال يُنظر: " رسالة في السياسة الشرعية"، محمد بن حسين بيزم، " السياسة الشرعية والفقہ الإسلامي"، عبد الرحمان تاج، " السياسة الشرعية " عيد الله خلاف..، ثم توسع استعمال مصطلح " السياسة الشرعية " في كلام الفقهاء المتأخرين و المعاصرين، و الذي توسع ليشمل نظام الحكم والنظم المالية و القضاء والتنفيذ انظر:  
 - عمر أنور الزبداني، المرجع نفسه، صص، 26.52.

## 2-1- مفهوم السياسة الشرعية :

### 1-1- التعريف لغة :

- **السياسة** : يستخدم لفظ السياسة في اللغة مصدرا لفعل ساس يسوس، يُقال ساس الأمر سياسة، بمعنى قام به، و هو سائس، و من قولهم : ساسه، و سوسه القوم : جعلوه سوسهم. والسوسُ : الطبع والخلق؛ يقال: الفصاحة من سوسيه، والكرم من سوسيه؛ أي من طبعه، والشرعة : ما سنّ الله من الدين؛ وأمر به<sup>(1)</sup>، و ساس الناس : حكمهم، و تولّى قيادتهم وإدارة شؤونهم، و ساس الأمور : دبرها، أدارها، قام بإصلاحها<sup>(2)</sup> .

### 1-2- التعريف اصطلاحا :

- **السياسة** : ما يقصده العلماء، هو بناء الحكمة على ما تقتضيه مصلحة الأمة، مما لم يرد بشأنه دليل خاص، و يقصد بها الأحكام التي تختلف باختلاف العصور، وتتغير بتغير الأحوال .

و عرفها ابن عقيل، فقال: (( السياسة ما كان من الأفعال، بحيث الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، و إن لم يشرّعه الرسول "ص"، ولا نزل به وحي ))<sup>(3)</sup>، و عرفها عبد الوهّاب خلاف بأنها : (( تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية، بما يكفل تحقيق المصالح و دفع المضار، مما لا يتعدّى حدود الشريعة، وأصولها الكلية، و إن لم يتفق وأقوال الأئمة و المجتهدين ))<sup>(4)</sup> .

و يُطلق مصطلح " السياسة الشرعية " على وجهين : عام وخاص .

- **الإطلاق العام** : فيُطلق على ما يُقابل " السياسة الوضعية = اللاشريعة "، و يكون المراد بها مُطلق التّشريعات الإسلامية؛ أي السياسة التي تأخذ بالإسلام ديناً ومنهج حياة، ويقابلها هنا السياسات غير الشرعية .

1- عمر أنور الزيداني، نفسه، ص، 28

2- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، المجلد الثالث، عالم الكتاب، القاهرة، 2008، ص، 1134.

3- عمر أنور الزيداني، مرجع سابق، ص ، 30 .

4- عمر أنور الزيداني، نفسه، ص، 31 .



- الإطلاق الخاص : تطلق على جملة التدابير والتنظيمات القائمة على الإجتهد من قبل ولي لأمر المسلمين، أو من ينوب عنه، من أجل مواجهة الواقع المتغيّر، أو هي رعاية شؤون الأمة عامّة بما لا يخالف أصول الشرع ومقاصده الكلية<sup>(1)</sup> .

وتعني السّياسة بالمفهوم العصري المبسّط، أنّه سلوك الحكومات والدول ومواقفها تجاه القضايا الداخلية والقضايا المتعلقة بالدول الأخرى<sup>(2)</sup> .

وأنه من أعظم الفتن في الأرض هو غياب العدالة في الأرض، فتنسلط أمة على أمة وتحكمها بالحديد والنار، أو يُسلط على الأمة حاكم<sup>(3)</sup> جائر مستبد، فجور السلطان الظالم يفسد كل شيء ،العقول والقلوب والأخلاق والأعمال، وأحوال البلاد والعباد ، فتنحط الأمة في دينها و دنيها، فتتلاشى هيبتها، و يزيد هوانها أمام الأمم الأخرى .

لم يقع النزاع حول المجال السّياسي واعتباره منفصلا عن الدّين إلا في هذا العصر مع عالمين أزهريين، وهما :

- الشيخ علي عبد الرازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" .

- و الشيخ خالد محمد خالد في كتابه: "من هنا نبدأ" .

وقد تراجع الشيخان عن رأييهما، وأدانا ما ذهبنا إليه، فعادت الأمور إلى نصابها وإلى ما كانت عليه قبل أن يذيعا ما كتباه في الناس<sup>(4)</sup> .

فقد كان المسلمون الأوائل يعتبرون العمل السّياسي من صميم الدّين، فالإسلام لا تقوم له قائمة إن لم يحسن أصحابه إدارة شؤون دولتهم، و تدبير مصالح رعيّتهم، و بلغ الإسلام ما بلغه من رقي في عصور ازدهار الإسلام بفضل الحنكة السياسية للسلّاطين،

1- عمر أنور الزبداني، نفسه، ص، 32.

2- أحمد مختار عمر، معجم اللغة .. مرجع سابق، ص، 1134.

3- رئيس الدولة لا بد أن يكون ممثلا لإرادة الأمة ، و يسعى لتحقيق مصالحها العاجلة والأجلة ، و أن يكون مستجمعا للصفات القيادية التي تؤهله للقيام بمقاصد الإمامة على الوجه الأوفق شرعا ، و على النوع الأصلح شباشة ، و يأتي في مقدمة هذه الصفات ، (( أن يكون حاملا لعقيدة الأمة ، و حاميا لها ، و مدافعا عن قضاياها ، فمقاصد الإمامة هي إقامة الدين و سياسة الدنيا ، و هذا هو الأصل المرعي في إقامة الأئمة و عزلهم ، و من الأدلة على ترجيح النظر المصلحي ، أنّه لو اجتمع من هو مستوفٍ لشروط الإمامة ، و كان في غاية الورع ، و وُجد آخر معه أقلّ ورعا منه ، لكنّه أكفأ نظرا ، و أجدر سياسة ، فالأكفأ هو الأولي بالتقديم ؛ إما في تقديمه من جلب مصلحة للأمة ، و إما في تأخيرها في دفع مصلحة عنها )) . انظر:

- عمر أنور الزبداني، السياسة الشرعية .. مرجع سابق، ص، ص، 157.. 160 .

4- أحمد كافي، نفسه، ص، 61

ولاية الأقاليم. فإن طبيعة العمل السياسي في غالبيته يخضع للإجتهد المستمر، لأنّ مسائل الحكم، وإدارة مصالح الرعية متشعبة و متغيرة باستمرار، (( فالفكر السياسي هو أقل الأفكار الإنسانية خضوعاً لقوانين الثبات والأحكام الصارمة والنهائية ))<sup>(1)</sup>.

بذلك نجد ابن باديس وضع تصوراً لمبادئ "أصول" نظام الحكم في الإسلام من خلال خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما بايعه المسلمون لتولي الخلافة حيث قال في خطبته : (( أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، و إن رأيتموني على باطل فسدّدوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه. أقول قولي هذا واستغفر الله لي و لكم ))<sup>(2)</sup>.

إنّ البحث في قضايا النهضة يعني بالضرورة البحث في طبيعة السلطة السياسية، و أجهزتها السياسية و نوعية حركتها وعلاقتها بالمجتمع، والعلاقات الإجتماعية والنظرة للكون و للآخر، فثنائية الفكر السياسي النهضوي تستلزم النسق التالي : الإستبداد/الحكم الدستوري، الحرية/الكبت<sup>(3)</sup>..

## 2-1- في الجزائر :

### 1-1- السياسة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس " جمعية العلماء المسلمين " :

يرى ابن باديس و من ورائه جمعيّة العلماء المسلمين، وجمهور المسلمين أنّ الإسلام، دين و دنيا و ملاذ البشرية التي لا تسعد إلاّ به، إنه الدين الذي يفرض العدل بين جميع الناس، و يجرّم الظلم، وهو دين جامع لكلّ ما يحتاج إليه البشر أفراداً وجماعات لصالح حالهم و مآلهم، فهو دين يزكّي النفوس، و يقوم الأعمال، و يقيم صرح المدنية وينشر الرحمة والإحسان على البشرية جمعاء<sup>(4)</sup>.

ولقد لخصّ ابن باديس واقع الأمة المزري بقوله: (( رأى كل مبصر ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق و فساد في العقيدة و جمود في الفكر و قعود في

1- فهمي جدعان ، أسس التقدّم .. مرجع سابق ، ص 260 .

2- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص 42.

3- أحمد جدي، محنة النهضة و لغز التاريخ في الفكر العربي الحديث و المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 101.

4- عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس .. مرجع سابق، ج3، ص 342 .

العمل، وانحلال في الوحدة وتعاكس في الوجهة و افتراق في السير حتى خارت النفوس القوية و فترت العزائم المتقدمة واستولى القنوط القائل واليأس المميت، فأحاطت بنا الويلات من كل جهة ((1) .

ومنه فقد أدرك ابن باديس والمصلحون أن سبب ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى مخالفة المسلمين لعقيدتهم، وتاريخهم فظهر المصلحون في المشرق والمغرب الإسلاميين، يدعون الناس إلى إصلاح أوضاعهم باعتماد الأسباب الناجعة للنهوض، فربط ابن باديس بين الأسباب والنتائج قائلاً: (( فقد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقاً وقدراً بمشيتته وحكمته لنهتدي بالأسباب إلى مسبباتها.. إن بطلان السبب يقتضي بطلان مسبباتها ))(2) .

فالتفكر التقليدي أو بتعبير ابن باديس (( هو الإسلام الوراثي الذي يؤخذ بلا نظر ولا تفكير، إنما الأبناء اتبعوا فيه الآباء، فالإسلام الوراثي هو إسلام معظم عوام الأمة الإسلامية؛ و لهذا تراها مع ما أدخلت على الإسلام من بدع اعتقادية وعملية، و مع ما أهملت من أخلاق الإسلام وآدابه وأحكامه، متمسكة به غاية التمسك لا ترضى به بديلاً ولو لحقها لأجل تمسكها به ما لحقها من خصومة و من بلاء و هوان ))(3) .

إنّ مما اعتبره ابن باديس واحد من المعوقات الكبرى التي تحول بين المسلمين وحقيقة دينهم هو التقليد لدى عامة الناس أهل الجمود؛ الذين حنطوا الدين الإسلامي بهالة من القداسة، فألغوا التفكير فيه واعتبروا الإجتهد في قضاياها بدعة كبيرة؛ كما اعتبروا العمل السياسي والإجتهد فيه لا أصل له في الدين، و هنا نتساءل بحرقه، أولم تتكب الأمة بالأمس؛ لما غزتها القوى الإستعمارية و أتت على الأخضر واليابس كما يُقال، وتآكل اليوم من أطرافها وتقطع قوتها، وتساومها في ما فوق التراب و ما تحت الأرض، بل وتهددها حتى في وجودها..

1- عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس .. نفسه، ج1، ص 24 .

2- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص ، 152 .

3- عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس .. مرجع سابق، ج3، ص 547 .

وهذا ما كان من صميم الشيخ ابن باديس وهو الزعيم الروحي والسياسي، اجتهد بالدرجة الأولى لتربية وتكوين الجيل السياسي البصير بقضايا أمته، و لم يغفل حقل الوعي السياسي، و هذا ضمن ما قد نسميه بـ"استراتيجية المرحلية" (( لقد آثر ابن باديس العمل السياسي البطيء متأثرا بفكرة محمد عبده الإصلاحية..، لغرس جذور التربية والتعليم وتحرير العقل، كطريق طويل للحرية.. فخطّط لمشروعه الحضاري لمحاصرة مشروع فرنسا الإستعماري برفق و لكن بعزم صارم، متفاديا السقوط الذي ينتج عن التسرع ((1)).

ولأجل ذلك أسس المدارس والمعاهد، فناقش و تحدّث إلى الجماهير، محلّلا الأوضاع السياسية الآنية والمستقبلية، و خصّص لذلك وسائل الدعاية كالجرائد التي أصدرها- المنتقد والشهاب- كأداة ضرورية لإعداد الشباب وتسليحه لخوض طريق المشروع النهضوي ، وصاح في الشباب قائلا(2) :

يا نشيء أنت رجاؤنا      و بك الصباح قد اقترب  
خذ للحياة سلاحها      و خض الخطوب و لا تهب

و منه فإنّ العلماء خاصة الذين كانوا ضمن جمعيّة العلماء المسلمين أو قريبين منها، يجمعهم تصوّر (( برنامج بثلاث زوايا: دينية، واجتماعية، وسياسية، وتحت قيادة ابن باديس، عملوا من أجل إحياء الإسلام بحرية " بطريقتهم الإصلاحية الخاصة "، وفصل الدين عن الدولة، والقضاء على الطرقية و نظمها الغامضة " المرابطية " ((3)).

ويعتبر الإجتهد السياسي للشيخ ابن باديس خلال مرحلة الثلاثينات من القرن العشرين من الإستراتيجيات الثمينة في فكره، والرؤى الصحيحة من خلال اهتمامه بهذا الجانب، وهو يعرف جيّدا ما للإسلام من مرونة وقوة في مغالبة مشكلات العصر ومواجهتها، و الخروج منها منتصرا مهما طال الزمن أو اشتدت محنه، و إن أخذ عليه

1- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص، 215.

2- محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشرق، القاهرة، ص، 34.

3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، .. مرجع سابق، ص، 396.

البعض هذا التوجه الجديد، كعلي مراد، الذي قال: « تحول العلماء إلى ممارسة النشاطات السياسية البحتة »<sup>(1)</sup> .

ويقول سعد الله في هذا الشأن؛ أن أهم ميزة تميّز المدرسة الإصلاحية هو إيمانها بالوطنية الجزائرية، هذا الإيمان العملي هو الذي جعل المعاصرين لا يفرقون بين الإصلاح الثقافي والديني و بين الإصلاح السياسي، و كان مفهوم النهضة عند العلماء في خطوتين متكاملتين الأولى ثقافية والثانية سياسية، و رأوا تحرير الجزائر لا يمكن إلا عن طريق تهيئة الشعب لتحمل مسؤولياته السياسية، بتعليمه، وتوعيته، وتحرره من الأوهام والخرافات<sup>(2)</sup> .

### 1-2- الفكر الإصلاحي ومدافعة المشاريع التغريبية :

لقد ظلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و رجال الإصلاح الأحرار في تيقظ مستمر بكل إخلاص واستماتة، يدافعون عن الهوية الإسلامية والوطنية وثوابت الأمة، ويقفون ضد المشاريع الإستعمارية التغريبية التي تسعى لإجتثاث الجزائر من جذورها وقطع صلتها بمحيطها العربي و الإسلامي، و من ثمّ مسخها و طمس حاضرها ومستقبلها، وبالتالي تحقيق المشروع المزوج للإمبريالية الإستعمارية السانسيمونية<sup>(3)</sup> الجشعة، و الكاثوليكية الصليبية الماكرة .

لقد رفض رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر كلّ محاولات التجنيس والاندماج في الأمة الفرنسية، باعتبارها مساعي مفضوحة تسعى لهدم القومية واللغة والدين، كما رفضت الإبتزاز الذي فرضته سلطة الإستعمار لما طالبت الشعب الجزائري بالتخلي عن حقوقه الدينية وإرثه الحضاري مقابل حقّ الإنتخاب، و ردّ ابن باديس على مناصري الإندماج والتجنيس، الذين كانوا بمثابة أبواب الإستعمار وأدواته التغريبية، الذين هرولوا

-1

- ALI MERAD : Le reformisme ... OP. Cit .P : 168 .

2- أبو القاسم سعد الله، مقال: مدارس الثقافة .. مرجع سابق، ص90.

3- السانسيمونية: مذهب فلسفي و سياسي يكرس مبدأ تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، انتشر خلال القرن التاسع عشر ينسب إلى الفرنسي " سان سيمون (1760-1825) الذي اتخذ من العلم وسيلة لنشر تعاليمه التي كادت أن تصل عند مُريديه و اتباعه مرتبة الدين . انظر: <http://www.crascdz.org/ouvrages/index.php/fr> ، فحص بتاريخ 2017/08/12 .

إلى تحقيق رغبة الإستعمار بدون وعي ولا تفكير، يقودهم في ذلك سراب الطمع، والإنقياد الأعمى لفرنسا .

وقد خاطبهم ابن باديس قائلا: (( إنكم عندما تسمعون لسياسة الإندماج، و تحبّون التجنيس، و ترضون ضياع حقوقنا الإسلامية مقابل حقّ الإنتخاب، و تريدون - خلافا للطبيعة - أن يصير جمهور المسلمين بهذه البلاد جمهورا فرنسيًا بحتا، لا يختلف عن الجماهير الفرنسيّة في شيء، إنكم عندما تسمعون و تحبّون هذا لا تمثلوننا ولا تتكلّمون باسمنا، إنكم في وادٍ والأمة في وادٍ آخر ))(1) .

### 1-3- ابن باديس والمؤتمر الإسلامي في الجزائر 1936:

وحتى تقيم جمعية العلماء المسلمين الحجّة على السلطات الإستعمارية الفرنسية، ولاختبار أكاذيبها غير الصادقة دوما، و وعودها التي تنتقضها كل مرة بعدما تمر بأزمة داخلية أو خارجية،)) فسعت الجمعية في ذلك على تغيير أسلوب عملها، وتدخّل مرحلة جديدة من جهادها)) (2) .

فجدّد ابن باديس المطالب الحقوقية المدنية والسياسية والدينية للشعب الجزائري،

وتتمحور كالتالي :

### 3-1- الحقوق المدنية :

- حق الجنسية الفرنسية مع البقاء على الجنسية القومية للأمة الجزائرية بجميع مقوماتها ومميّزاتها(3) .

- التّساوي التّام في الحقوق والواجبات دون تخصيص لحقّ دون حقّ آخر ولا تميّيز لطبقة عن طبقة أخرى .

- اعتبار اللّغة العربيّة اللّغة الرّسمية مثل اللّغة والفرنسية، ويكتب بها مع الفرنسية في جميع المناشير الرّسميّة..

1- عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس .. مرجع سابق، ج3، ص، 317.

2- محمد بن سميّة، أسس مشروع .. مرجع سابق، ص، 386.

3- عبد الحميد بن باديس، ابن باديس .. مرجع سابق، 1997، ج3، ص، 325 .

- معاملة الصحافة العربية الجزائرية مثل الصحافة الفرنسية في الحريات و حق التعبير والنشر (1) .

### 3-2- الحقوق الدينية (2) :

- تسلّم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع أوقافها، وتتولّى أمر إدارتها جمعيات دينية مؤسّسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الدولة

- تؤسس كلية علوم الدين واللغة العربية لتخريج الأئمّة والخطباء والمدرّسين و المؤدّنين والقيّمين على المساجد .

- يُنظّم القضاء بوضع مجلة الأحكام الشرعية على يد هيئة إسلامية يكون انتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية ..

ويبدو من خلال هذه المطالب الحقوقية المقدّمة للسلطات الفرنسية مدى أهميتها واستراتيجيتها ضمن المشروع النهضوي للشيخ عبد الحميد بن باديس، و جمعية العلماء المسلمين من ورائه، و هذا ما يجسّد صورة من صور التعايش والمرونة الموجودة في الإسلام، والتي يبديها المسلمون في تقبلهم للعيش مع الآخر و حتى تحت سلطته، إلا أن طبيعة الآخر الإستعماري لا و لن يتخل عن استكباره وعنصريته وصليبيته مهما ادّعى من درجة علو مدنيته و تقدّمه، وهذا ما تأكّد عند بعض دعاة الإدماج المغرّر بهم، وساعد ذلك في صحتهم وتيقّظهم لاحقا .

ومن أجل تحقيق الإجماع الوطني على هذه الإختيارات الإستراتيجية، رأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عقد مؤتمر إسلامي، دعت إليه كل فعاليات الشعب الجزائري للإجماع على برنامج موحد للمطالبة بالحقوق الوطنية المدنية والدينية للشعب الجزائري .

وانعقد المؤتمر في السابع من شهر جويلية 1936م في نادي الترقّي بالجزائر العاصمة بمشاركة أغلب التنظيمات السياسية والشخصيات العلمية البارزة وغيرها، وخرج

1- يوسف بوغابة، معالم الفكر السياسي .. مرجع سابق، ص، ص، 207، 208 .

2- عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس .. مرجع سابق، ج3، ص، 326 .

المؤتمر بتوصيات مقاربة جدا للمطالب التي طرحها الشيخ ابن باديس كحقوق للأمة الجزائرية .

ثم توجه وفد من المؤتمرين إلى فرنسا لعرض هذه المطالب على الحكومة الفرنسية " الجبهة الشعبية"، التي رأى فيها ابن باديس، أنها تحمل نزعة الإستعمار والإستعباد والإزدراء للشعب الجزائري<sup>(1)</sup>، فصمّت حكومة "الجبهة الشعبية" آذانها وكأنه "لا حدث". لكن ابن باديس السياسي ذو النظرة الإستراتيجية العميقة، طمأن الشعب الجزائري بملء إيمانه و ثقته بنفسه و بأمتة قائلا: ((أيها الشعب إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعشق للحريّة و هائم بها، تلك الحريّة التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا نحن الحاملين للوائها، و سنعرف في المستقبل كيف نعمل لها و كيف نحيا و نموت لأجلها.. و اعلم أنّ عمك هذا على جلالته ما هو إلاّ خطوة و وثبة وراءها خطوات ووثبات، و بعدها إمّا الحياة و إمّا الممات))<sup>(2)</sup> .

بهذه المعاني وغيرها، يكون ابن باديس قد زرع بذور الثورة و أمل الإستقلال في صفوف علماء و متقفي الثورة، و أشبال طلائع الثورة التحريرية، فمنطق السياسة لا تجدي مع الإستعمار المكابر، فكتب ابن باديس مفصحا: ((كذب رأي السياسة، و ساء فألها، كلاً والله لا تسلما المماثلة إلى الضجر الذي يُقعدنا عن العمل و إنّما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة و التضحية))<sup>(3)</sup> .

ولقد اتّسم المنهج الإصلاحي الجديد الذي اعتمده ابن باديس خلال ثلاثينات القرن العشرين، أثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي و بعده؛ بالسمات الجديدة التالية<sup>(4)</sup> :

أ- انتقاله في خطابه السياسي من الأساليب العتيقة إلى أساليب أكثر فاعلية في بلوغ المقاصد

1- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص، 220

2- عبد الحميد بن باديس، ابن باديس .. مرجع سابق ، ج3، ص، ص، 331، 332 .

3- عبد الحميد بن باديس ، نفسه، ج3، ص، 365 .

4- محمد بن سميّة، أسس مشروع .. نفسه، ص401.



ب- الإبقاء على باب الحوار مفتوحا حتى تمرّ عبره الأمة ؛ لتحصيل حقوقا أو انتزاع حريتها و تحقيق رقيها .

ج- التعريض بمصير الظالمين و تشديد اللّهجة في مخاطبتهم و التلويح بالثورة عليهم .

### 1-2- مالك بن نبي و المؤتمر الإسلامي 1936 :

رأى مالك بن نبي أن المجتمع الإسلامي ظل دهرًا طويلًا خارج الحضارة، وخارج فعل وصناعة التاريخ بسبب مرض الكساح العقلي و الاجتماعي الذي أصيب به<sup>(1)</sup>، ورأى في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنها أقرب الحركات الإحيائية إلى النفوس، لأنها حركة تخاطب القلوب بعقلانية، و تبنت منهج مستلهم من قوله تعالى: (( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ))<sup>(2)</sup>، بحيث يعتبر أن مفتاح ذلك يكمن في الروح المتجددة في الأمة، وفق الشروط والظروف التي ولدت فيها الحضارة الإسلامية الأولى<sup>(3)</sup>.

إن النقطة الإجتهدية التي اختلف فيها ابن نبي مع ابن باديس هي قضية مشاركة جمعية العلماء في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، بحجة أن المشروع النهضوي الذي تسعى من ورائه الجمعية؛ أكبر و أشمل من قضية إنتخابات أو مطالب هزيلة، وأعتبر تحول الجمعية إلى ممارسة السياسة إنحراف في مسارها<sup>(4)</sup>، و يرى ابن نبي أن الناس أُعيدوا إلى "الزردة" السياسية بعد أن كانوا يمارسون "الزردة" الصوفية، وأصبحت الإنتخابات و ما يتبعها من اختلاف و تمزق هي الصنم الجديد<sup>(5)</sup> .

إلا أن الأمر الذي الخطير الذي أشار إليه ابن نبي على مستقبل النضال التحرري والمشروع النهضوي في الجزائر، هو أن العلماء - و هم الأمناء على هذا المشروع- (سَلَّمُوا الأمانة لغيرهم، سَلَّمُوا لمن يضعها تحت قدميه لتكون سَلْمًا يُصعد عليه للمناصب

1- لطيفة عميرة ، مرجع سابق ، ص ، 108 .

2- سورة:الرعد، الآية:11، برواية ورش عن نافع .

3- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص ، 107 .

4- Ali Merade : ibid.p168.

5- نور الدين مسعودان، مالك بن نبي حياة وأثار شهادات ومواقف، دار نون للنشر والتوزيع، د.ط، د.م، ط، ص، 132 .

السياسية .. "فرحات عباس وأمثاله"<sup>(1)</sup>، و منذئذٍ لم تعد الشَّهاب تتناول أخبارا عن المؤتمر الإسلامي، حتى تبعد عن نفسها شبهة تأييد الجبهة الشعبية والشيوعيين<sup>(2)</sup> .

و ربّما اجتهدت الجمعية لتوجيه السياسيين من وراء "حجاب" و بالتّالي تكريس مبادئها عن طريقهم، و يرى بعضهم أنّ هناك "حرج" أخلاقي في مباشرة رجال الجمعية للعمل السياسي فبقيت نظرتهم قاصرة، أو ربما - و هذا ما نرجّحه - أنّ رجال الجمعية، وغيرهم من أبناء "السلفية الإصلاحية" لم يبادروا إلى منافسة و مزاحمة الشخصيات النفعية والوصولية، والقوى السياسية والوطنية الأخرى، لتبوّأ المراكز القيادية قبيل وعند الإستقلال، و هذا ما سيساعد على استكمال و بث مشروعهم النهضوي .

وإذا قارنا اجتهاد السلفية الإصلاحية "جمعية العلماء" بقيادة ابن باديس بالسلفية "الإخوانية" بقيادة حسن البنا، فإن الأخيرة كانت نظرتها للمشروع النهضوي - في شقّه السياسي - كان أكثر عمقا و فاعلية خاصة بتكريس العمل الدعوي جنبا إلى جنب مع العمل السياسي، وهذا ما أعطى للمشروع "الإخواني" زخما نوعيا، واحتضن بقوة داخلية وخارجيا في ظرف قياسي، إلا أن المشروع التغريبي المضاد له - الأرسطراطية الداخلية والإنجليز - كان له بالمرصاد حيث أجهضه، و ذلك باللجوء إلى اغتيال حسن البنا سنة 1948م .

و هنا نتساءل، كيف كان ابن نبي "معجبا" بأسلوب "الإخوان" الذين مزجوا بين الدعوة والسياسة، و في الوقت نفسه امتعض من جمعية العلماء، لما شاركت في المؤتمر الإسلامي 1936م وطرحت وجهة نظرها "كمشروع سياسي" ضمن مشروعها النهضوي الشامل؟

## 2- في تونس :

لم تكن تونس في مسارها النهضوي الحديث بعيدة ولا تستبعد المجال السياسي كحلقة هامة من أجل بناء تونس المعاصرة، فكل رواد الحركة التونسية أعطوا هذا الميدان ما

1- نور الدين مسعودان، مالك بن نبي .. مرجع سابق، ص، 134 .  
2- Mahfoud Kaddache, Histoire du ..Op.Cit ,p.592.

يستحقّه من اهتمام، و كان رائدهم في ذلك الشيخ عبد العزيز الثعالبي، الذي كانت له مشاريع سياسية عالمية لصالح المسلمين، كدعوته لإنشاء "منظمة الأمم الإسلامية"، رأى أنّها ضرورية لحماية حقوق المسلمين، في ظل التكتلات والتحديات العالمية الخطيرة .

و كان الثعالبي قد بادر؛ بالتنسيق مع مفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني، عقد المؤتمر الإسلامي العامّ في ديسمبر سنة 1931م بالقدس الشريف، و دعوة أقطاب العالم الإسلامي إليه للدفاع عن فلسطين ضد الإستعمار الإنجليزي ومشاريع التهويد الصهيوني، والبحث في (( أمراض العالم الإسلامي عامة، الأخلاقية والسياسية والمادية خاصة))<sup>(1)</sup> .

## 2-1- الدعوة إلى إنشاء منظمة الأمم الإسلامية 1936 :

لقد اكتسب الثعالبي من رحلاته ثقافة واسعة و تعرّف إلى عقليات وأفكار جديدة، خلال تجواله في أرجاء العالم وخاصة البلدان الإسلامية، كما كشف له عن رؤى وهموم تتطلّع الشعوب خاصة الإسلامية إلى تحقيقها ، لقد كتب الثعالبي مبيّنا و محلّلا خلال رحلاته عشرات الأبحاث و درس قضايا المسلمين في شتى أصقاع الأرض، و دون كيف أنّ غاندي<sup>(2)</sup> سرق الحركة الوطنية من المسلمين، كما دعا لحماية المسلمين من سطوة النفوذ الأجنبي وتحدياته المدمرة هو (( إنشاء عصابة أمم إسلامية ))<sup>(3)</sup>. ويواصل قائلاً: ((أنّ الوسيلة الوحيدة للإحياء والتّجديد عند العرب هو تفاهم العرب فيما بينهم بدون واسطة الحكومات على ما يضمن تقدّمهم والرّجوع بهم إلى نهضتهم الأولى..وأنّ مصر لا بدّ أنّ

1- يوسف مناصرية، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954م، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص، 102.

2- \*المهاتما غاندي(1869-1948م) : سياسي و زعيم روحي في الهند، ولد في ولاية غوجارات الهندية ، و هو سليل عائلة سياسية و تزوّج في السن 13 من عمره ، وفي سنة 1888م ذهب إلى بريطانيا لدراسة القانون ، فوعد والدته بعدم أكل اللحم و الحرص على أن يكون نباتيا، و في سنة 1893م توجّه إلى جنوب افريقيا فتعرّض هناك لحادثة تمييز عنصري من طرف رجل أبيض عند ركوبه قطارا، و في سنة 1906 سكن منطقة الناتال في جنوب افريقيا مع عائلته، و دخل مرحلة العزوبة و اكتفائه بأربعة أطفال، و سجن هناك لمدة شهرين بفعل نشاطاته في مقاومة سياسة التمييز العنصري، و في سنة 1907 تخلّى عن اللباس الغربي و استبدله باللباس الهندي، و اعجبه مقال "تورو" الذي كان عنوانه " العصيان المدني "، و عاد غاندي إلى الهند سنة 1915م و أطلق عليه الشاعر رايندرانت طاغور اسم Mahatmaji ، و في عام 1919م أعلن الإضراب العام في الهند ضد المصالح العمومية لمقاطعة الإحتلال الإنجليزي، و قرّر حملة عصيان لا عنفية ، و حكم عليه بالسجن لمدة 6 سنوات ، و في سنة 1942م قرّر غاندي عدم التعاون مع الإحتلال الإنجليزي ، و عارض إنشاء دولة منفصلة خاصة بمسلمي الهند بقيادة محمد علي جناح ، كما رفض المشاركة في إحتفالات إستقلال الهند سنة 1947م بسبب موافقة بريطانيا على مشروع التقسيم ، و في سنة 1948م بدأ غاندي صومه الأخير من أجل وحدة الهند ، لكن أحد المتطرفين الهندوس و هو " ناتورام جودس " اغتاله رميا بالرصاص..انظر:

موقع / [http://biography.yourdictionary.com/Mahatma\\_gandhi/](http://biography.yourdictionary.com/Mahatma_gandhi/) تاريخ الفحص 2018/03/11م.

3- أنور الجندي، عبد العزيز الثعالبي .. مرجع سابق، ص، 30.

تكون واسطة عقد هذه النهضة باعتبارها مركز الثقافتين العربية والإسلامية، و أنّ الوقت قد حان "1936م" للعمل لإيجاد كيان الوحدة العربية<sup>(1)</sup>.

### 3- في المغرب :

لقد تفاجأ المغاربة عند إكتساح القوات الفرنسية أراضيهم، بحيث انهزموا في أول معاركهم مع العدو المسماة معركة إيسلي سنة 1844م، بحيث ستظهر صحة فكرية من بعض العلماء والمؤرخين سعيا منهم للبحث في أسباب الهزيمة و تشخيص الحقائق التي كانت سببا في إنتكاسة الجيش المغربي .

يبدو لنا من خلال البحث في موضوع المجال السياسي في المغرب الأقصى، أنّ المغرب فاق البلدان المغاربية الأخرى فيما يخص حجم الكتابات التي تناولت النظرية العسكرية والسياسية، بفعل الظروف العسيرة التي مرّ بها المغرب، بدءا بهزيمة إيسلي 1844م، وتيطوان 1860م، ومقرّرات مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1905م، إلى قضايا الحماية والاضطرابات الإستعمارية من الدول الأوروبية، وانعكاس ذلك على الوضع الداخلي، بتردي الأحوال الإقتصادية والمالية، ظهور ثورات واضطرابات أمنية هدّدت سلطة المخزن مرّات عديدة، و زعزعت هيئته .

إنّ المؤرّخ المغربي محمد المنوني صاحب مؤلّف "مظاهر يقظة المغرب الحديث" ، يرى أنّ هزيمة معركة إيسلي و ما انعكس عنها كانت درسا قاسيا للمغاربة؛ لأنّهم لم يأخذوا بأسباب مواكبة الحضارة الغربيّة، وكأنّه تنبأ بأنّ البداية كانت الشرارة الأولى و ما بعدها سيكون كالنار المنقّدة تأتي على الأخضر واليابس. (إنّه الشرارة الأولى من المدنية الغربية تطير على المغرب الأقصى فتقضي على أسطوله. و في الأمر أيضا درس قاس للمغرب الذي لم يأخذ بالصالح من هذه الحضارة الغربية..)<sup>(2)</sup>.

وكان شيخ الإسلام محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني"ت-1857م" زمن السلطان الحسن الأول، من الأوائل القلائل الذين صدعوا بنصح المسلمين، و كمبادرة أو مشروع،

1- أنور الجندي ، نفسه، ص، 52 .

2- محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج1، .. مصدر سابق، ص، 7.

قدّمه للسلطان من خلال مؤلفه: " نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام"، مبينا فيه أحوال البلاد، وأسباب إنتكاستها، وكيفية الخروج من الأزمة<sup>(1)</sup>.

إلا أن محمد عبده بما خبره من تاريخ محمد علي في مصر، قد تنبأ بمصير المغرب بعدما أضحى سلاطينه كاللعب في يد الدول الإستعمارية، و أدوات للتسلط على شعوبهم قائلا: (( تمكن محمد علي و ذريته من الإستعانة بالدول الأوربية على تمدين بلاد مصر هذا التمدن الذي كان وسيلة لإحتلالهم فيها و تمكنهم منها، لهذا لا نظن أن دولة أوربية تمدها إلى مراكش بدون واسطة حكام منها ))<sup>(2)</sup>.

و يرى عبد الإله بلقزيز أنّ المثقف النهضوي المغربي أقبل على الإصلاح من دون مركب نقص؛ وعيا منه أنه لا يفعل شيئا ليس من صميم الإسلام، لذلك ظلّ يعتقد في الحاجة إلى الإصلاح كفريضة دينية و دنيوية عليه الإلتزام بها<sup>(3)</sup>، لذلك كان لابدّ لنبذة علماء الإصلاحية المغربية من التحرك في اتجاه الإصلاح السياسي لتدارك الأمر، ووضع خيارات أمام نوازل الإصلاح، للقيام بواجب نصح المخزن و تنبيه الرعية .

وكان من رجال الإصلاح السياسي<sup>(4)</sup> الذين برزوا في المغرب نذكر كلا من :أحمد بن خالد الناصري<sup>(5)</sup>، محمد أكنسوس<sup>(6)</sup>، الغالي محمد العمراني اللجائي<sup>(7)</sup>، محمد الأعرج السليمانى<sup>(8)</sup>، والشيخ المدني كنون<sup>(9)</sup>، عبد الكبير الكتاني، الذي تولى إملاء شروط عقد البيعة للسلطان عبد الحفيظ و قيدها بالشورى، إلا أنّ السلطان سجنه و عذبه حتى

1- محمد المكي الناصري ، إظهار الحقيقة .. مصدر سابق ، ص، 67 .  
2- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المجلد6، الجزء الأول، مطبعة المنار، مصر، بتاريخ يوم الإثنين غرة المحرم 1321هـ /30 مارث (آذار) سنة 1903م ،ص،610 .  
3- وجيه كوثراني، أفكار النهضة .. مرجع سابق،ص،267 .  
4- أحمد كافي ، مرجع سابق،ص،66،68 .  
5- \*أحمد بن خالد الناصري (1835-1897م) : ولد بمدينة سلا بالمغرب، من تأليفه : "زهرة الأفنان من حديقة ابن الونان"، "تعظيم المنة بنصرة السنة"، "الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى" . انظر:  
- أحمد كافي ، .. مرجع سابق،ص،66.  
6- \*أبو عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس المراكشي(1798-1877م):الشاعر و الأديب و المؤرخ ، أشهر مؤلفاته: " الجيش العرمرم الخماسي " ، توفي بمراكش سنة 1877م .انظر:  
- أحمد كافي ، المرجع نفسه،2013،ص،66.  
7- \*اللاجاني الغالي بن محمد العمراني(ت1872م):كان صاحب مقدرة علمية و اطلاع واسع و مشاركة في عدة علوم ، من مؤلفاته : " مقمع الكفرة " و " الروض الزاهر الوريث " ، انظر:أحمد كافي ، نفسه،2013،ص،66 .  
8- \* محمد بن محمد بن الأعرج السليمانى (1869-1926م):العلامة المشارك و المؤرخ و المؤلف ،أخذ عن شيوخ عصره ، ألف جل كتبه في التاريخ أثبت فيها آراءه الإصلاحية ، منها : " زبدة التاريخ و زهرة الشمايخ " و " اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب " ، مرض بعد وصوله خير أسر الزعيم عبد الكريم الخطابي ، و توفي عام 1344هـ .انظر :  
- أحمد كافي ، نفسه،ص،67.  
9- \*أبو محمد التهامي بن المدني بن علي بن عبد الله كنون(ت 1331هـ)، العلامة الفقيه ، من أساطين علماء فاس في وقته ، و صاحب الآراء التجديدية في المجال السياسي والتي أودي بسببها و سجن ، من مؤلفاته : "حاشية على صحيح البخاري" .انظر:  
- أحمد كافي ، مرجع سابق،ص،67.

توفي الكتاني<sup>(1\*)</sup>، وكذلك أحمد بن المواز<sup>(2\*)</sup>، محمد بن عبد القادر الكرودوي<sup>(3\*)</sup>، محمد محمد السفياني الفلاق<sup>(4\*)</sup>، علي بن محمد السوسي السملالي<sup>(5\*)</sup> ... ويعتبر الدكتور أحمد العماري في كتابه "نظرية الإستعداد" أن كتب هؤلاء الثلاثة الأواخر، تعتبر أطروحات تجديدية في علم السياسة، حيث قال: (( والمخطوطات الثلاث المذكورة<sup>(6)</sup> عبارة عن أطروحات في علم السياسة بمعنى الكلمة، لذلك يتطلب إستغلالها الإستغلال الكافي و أفراد كل واحد منها ببحث خاص ))<sup>(7)</sup>، بينما المنوني يراها نماذج تعكس يقظة المغرب من جانب المسعى الشعبي التي كانت أظهر في ثمارها من النشاط الحكومي؛ خاصة في مرحلة وقوع المغرب تحت الحماية<sup>(8)</sup>، وهو ما قد نسميه بفترة "المشاريع السياسية في المغرب" .

1\* - هو أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني (1873-1909م) : الشيخ الإمام ، مجدد الإسلام و رائد النهضة العلمية و الدينية ، شيخ الطريقة الكتانية و مرشدها و مؤسسها، و هو شقيق محمد عبد الحي صاحب "فهرس الفهارس"، و لما أراد أهل فاس عقد البيعة للسلطان عبد الحفيظ تولى الكتاني إملاء شروطها و فيها تقييد السلطان بالشورى ، فحفظها السلطان عليه، فسأنت حاله فخرج من فاس سنة 1909 مع أسرته ، فأرسل السلطان الخيل فأعيد بالأمان سجنه السلطان عبد الحفيظ و أمر بجلده و كان يقول أثناءها ( اللهم إن كان هذا في سبيلك فزدي منه )، فصبر استشهد و أحد الوجوه السياسية و المعارضة الإيجابية البارزة في المغرب ، خاصة في مسألة إعادة النظر في مفهوم البيعة. من كتبه اللوحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية" و "المواقف الإلهية في التصورات المحمدية" ، "لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية" .. انظر: - أحمد كافي ، نفسه، ص، 67.

- خير الدين الزركلي، الأعلام ، قاموس تراجم .. ج، 6، .. ملرجع سابق، ص، ص، 215، 216.

2\* - أبو العباس احمد، بن المواز السليماني (1862-1922م): من أمتع المثقفين المغاربة و أبطال الأدب ، تقلب في عدة وظائف علمية و إدارية أيام الدول الأربع ، الحسينية ، العزيزية ، والحفيظية ، واليوسفية ، خاض غمار لسياسة و السفارة و القضاء ، و هو محرر وثيقة خلع السلطان العزيز ، من آثاره العلمية : " حجة المنذرين على تنطع المنكرين " ، و " دفع الوسواس عن مخالجة الأنفاس " و " اللؤلؤ السني في مدح الجناب الحسنی " . انظر:

- أحمد كافي ، مرجع سابق، ص، 67.

3\* - محمد بن عبد القادر الكرودوي (1824-1900م): أحد أعيان علماء المغرب ، له مؤلفات عديدة منها : " كشف الغمة في بيان أن حرب النظام واجب على الأمة " و " التحفة السنية للحضرة الشريفة الحسنية بالملكة الإصينبولية " . و نورد هنا بعضا مما قاله الكرودوي في كتابه (( كشف الغمة )) قوله: ((..أنا بعد فاني رأيت أسباب الجهاد قد أهملت ، وآلاته قد أغفلت ، وليله قد أعتَم بعد أن كان مُقَمراً .. و رأيت العدو الكافر دمره الله وأهلكه ، قد استولى على مملكة الجزائر و قهر كل ذي سطوة فيها من ملك أو ثائر.. فتوجه لقتاله جيش لا معرفة له بحقائق الحروب و أوصافها .. انهزموا جميعا عند اللقاء .. و جزوا على الإسلام ذيل العار و استوجبوا عقوبة الدنيا و غذاب النار ، و إنّا لله و إنّا إليه راجعون، لعظيم ما نحن به مُصابون.

على مثل هذا يقتل المرء نفسه و يحلو له مرّ الممات و يعدُّب

- انظر: محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج، 1، مصدر سابق، ص، 14.

- أحمد كافي ، مرجع سابق، ص، 67.

4\* - محمد بن محمد الفلاق السفياني المغيطي (ت1239هـ) : صاحب المشاركة الواسعة و الآراء الإصلاحية التي بثها في كتبه ، منها : " تاج الملك المبتكر و مواده من خراج و عسكر " . انظر:

- أحمد كافي ، مرجع سابق، ص، 67.

5\* - علي بن محمد السوسي السملالي الفاسي (ت 1886): أحد العلماء المشاركين في علوم عديدة كالتاريخ و الأدب و الشعر .. له شرح على ألفية ابن مالك ، و هو ممن اهتم بتدوين التاريخ السياسي للمغرب على عهد السلطان الحسن الأول ، له مؤلفات عديدة منها : " مطالع الحسن و اتباع السنن بطولوع راية مولاي الحسن، و مطالع السعادة في فلك سياسة الرياسة ، و عناية الإستعانة في حكم التوظيف و المعونة انظر:

- أحمد كافي ، نفسه، ص، 68.

6- يقصد بالمخطوطات الثلاثة : " تاج الملك المبتكر و مواده من خراج و عسكر " : للسفياني الفلاق ، و " مقمع الكفرة بالسنان و الحسام في بيان إيجاب الإستعداد و حرب النظام : للغالي اللجائي ، و " عناية الإستعانة في حكم التوظيف و المعونة" : لعلي بن محمد السوسي السملالي. انظر:

- أحمد كافي ، نفسه، ص، 68 .

7- أحمد كافي ، نفسه، ص، 68

8- محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب، ج، 1، مصدر سابق، ص، 13.

### 3-1- مشاريع الإصلاح السياسي في المغرب :

خلال الفترة الممتدة بين عامي 1906 و 1908م، برزت في المغرب ظاهرة بروز مشاريع إصلاحية سياسية<sup>(1)</sup>، لتفويت الفرصة على الدول الإستعمارية التي برزت نيّتها لإحتلال المغرب و الولوج إليه من باب الإصلاحات، من خلال مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1905م ، من بين هذه المشاريع السياسية :

1- مشروع عبد الله بنسعيد السلوي .

2- مشروع الحاج علي زنيبر .

3- مشروع الشيخ عبد الكريم مراد .

من خلال المقارنة بين هذه المشاريع، و البحث في أهميتها السياسية والإصلاحية ومدى ثرائها، ارتأيت أن أتناول مشروعاً واحداً كنموذج لهذه المشاريع "الإصلاحية"؛ وعرض أهم محاور و أركان كل واحد منهما بشئ من الإختصار، و هما :

أ- مشروع عبد الله بنسعيد السلوي .

ب- مشروع جماعة لسان المغرب .

#### 1-1- مشروع جماعة لسان المغرب :

يتضمن مشروع (( جماعة لسان المغرب ))<sup>(2)</sup> ثلاثة وتسعون مادة، وعشرة محاور

كبرى وملحق، وهذه المحاور هي :

1- يرى جرمان عيَّاش أن جميع المحاولات الإصلاحية التي كانت محسوبة على المخزن أن مصيرها انتهى إلى الفشل الذريع، و أنّ المشاريع الإصلاحية التي تقدّم بها بعض الفقهاء المغربية لم تزد على أن تكون حبراً على ورق، و يعقب عيَّاش في الإعتراف بأن الحركة الإصلاحية قد نجحت لاحقاً لما تحركت عامة الشعب و شاركت في مضمار الإصلاح والنهوض و استمرار هذا النجاح يبقى حسب الدور الأساسي الذي سيلعبه الشعب..انظر:

جرمان عيَّاش،دراسات في تاريخ المغرب،ط1،الشركة المغربية للناشرين المتحدنين،الدار البيضاء،1986،ص.347..349.

2- جاء مشروع دستور 1908م لجماعة لسان المغرب بعد عشرة أشهر من الإصلاح السياسي في المغرب، والمتعلق بمبادرة العلماء بخلع السلطان السلطان عبد العزيز وبيعة المولى عبد الحفيظ بفاس وعرفت بأنها ((بيعة تامة، محكمة الشروط، ونية العهود، دقيقة الربوط..))، و تم العمل على ترجمة بنودها إلى أعمال سياسية إجرائية، حتى لا تفرغ من محتواها كما شهدت بذلك التجارب التاريخية السابقة.. نشر مشروع دستور جماعة لسان المغرب في 11 أكتوبر 1908م في الجريدة الأسبوعية "لسان المغرب" التي يديرها صاحبها اللبناني فرج الله نمور، و نشر في أربعة أعداد متتابعة ابتداء من العدد 26 و 27 و 28 و 29، و اعتبر هذا المشروع أكثر من نص دستوري، فهو مشروع لإصلاح الأوضاع السياسية و القانونية والدفاعية و المالية لم يُعرف صاحبها و لا الجهة التي كانت وراءه، و سمي جماعة لسان المغرب فقط نسبة إلى الجريدة التي نشرته.. أما من كان وراءه فإن علال الفاسي فيرجح جماعة من السياسيين المغربية و ذكرهم بأسمائهم، بينما الأستاذ محمد حسن الوزان فيرى أنها جماعة من خارج المغرب لأن المتقنين المغربية لم يعرف عنهم علماء في الفقه الدستوري، و أن أسلوب إنشاء المشروع ليس مغربياً، و إنما هو مشرقى، واستعملت فيه عبارات "الأقطار المراكشية" للدلالة على المغرب، و عبارة "السلطنة" عوض المملكة الشريفة.. أما الأستاذ محمد المنوني فيؤكد بأن إدارة "لسان المغرب" هي التي وضعت المشروع، و شرع المسؤول عن الإدارة في جمع توقعات النخبة المغربية للمصادقة عليه و غير أنه تراجع عما قام به بإحراق ما توصل به من التوقعات عندما شعر بالمؤامرة تدبر له لإبعاده عن المغرب بسبب مشروع الإصلاح السياسي الذي نشره.. بينما الأستاذ محمد الفاسي فيؤكد أن المشروع السياسي هذا لجمعية وطنية مغربية، و أن ما جاء في المقدمة بأن صاحبها طارئ على

- 1- الدولة والدين والسلطان .
- 2- ابناء الدولة الشريفة .
- 3- في منتدى الشورى .
- 4- في مجلس الأمة .
- 5- في مجلس الشرفاء .
- 6- في كبار الموظفين .
- 7- في مالية الدولة .
- 8- في رواتب الموظفين .
- 9- في الحمایات<sup>(1)</sup> .
- 10- في المدارس الوطنية .
- 11- ملحق .

1- الدولة والدين والسلطان :

يضم هذا المحور إحدى عشرة مادة، ليؤكد على اسم الدولة الشريفة وإستقلالها وعاصمتها التي هي مدينة فاس، وأن الإسلام دين الدولة والمذهب الشرعي فيها هو المذهب المالكي، مع التأكيد على إحترام سائر الأديان، و يلقب السلطان بإمام المسلمين وحامي حوزة الدين، و على كل فرد من أبناء السلطنة الطاعة للإمام الشريف، والإحترام لذاته ، لأنه " وارث البركة الكريمة " .

المغرب إنما هو تمويه الغرض منه لفت الإنتباه إلى كون صاحب المذكرة الإصلاحية عارف و متخصص بقضايا الدستور في مصر و في تركيا العثمانية. انظر:

- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق، ص.ص. 219، 226 .

1- يصبح فيه المواطن المغربي الذي طلب الحماية في ظل دولة أوروبية ، و كأنه أصبح رعية لدى هذه الدولة التي دخل تحت حمايتها، وهذا يعني نزع السيادة والقرار السياسي للسلطان المغربي على مواطنيه، بعدما أصبحوا و كأنهم لاجئين سياسيين لدى هذه الدولة ، و يمثل ذلك خطوة من حماية الأفراد إلى خطوة المطالبة بحماية المغرب كله و إدخاله تحت سلطة الدولة الحامية له " فرنسا الإستعمارية" ، فألف العلماء و المفكرين في ذلك مؤلفات و حرروا فتاوى سياسية تحرم ذلك و تعتبره كبيرة من الكبائر ، منها ما كتبه أبو الحسن علال بن عبد الله الفاسي " إيقاظ السكارى المحتمين بالنصارى" ، " الرسالة في أهل الباصبور الحثالة " للحاج العربي المشرفي ، و " كشف النور عن حقيقة كفر أهل الباصبور " أبو عبد الله إبراهيم السباعي .. انظر:

- أحمد كافي، نفسه، ص.238.



و باسم السلطان كذلك تضرب النقود وتخطب الخطب، و له قيادة الجيش الكبرى وإشهار الحرب و عقد الصلح، وإبرام المعاهدات مع الدول ، يعزل و يولي، يعفو و يكافئ ويقدم النياشين، و هو الذي يمثل الأمة والدولة معا أمام الدول الأجنبية ..

- المادة الثامنة : إن حضرة السلطان غير مسؤول بأمر من أمور الدولة، لا داخليا ولا خارجيا .

إضافة إلى ذلك، فإنّ المادة العاشرة تقول: إن وراثته الإمامة عائدة بحسب العوائد القديمة للأرشد، بل للأقرب من نوي القربى<sup>(1)</sup> .

هذا المحور، نلاحظ أنّ مواده ركزت بالخصوص على تأكيد الطابع "الشريف" للدولة، واحترام هذا الإمام الشريف الذي يرث "البركة"، وأن تبقى الإمامة في عقبه (لأرشد، بل للأقرب من نوي القربى)، وأن ((صاحب البركة)) و ((سلطان المسلمين)) و ((حامي حوزة الدين))، هو الذي تضرب باسمه النقود وتخطب الخطب، والذي تعود إليه قيادة الجيش الكبرى، وهو وحده الذي ((يشهر الحرب و يعقد الصلح))، و ((يبرم المعاهدات مع الدول))... و في الوقت نفسه يتصلّ السلطان من واجباته تجاه حماية البلاد والرعية؛ و يبرىء نفسه من كل مسؤولية أو تبعية ؛ كما جاء في المادة الثامنة ((أنّ حضرة السلطان غير مسؤول بأمر من أمور الدولة، لا داخليا ولا خارجيا))، بمعنى أن ((حضرة السلطان)) يعود إليه كل شيء في ((السلطنة الشريفة))، بل و يجعل من نفسه هو الدولة وإمام الدين و ((صاحب بركة الرسول))<sup>(2)</sup> (صلى الله عليه وسلم).. لكنه في الوقت نفسه غير مسؤول عمّا يلحق الدولة من إستعمار؛ والدين من إنتهاك وطمس؛ والرعايا من تخلف وبتكيل وذل، ومقدرات الأمة من إستباحة ونهب وتبعات وانتكاسات داخليا وخارجيا !! .

ولما ننظر في المادة الخامسة<sup>(3)</sup> تحترم سائر الأديان المعروفة بلا فرق، ويحق لأصحابها أن يقيموا شعائر و معالم معتقداتهم حسب عوائدهم بكل حرية..، مع العلم أن

1- أحمد كافي، مرجع سابق، ص338

2- نفسه، ص، 339 .

المغرب دينه الرسمي الإسلام مع وجود أقلية يهودية جاءت من الأندلس بعد عمليات الطرد الإسباني للمسلمين واليهود معا، إلا أن المادة هذه تمهّد للأوربيين المسيحيين الذين بدأت أعدادهم تزيد مع تزايد النفوذ الأوربي في المغرب، بل ترخص المادة بشكل علني لعمليات التنصير في المغرب، لما تعترف بـ ((سائر الأديان المعروفة بلا فرق، و يحق لأصحابها أن يقيموا شعائر و معالم- يعني كنائس و ما يتبع ذلك من إقامة طقوس دينية و مساعي تنصيرية - معتقداتهم حسب عوائدهم بكل حرية ..)).

أما المحور التاسع والذي يتناول الحمایات، فإن المشروع خصص لها ثمانية مواد<sup>(1)</sup>، كلها جوّزت وقتنت كل ما يتعلق بإجراءات الارتباط والتعامل مع الأجانب، من تجنيس وطلب حماية الدول الأجنبية، بشرط أن يقدم طلبا لدى الوزارة ويصادق عليه السلطان، وهذا يعني تمهيد ((التسويق والتعاون الأمني و العسكري)) بين السلطتين؛ السلطنة الشريفة والإحتلال المتعدد الجنسيات، بحيث سيقع المغرب تحت النفوذ الفرنسي والإسباني .

من هنا لا أرى أن هذه (( الوثيقة الإصلاحية )) التي عرفت بجماعة ((السان المغرب)) إلا ((خطوة مضادة)) من صنع مختبر بلاط السلطان المخزني و بوحى من السفير الفرنسي "طاياندي S.R Taillandier" الذي كان مجلس الأعيان قد قطع أطماع بلاده في المغرب خلال جلسات 1905م برفض هذا المجلس "للإصلاحات الفرنسية"، فأرادت فرنسا أن "تبرء" ساحة السلطان بعدما أقامت النخبة الإصلاحية ((مجلس الأعيان)) الحجة على السلطان بفرضه قرار رفض ((الإصلاحات الفرنسية)) على السلطان، و بالمقابل "يتعاون" المخزن مع الإحتلال بقبول الحماية - كما جاء في المحور التاسع "الحمایات"- و غرض الطرف عن تبعات الإحتلال، و بالتالي تتفرد بعدها فرنسا بالقضية وتصبح وجها لوجه مع الرعية والبلاد، فتتصرف فيه كما تشاء دون أن يتحمل السلطان واقع الإحتلال و تبعاته القانونية والأخلاقية، و ما ينجر عنه بعد ذلك .

1- أحمد كافي، مرجع سابق، ص، ص239 .

صرّح جورجس "Jaures" في البرلمان الفرنسي في 19 يناير 1905م بالقول: (( عندما تطالب حكومة مثل فرنسا وحدها أمام السلطان هكذا بهذه الإحتكارات المالية والبنكية والنقدية والتجارية والقادة العسكرية، فهي في الحقيقة تطلب من سلطان المغرب أن يقوم ببساطة بالدور الذي يقوم به الباي في تونس ))<sup>(1)</sup>.

### 1-2- تطور الفكر السياسي في المغرب :

لقد برز في المغرب العربي الحديث لدى النخبة الإصلاحية، ما قد نسميه بـ "الإجتهد التجديدي"، التي اهتمت بتجديد و تطوير الموروث السياسي بشكل يرفض التقادم، و يدعو إلى الإحياء وفق مبادئ الشريعة الإسلامية والآليات السياسية الحديثة .

إنّ ممّا اهتم به روّاد النهضة في المغرب الأقصى، هو قضية الحريّة التي شغلت حيّزا كبيرا من كتاباتهم ، منهم علال الفاسي، الذي خصّص كتابه " النقد الذاتي" في تناول قضية الفكر الحر، وجعله عنوانا لكل أبواب كتابه، فعمم موضوع الفكر على كل المجالات النهضوية في بناء الأمة المعاصرة، وجعله بمثابة الإطار العام لها، على شرط إرتكازه على الحرية في استنباط فلسفته من شتى المصادر والروافد، و في مقدمتها الكتاب والسنة، ومدى أهميتها في بناء المجتمع والأمة وتحقيق نهضتها، (( إن دواء الحرية صعب، ولكنه وحده الدواء الصحيح ))<sup>(2)</sup>.

يبدو علال من دعاة الفكر الحر؛ عُرف بشجاعته الفكرية بحيث كان يقول الكلمة التي يراها حقا، و يقف عند موقفه بكل صلابة و جرأة<sup>(3)</sup>، إلاّ أنّه على الرغم من فكره النير ونظراته الصائبة في البحث عن إيجاد حلول لمشكلات النهضة على مستوى المغرب أو الأمة الإسلامية، فإنه لا يحمل المخزن المسؤولية في شتى قضايا التخلف والتردي،

1- أحمد كافي، مرجع سابق، ص 276 .

2- علال الفاسي، النقد الذاتي .. مصدر سابق ، ص، 55 .

3- عبد الكريم غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي، د.ط، مطبعة الرسالة، د.م، ط، ص، 66 .

والفساد بمختلف أنواعه إلا لماما ، كما أجده لا يحمل القصر أية مسؤولية في شيء البتة، وبالتالي فإنّ كتابات الفاسي في معظمها يغلب عليها الفلسفة التنظيرية .  
 كما حاول علال الفاسي ان يُنظر لمسألة الفكر، و يبيّن أهميته في بناء النهضة، واعتبر طبيعة " الفكر العام" الواعي هو المعبر الحقيقي عن إرادة الشعب و طموحاته، ونوّه بدور حرية القول و الإذاعة، مع رفض مبدأ احتكارهما في يد الدولة والشركات، مع أهمية تحرر النخب من كل سلطة حسية أو معنوية لذوي المال أو ذوي الجاه، واعترف بدور "رجال الإستعمار" المستخدمين كأبواق لخدمة مصالح، (علينا أن نتحرر من كل سيطرة غير سيطرة الفكر المؤمن بالحرية حتى نستطيع أن نحرر الفكر العام من خرافات الماضي و مضللات العصر الحديث))<sup>(1)</sup> .

إن ما يضمن نجاح صحة الفكر الحر في المجتمع، يضع علال شروطا أساسية لذلك، وهي<sup>(2)</sup> :

- أن يكون هذا الفكر مساعدا على بقاء هذه الأمة ومتابعة سيرها إلى الأمام، وأن نحصنه من الأفكار الدخيلة الهدامة .
- استجابة هذا الفكر لحاجات الأمة و رغباتها؛ لأن الغاية لكل حركة وطنية هي تحقيق آمالها، المترجمة في مساعي رجال الإصلاح و دعاء العمل .
- أن ينشهد هذا الفكر التقدم والتطور الحقيقيين نحو الأمام .
- الشمولية لشتى مناحي الحياة، حتى يكون النهوض شاملا، و تميزه قيمة صلاحه للزمان والمكان .

## 2-1- طه عبد الرحمان :

ويميّز طه عبد الرحمان بين ثلاث ممارسات في العمل الإصلاحي، "ممارسة سياسية"، وذلك بتخليص المجتمع من التخلف والتبعية للقوى الإستعمارية، "ممارسة نظرية" بتخليص

1- علال الفاسي، النقد الذاتي، مصدر سابق ، ص ، 63 ، 64 .

2- علال الفاسي، نفسه ، ص، 84..87 .

العقل مما علق به من خرافات وأباطيل و ما طرأ عليه من جمود فكري، و"ممارسة عملية" قربانية"، و ذلك بسلوك طريق التقرب إلى الله<sup>(1)</sup>.

ويرى طه عبد الرحمان أن الإحيائية الإسلامية قد حافظت على التوازن بين الممارسات الثلاث باعتبار التوازن هو ميزة الدين الإسلامي، إلا أن هذه الإحيائية لم تحافظ على هذا التوازن بسبب عدم إخضاع الممارسة السياسية والممارسة النظرية "العقلية" للممارسة القربانية العملية<sup>(2)</sup>، المتمثلة في القواعد الأخلاقية والقيم الروحية التي تضمن الإستقامة و الإستمرار عليها لخير الصالح العام .

و يعتبر طه عبد الرحمان أن السلفية النهضوية بدءا من جمال الدين، و محمد عبده، والكواكبي، و عبد الحميد بن باديس إلى علال الفاسي، أنها أفضل من السلفية النظرية كونها سعت لتطبيق "النظريات" المجردة التي تبناها "التيار المتسلف"؛ كما اشترطت "السلفية النقدية" أهمية مزاجية النظري بالعمل الواقعي<sup>(3)</sup>.

فتجربة الإخوان المسلمين-من وجهة نظر طه عبد الرحمان- خلال العصر الحديث كانت أقرب إلى المنهج السلفي العملي والواقعي،<sup>(4)</sup> لقد كانوا يريدون أولا و قبل كل شيء استعادة المجتمع الإسلامي إلى مكانته الحقيقية في العالم، ولأنهم وجدوا أن الخلل في المجتمع الإسلامي تسبب فيه التخلي عن الدين في حد ذاته، فقد سعوا إلى إعادة الإسلام إلى دور أساس في الحياة من أجل تحسين الحالة العامة للمجتمع المسلم<sup>(4)</sup>.

وفي إطار تتبّع تطوّر أبجديات الوعي السياسي و النهضوي، هناك دراسة تناولت مجموع مفردات أو جمل وردت و تكررت في متن تعريف الوطنية لدى الحركة الوطنية المغربية بين عامي "1930 و 1935م"، مما يجسّد طبيعة الفكر المهيمن على النخبة الوطنية مما ينعكس بشكل مباشر على خطاباتهم، فخلصت النتيجة إلى ما يلي<sup>(5)</sup>:

1- طه عبد الرحمان ، العمل الديني و تجديد العقل ، ط2 ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب 1997 ، ص ، 98 .

2- طه عبد الرحمان ، العمل الديني .. مرجع سابق ، ص ، 99 .

3- طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص ، 102 .

4- نوح فيلدمان، سقوط الدولة الإسلامية ونهوضها، ترجمة الطاهر بوساحية، ط1، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، 2014، ص، 139.

5- عثمان اشقرا، الوطنية والسلفية .. مرجع سابق، ص، 153.

الموضوع ( المفردات )	التكرار	النسبة المئوية
البعد الشمالي الإفريقي	3	12%
البعد العربي الإسلامي	15	60%
البعد الكوني الإنساني	7	28%
<b>المجموع</b>	<b>25</b>	<b>100%</b>

من هنا يتبين مدى هيمنة البعد العربي الإسلامي على الأبعاد الأخرى مما يجسد أهميته الحضارية، و مدى تطلع النخبة النهضوية في المغرب إلى تجسيد هذا الدور وإعطائه حجمه الحقيقي ضمن مشروع نهضته المستقبلية .

ثم ستتطور مفاهيم نصوص المتن الخاص بالحركة الوطنية خلال فترة "1945-1952م" إلى تناول مصطلحات تتطلع النخبة إلى تحقيقها وتجسيدها كأحدى أولويات المرحلة، و ذلك من خلال الجدول التالي :

المفاهيم	التكرار	النسبة المئوية
الشورى	6	8,88%
أهل الحل والعقد	1	1,47%
الديمقراطية	23	33,82%
الرأي العام	14	20,59%
المواطنة	5	7,35%
حقوق الإنسان	4	5,88%
الدستور	15	22,06%
<b>المجموع</b>	<b>68</b>	<b>100%</b>

ومنه فأننا نستشف من الجدول مدى تخمّر مفهوم الديمقراطية لدى النخبة المغربية، ومدى تطلعها إلى "الحكم الراشد" في عملية البناء النهضوي، إضافة إلى أهمية الدستور كوثيقة أساس في بناء صرح دولة المؤسسات و تحقيق الإستقرار والرفاه الإقتصادي .

ومن خلال نصوص الحركة الوطنية الصادرة في الفترة الواقعة بين 1930 و1945م، نلاحظ شروط و وسائل تحقيق النهضة في المغرب، تمحورت حول ما يلي<sup>(1)</sup> :

شروط قيام النهضة	وسائل تحقيق النهضة
تتوير الفكر العام و إرشاده	صحافة حرّة
التدريب على الحياة العامّة	تكوين جمعيات وهيئات عمومية
توحيد طبقات الأمة	نشر التعليم والثقافة
تقدّم الأمة	تطوير الإقتصاد
استثمار جميع القوى المهمّشة و المعطلّة	الإعتناء بالشباب
بروز شخصية الأمة وتحديد واجبات أفرادها وجماعاتها	الوعي بالذات الفردية والجماعية

عموما نلاحظ تداخل شروط قيام النهضة، و وسائل تحقيقها مع شروط و وسائل بناء الأمة في منظور طرح الإصلاح ، كرؤية للسعي نحو البناء والنّهوض الوطني . ولما نتناول نصوص المتن الذي يحدّد شروط النهضة خلال مرحلة 1936 و1944م، نجد تواتر مفهوم " النهضة" و مصطلحي "الرقّي" و "التطور" من خلال الجدول التالي<sup>(2)</sup>:

المفهوم / المصطلح	التكرار	النسبة المئوية
النهضة	22	34,38%
الرقّي	28	43,75%
التطور	14	21,87%
المجموع	64	100%

1- عثمان أشقر، مرجع سابق، ص202.

2- عثمان أشقر، نفسه، ص204.

نلاحظ غلبة نزعة التطلع إلى الرقي والنهضة بالدرجة الأولى، واللذان تتدرجان في سياق معنى واحد تقريبا، وكان المقصود بالنهضة في أدبيات النخب المغربية هي الإستقلال بالدرجة الأولى، و هو شرط أساسي في بدء ترسيخ النهضة، كما جاء في متن علّال الفاسي (( الشرط السياسي لإنهاض المغرب هو استقلاله ))(1) .

#### 4- ليبيا:

##### 1- ليبيا :

كان للحركة السنوسية في ليبيا اهتمام بالجانب السياسي على عكس أغلب الطرق الصوفية في المغرب العربي؛ سواء خلال الحكم العثماني الذي أيّده و ناصرته خلال مناسبات عدّة، أو من خلال الجهاد والنضال ضد الغزو والإحتلال الإيطالي لاحقا . واهتمت الحركة السنوسية بالخلافة العثمانية وسلطانها، واعتبرتهما رمز قوة و وحدة المسلمين، فكانت مشيختها تكنّ لهما الإحترام، و تدعو لهما على المنابر؛ مع إلزام أتباعها بطاعته باعتباره أمير المؤمنين؛ فطاعته واجبة شرعا وعقلا(2) . وكان السلطان عبد الحميد قد أوفد بعثة إلى بنغازي و واحة الجغبوب سنة 1889م، فاستقبلها المهدي السنوسي أحسن استقبال، كما أبدى تأييده للدولة العثمانية وتوفيق الحضرة السلطانية(3) .

ولمّا أطمأن السلطان عبد الحميد الثاني- بعد إرساله بعثات عديدة إلى شيوخ السنوسية- إلى صدق توجه الحركة السنوسية لدولة الخلافة العثمانية وإخلاصها في العمل لسياسة الجامعة الإسلامية، بعث السلطان عبد الحميد إلى محمد المهدي السنوسي رسالة تتضمن أسس حركة الجامعة الإسلامية وحقيقة أبعادها وأهدافها، والدور الذي يمكن أن تقوم به الحركة السنوسية ضمن هذه السياسة، و حذر السلطان عبد الحميد محمد المهدي

1- عثمان أشقر، مرجع سابق، ص، 206.

2- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، 146.

3- علي محمد الصلابي، نفسه، ص، 245.



السنوسي من عمليات التسلّل الأوربي إلى داخل القارة الإفريقية تحت شعار الكشف الجغرافي، و مبيّنا المقاصد المضرة بالدين والمسلمين من قبل هؤلاء الأوربيين<sup>(1)</sup> .

وقد ارتبط الليبيون بشكل عام بفكرة الجامعة الإسلامية، و سياسة الدولة العثمانية وسلطانها، كما أكدوا في عديد المناسبات ارتباطهم بهذا الخط السياسي، وتضامنهم مع الخلافة خاصة عند وقوع أزمة فيها، و من ذلك إشادة الشيخ سليمان الباروني "1870-1940م، أحد الزعماء الإصلاحيين الليبيين، بجيش الدولة العثمانية بمناسبة حربها مع اليونان

وانتصارها عليهم، و كما أنشد الشاعر مصطفى بن زكري<sup>(2)</sup> بهذه المناسبة قصيدة قال فيها:<sup>(3)</sup>

يا سعد سر مترنما      ببشائر السعد المبين  
واعطف على دار الخلافة      باليسار و باليمين  
و إذا مررت "بيلدز"      وسعدت بالملك المكين  
تاج الخلافة بهجة      الدنيا وعز المسلمين  
عبد الحميد و ناصر      الدين الحنيفي المبين

ومن التقارير الفرنسية التي كتبت عن السنوسية في ليبيا (( أن السنوسية لم تكن مجرد حركة متدمرة و متعصبة، فهي طريقة إصلاحية تهدف إلى إحياء الدين الإسلامي، و إرجاعه إلى أصوله السلفية، كما تهدف إلى تحرير العالم الإسلامي من التبعية الإستعمارية التي سقط فيها، و إلى جانب ذلك الهدف الديني فإن السنوسية لها هدف آخر سياسي في غاية الأهمية، و هو توحيد إفريقيا الإسلامية أولا، و توحيد العالم الإسلامي بعد ذلك في

1- علي محمد الصلابي، نفسه، ص، 246.

2- \*مصطفى بن محمد بن ابراهيم بن زكري ( 1853-1917م): ولد في طرابلس الغرب و فيها توفي ، عاس في ليبيا و مصر و الحجاز و تركيا ، تتقّف بالثقافة العربية و التركية ، تعلم على يد شيوخ عصره ،منهم : محمد كامل مصطفى ، و السراجي سراج ، و تلقى أفكار أستاذهما جمال الدين الأفغاني، أسهم في تحرير جريدة الترقى سنة 1898م ، فانبرى محللا الأحداث الليبية التركية سياسيا و اجتماعيا و إصلاحيا، ثم وقع عليه الخيار ليكون عضوا بمجلس إدارة الولاية سنة 1903م في عهد الوالي حسن حسني باشا، ثم عين رئيسا لمكتب الفنون و الصنائع سنة 1906م ، و كان يجمع في ذلك مستشار الولاية في عهد الفريق رجب باشا، له ديوان شعري ( ديوان مصطفى زكري ) ، المطبعة العثمانية ، القاهرة ، 1892م ، تحقيق علي مصطفى المصراطي ، و له قصائد نشرت في جريدة الترقى الطرابلسية أواخر القرن التاسع عشر. انظر: معجم البابطين لشعراء العربية، القرنين التاسع عشر و العشرين، على الموقع :

[http://www.almoajam.org/poet\\_details.php?id=7333](http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=7333) . بتاريخ : 2017/12/10 م .

3- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، 247.

إمبراطورية إسلامية جديدة، تتمتع بالأبهة والمجد والعظمة، و خالية من الشوائب التي لحقت بها خلال القرون التي ابتعد فيها العالم الإسلامي عن السنة النبوية الصحيحة مما أضعفه نتيجة لذلك ..)) (1) .

### 3- قضايا النهضة عند الرواد المغاربة :

لقد حاولنا في هذا المحور، أن نتناول فيه أهم النظريات التي تعرضت لقضايا النهضة، و المركزات التي انبنت عليها، من وجهة نظر المفكرين النهضويين المغاربة، و قد تناولنا هذه الرؤى حسب حسب ظهورها الزمني .

### 3-1- خير الدين التونسي و رؤيته النهضوية :

كان برنامج خير الدين الصلاحي؛ الذي أدرجه ضمن كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" قد لقي صدى واسع على المستوى المغربي (2) والعالمى، كان قد طرح إشكالية كبرى تتمحور حول أسباب تأخر المسلمين و تقدّم الغربيين، الإشكالية نفسها طرحها رجال الإصلاح مثله سواء في الشرق أو الغرب في العالم الإسلامي، فمن خلال مقدّمة كتابه "أقوم المسالك.." أدرج فيها مقترحات كحلول لهذه الإشكالية، مدعما أيّاه بحجج عقلية وعقلية، و يغلب عليها طابع (( خطاب النهضة والتحديث )) (3)، أستخلصها من ثقافته وتجاربه، من موقع المسؤوليات التي تقلدها في الوزارة و سفارته التي كان يقوم بها إلى الدول الأوروبية وتركيا، وأهم مرتكزات مشروعه الإصلاحى:

1- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، 276 .

2- يتناول سعد الله هذا الموضوع بعنوان " صدى دعوة خير الدين باشا التونسي في الجزائر " و ذكر أن المؤلف هذا قد تناوله معاصريه الجزائريين بالمدح و القبح ، كما تعرضت الصحف المحلية لترجمة حياته و تعرضت لأرائه بإطناب ، فنشرت جريدة المشرق الرسمية في الجزائر كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" على حلقات بدء من أول أكتوبر 1868م ، كما تناوله الشيخ عبد القادر المجاوي في رسالته (إرشاد المتعلمين) و أشاد بخير الدين في قصيدة يمدحه فيها، كما كتب عنه حسن بن بريهمات وهو من أعيان مدينة الجزائر المشتغلين بالعلم و أبدى إعجابه الكبير بالمؤلف و المؤلف معاً، ضمن قصيدة جاء فيها:

الله درك خير الدين من علم  
نهجت نهجا قويا قلّ سالكه  
أبدى منار الهدى للناس في الفتن  
إلى السياسة كي ينجو من الفتن

\*\*\*\*\*

نعم على الشرع قد بينت ضابطها  
حق على أمة الإسلام شكركم  
مراعيًا فيه حال الناس و الزمن  
و رعيًا تأليفكم بالقلب و الأذن

- انظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء ..، ج4، مرجع سابق، ص، 163..166.

3- وجيه كوثراني، أفكار النهضة .. مرجع سابق، ص، 100 .

### 1-1- الإرتباط بالخلافة العثمانية :

يرى خير الدين ضرورة بقاء تونس ضمن رابطة الخلافة مع تركيا، أو ضمن أي شكل من أشكال الإتحاد والوحدة، لأنّ ذلك يبقياها في منأى من الأطماع الأوربية، ويقول في ذلك: (( لقد كنت مؤمنا راسخ الإيمان أنّ المملكة التونسية ينبغي أن تجد في الروابط التي تربطها بالخلافة العثمانية أمنع حصن يصونها من أطماع الدول الأوربية..إني لم أنفك أويّد حقوق تركيا على تونس وأنصح بايات تونس بإقرار الروابط مع الإمبراطورية العثمانية وتوطيدها ))(1) .

لم يخف على بال خير الدين أنّ الوحدة تعني القوة والمنعة، فالدول الأوربية لم تستطع إحتلال الأقطار العربية والإسلامية حين كانت الخلافة العثمانية على أشدها، لكن بعد ضعفها ودخولها مرحلة ما أصطلح عليه بـ "الرجل المريض" تغلغت هذه الدول الإستعمارية في كيانه عن طريق الإمتيازات، ثم إقامة علاقات ثنائية مع كل دولة، لتنفرد كل دولة أوربية بجزء من هذه الدول المقسّمة الواحد تلو الآخر، بعدما هيأت ظروف ذلك مسبقا .

ومنه نستشف أنّ مقصد خير الدين، أن تحتمي الدول الإسلامية ببعضها ضمن شكل من أشكال الإتحاد الفيدرالي أو الكونفيدرالي، يحقق لها القوة الإقتصادية والسياسية والحصن القوي في وجه تحدّيات الدول الكبرى .

### 1-2- ضرورة الإقتباس من الغرب :

لمّا أدرج خير الدين عشرين بلدا أوربيا في كتابه "أقوم المسالك.."، واصفا كل بلد من شتى النواحي، كما ذيل المقدمة بفصلين هامين وهما "التمدن الأورباوي" و"تلخيص المكتشفات والإختراعات الأوربية"، كل ذلك ليبين صورة التمدن الغربي، و ما يمتلكه من أسباب التّقدم والرّقي، "فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها"، بل وهو أحق بها لأنه خلق لأجل عمارة الأرض بالخير، و ممّا أدرجه من حجج عقلية و نقلية في ذلك:

1- خير الدين التونسي، أقوم المسالك ...ج1. مصدر سابق. ص46 .

(( تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عن تماديهم في الإعراض عما يُحمد من سيرة الغير الموافقة لشرعنا، بمجرد ما انتقش في عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السير والتراتب، ينبغي أن يهجر، وتآليفهم في ذلك يجب أن تتبذ ولا تذكر. حتى أنهم يشددون الإنكار على من يستحسن شيئاً منها، و هذا على إطلاقه خطأ محض))<sup>(1)</sup> .

ومن ذلك نستنتج؛ و كأن خير الدين يحث العلماء على ضرورة أن يكونوا على اتصال و رباط بروح العصر، فتطبيق الشريعة لا يقتضي معرفة النصوص فحسب. بل معرفة الظروف التي على ضوءها يجب تطبيق هذه النصوص<sup>(2)</sup> .

و مما ادرجه خير الدين لتبرير ما يذهب إليه ما نصه: (( إن ما نهينا عنه من أعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا، أما ما فعلوه على وفق النّدب أو الإيجاب والإباحة، فإننا لا نتركه لأجل تعاطيهم إياه لأنّ الشرع لم ينه عن التشبه بمن يفعل ما أذن الله فيه ))<sup>(3)</sup> .

ويرى خير الدين أنّ الظروف تتغيّر، فيتغيّر معها ما هو من الحاجات الضرورية في المجتمع، لذلك يرى أنه من الواجب أن تتغيّر أيضا الشرائع والسياسات، حتى تتألف مصالح الجماعة بما يقرره العلماء وفق ما يتماشى مع مبادئ الشريعة<sup>(4)</sup> .

فأساس الإصلاح عند خير الدين، هو في طبيعة الشريعة الإسلامية الكفيلة بمصالح الدنيا والآخرة، فإصلاح الأحوال في الدنيا شرط أساسي لإصلاحها في الآخرة<sup>(5)</sup> .

و أدرج خير الدين، ضمن هذا السياق حجة تاريخية أخرى من عصر السلف الصالح، فيقول في ذلك: ((.. وإذا جاز للسلف الصالح أخذ مثل المنطق من غير أهل ملتهم وترجمته من لغة اليونان، لما رأوه من الآلات النافعة حتى قال الغزالي:)) من لا معرفة

1- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .. ج1.. مصدر سابق. ص49 .

2- ألبرت حوراني ، مرجع سابق، ص119 .

3- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .. ج1.. مصدر سابق. ص49 .

4- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص119 .

5- أحمد الطويلي، رواد الإصلاح .. مرجع سابق، ص64.

له بالمنطق لا يؤتمن بعلمه<sup>(1)</sup>، فأبي مانع لنا اليوم من أخذ بعض المعارف التي نرى أنفسنا محتاجين إليها غاية الإحتياج في دفع المكائد و جلب الفوائد ؟<sup>(1)</sup>.

فخير الدين يرى ضرورة التفتح على الغرب، واقتباس ما هو خير للدولة الإسلامية من مؤسسات في شتى المجالات، فهو في كتابه " أقوم المسالك.." (( دعوة نظرية، و في المتن أمثلة تطبيقية ))<sup>(2)</sup>، حين بين بالدليل والإحصائيات الفروق الشاسعة بين مستوى التقدم بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي .

أما ماذا نقتبس ؟ يجيبنا خير الدين، أنه ينبغي أن نقتبس أساليب تنظيماتهم: (( المؤسسة على العدل السياسي، و تسهيل طرق الثروة وإستخراج كنوز الأرض بعلم الزراعة والتجارة، و ملاك ذلك كله، الأمن والعدل اللذان صارا طبيعة في بلدانهم..التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التأسيس على دعامتي العدل والحرية، اللذان هما أصلان في شريعتنا ))<sup>(3)</sup> .

و من ذلك يدعو خير الدين لترسيخ قواعد "الديمقراطية" عن طريق تكوين مجلس شوري من أهل الحل والعقد، من العلماء و رجال السياسة، باعتبار الشورى مبدأ سياسي إسلامي جوهرى أمر به الرسول صلى الله عليه و سلم، وأصبحت بالوحي الإلهي سنة واجبة على الحكام من بعده، وأكدها سيرة السلف الصالح لا سيما سيرة الخلفاء الراشدين<sup>(4)</sup> .

أما كيف نقتبس ؟ خير الدين في ذلك يرفض رفضا باتا، أن ينقلب الإقتباس إلى تقليد أعمى للغرب، ويندد بالمحاولات التي جنح إليها بعضهم في الخلافة العثمانية، في الإنفلات من ضوابط الشريعة الإسلامية .

كما يرفض خير الدين موقف السلفيين وخاصة العلماء الذين يعارضون كل تفتح على الغرب أو الحوار معه، منادين بالرجوع إلى السلف الصالح، دون الأخذ بأسباب المدنية

1- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .. ج.1 .. مصدر سابق. ص 50 .

2- أحمد الطويلي، رواد الإصلاح .. مرجع سابق، ص،ص،62،63.

3- خير الدين التونسي، أقوم المسالك .. ج.1 .. مصدر سابق. ص 52

4- أحمد الطويلي، رواد الإصلاح .. مرجع سابق، ص،61

الحديثة، ويقترح خير الدين في ذلك حلا، وهو الإقتباس في حدود الشريعة الإسلامية، و((الغرض من ذكر الوسائل التي أوصلت الممالك الأوربية إلى ما هي عليه من المنعة والسلطة الدنيوية، أن نتخير منها ما يكون بحالنا لائقا، و لنصوص شريعتنا موافقا )) (1) .

و بذلك فإن خير الدين يدعو صراحة دون إلتباس، إلى أنه ينبغي أن لا نقف من الغرب موقفا عدائيا محضا من جانب ما يمتلكه من علوم وتقنيات، بل يجب أن نستفيد من تجاربه وما أحرزه من تقدّم و رقيّ، و يرى القبح والعار يكمنان في البقاء في حالة تأخّر و تبعيّة في شتى الحاجيات والضروريات إلى الغير (2) .

### 1-3- إصلاح نظام الحكم :

يرى خير الدين أنه حتى يصلح نظام الحكم لابد من تتيبث الأعمدة التالية :

#### 1- الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان :

ويرى أن الشريعة الإسلامية رائعة كاملة و سرمدية، و لقد حققت في 80 أو 90 سنة، ما لم يحققه الرومان في ثمانية قرون، ويرى أن العالم العربي والإسلامي أخذ في التراجع لما انقسم إلى دول ثلاث: الدولة العباسية ببغداد والمشرق، و دولة الفاطميين بمصر وإفريقية، و دولة الأمويين بالأندلس(3)، و بالتالي فإنه يذكر الأمة الإسلامية بأن قوتها أو ضعفها يكون نتيجة حتمية لمدى تمسكها بروح الشريعة(ازدهرت في عهدها الأول وكانت قوية و على درجة رفيعة من التمدن بسبب احترامها للشريعة)(4) .

وحتى يُطمئن خير الدين العلماء المحافظين أدرج شهادة عالمين فرنسيين "دوري DURUY" "تـ 1894 م" وزير المعارف والتّعليم بفرنسا، ثم عضو بالاكاديمية الفرنسية، له تأليف بعنوان "تاريخ القرون الوسطى.."، و"سيدليو SEDILLOT" "تـ 1887" أستاذ التاريخ بـ "college de Franc"، وصاحب تأليف "تاريخ العرب"، رأيهما كالتالي: ((.ثم إن سلاطين آل عثمان تلافوا أمر هذا التراجع باحترامهم للشريعة، إلا أن الخلافة العثمانية

1- خير الدين التونسي، أقوم المسالك ... مصدر سابق. ص53

2- أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص63.

3- خير الدين التونسي، أقوم المسالك. ج1. مصدر سابق. مصدر سابق. ص54 .

4- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص115.

هي أيضا تراجع أمرها، لما قصرت في إجراء المصالح الملكية على مقتضى الشرع والقوانين السياسية..)) (1) .

إنّ تطوّر التمدّن الإسلامي وتراجعها، يتوقّف ذلك على مدى درجة تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، فيتساءل خير الدين بحسرة: لماذا تخلينا عنها بينما كنا سادة العالم، ويستشهد بقول أحد العلماء الفرنسيين: ((العرب هم منبع حضارتنا و لم نزل إلى الآن نطلع على أشياء من مخترعاتهم التي كانت منسوبة لغيرهم كلما قرأنا كتبهم)) (2) .

#### 1-4- نبد الظلم والإستبداد :

يرى خير الدين وشأنه في ذلك شأن ابن أبي الضياف<sup>(3)</sup> و سائر المصلحين التونسيين والمغاربة في القرن التاسع عشر، ضرورة والتفكير والعمل على توفير العدل والحرية (( اللذين هما أصلان في شريعتنا ))، يقول في موضع آخر: (( و من تصفح الفصل الثالث من الكتاب الأوّل من مقدمة ابن خلدون رأى أدلة ناهضة، على أنّ الظلم مؤذن بخراب العمران كيفما كان، و بما جبلت عليه النفوس البشرية، كان إطلاق أيدي الملوك مجلبة للظلم على إختلاف أنواعه، كما هو واقع اليوم في بعض ممالك الإسلام، و وقع بممالك أوروبا في تلك القرون عند استبداد ملوكها بالتصرف المطلق في عبيد الله، من غير تقيد بقانون عقلي لمنافاته لشهواتهم، ولا شرعي لعدم وجوده في الديانة المسيحية )) (4) .

وكان خير الدين يتساءل عمّ يميّز المؤسسات الأوربية الحديثة؟ بأنها الوزارات المسؤولة، والمجالس الشعبية، و حرية الصحافة، فمسؤولية الوزير في المؤسسات الحديثة لا تختلف عن الفكرة الإسلامية عن الوزير الصالح، الذي يسدي النصح بدون خوف أو تملق<sup>(5)</sup>، ضمن إطار الشورى التي تعتبر واجبة في أمر الله بها و رسوله (ص)، لكي تكون سنة واجبة على الحكّام من بعده، والإبقاء عليها والدفاع عنها في غطا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر<sup>(6)</sup> .

1- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .ج.1.. مصدر سابق .. ص54.55

2- أحمد الطويلي، رواد الإصلاح .. مرجع سابق،ص،64.

3- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك.ج.1. مصدر سابق. ص، 55 .

4- خير الدين التونسي ، المصدر نفسه .ج.1.. ص56

5- ألبرت حوراني، مرجع سابق،ص،118.

6- وجيه كوثراني، أفكار النهضة .. مرجع سابق،ص،102.

### 1-5- رفض الديكتاتورية :

يعتقد خير الدين أنّ العمل بالرأي الواحد مذموم ولو بلغ صاحبه ما بلغ من الكمالات والمعارف، و يورد حكم الوزير الفرنسي " تيارس " على استبداد نابليون الأول الذي انقلب بعد أن توطّد له الأمر إلى ديكتاتور مجنون، فخير الدين أشار إلى رفض الديكتاتورية، ربما حتى يطمئن رجال المحافظين، و يبين لهم أنه لم يقرّ الغرب على مساوئه، ولا يدعو إلى تقليده في كل شيء<sup>(1)</sup> .

فخير الدين قد ركّز في مقدمة كتابه "أقوم المسالك.." على الدعوة للعمل بالدستور والقوانين في سياسة البلاد والعباد، و أعطى الأمر أهمية قصوى، فكان أوّل ما بدأ به مقدّمة كتابه وآخر ما أنهاها به، فكان أوّلها قوله: ((..سبحان من جعل نتائج العدل والعمران، وفضلّ بالعقل نوع الإنسان و أهله به لحسن التدبير و مراتب العرفان، و أمره بالتعاون على البرّ و التقوى دون الإثم و العدوان...))، و في آخر مقدّمته يقول: (( هذا و قد قرّرنا في هذه المقدمة من الأدلة الناهضة الواضحة على ما في التصرفات السيّاسية المضبوطة بالتنظيمات من المصالح العامة والخاصّة، التي يشهد العيان بآثارها الناجحة في الممالك، و في التصرفات السيّاسية غير المضبوطة بها القوانين من المضار الفادحة ما تقرّ به عين النّصوح المحبّ لخير الوطن، و إنّي لا أزال أقول إنّ ترتيب التّظيمات المشار إليها من لوازم وقتنا...))<sup>(2)</sup> .

### 1-6- الإقرار بالسياسة الشرعية ودور العلماء :

يقرّ خير الدين بضرورة تدخّل رجال الدّين في شؤون السياسة، مدافعين عن حقوق الرّعية ومناصحين للسلطان و منافحين عن الشريعة، فمخالطة العلماء لرجال السياسة بقصد التعاضد يعتبر عنده من أهم الواجبات شرعا .

كما ألحّ خير الدّين على ضرورة إحياء القيم الإسلامية في حدود مراعاة أحوال الوقت في تنزيل الأحكام، وهو عمل أحلّ به العلماء و رجال الدّين في عصره عدا عالمين نوّه

1- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك ج.1. مصدر سابق. ص 56 .

2- رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي .. مرجع سابق، ص، ص، 433، 434 .



بهما خير الدين أيما تنويه، وهما شيخ الإسلام العثماني أحمد عارف، و باش مفتي المالكية التونسي إبراهيم الرياحي<sup>(1\*)</sup>، فقد دافعا عن التنظيمات الخيرية<sup>(2)</sup> وخطبا بالجوامع والمساجد منافحين عنها<sup>(3)</sup>.

كما أنكر خير الدين على العلماء تواطئهم مع رجال السياسة، وعدم توخي الإجتهد في التشريع<sup>(4)</sup> ويعاب على العالم شرعا وعقلا التكلف في الدين، والتمحل في النصوص الظاهرة في خلاف ما أراد منها وارتكاب الأقوال الضعيفة ليوافق الأهوية والأغراض<sup>(4)</sup>.

فالساسة الشرعية<sup>(5)</sup> التي يدعو إليها خير الدين ليست، كما يتبادر إلى ذهن المحافظين، التقليد الحرفي غير الواعي للسلف الصالح، ودون مراعاة أحوال الوقت. مع ضرورة الأخذ بالمشورة والتناصح<sup>(6)</sup> من أهم أصولها وجوب المشورة التي أمر الله بها ورسوله صلى الله عليه وسلم...<sup>(6)</sup>، و يورد خير الدين في هذا السياق فقرات من رسالة شيخ الإسلام الحنفي التونسي محمد بيرم الأول، تحدد السياسة الشرعية تحديدا، لوعمل به العلماء ما تردوا فيما تردوا فيه من تحجر و جمود و إنغلاق فهي: «ما يكون الناس معه أقرب إلى الإصلاح و أبعد عن الفساد، و إن لم يضعه الرسول<sup>(ص)</sup> ولا نزل به الوحي.. ولابن القيم الجوزية كلام حاصله: أن أمارات العدل إذ ظهرت بأي طريق كان، فهناك شرع الله دينه.. و نقل ابن قيم الجوزية عن ابن عقيل مخاطبا لمن قال: لا سياسة إلا ما

1\* - الشيخ إبراهيم الرياحي (ت1850) عالم و مصلح تونسي شهير، ولد بمدينة تستور بتونس تفرغ للعلم بجامعة الزيتونة بالعاصمة، ثم تولى خطة التوثيق، و هو مفتي تونس و رسولها إلى الباب العالي و إلى المغرب الأقصى. انظر:

- رشاد الإمام، التفكير الإصلاحى .. مرجع سابق، ص، 63.  
2- هي جملة من الإصلاحات اعتمدها الخلافة العثمانية في القرن التاسع عشر تحت ضغط الدول الأوروبية التي عملت بمناوراتها المتعددة على أن الرجل المريض لا يحيا و لا يموت حتى تسنح له الفرصة بالقضاء عليه نهائيا، و قد كانت هذه الإصلاحات على مراحل ثلاث: سنة 1839 (خط شريف كلخانة) و 1856 (خط همايون) و 1876 (قانون أساسي). انظر:  
- خير الدين التونسي، أرقم المسالك ... ج.1. مصدر سابق، ص 137.  
3- خير الدين التونسي، نفسه، ص 57.  
4- خير الدين التونسي، نفسه، ص 58.

5- مستمدة من التراث الإسلامي، ككتاب ابن تيمية المعنون بـ: "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية"، أو من مقدمة ابن خلدون، تعتمد خير الدين لإدخال مفاهيم عتيقة في إطار حديث كبقية مصلحي عصره، و أدرجها ابن أبي الضياف على أنها: "فروع القانون إما شرعية بالنص .. أو من السياسة الشرعية التي حقيقتها الفصل الذي يكون معه الناس أقرب إلى الإصلاح و أبعد عن الفساد، و إن لم يضعه شرع ولا نزل به وحي". .. و نعت السياسة بالشرعية، يشير إلى أنها عند المصلحين من سلوك الإسلام، تراعي الأحوال الشرعية و مقاصد الشريعة و لا تناقضها، انظر:

- خير الدين التونسي، نفسه، ص 226، 227.

6- رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، 432.

نطق به الشرع، فغلط و تغليط للصحابة رضي الله عنهم ((<sup>(1)</sup>)، و عدّ ابن القيم من الجهل والغلط الفاحش، توهم أن الشريعة المطهّرة قاصرة عن سياسة الأمّة ومصالحها، وقال في ذلك: ((..ولأجل هذا الغلط الفاحش تجرّأ الولاة على مخالفة الشرع، فخرجوا عن حدود الله، إلى أنواع الظلم والبدع في السياسة))<sup>(2)</sup> .

ويرى خير الدين، أن المؤسّسات الحديثة القائمة في أوربا، من مجالس نيابية، التي يقوم أعضاؤها "أهل الحل والعقد" بالمشاورة والتّناصح، وكذلك الوزارات المسؤولة، وحرية الصحافة، و مسؤولية الوزير و نزاهته، لا تختلف كثيرا عن الفكرة الإسلامية عن الوزير الصالح، الذي يُسدي النصح بدون خوف أو تملّق، و كلّ ذلك في الحقيقة، إلا تطبيق لروح الشريعة وتحقيقا لغاياتها<sup>(3)</sup> .

ثم يردف قائلا: (( و بناء على ما تقرّر أنّ اللاتّق بأولئك الهداة أن يتوسطوا بين التفريط والإفراط، بحيث لا يبعدون عن رجال السياسة بعدا يتسبب عنه تبعيد تصرف الولاة عن الشريعة ))<sup>(4)</sup>، (( الظروف في تغيّر، والسياسات والشرائع يجب أن تتغيّر وفق اتفاق العلماء و رجال الأعمال، و مقتضى ذلك أن يكون العلماء على اتصال بروح العصر، كي يكون لمشورتهم وزن، فإذا كانوا بعيدين جدا عن الحياة السياسية، بقي السياسيون و رجال الأعمال أحرارا في اتباع أهوائهم وميولهم..فنتطبيق الشريعة لا يقتضي معرفة النصوص فحسب، بل معرفة الظروف التي على ضوئها يجب تطبيق النصوص))<sup>(5)</sup> .

1- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .. ج.1. مصدر سابق. ص58 .

2- خير الدين التونسي ، نفسه. ص149 .

3- ألبرت حوراني ، مرجع سابق. ص119 .

4- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .. المصدر سابق. ص58 .

5- ألبرت حوراني ، المرجع السابق. ص119 .

و يرى خير الدين أنه من أزم شروط السياسة الشرعية، هو الأخذ بنصيحة حكماء الأمة<sup>(1)</sup>، إذ قال الله تعالى في القرآن الكريم متوجّها لرسولنا: (( وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ))<sup>(2)</sup>. وكما يأمر كافة المسلمين بالنهاي على المنكر والعمل على الإحسان، إذ قال الله تعالى للامة (( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ))<sup>(3)</sup>، فعلى أساس هذين الأمرين الفاصلين من الله يرتكز الشرع السياسي في الدين الإسلامي<sup>(4)</sup> .

ويختم خير الدين كلامه، بفحص واقع المسلمين المتردّي، وتحذيره من خطورة إصرار الأمراء على التصرف وفق شهواتهم، والتقصير في حماية الشريعة، مع غفلة العلماء، أو تغافلهم للنأي بأنفسهم حبا في نيل رضا السلطان والظفر بحظوظ شهوات الدنيا على حساب دينهم وآخرتهم، ((..فالعالم إذا اختار العزلة والبعد عن أرباب السياسة، فقد سدّ عن نفسه أبواب معرفة الأحوال المشار إليها، وفتح أبواب الجور للولاة.. صاروا يتصرفون بلا قيد<sup>(5)</sup>، و ما نشأ عن ذلك من سوء حال الرعايا. وهذا و غيره من الأضرار التي تحصل عن تقصير الأمراء في حماية الشريعة، واستبدادهم بالتصرف بمقتضى شهواتهم، مع إغفال العلماء القيام بما أهّلهم الله له، بإعراضهم عن مقتضيات أحوال الوقت.. ولا يخفى أنّ البقاء على هذه الحالة ممّا يعظم خطره، و تخشى عواقبه ))<sup>(6)</sup> .

لذلك وُجب على العلماء أن يطلعوا باتصالهم برجال السياسة، على وقائع الأمور، فباطلاعهم هذا يدفع بأهل السياسة على تطبيق الشريعة، ويكون هؤلاء السياسيين على حذر من مغبة التهاون في القيام بشؤون الدين، و رعاية مصالح الرعية<sup>(7)</sup> .

## 1-7- دور أهل الحل والعقد " البرلمان " :

1- يقول خير الدين في أقوم المسالك : (( واحدة من أهم شروط هذا القانون نفسه ، من الناحية السياسية ، هو الإلتزام بالاستشارة قبل التنفيذ ، المفروضة على رسوله المنزّه ، رغم أنه في مقامه لا يحتاج لإستشارة أحد ، إذ يتصرف حسب الوحي الإلهي و هو المعروف بعصمته ، و لكن الأمر الصادر للرسول لم يكن سوى لغاية مثلى ، و هو إقامة قاعدة إلزامية لكل من يأتي من بعده من الحكام )) . أنظر: - مذكرات خير الدين .. مصدر سابق، 2008، ص 145 .  
2- سورة: آل عمران، الآية: 159، برواية ورش عن نافع .  
3- سورة النحل، الآية: 90، عن ورش عن نافع .  
4- خير الدين التونسي، مذكرات خير الدين .. مصدر سابق، ص 145 .  
5- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك . ج.1. مصدر سابق، ص 147 .  
6- خير الدين التونسي ، نفسه، ص 157 .  
7- ألبرت حوراني ، مرجع سابق، ص 119 .

يرى خير الدين، أنّ المشورة و تغيير المنكر من قبل أهل الحلّ والعقد هما: (( من أهم أصول الشريعة الإسلامية ))، فالأمة التي يمثلها "مجلس الشعب"<sup>(1)</sup>، يحق له ذلك، بل من الواجب عليه فعلا القيام بذلك، لأنّه مسؤول أمام الشعب الذي قلّده أمانة الثقة التي وضعها فيه لما أختارهم عن طريق الإنتخاب، بل ويذهب إلى أكثر من ذلك، لما أجاز خلع السلطان الجائر و تولية غيره، عن طريق المجالس المنتخبة، مع توفير وسائل التوعية والإعلام وإطلاق حريّتها في مراقبة أداء و سيرة أعضاء السلّطة الحاكمة (( لذلك وجب على الأمة وأعيان رجالها تغيير المنكرات .

فالمغيّرون للمنكر في الأمة الإسلامية تتقيهم الملوك كما تتقي ملوك أوربا المجالس وأراء العامة الناشئة عنها وعن حرية المطابع، و مقصود الفريقين واحد و هو الإحتساب على الدولة لتكون سيرتها مستقيمة، و إن اختلفت الطرق الموصلة إلى ذلك))<sup>(2)</sup>

و يظهر من خلال الأفكار التي ساقها خير الدين ضمن مشروعه النهضوي، إخلاصه لإنقاذ الأمة الإسلامية جمعاء و ليس مملكة تونس أو الدولة العثمانية، حتّى تعود الأمة إلى سابق عهدها المزدهر، و ترتقي في (( سلّم التمدن ))<sup>(3)</sup> .

يبدو أن خير الدين، من دعاة إصلاح نظام الحكم اللامركزي والنظام النيابي، بعد إدراجه حجج عقلية وشرعية على فشل الحكم المطلق المركزي فشلا ذريعا، مع ضرورة إستناد هذا النظام على المؤسسات الدستورية التي تجعل من التشريع الإسلامي مرجعا لها.

### 1-8- نحو مجتمع رأسمالي عصري أصيل أساسه الحرية :

هذه صيحة أخرى من صيحات خير الدين، كأهم ركيزة ضمن ركائز مشروعه الإصلاحية، ويبدو من خلال هذه الركيزة أن نظرتة تجاوزت رؤية الكثير من الدّول، بعشرات السنين، بحيث عدلت عن الإشتراكية والنظام الديكتاتوري وتبنت النظام الحرّ وإطلاق الحريات لاحقا .

1- كان سبب إستقالة خير الدين من الصدارة العظمى سنة 1879 ، مرده معارضة العلماء لمشروعه الداعي إلى الحد من سلطة الخليفة . أنظر : خير الدين التونسي، أقوم المسالك .. ج.1. مصدر سابق. ص59 .  
2- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .. ج.1. مصدر سابق. ص61 .  
3- وجيه كوثرائي، أفكار النهضة .. مرجع سابق، ص105.

نظر خير الدين إلى الحضارة العربية الإسلامية في عهد إزدهارها، و إلى الحضارة الأوروبية المزدهرة في عصره، فوجد أن الحرية هي دعامتها، و تناول معنى الحرية في قوله: (( هي إطلاق تصرف الإنسان في ذاته وكسبه، مع أمنه على نفسه و عرضه و ماله ))<sup>(1)</sup>، و تحدث عن الحرية السياسية، و قال أنها حرية رأي و تعبير و النقد، و البحث فيما هو أصلح للبلاد )) وهي تطلب الرعايا التداخل في السياسات الملكية و المباحثة. فيما هو أصلح للمملكة ))<sup>(2)</sup>، فخير الدين يحرص بالحاح على (( اتباع سياسة شرعية يكون الناس بفضلها أقرب إلى الصلاح و أبعد عن الفساد ))<sup>(3)</sup>.

ويصدع خير الدين في وجه الذين يدعون أن بلدان الخلافة العثمانية لم تبلغ بعد سن النضج حتى تتمتع بالحرية، في قوله: (( ثم لو سلم عدم القابلية للتنظيمات، و أنّ الأمة كما يزعمه أولئك القادحون بمثابة الصبي غير الرشيد الذي يلزم التقدم عليه، فهل ينهض لهم دليل على جواز أن تكون تصرفات المقدّم خالية من مراعاة مصلحة المقّم عليه، و هل تيسر تلك المراعاة بدون احتساب، مؤسس على الشرع ؟ ))<sup>(4)</sup>

فالحرية، شخصية كانت أم سياسية، مآلها الأمن على الملكية الخاصة، و متى توفر الأمن في مجتمع رأسمالي مثلما يدعو إليه خير الدين، ازدهر الإقتصاد و كان العمران، فالحرية هي الشرط الأول و الأخير لكل ازدهار إقتصادي: (( هذا و إنّ من واجبات الممالك التي تنال الحرية و خصوصا الشخصية، أن يقابلوا تلك النعمة بإظهار آثارها و استجناء ثمارها بتعاطي المعارف و أنواع الصناعات ))<sup>(5)</sup>.

و يرى خير الدين أن القوة المادية لا تحصل دفعة واحدة و بشكل كلي، إنما يتوقف ذلك على التربية، و كذلك الطهطاوي اعتبر التربية و الفضائل أساس حصول التطور، و كذلك سنرى كيف تفرغ محمد عبده لمهمة التربية، و اعتبرها أساس أية وثبة نهضوية، و كثيرا ما أشاد الكتاب و المصلحون و العلماء بدور التربية في بناء الأمم، فالحضارة

1- خير الدين التونسي، أقوم المسالك ... ج1. مصدر سابق. ص63.

2- خير الدين التونسي، نفسه. ص63.

3- أحمد الطويلي، رواد الإصلاح .. مرجع سابق، ص64.

4- خير الدين التونسي، أقوم المسالك .. ج1. مصدر سابق. ص65.

5- خير الدين التونسي، نفسه. ص65.

العربية الإسلامية كان أساسها الأخلاق والفضائل الكريمة، و لما أصيبت بالخلل في هذا الجانب، تصدّع بنيانها وانهارت .

فأساس قوة أوربا وازدهارها يعود إلى الشعب الأوربي نفسه باعتبار " الشعب مصدر السلطات"، فمحور العمليّة برمتها هو "الشعب"، يقرّر ما يشاء من الشرائع والمؤسسات، وذلك من خلال ما قدّمه من مجهودات علمية و توعوية خلال "عصر التنوير"، و ما صاحبه من نضال سياسي "عنيف" حتى وصل إلى صيغة (( المؤسسات السياسية القائمة على العدل و الحرية ))<sup>(1)</sup>، بينما لما انتقد خير الدين التونسي في عدم قيامه بأي مسعى من أجل إعادة الحياة الدستورية، عندما أصبح رئيسا للوزراء، أجاب منتقديه: أنّ هناك طريقتين كي تكون التّظيمات السياسيّة ذات جدوى: (( إحداهما أن يكون تأسيسها من الراعي، وثانيتها أن تطلبها الرعية ))<sup>(2)</sup>، والأمران مفقودان في تونس و في البلاد العربية والإسلامية ككل .

ومنه فإنّ إشكالية تفعيل النظم القانونية كما قال خير الدين، تبقى مسؤولية يتحمّلها الطرفان، فلا الراعي يسعى لإصلاح الأوضاع ولا الرعية مهتمّة بما يصلح أحوال البلاد، ويعود ذلك لغياب منظومة الفكر السياسي " المغيب " من الذّاكرة الجماعية للأمة .

## 2-2- سؤال النهضة في فكر عبد الحميد بن باديس :

يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس ضمن فلسفته الإصلاحية التي ترنو لتحقيق النهضة في شتى المجالات، أهميّة الاعتماد على أسس رئيسة فهي عماد كل بناء، لأنّ كل الحضارات و منها الحضارة الإسلامية انبنت عليها وامتد صرحها حتى بلغ الآفاق في تلك العصور الحالكة .

ويقوم المشروع النهضوي الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على منظور حضاري شامل<sup>(3)</sup>، بما فيه فلسفة ابن باديس النهضوية حيث تقوم على أساس العلم

1- ألبرت حوراني ، مرجع سابق، ص116 .

2- ألبرت حوراني، المرجع نفسه، ص121 .

3- حياة عمارة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، تحت إشراف، محمد عباس، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان، 2013، ص، 98 .

الصحيح والخلق المتين باعتبارهما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان، وأن الإصلاح ذو شقين متلازمين: التعليم والتربية من جهة و محاربة البدع والخرافات و نبذ الجمود وتحرير الفكر والعقل من برائن الطرقية من جهة أخرى<sup>(1)</sup> .

فالتعليم عند ابن باديس هو أساس الإصلاح، مبدأه تعلم القرآن الكريم والسنة الشريفة لكل الفئات والأعمار، و تكون ضمن المقررات الدراسية للطلاب، و ضمن الدروس المسجدية لعامة الناس، حتى يحوز أفراد المجتمع<sup>(2)</sup> على حظ وافر من العلم وتتكون منه طبقة مثقفة الفكر، صحيحة العقيدة، وبصيرة بالدين فتكمن في نفوسها ولا تهمل - وقد عرفت العلم و ذاقت حلاوته - تعليم أبنائها وهكذا ينشر العلم في الأمة و يكثر طلابه في أبنائها<sup>(3)</sup> .

ولقد لخص الشيخ ابن باديس أركان النهضة الجزائرية في قوله :<sup>(4)</sup> « العروبة والإسلام والعلم والفضيلة، هذه أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا و رمز نهضتنا<sup>(5)</sup>»، كما كان لا يقبل أية مساومة في هوية الجزائر العربية الإسلامية<sup>(6)</sup> .

وكان ابن باديس وغيره من رجال الإصلاح أن الإطار المؤطر والموجه للنهضة في الجزائر هي الجمعية التي أسسوها حتى تكون الوسيلة والأداة، وهو الذي<sup>(7)</sup> « ترأس حركة فكرية تجديدية كان لها الدور البارز في عملية الإحياء والتجديد، فقد كان في مقدمة الأدباء والمفكرين الجزائريين تتبعا واهتماما ومؤازرة للحركة التجديدية في العالم العربي الإسلامي<sup>(8)</sup>» .

كما كان فكر ابن باديس ينطوي على روح علمية تجديدية، ويناقش القضايا والمسائل الفقهية ببصيرة نافذة، و ينظر إلى القرآن والسنة نظرة تدبر واستنارة، كما اعتمد المنهج

1- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 90.

2- مولود عويمر، أعلام و قضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2007، ص، 92، 93.

3-، لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 92.

4- مولود عويمر، عبد الحميد بن باديس مسار وأفكار، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص، 61 .

5- محمد بن سميحة، أسس مشروع .. مرجع سابق، ص، 246.

النقدي في تمحيص و تقييم اجتهادات العلماء من مفسرين ومحدثين، وفقهاء وأصوليين، وكان يناقش الآراء بالأدلة القرآنية والحجة العقلية<sup>(1)</sup>.

و قد ثار ابن باديس على المقلدين والمبتدعين، و دعا إلى تطهير العقيدة من البدع والرجوع بها إلى ينابيعها الصافية الأولى من الكتاب والسنة، كما دعا إلى تحرير العقول وتزكية النفوس، و تجديد حياة المجتمع في إطار المبادئ والقيم الإسلامية علما وعملا دينا و دنيا<sup>(2)</sup>.

وبالتالي فإن المشروع الإصلاحى عند ابن باديس تمثّل في المقام الأول في التركيز على تربية النشء (( فقد عاش "يؤلف" النفوس، و يشيّد العقول و يبني الرجال كالجبال.. ويهيء للنهضة..))<sup>(3)</sup>، باعتبار بناء الإنسان الصالح والمتقّف الواعي وسيلة لبناء جزائر المستقبل، وتوعية الشعب الجزائري<sup>(4)</sup> الذي سيتحمّل على كاهله أحمال و تبعات التغيير، حتى يكون في مستوى مواجهة وإفشال وتفويت المشاريع التخريبية المضادة التي تستهدفه

**2-3- فلسفة علال الفاسي في النهضة :**

لقد خصّص علال الفاسي فصلا ضمن كتابه "النقد الذاتي"، سماه "الفكر الديني"، من باب "مسائل الفكر"، محاولة منه وضع نظرية للفكر الحر لبلورة الفكر النهضوي الشامل في شتى مجالات الحياة، و بيّن: أنه ما سرى الإلحاد وعدم الاعتداد بالدين في أمة إلا رجعت القهقري، آلت بعد عزّتها و مجدها إلى الإنحلال، و ما حافظت في شؤونها على مراعاة المثل الأعلى الإلهي إلا احتفظت بحياتها وفخرها ومكانتها، فينطبق ذلك على حياة الرومانيين والقرطاجيين، ثم على الحضارة الإسلامية يوم بنت حضارة لا مثل لها في التاريخ، ثم انهار أمرها يوم أهملت الدين و تسرّبت إليها الأفكار الهدامة التي تتحكّم في الأشخاص والعقول باسم الدين أو تمنح طائفة من البشر مكان التشريع الديني والقداسة الروحية التي تجعلهم آلهة أو أنصاف آلهة، و الإسلام منع تعبيد النفوس والأرواح لأي

1- محمد بن سميّة، أسس مشروع .. مرجع سابق، ص، 243.

2- محمد بن سميّة، المرجع نفسه، ص، 244.

3- مولود عويمر، أعلام و قضايا .. مرجع سابق، ص، 102، 103.

4- مولود عويمر، المرجع نفسه، ص، 95.



طغيان<sup>(1)</sup>، إلا أن المستبدون يتولاهم مستبد، والأحرار يتولاهم الأحرار، وهذا صريح معنى: (( كما تكونوا يولى عليكم ))<sup>(2)</sup> .

إنه لا يتصور أن يحدث أي شكل من أشكال التطور نحو الأمام إلا باعتماد الدين كجزء في حياتنا و حياة الأمة، فالدين يعني الرقيّ بالفكر الحر والبناء الصحيح إقتصاديا وإجتماعيا.. فالإسلام يرقى بمستوى الأداء الفكري، والأخلاقي، والمهني والحضاري.. فإذا استُبعد الدين فالتطور كذلك حاصل، لكنه تطور إلى الأسفل ! .

إن التفكير الديني في الإسلام معناه الحرية الكاملة، واعتماد التفكير المطلق كمثال أعلى ومنحه سلطة مراقبة كل الشؤون، وعدم الخضوع لأحد أو لجماعة تريد أن تعطي لنفسها مكان التمثيل الإلهي في الأرض، وتعبيد الخلق باسم الدين لأهوائها، فالدين حاسة نستطيع أن نميّز بها بين الخير والشر<sup>(3)</sup> .

وإن كان علال الفاسي يسعى لوضع نظرية للفكر الحرّ و يجعل من الإسلام فلسفته، فكثيرا ما حذر من الفساد وأصحاب الضلالات، والمستغلين للدين، و دعا للثورة على "النظام الكهنوتي"، وأصحاب المال والنفوذ.. فإنّ دعوته قد شابها نقص في جانبها السياسي، فهو لم يتعرّض لـ " القصر " الذي يملك السلّطة الفعلية والقوة القادرة على إيجاد السبل نحو أي عميق و شامل للتغيير .

إن البداية في الفكر الإسلامي هي الثورة على المجتمع الفاسد، و تحرير العقل من سيطرة أي طغيان ينومه و يلقي بأصحابه في أحضان المستغلين.. ففكرنا الإسلامي - كما يقول الفاسي - يجب ان يتّجه اليوم قبل كل شيء إلى إصلاح حالتنا و تحرير أمتنا من عبث الذين يعبدونها للخرافات والأوهام وإنقاذها من كثير من التقاليد البالية التي تمنعها من التقدم والرقي<sup>(4)</sup> .

كان علال الفاسي يعي من البداية في خضم إنهماكه في النضال لأجل الإستقلال، أن المغرب المطلوب بناؤه، لا يمكن ولا يجوز أن يكون هو مغرب التخلف والضعف الذي

1- علال الفاسي، التّقدّ الذاتي ..مصدر سابق، ص، 95، 96.

2- عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الإستبداد .. مصدر سابق، ص، 44.

3- علال الفاسي، التّقدّ الذاتي .. مصدر سابق، ص، 99.

4- علال الفاسي، نفسه، ص، 102.

سهل على فرنسا و اسبانيا غزوه و التحكم فيه لأكثر من نصف قرن من الزمان، كما لا يمكن أن يبقى هو المغرب الذي حاول المحنل صياغته حسب مزاجه و مصلحته<sup>(1)</sup> .

فعلال الفاسي، بحكم شخصيته و تكوينه، و بحكم تفاعلاته المشرقية، كما كان متشبعا بالفكر الإسلامي السلفي التجديدي، ومستوعبا لتجربة النهضة الأوربية، قد تشبّع بفكرة ومشروع النهضة وذلك من خلال كتابه "النقد الذاتي"، الذي تناول فيه مجتمع وتحديات ما بعد الإستقلال، بمعنى أنه برنامج إصلاحى نهضوي للدولة والمجتمع<sup>(2)</sup> .

حسب الريسوني، فإن علال الفاسي من بين العلماء الثلاثة الأوائل الذين أفردوا مقاصد الشريعة<sup>(3)</sup> بالتأليف، و هم: الشاطبي، وابن عاشور، و علال الفاسي، فعرف علال بكتابه (( مقاصد الشريعة ومكارمها ))، فخصّ مقاصد الشريعة كمادة دراسية مستقلة كمحاضرات كان يلقاها على طلبته في كليتي الحقوق في الرباط و فاس، حتى جعل تلميذه محمد بن البشير الحسني مقاصد الشريعة مادة دراسية مستقلة بشعبة الدراسات الإسلامية بكليات الآداب والعلوم الإنسانية بالمغرب، وعمّمت المادة هذه عبر الكثير من البلدان الإسلامية<sup>(4)</sup> .

كما أن روح كتابه السالف الذكر؛ تنبأ عن مشروع إصلاحى تجديدي في مجال الشريعة و فقهاها، كما يمثل لبنة جديدة في المشروع المقاصدي بكلياته "الغاية منها"، وجزئياته (( الأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها ))<sup>(5)</sup> .

و كان علال الفاسي، ضمن كتابه "النقد الذاتي"، و في موضوع "إحاطة التفكير" يطرح وجهة نظره النهضوية، وفق برنامج شامل كل لا يتجزأ حتى لا يقع الخلل، ومن ثم

1- أحمد الريسوني، علال الفاسي ، عالما .. مرجع سابق . ص، 198 .

2- أحمد الريسوني، علال الفاسي ، نفسه . ص ، 198 .

3- مقاصد الشريعة : و تعني الأهداف العامة التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في حياة الناس ، و فيها مقصد عامة: هو تحقيق مقاصد الخلق جميعا في الدنيا و الآخرة، و مقاصد خاصة: و هي الأهداف التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في مجال خاص، كالنظام الأسري و السياسي و الإقتصادي.. كما تسعى مقاصد الشريعة إلى تحقيق مصالح الناس ، و هي ثلاث مراتب : الضروريات ، الحاجيات، التحسينيات، كما تسعى هذه المقاصد إلى تحقيق الكليات الخمس حسب ما اتفقت عليه الشرائع السماوية ، وهي : حفظ الدين ، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال .انظر:

- مقاصد الشريعة الإسلامية، موقع الألوكة الشرعية : <http://www.alukah.net/sharia/0/94949> ، تاريخ التصفح 2017/12/24.

4- إذا نحن سلمنا بهذا التعميم ، فلا بد أن نستثني منه كتاب (( مقاصد الشريعة الإسلامية )) للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، ففيه إضافات نوعية نفيسة و كثيرة ، و هو يعد الآن من أهم مؤلفات هذا العلم . و كتاب ابن عاشور سابق على كتاب علال الفاسي بأزيد من عشرين سنة .. انظر : أحمد الريسوني ، علال الفاسي ، عالما .. مرجع سابق . ص102 .

5- أحمد الريسوني ، علال الفاسي ، نفسه، ص ، ص ، 102 ، 103 .

الفضل (( يجب أن نتناول بالنظر مجموع المسائل والجوانب التي لها علاقة بقضية النهوض بأمتنا فلا نغفل عن ناحية منها.. هكذا نهضة الأمة ، فإما أن تكون مشتملة على كل مقوماتها هي الأخرى، و إما أن لا تكون..(1) .

اعتبر علال الفاسي، علامة موت الأمة بموت وظيفة التفكير فيها، فقد كان ذلك مسعى الإستعمار والحاكم المستبد، و يدرج في ذلك ما صرّح به هتلر في كتابه "كفاحي" بأنه قال: (( يجب أن تنسى الشعوب عادة التفكير ويتركوا للزعماء و رجال الحكم أن يفكروا لهم، و أن خير وسيلة لذلك هي فرض الرقابة على الصحف والمطبوعات ))(2)، حتى خلص علال الفاسي إلى إقرار أهمية تعميم التفكير في الأمة، قائلا: (( إن تعميم التفكير في الأمة هو سبيل نهوضها و تحريرها ))(3) .

وفي هذا الصدد، يقول الدكتور محمد الكتاني، عضو أكاديمية المملكة المغربية: (( إن مشروع النهضة كما يتراءى من خلال كتاب " النقد الذاتي " ليس مشروعا نظريا تهيمن عليه الرؤية الفضفاضة، أو الأفكار المثالية المجردة، وإنما هو مشروع مجسم بأدواته وإجراءاته العملية. و جاهز للتطبيق..(4) .

### 3-1- أسس النهضة في فكر علال الفاسي :

لقد انطبع بُعد المشروع النهضوي في فكر علال الفاسي بالطابع السلفي في حركيته منذ بداية نشاطه النضالي، بحيث امتزج الفكر السلفي عنده بالدعوة الوطنية، فبقدر ما ناهضت السلفية الجديدة في المغرب الحماية كاحتلال؛ بقدر ما كانت تطالب الدولة الحامية بتعميم النظم الحديثة، نظم الدولة العصرية على المجتمع المغربي ككل، وهذا طبقا للفصل الأول من معاهدة الحماية، التي تُلزم فرنسا للقيام بإصلاحات إدارية و قضائية وتعليم وإقتصاد و مالية(5)..

1- علال الفاسي، النقد الذاتي .. مصدر سابق ، ص 24 .

2- علال الفاسي، نفسه ، ص، 44 .

3- علال الفاسي، نفسه ، ص، 47 .

4- أحمد الريسوني، علال الفاسي ، عالما .. مرجع سابق . ص ، 198 .

5- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي رائد التنوير .. مرجع سابق، ص، 94 .

وكان من ثمرات فلسفة ومساعي علال الفاسي من أجل الإصلاح والتغيير؛ ليس في أرض المغرب فحسب بل على مستوى بلاد المغرب ككل، فكان كتابه (( الحركات الإستقلالية في المغرب العربي )) الذي ألفه علال سنة 1948م؛ و طرحه ضمن تفكير ونظرة إجتهدية و تبني المبادئ الليبرالية الحديثة ما دامت تحقق المصلحة العامة؛ علما أن غاية المقاصد الشرعية تحقيق المصالح والمنافع العامة<sup>(1)</sup>، كما أشاع الفاسي في سجلاته الفكرية على تثبيت مضامين العدالة والمساواة التي جاء بها الإسلام<sup>(2)</sup> .

ويرى علال الفاسي أن الطابع الذي يميّز الإسلام؛ هو أنه ثورة عقلية و روحية واجتماعية ضدّ التخلف والإنكماش و ضدّ الطغيان والإستعباد، بذلك فالإسلام هو حركة متطورة ذاتبة تمنع المسلمين من الإستسلام لعوامل الإنحطاط والجهل و كل صور الفكر الزائفة والأسطورية<sup>(3)</sup> ..

واعتبر علال الفكر الديني الإسلامي هو الحرية، باعتباره فكر يعتدّ بالمثل العليا ومراقبته في كل الشؤون وعدم الخضوع لأحد أو جماعة تريد أن تعطي لنفسها مكان التمثيل الإلهي في الأرض و تعبيد الخلق باسم الدين، لأهوائها، ولذلك فالحرية عند الفاسي من أهم المقاييس التي يجب أن تصحبنا في اختيارنا للأفكار واعتمادنا للنظريات<sup>(4)</sup>، فهو يؤمن بالديمقراطية التي تكون منبثقة من الإسلام باعتبار الإسلام بترائه يستوعب كل النظريات الحديثة<sup>(5)</sup> .

إنّ سلفية علال الفاسي جمعت بين مختلف المفاهيم السامية التي استشفها من الفكر الإسلامي، و ربطت بين مختلف العناصر الشركاء في المجتمع، في ظلّ قواعد مجتمعية تجتمع فيها الأصالة والمعاصرة والحرية والإجتهد في المقاصد الشرعية بما تقتضيه المصلحة العامة .

1- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي رائد التنوير .. المرجع سابق ، ص88 .

2- محمد العربي المساري، علال الفاسي حضور و عطاء ودور، د.ط، مطبعة الأمان، الرباط، 2013، ص، 32 .

3- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي رائد .. مرجع سابق ، ص، 89 .

4- أحمد بابا العلوي، المرجع نفسه، ص89 .

5- محمد العربي المساري، علال الفاسي حضور .. مرجع سابق، ص، 38 .

أضحت مفاهيم التجديد والرقى والتمدّن من مفردات الخطاب السلفي التي يطلق على مجمل الإصلاحات التي تسعى المجتمعات الإسلامية لمواكبتها، كما تبنتها الحركة النهضوية منذ انطلاقتها سواء في الشرق أو الغرب من العالم الإسلامي .  
ومن ذلك تبدو فلسفية علال الفاسي التجديدية مقاربة لنظرية خيرالدين التونسي؛ وذلك من خلال البعد الليبرالي لكليهما؛ بشكل يخدم سيرورة التحديث والعصرنة وفق مبادئ الشريعة الإسلامية (( هاجس السلفية الوطنية بلورة ثقافة وطنية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، لا بشكل تلفيقي، بل بصورة تكاملية، بمعنى تحديث الأصالة و تأصيل الحداثة ))(1) .

بذلك يعتبر علال الفاسي من خلال مساعيه الفكرية والإصلاحية واجتهاداته.. (( من كبار العلماء المصلحين والمفكرين الإسلاميين المخلصين، الذين ناضلوا من أجل ترسيخ القيم الذاتية وتوضيح مقاصد الشريعة الإسلامية، نازل بالحجّة والبرهان و قوة المنطق وسلامة المنهج و وضوح الأسلوب، و كان صاحب رسالة وطنية إصلاحية، ثقافية فكرية تنويرية ))(2) .

صدر لعالل الفاسي كتاب بعنوان (( النقد الذاتي ))، سنة 1952م، صاغ فيه نظريته المتعلقة بالبرنامج السياسي والإقتصادي الذي يجب أن يكون عليه المغرب وقت الإستقلال الذي لا مجال فيه (( للأناية والفوضى ))، بحيث يجب أن يشمل الإصلاح كل العناصر التي تحتاج إليها الأمة، واعتبر تعميم التفكير في الأمة هو سبيل نهوضها وتحريرها))((3)، ..يجب أن نفكر تفكيراً إستقلالياً يشمل كل جوانب التحرر من السيطرة الأجنبية علينا ))(4) .

إن قضية مشروع النهضة عند علال الفاسي يراها كل لا يتجزأ، لأن كل عنصر فيه يكمل الآخر وكأنه منظومة متكاملة، فإذا نقص منه عنصر من عناصره الرئيسية برز خلله

1- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي رائد التنوير .. مرجع سابق ، ص، 95 .

2- أحمد بابا العلوي، المرجع نفسه، ص، 105 .

3- أحمد بابا العلوي، نفسه، ص، 137 ، 138 .

4- علال الفاسي، النقد الذاتي.. مصدر سابق، ص، 21.

وضعف تأثيره، لأنّ المشروع دائماً يُنظر إليه كنموذج كامل يمتلك عناصر أقوى، مرشحة لأن تكون بدائل أنجع وأصلح من النماذج القائمة .

حاول علال الفاسي أن يبيلور فكره من خلال الوصول إلى خلاصة مفادها، أنّ الغاية الأولى والأخيرة هي تحرير الإنسان من الإستعباد الإقتصادي، وفق المبادئ والأصول التالية<sup>(1)</sup> :

- 1- إعتبار المال وسيلة لا غاية .
- 2- يجب اعتبار الملكية في المرحلة الحالية، المحور الذي ترتكز فيه الحرية الشخصية واطمئنان الأفراد و الدافع لهم إلى النشاط .
- 3- يجب اعتبار العمل ذا قيمة أكثر من قيمة المال، لأنه قانون الحياة البشرية ومصدر شرفها .

و قام الفكر النهضوي عند علال الفاسي على الأسس التالية :

### 3-1-1- العمل بمقاصد الشريعة ومكارمها :

لقد اهتم علال الفاسي بالشريعة الإسلامية و دورها في مستقبل المجتمع الناهض، وكتب في ذلك مقالات عدّة، تشمل الدفاع عن الشريعة وإبراز روح الشريعة الإسلامية من خلال مواضيع "مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها"<sup>(2)</sup> التي تعمّق الفاسي في تناولها باعتبارها أحكام التشريع والقضاء في الفقه الإسلامي .

و كان مما بادر به علال في سبيل إعادة بعث الأمة، هو تأسيسه مع ثلة من زملائه الشباب، من أبناء جامعة القرويين<sup>(3)</sup> لجنة علماء الشباب السلفيين، للقيام بخدمات جليلة في دائرة الإصلاح الديني .. وخدمة المجتمع المغربي من الوجهة الخلقية والدينية<sup>(3)</sup>

1- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي رائد التنوير .. مرجع سابق ، ص 143 .  
 2- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: المراد بمقاصد الشريعة أي الغاية منها ، والأحكام والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها، هو واحد من الكتب التي ألفها علال الفاسي سنة 1963 ، و هو في الأصل محاضرات كان يلقيها الفاسي على طلبته بكلية الحقوق بفاس والرباط ، و على طلبية القرويين بفاس، فروع هذا الكتاب تنبىء عن مشروع إصلاحه تجديدي في مجال الشريعة وفقهها..و كان العلامة الطاهر بن عاشور قد سبق الفاسي بعشرين سنة لَمَا ألف كتابه " مقاصد الشريعة الإسلامية " الذي اشتمل على إضافات مقاصدية كثيرة نوعية و نفيسة ..انظر:  
 - أحمد الريسوني، علال الفاسي، عالماً .. مرجع سابق، ص.ص، 101..103.  
 3- أحمد الريسوني، المرجع نفسه ، ص، 48 .

فمهمّة العلماء، هو أن يصدعوا بكلمة الحق في الدّعوة إلى الإصلاح والدعوة إلى الإجتهد والبحث في مقاصد الشريعة، لأجل تحقيق العدالة الإجتماعية، والسعي للتحرر من هيمنة الأجنبي الإقتصادية، كما يجب عليهم أن يشاركوا عمليا في بناء المجتمع الإسلامي، و ذلك بإحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدّع بكلمة الحق في وجه طغيان الشرائع الوضعية وقوانين الإستعمار، والعادات الغربية التي بثها الإستعمار في مجتمعاتنا، والقوانين الصادرة فيها مهملة ومعطّلة.. لذلك وجب على العلماء أن يبيّنوا للناس الحق و يصدعوا به<sup>(1)</sup> ؟ .

بذلك كان علال دائم الإهتمام بقضية العلماء والعمل على استنهاضهم وإعادتهم إلى المكانة والرسالة المنوطة بهم؛ واستند في ذلك على الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (( يحملُ هذا الدّين من كلّ خلف عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين و انتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين ))<sup>(2)</sup> .

و يرى علال أنّ مهمّة العلماء، من خلال هذا الحديث تنحصر في ثلاث نقاط :

- الأولى: إزالة كل إنحراف عن الدين مصدره الغلو في العقيدة أو المشادة في الدين .
- الثانية: دفع إنتحالات المبطلين الذين يدخلون في الدين ما ليس منه، وتنتسب إلى أفكارهم من حيث لا يشعرون، مبادئ باطلة لا تتفق وطبيعة التوحيد .
- الثالثة: تقويم تأويلات الجاهلين بالدين، الذين لا يبالون بالإنحلال الذي يصيب عقائدهم متى تدرّعوا بما يرضي غرائزهم .

فعالل الفاسي يرى إذن، أنّ السبب المباشر في تأخر المسلمين، و عودة العالم الإسلامي لعزته و قوته إلا عن طريق العودة إلى الدين الصّحيح، عن طريق الإجتهد الحر ومقاومة كل استبداد و طغيان، لأن الإيمان بالله لا يتم إلا إذا صاحبه الكفر بالطاغوت<sup>(3)</sup> .

1- أحمد الريسوني، علال الفاسي ، عالما .. مرجع سابق، ص ، ص ، 53 ، 54 .

2- أحمد الريسوني، علال الفاسي ، نفسه، ص ، 50 .

3- أحمد الريسوني، نفسه، ص ، 51 .

3-1-2- إبطال مقاصد الإستعمار و مفسده :

بفعل تعمقّ علال الفاسي في مقاصد الشريعة الإستعمارية التي أعطاهها فكريا مقاصديا واستطاع أن يكون رؤية مقاصدية عميقة للقوانين والسياسات التي كانت تصدر عن الإدارة الإستعمارية، هذه القوانين التي يبدو "ظاهرها فيه الرحمة و باطنها من قبله العذاب" (1) .

ومقاصد الشريعة الإستعمارية أشاعها الإستعمار بحكم غلبته مستهدفا ضرب الشريعة الإسلامية و مبادئ الهوية الوطنية، إلا أنه ورث هذه المقاصد الحكومات التي تسلّمت مقاليد السلطة قبيل و بعد الإستقلال، فبالرغم من أن القائمين على هذه الحكومات مسلمين، سماهم الفاسي بالخلوف أو الخلف (2)\*، وهم من أبناء الأمة، ورثوا الإستعمار في حكم وتسيير شؤون بلدانهم، لكن بقوانين مستوردة مع الخضوع والتبعية للإستعمار، فيبشرون بعظمة الأجنبي، و يجلون ثقافته وحضارته، و لا يرون بديلا غيرها ، فيبشرون مقاصد الإستعمار "ولي نعمتهم" في هذه البلدان ؛ فتجدهم ينادون دائما بالحرية ، ولكنهم يقرّون استعباد شعوبهم، و يدعون للإخاء ولكنهم يعملون على التفرقة بين الناس بخلق التيارات والدعوة والترويج للنظريات التغريبية التي تعمل على هدم قيم الإسلام، كما يبشرون بالمساواة و هم لا يعرفون إلا التعصب لأصحابهم والتغلب على خصومهم والدس على من لا يتفق معهم في فكر و دين ، هؤلاء الخلوف هم الذين يعملون على خدمة الأجنبي ونصرة مبادئه و تكريس مقاصده (3) .

ومن خلال هذه الظروف تطوّرت إشكاليات النهضة، و طرحت بصيغ جديدة، منها بالخصوص (4) :

1- أحمد الريسوني، علال الفاسي، عالما .. مرجع سابق، ص، 86 .  
 2- الخلوف أو الخلف: و تستعمل في الخلف غير الصالح من الأبناء ، و جاء في الآية الكريمة ((فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا )) الآية: 59 من سورة مريم عن حفص بن عاصم، انظر:  
 - أحمد الريسوني، نفسه، ص ، 52 .  
 3- أحمد الريسوني، نفسه، ص 52 .  
 4- عثمان أشقر، الوطنية والسلفية .. مرجع سابق، ص، 208.



- 1- إعتقاد الإسلام كمرجعية أصيلة وأسمى : فلا يمكن لأية نهضة و رقي نحو الأمام أن يكون بعيدا عن نهج الإسلام و روحه (( كيف لا نناصر برنامجا يحافظ على مقدساتنا، ويعمل على صيانة تراثنا، و يعتبر الإسلام سرّ قوتنا و نبع سعادتنا)).
- 2- ضرورة التجديد. وإقرار الإجتهد والتّجديد لا الجمود والتّقليد، (( نحتفظ من القديم بكل مفيد ونأخذ من الجديد بكل نافع ))، و (( المغرب اليوم ناهض، و شعور أبنائه عام و شامل بوجود تعميم الرّقي و تغذية النّهضة الوطنية، فلا يجوز تغذية هذا الشعور، بل تقويته، وإمداده بكل ما يمكن من عناصر القوّة ))<sup>(1)</sup>. (( والمغرب اليوم مقبل على نهضة عامة لازال في فجرها، و عصر جديد يريد أن يسترجع فيه مجده<sup>(2)</sup> .

بذلك يكون فكر علال الفاسي صاحب السلفية الجديدة - كما وصف نفسه - قد تأثر بالفكر النهضوي العربي الإسلامي التي ظهر في المشرق، و وصلت تأثيراته إلى المغرب العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر، واستفاد المغرب من إشعاعاته الإصلاحية والفكرية، وانخرط بشكل أو بآخر في العمل الإصلاحي والسياسي؛ لإصلاح العقول وتصحيح المسارات والأخذ بأدوات وأسباب النهوض و الرّقي الحضاري .

### 3-4- النهضة عند مالك بن نبي :

يرى مالك بن نبي أن صناعة الحضارة لا تكمن في تكديس منتجاتها المادية منها والمعنوية عن طريق الإستيراد، و أن هذه العملية ممتنعة كما ونوعا، لأنّه من غير الممكن من حيث الكم شراء كل "أشياء" الحضارة، لأنّ ذلك يعني أننا حصلنا على حضارة "شبيئية" أو شبه حضارة، لأنّ الإنتاج الحضاري لا بد أن يكون محليا ذاتيا، أمّا من حيث الكيف فإنّه لا يمكن لأمة من الأمم أن تتبع روحها ولا أفكارها ولا ميراثها الذاتي، وبالتالي لما نشترى منتجات الحضارة نكون قد استوردنا الهيكل والجسد دون الروح<sup>(3)</sup> .

1- عثمان أشقر، الوطنية والسلفية .. مرجع سابق، ص، 222.

2- عثمان أشقر، نفسه، ص، 229.

3- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين و عمر مسقاوي، ط2، مطبعة دار العروبة، مصر، 1961، ص 55، انظر كذلك: لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 109 .

ولا يتأخر مالك بن نبي في تقديم الحل بعد تشخيص الداء، و يقترح صيغة تركيبية لعدة عناصر على أساسها يمكن أن نبدع في الفعل الحضاري :

الحضار: الإنسان + التراب + الوقت .

و يرى ابن نبي أنّ العالم الإسلامي غني في المجال المادي من حيث التراب والمال "الثروات السطحية والباطنية" التي هي عصب كل نهضة، و لكن كل ذلك لا يمكن أن يكون عوامل النهضة إن لم يربط ربطا عقائديا بين الفكر والعمل، لأنّ الدين يعتبر العمل الحاسم في قيام الحضارات<sup>(1)</sup>، و نفس الأمر ينطبق على التراب لما نربطها بقيمته الإجتماعية، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة يكون التراب غالي القيمة، و عندما تكون الأمة متخلفة يكون التراب رخيصا، فلا تتحقّق رسالتنا في التاريخ إلاّ إذا شرعنا بجهود جماعية وأخضعنا الجهد، والتراب، والوقت لعامل الفاعلية والروح<sup>(2)</sup> .

إلاّ أنّ مالك ينفي ذلك تماما و يرى ضرورة إضافة مركب أساسي في ذلك، و يعتبره "المؤثر" الذي يبعث في تلك العناصر الحيوية، فيمتزج بعضها ببعض، و بعدها تحدث حضارة مبتكرة، و هذا المركب الحيوي سمّاه مالك بـ: "الفكرة الدينية"<sup>(3)</sup> .

وهذا المركب الديني الذي اقترن تقريبا بكل الحضارات السابقة و رافقها في صعودها، لأنه يُخضع الإنسان لنظام أخلاقي سام و دقيق، ولنظام إجتماعي على درجة عالية من القوة والتكافل، مجتمع فاعل و ليد حالة النهضة والتّقدم و بالتّالي الحضارة<sup>(4)</sup> .

ومنه فإنّ مالك بن نبي يؤكّد على أنّ القرآن الكريم يقرّر مبدأ التغيير الذاتي، كما يمنح الإسلام للإرادة البشرية فرصتها في صياغة المصير في التثبّت به أو استعادته إذا ما أفلت من بين أيديها، بذلك فإنّ الإنسان في الإسلام لينتصر على النوازع الذاتية ويستعيد قدرته الفطرية على التجدّد والتطور والإبداع<sup>(5)</sup> .

1- محمد بخداي باي، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية و طبيعة علاقاتها بالحضارة في تصوّر مالك بن نبي، ط2، مؤسسة عالم الأفكار للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص، 62 .

2- حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، إشراف .د.صالح حسين الرقب، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة. 2005، ص، 188، 192 .

3- مالك بن نبي، شروط النهضة .. مرجع سابق ، 1961، ص 55 .

4- مالك بن نبي، نفسه، ص 70 .

5- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، ط2، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص، 310، 311 .

وظاهرة التغيير لا تجدي نفعاً إذا لم تصحب بتغيير الباطن، فلا أحد ينكر ما للسعي على تداول السلطة وإصلاح الإدارة والإقتصاد من أهمية في نطاق الظاهرة الثورية، ولكنها تبقى عديمة الجدوى إذا لم تنفذ إلى الإنسان ذاته فتغيره، لأنه منشأ جميع الهزائم والإنتصارات، فتغيير دواليب المجتمع، وارتفاع المستوى المعيشي للإنسان و مستوى دخله السنوي، مؤشر من مؤشرات التقدم لا محالة، لكنه ليس المقياس الصحيح لنجاح الثورة، وإنما نجاح الثورة يتمثل في تغيير الإنسان تغييراً جذرياً، و لو كان مصير الثورة مرهوناً بالزيادة في الأجور و في وجبات الطعام لكان الإستعمار الجديد أوفر حظاً في النجاح من أي مشروع نهضوي وطني، و لذلك قال ابن باديس: (( يا قوم إنا أحياء و إنا نريد الحياة وللحياة خلقنا وأنّ الحياة لا تكون بالخبز وحده ))(1) .

#### 4-1- شروط نجاح النهضة عند مالك بن نبي :

لقد وضع مالك بن نبي في نظريته الخاصة بشروط النهضة أو قيام الحضارة مجموعة من العناصر، التي يراها ضرورية من حيث تكاملها، فأشكاليات الشعوب كلّها تتمحور في جوهرها حول الرقي والخروج من دائرة التخلف. والعالم العربي والإسلامي لم يعدم طاقات وإمكانيات مادية و روحية، إلا أنّ قضية تفعيل و بعث هذه الطاقات هو أساس الإشكال .

فأطروحة ابن نبي الخاصة بشروط النهضة، هي واحدة من مقالاته العلمية التي وصفت بالنظرية المعاصرة الجديدة(2)؛ التي صاغها ضمن فكر فلسفي إسلامي يسعى من خلالها لإيجاد حلولاً ناجعة لإشكاليات الحضارة والتي باتت الشغل الشاغل عند رواد المشروع النهضوي .

1- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص، 108.  
2- جيلالي بوبكر، الإصلاح والتجديد لدى "محمد إقبال" و"مالك بن نبي" بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص،

#### 4-1-1-1- استثمار الإنسان :

يرى ابن نبي أنّ الإنسان المسلم الحامل للفكرة الدّينية الصّحيحة هو العنصر الأساسي في مشروع النهضة، لأنّ في المسلم المعاصر كإنسان تكمن فيه المشكلة الإسلامية برمتها<sup>(1)</sup>، يعيش قمة التّحدي وهذا ما يدفعه للمنافسة والمزاحمة،<sup>(2)</sup> فيقوم بوظيفته و يؤدي رسالته<sup>(3)</sup>، و رصيده في ذلك هو شعوره بأهميّة مسؤوليته في القيام بواجب المساهمة بعمل إيجابي للمشاركة في عمليّة التّغيير في المجتمع<sup>(3)</sup> .

وحتى ينجح الإستثمار في الإنسان المسلم؛ لابد من اعتماد خطوات حاسمة في هذا السبيل، وهي بالأساس "توجيه الثقافة" نحو الفعل الإيجابي لربح واستغلال الوقت، بمعنى يكون الفعل الثقافي نموذجي؛ طابعه نهضوي ودافعه عامل ديني صحيح، تحذوه آمال وروح تجديدية على غرار مآثر الحضارة الإسلامية بما يعزّز البعد الأخلاقي والجمالي في الإسلام؛ و"توجيه العمل" وذلك بتوحيد ملايين السّواعد نحو هدف تحقيق الإنتاج المثمر كمّا و كيفاً، ثم "توجيه رأس المال" بربط ثروة الأمة الماليّة بالمجتمع، لتنشيط الفكر والعمل والحياة، وتوظيفها بما يضمن دورة إقتصادية تحقّق التوسّع والنمو العمودي والأفقي<sup>(4)</sup> .

#### 4-1-2- استثمار التراب :

التراب - ما يراه ابن نبي- قيمته معنوية بالدرجة الأولى، ومادية بالدرجة الثانية؛ فأهمية وقيمة الثانية متوقّفة على طبيعة الأولى، فنتكاملاً فتنشأ حضارة نموذجية<sup>(5)</sup>، وحينها تكون قيمة الأمة مرتفعة كما يكون التراب عالي القيمة<sup>(6)</sup> ويصبح أصحابها جديرين بـ: عمارة الأرض، و(الإستخلاف فيها) كهبة سماوية أزلية .

1- نور الدين مسعودان، مالك بن نبي حياة وآثار شهادات ومواقف، دار نون للنشر والتوزيع، د.ط، ص، 39 .  
2- بوبكر جيلالي، استراتيجية البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص، 67 .  
3- مالك بن نبي، شروط النهضة مرجع سابق، ص، 68.. 70 .  
4- مالك بن نبي، نفسه، ص، 83 .  
5- مالك بن نبي، نفسه، ص، 139.. 144 .  
6- نور الدين مسعودان، مالك بن نبي .. مرجع سابق، ص، 40 .

#### 4-1-3- استثمار الوقت :

إنّ الوقت في أعمارنا وأعمار الأمم؛ هو بمثابة نهر صامت متدفّق يصبّ في التاريخ، ولما تستيقظ الشعوب لمراجعة عمرها الضائع تنتفض و تتلمّس قيمة وجودها، عندها يصبح الوقت عند الأمة جوهر الحياة الذي لا يُقدّر<sup>(1)</sup>. فيتكيّف مع المجتمع و يصبح الزّمن خاضع للمجتمع؛ فتجري فيه جميع العمليات الإقتصادية والثقافية<sup>(2)</sup>..

وساق ابن نبي مثالا عن أهميّة وجوهر الوقت، من خلال ما حدث لألمانيا التي تحولت بفعل الحرب العالمية الثانية إلى دمار، و لم يبق لها في رصيدها إلاّ العناصر الثلاثة: الإنسان، والتراب، والزمن. لكنها عرفت كيف تدرك ما فاتها من وقت بفرض ساعتها تطوّر يوميا على كل أفراد الشعب الألماني، في إطار ما عرف بالتجنيد العام "Roboter Arbeit"، و بعد سنوات ذهلت ألمانيا العالم بصناعاتها الضخمة خلال معرض القاهرة سنة 1958م<sup>(3)</sup>.

بذلك فإنّ مالك بن نبي جعل العامل الديني هو المادة التي تؤلّف وتجمع بين عناصر الحضارة، فمتى غابت هذه المادّة غابت الحضارة، كما اعتبر الواقعية الإجتماعية للفرد من معطيات نفسية، و فكرية، وأخلاقية، ودينية هي الكفيلة بصياغة فرد الحضارة<sup>(4)</sup>.

وشهدت الحركة الإصلاحية المغربية بروز خمسة أسماء ريادية أعطت صورة جيدة للعمل الإصلاحي والتطور الفكري في بلدان المغرب العربي، منهم خير الدين التونسي، و عبد الحميد بن باديس، و عبد العزيز الثعالبي، والبشير الإبراهيمي، و علال الفاسي، هؤلاء النهضويين إن جاؤوا متأخرين نسبيا عن نهضوي المشرق العربي بفعل عوامل ذاتية و خارجية، فإنه كان لهم دور في تأطير العمل النهضوي، و ترسيخ القيم الوطنية، و إنكاء النضال السياسي .

1- مالك بن نبي، شروط النهضة،.. مرجع سابق،ص،145.

2- بوبكر جيلالي، استراتيجيات البناء .. مرجع سابق،ص،67.

3- مالك بن نبي، شروط النهضة.. مرجع سابق،ص،148.

4- جيلالي بوبكر، الإصلاح والتجديد .. مرجع سابق،ص،125.

## 1- اتجاهات حركة النهضة المغربية و روادها :

لقد اعتمد مشروع النهضة المغربي اتجاهات عديدة؛ كمجالات إصلاح تشمل مختلف مجالاته الفكرية والسياسية، الدينية، والاجتماعية والإقتصادية..، بحيث وعى الإصلاحيون مدى الإنحطاط، والتأخر الفكري والعلمي، الذي أصاب الأمة، و طرح رواد النهضة العربية الإسلامية خلالها أفكارا، وحلولا لإصلاح الوضع الإسلامي المتدهور في شتى مناحي الحياة .

و تخلى المسلمون بطريقة أو بأخرى عن تعاليم دينهم؛ وأصبحوا غير قادرين على إحياء القيم التي شيّد عليها السلف الصالح صرح الحضارة الإسلامية؛ و منه فقد تساءل رجال الإصلاح المغاربة، منهم عبد الحميد بن باديس وعلال الفاسي وعبد العزيز الثعالبي وغيرهم ..عن الأسباب التي يمكن الأخذ بها في عملية نهوض الأمة وإصلاحها؟ ومن الدلائل القاطعة على جمود و تحجّر الطرقية وانحرافها على خط"رجال التصوّف والجهاد الأوائل"، و إفلاسها دنيويا وأخرويا، هو أنّها كانت تعيش عكس واقع الأمة، والهـم الوطني في أحلك مراحلها، و في ظل أصعب التحديات التي تهدد حياتها ومستقبلها، و الأكثر من ذلك تورط الطرقية بشكل مباشر في تكريس التخلف و تنويم الأمة، و تقوية الإستعمار المغتصب والتحالف الإستراتيجي معه .

### 1-1- الإتجاه السلفي :

تعني السلفية في مفهومها الأصيل، العودة إلى الإقتداء بنهج السلف الصالح الذي ساد العهد النبوي وعهود الخلفاء الراشدين، وهي اتجاه ديني يعني الرجوع إلى المصادر الأولى للشريعة الإسلامية، و نبذ المستحدثات البدعية السلبية المضرّة بالدين الحنيف والمشوّهة لصفاء و نقاوة الإسلام الصحيح<sup>(1)</sup>، بمعنى توظيف الدين في التعبئة والتجنيد من أجل النهوض، واكتساب القوة والمنعة لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل<sup>(2)</sup>

1- حمّاد الفّجاج، حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، ط1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2014، ص.134.

2- محمد عابد الجابري، المشروع .. مرجع سابق، ص، 87 .

ويقصد بسلفية العصر الحديث؛ النخبة التجديدية المشبعة بالثقافة العربية الإسلامية، التي تؤمن بالمشروع النهضوي التجديدي من منظور الطرح الإسلامي، وإعادة بعث الإسلام قويا كما كان على عهد السلف الصالح .

إلا أن السلفية في البلدان المغاربية؛ استطاعت أن تواجه الإستعمار والطرقية معا<sup>(1)</sup>، بفضل المشروع الحضاري النهضوي الذي تبنته، و سارت وفقه، فكان من أبرز روادها في المغرب العربي، خير الدين التونسي، و عبد العزيز الثعالبي، والطاهر بن عاشور في تونس، و عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، و مالك بن نبي في الجزائر، و محمد بن العربي العلوي، و علاء الفاسي في المغرب، و محمد علي السنوسي، و عمر المختار في ليبيا، و غيرهم من مفكري الإسلام في العصر الحديث والمعاصر، السلفية التي اعتمدت في نضالها الأسس والأهداف التالية<sup>(2)</sup> :

- 1- الرجوع إلى مصادر الدين الإسلامي .
- 2- الإصلاح الداخلي و مقاومة البدع و الإنحرافات، و محاربة الطرقية المستغلة من قبل الإستعمار.
- 3- مقاومة الإستعمار ارتكازا على تعاليم الدين .
- 4- فتح باب الإجتهد لتطوير التشريع، و إيجاد فكر إيديولوجي جديد يجمع بين الأصالة والمعاصرة .

### 1-1- الجزائر:

يذهب الأستاذ رابح لونييسي إلى أن الجزائر عرفت بدايات الإحتكاك بالأفكار الإصلاحية المشرقية مع بداية القرن العشرين عبر قنوات، منها زيارة محمد عبده إلى الجزائر عام 1903م، و إن ترك انطبعا محدودا لدى بعض رجالها كعبد الحليم بن سماية و بن الموهوب و بن الخوجة، و اعتبر أكثر الصحفيين المتأثرين بشخص محمد عبده نجد

1- Mahfoud Kaddache, Histoire du Nationalisme Algérienne, question National et Politique Algérienne 1919- -1951, 2eme edition : Alger :société National d' Edition et de diffusion 1981, p.338.

2- نغم محمد صالح، الحركات الإسلامية في المغرب العربي (المغرب-تونس- الجزائر)، دراسة لدورها السياسي في ظل التحولات الديمقراطية، ط1. الجنان للنشر و التوزيع، دم.ط، 2010، ص48.

عمر راسم الذي عرّف صحيفته "نو الفقار" بأنها: (( جريدة عبدوية إصلاحية ))، كما دعا عمر بن قُدّور إلى إنشاء "جماعة التعارف الإسلامي" للعمل من أجل نشر الأفكار الإصلاحية<sup>(1)</sup>.

إلا أنّ البدايات الأولى للأفكار المشرقية التي تسربت إلى الجزائر بشكل خاص؛ حملها رجال و طلبة العلم الذين قصدوا بلاد المشرق إما لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم أو بغرض الهجرة المؤقتة، إلا أنّ صداها كان محدودا لا يتعدّى الوعي الفردي لبعض المهتمين بالمسعى الإصلاحي .

ويمكن اعتبار البدايات الأولى للمساعي الإصلاحية منتصف عشرينات القرن العشرين، و ذلك من خلال المساعي التربوية والتعليمية للشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر بقسنطينة، و دخول ابن باديس ميدان العمل الصحفي، حيث أنشأ مجلة "المنتقد" عام 1925م<sup>(2)</sup>، كما كان عازما على إنشاء ((حزب ديني محض))<sup>(3)</sup>.

وخلال العقد الثالث من القرن العشرين ظهر نشاط الحركة الإصلاحية بشكل بارز وفاعل، خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شهر ماي من عام 1931م التي ضمّت أغلب الإصلاحيين؛ حيث أصدر ابن باديس مجلة "الشهاب" التي استمرت إلى عام 1939م، و التي عكست صورة الفكر الإصلاحي خلال هذه المرحلة<sup>(4)</sup>، وكان هدف ابن باديس تجديد حياة المجتمع في إطار المبادئ والقيم الإسلامية علما وعملا دينا ودنيا<sup>(5)</sup>.

وتبدو الحركة السلفية الإصلاحية في الجزائر في نسخة جمعية العلماء المسلمين أكثر تفتّحا وعصرنة من النسخة الوهابية، ((مما يدحض تهمة الوهابية التي عمل التقليديون والإدارة الإستعمارية على إصاقها بالحركة الإصلاحية الجزائرية))<sup>(6)</sup>، بحيث كانت مبادئ

1- رابح لونيبي، الحداثة والديمقراطية في إيديولوجية الثورة الجزائرية، د، ط، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص 70.

2- محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشرق، القاهرة، ص 53.

3- ALI MERAD : Le reformisme ... Op.Cit.P : 120 .

4- رابح لونيبي، الحداثة والديمقراطية .. مرجع سابق، ص، 71.

5- محمد بن سميّة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج2، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2014، ص، 244 .

6- رابح لونيبي، مرجع سابق، ص، 71.



الجمعية واضحة؛ فالقرآن هو "دستور" الإسلام، والسنة القولية والفعلية هي تفسير وبيان للقرآن، و التوحيد أساس الدين<sup>(1)</sup> .

ومن المؤكّد أن الإتجاه الإصلاحي لا يختلف عن أغلب الإتجاهات الأخرى ذات المرجعية الإسلامية، في الإعتقاد أنّ الإسلام يشتمل على كل الحلول لمشاكل العصر، ويؤكد ذلك ابن باديس من خلال قوله: (( إنّ الإسلام عقد اجتماعي عام فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي حياته لسعادته و رقيّه، و قد دلّت تجارب الحياة كثيرا من علماء الأمم المتمدّنة، على أنّ لا نجاة للعالم ممّا هو فيه إلاّ بإصلاح عام على مبادئ الإسلام))<sup>(2)</sup>

ويكون بذلك رجال الإصلاحية السلفية الجزائرية قد انتهجوا طريق محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، و بشكل اقل ابن تيمية و ابن قيم الجوزية، حيث ركّز هؤلاء خاصّة محمد عبده على تربية الفرد، و على التعليم وتجنّب العمل السياسي أو الإصطدام بالإدارة الإستعمارية<sup>(3)</sup>.

## 1-2- في تونس :

لقد شهدت الحركة السلفية التونسية عند بواكير مساعيها الإصلاحية خلال القرن التاسع عشر، بروز إصلاحيين من أمثال الشيخ أحمد الخراط الصفاقسي<sup>ت.حوالي1835م</sup> الذي كان من علماء عصره العاملين المصلحين<sup>(4)</sup> لا يسكت عن منكر حتّى يغيّره بقدر وسعه<sup>(4)</sup>، و إن كان معظم علماء تونس في كثير من الأحيان لا يتورّعون عن إثارة (سخط الحكومة عليهم دفاعا عن اقتناعاتهم)<sup>(5)</sup> .

ولمّا شبّ عود الحركة الإصلاحية السلفية في تونس حملت طابعا عمليا تنويريا، برز من خلالها محمود قابادو الذي كان من أعظم أساتذة الشريعة بجامع الزيتونة إلى جانب

1- محمد العبدّة، 104 ، ط1، دار الأعلام، الأردن، 2003، ص، 104 .

2- رابح لونيبي، الحدائثة والديمقراطية .. مرجع سابق، ص، 72.

3- رابح لونيبي، المرجع نفسه، ص، 72.

4- رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون "عهد الأمان"، ط1، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، 2010م، ص، 97.

5- أرلوند. هـ. غرين، العلماء التونسيون 1873-1915م، تر: حفناوي عامرية، أسما معلّى، ط1، دار سحنون للنشر و لتوزيع، تونس، 1995، ص، 79.

تكليفه سنة 1861م بخطة قاضي باردو، و مفتي المذهب المالكي بالبلاد سنة 1868م، فأصبح قابادو داعية الإصلاح والتجديد للعلوم العقلية والدينية<sup>(1)</sup>، وإن كان في سنة 1876م أن طلب بعض الشيوخ المعارضين للإصلاح و على رأسهم محمد معاوية ، طرد ممثل السنوسية من مدينة تونس لأنها تقول بالإجتهد و هو من المبادئ الأساسية لدى المصلحين<sup>(2)</sup> .

وتكوّنت في تونس مجموعة من الشباب التونسي المتحفّزين للإصلاح، آمنت بمذهبه الفكري الإصلاحى التنويري و دعت إليه، و قد برز من تلك المجموعة بالخصوص نوابغ ثلاثة كان لهم بعد أستاذهم أعظم شأن في خدمة الفكر و مناصرة المساعي الإصلاحية المتفرّعة عنه، بهمة و روح سلفية<sup>(3)</sup>، وهؤلاء النوابغ هم الشيخ سالم بوحاجب<sup>(4)</sup> والشيخ محمد بيرم<sup>(5)</sup> والشيخ محمد السنوسي<sup>(6)</sup> .

### 1-3- في المغرب :

لقد أضى سؤال الإصلاح والسياسي والعسكري في المغرب الأقصى مطلع القرن العشرين، ضرورة ملحّة؛ خاصة عند استفحال التغلغل الإقتصادي، والتجاري، والتدخل السياسي الأجنبي فيها .

1- رشاد الإمام، التفكير الإصلاحى .. مرجع سابق، ص.ص، 108، 116.

2- أرلوند. هـ. غرين، العلماء التونسيون.. مصدر سابق، ص، 82 .

3- رشاد الإمام، مرجع سابق، ص، 129.

\*4- سالم بوحاجب (1828- 1919م): هو الشيخ سالم بن عمر بوحاجب البنبلي نسبة إلى قرية قرب مدينة المنستير، تعلم الكتابة و القراءة وحفظ القرآن في قريته، التحق بجامع الزيتونة ، فتعلم أصول العلوم الشرعية و آداب اللغة العربية ، على يد الشيخ محمود قابادو والشيخ محمد بيرم الرابع، و لما أتمّ تلمه انتصب للتدريس في الزيتونة ، و كان سالم بوحاجب أكثر طلبة قابادو تأثرا و إعجابا به ، و بمنهجه الفكري و الإصلاحى ، فانخرط هو الآخر في الفكر الإصلاحى ، و شارك بوحاجب في تقرير و تنفيذ العديد من الإصلاحات التي قام بها خير الدين لما صار وزيرا أكبر، كما اشترك في تحرير كتاب " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " ، كما أدخل إصلاحات على التعليم الزيتوني ، ونصّب سنة 1909م مفتيا.. انظر:

- رشاد الإمام، المرجع نفسه، ص، ص، 131، 132.

\*5- محمد بيرم الخامس (1840- 1889م): يرجع أصله إلى أحد الأتراك العثمانيين الذين فتحوا تونس سنة 1574م ، من عائلة علم حيث تعاقب أباه في سلك العلماء و المفتين حتى كان منهم خمسة مشائخ للإسلام ، من محمد بيرم الأول إلى محمد بيرم الخامس ، التحق بيرم الخامس بجامع الزيتونة درس هو الآخر على الشيخ محمود قابادو فاعتنق أفكاره الإصلاحية ، و ولأه خير الدين التونسي رئاسة جمعية الأوقاف وأدخل عليها إصلاحات جديدة.. انظر:

- رشاد الإمام، نفسه، ص، ص، 134، 135.

\*6- محمد السنوسي (1851- 1900م): ولد بمدينة تونس التحق بجامع الزيتونة ، تبرز في العلوم النقلية والعقلية على يد جماعة من الشيوخ و خاصة منهم محمود قابادو، و تولى التدريس في الزيتونة ، ثم التحق بمجموعة المصلحين ، فعينه خير الدين بالجريدة التونسية الرسمية الرائد التونسي ، دؤن السنوسي رحلتين ، الرحلة الحجازية و الرحلة الباريزية ، ذكر مظاهر التقهقر في الأولى و مظاهر التقدم في الثانية ، و هو أول تونسي دعا إلى التجديد في مواضيع القوائد الشرعية .. انظر:

- رشاد الإمام، نفسه، ص، ص، 135، 136.

وفور تولّي السلطان عبد الحفيظ للملك خلفا لأخيه عبد العزيز الذي خلعه العلماء، فبرز إجماع في المغرب على ضرورة الإصلاح السياسي وأهميته، الذي شغل بال الرأي العام المغربي حينها والفئات المثقفة، باحثين عن الخلل وأسباب تقدّم غير المسلمين وتأخرهم .

في المغرب كان من المصلحين من اضطهد بسبب أفكاره الإصلاحية، و منهم من تعرّض للقتل، و نموذج ذلك رائد البيعة الحفيظية و خلع السلطان عبد العزيز، الشيخ محمد بن عبد الكريم الكتاني، واعترف له الجميع بريادته في معركة الإصلاح السياسي في المغرب خلال هذه الفترة ، و كانت بعض طروحاته السياسية التي أخذ بها في الخلع والبيعة ، تعبّر عن عمق الفكرة الإصلاحية و أصالتها عنده، و نضاله من أجلها حتى قدّم نفسه فداءً لما يؤمن به و يسعى من أجل تحقيقه<sup>(1)</sup> .

وخلال بدايات القرن العشرين، ستظهر الحركة الوطنية المغربية في إطار سلفي يمثلها كل من: محمد بن العربي العلوي<sup>(2)</sup>، أبو شعيب الدكالي، علال الفاسي، عبد الله كنون، المكي الناصري..، مطالبة في البداية بإصلاحات قضائية وتربوية وإدارية، كما دعت بالرجوع إلى الدين الصحيح وتعاليمه ومحاربة المشعوذين وأهل الطرقية واتهامهم بالتواطؤ مع المستعمر<sup>(3)</sup>

وبعد الحرب العالمية الثانية، ستطالب الحركة الوطنية بالاستقلال، وتأسيس أحزاب سياسية كحزب الإستقلال بزعامة علال الفاسي وحزب الشورى والاستقلال بقيادة الحسن الوزاني.

1- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق، ص37 .  
2- محمد بن العربي العلوي (1887-1964م) : شيخ السلفية و عميدها في المغرب الأقصى ، مصلح مجدد و فقيه مفكر ، ولد في منطقة تافيلالت ، كان مدرسا بالقرويين ، ثم قاضيا و وزيرا ، و علما من أعلام الإصلاح الديني والاجتماعي و رجل سياسة ، ساهم في النهضة الثقافية و العلمية في المغرب ، و حارب أدياء المشيخة و عمل على تطهير الدين من المظاهر الشعوذة والدجل الطرقي ؛ و كان محمد العربي العلوي طريقا تجانيا فتحول عنها إلى السلفية بعدما تبين له خطأ الطرقية في وقوفها إلى جنب الإستعمار و مسالمة و تثبيط عزائم الوطنيين و شل الهمم بتأويل فكرة القضاء و القدر .. انظر:

- حمّاد القّباج، حياة شيخ الإسلام .. مرجع سابق، ص.37..57.

3- عبد الحميد المرنيسي، الحركة الوطنية .. مرجع سابق، ص،17.

ولم تظهر الحركة السلفية الإصلاحية التي كانت تدعو للرجوع إلى تحكيم الشريعة إلا بعد صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930م، الذي اعتبر نقطة بداية العمل الوطني ضمن إطار الحركة الوطنية الجديدة المنظمة<sup>(1)</sup>، ولقد تأثرت الحركة السلفية المغربية بالسلفية الشرقية التي كان يتزعمها كل من محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي. وكانت مهمة السلفية المغربية هي التوفيق بين الأصالة والمعاصرة ومحاربة المستعمر الأجنبي والسعي نحو الإصلاحات الدينية والتربوية "إصلاح جامع القرويين" والاجتماعية والإدارية..، ويمكن أن نميز خلالها بين جيلين من المصلحين السلفيين المغاربة:

1-الرعييل الأول: يمثله أبو شعيب الدكالي ومحمد بلعربي العلوي، ومحمد بلحسن الحجوي ومحمد المدني الحسني ومحمد بن عبد السلام السائح وأحمد بن محمد الصبيحي وعبد السلام بنونة.

2- الرعييل الثاني: وهم بمثابة تلاميذ الرعييل الأول، منهم علال الفاسي و محمد بن الحسن الوزاني والمكي الناصري ومحمد اليمني الناصري والمختار السوسي وعبد الخالق الطريس وعمر بن عبد الجليل وسعيد حجي وعبد الله كنون .

وإذا درسنا المحددات الإجتماعية والثقافية لهؤلاء السلفيين، معظمهم ينتمون إلى أوساط حضرية ومدن عتيقة كبرى كالرباط وفاس وسلا ومكناس...وأوساطهم عائلية أرسنقراطية وتجار كبار وبيوت الشرف والعلم وموظفون مخزنيون، فكل أفراد الرواد يتولون وظائف رسمية في جهاز الدولة.

وأن المصدر الثقافي عندهم مصدر مزدوج، يتمثل في التعليم التقليدي والتعليم العصري فضلا عن تأثرهم بالسلفية المشرقية. و يجمعهم إطار مرجعي عام، و ليست هناك تمايزات إيديولوجية وفكرية واضحة بين دعاة هذه الإصلاحية المغربية .

ويمكن تحديد تيارات ثلاثة فكرية في الإصلاحية المغربية<sup>(2)</sup>:

1- عبد الحميد المرنيسي، المرجع السابق، ص18  
2- جميل حمداوي ، المغرب والحداثة ، مقال من موقع [http://www.aljabriabed.net/n93\\_07hamdaoui.htm](http://www.aljabriabed.net/n93_07hamdaoui.htm) بتاريخ 2017/01/28 .

- 1- الإتجاه الإصلاحى التقليدى: من رواده أبو شعيب الدكالى، و محمد بلّحسن الحجوى
- 2- الإتجاه السلفى الجديد: أحمد بن خالد الناصرى "1835-1897"، وأحمد بن عبد الواحد المواز "ت1922"، ومحمد بن الحسن الحجوى "ت1956".
- 3- الإتجاه الوطنى السلفى: ويمثله محمد بن عبد الكرىم الخطابى وعلال الفاسى .

ويعتبر أغلب الدّارسين للفكر السلفى أنه فكر تجديدي إصلاحى، حيث استهدف تغيير المجتمع على شتى المستويات، والدليل على المنحى الإيجابى فى هذا الفكر الإصلاحى السلفى هو تنوير المجتمع وتوعيته دينياً وتربوياً وثقافياً وسياسياً؛ عن طريق إصدار الجرائد والمجلات وبناء المدارس العصرية وتأسيس أحزاب سياسية لتأطير الشعب؛ وتعبئة الشعب ضد الإستعمار<sup>(1)</sup> انبعتت السلفية فى العصر الحديث لمواجهة الضلالات والغزو الأوروبى؛ وإنقاذ المسلمين مما تفسى فيهم من البدع والخرافات؛ فكانت رسالة السلفية الحديثة هى الإصلاح والتغيير، كما يتضح ذلك من الوهابية والسنوسية وأعمال الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الحميد بن باديس وعلال الفاسى وعدد لا يمكن حصره من رجال الإصلاح الذين؛ لم يفرقوا بين البعث الإسلامى والتعبئة السياسية لمقاومة الاحتلال الأجنبى والغزو الفكرى<sup>(1)</sup> .

والجدير بالذكر أنّ الأستاذ محمد عابد الجابرى، يؤكّد إيجابية الدور الذى لعبته الحركة الوهابية فى المغرب و ينفي وجود ثنائية الفكر "السلفية والليبيرالية"؛ و يرى أنّ الفكر السلفى هو الذى كان مسيطراً وحده على عقلية النخبة المغربية؛ وذلك لعدم احتواء المغرب على الأقلية المسيحية، وكان أفراد البعثات الموجهة إلى أوربا من المغرب من مدنيين وعسكريين ، يعودون إلى المغرب ليندمجوا مرة أخرى فى نفس البيئة الفكرية والاجتماعية التى تركوها فى المغرب<sup>(2)</sup>، إلا أنّ المؤكّد أن هذه النخبة السلفية المغربية كان يغلب على عقليتها معتقد "القضاء والقدر" فى تفسير مظاهر التقدم فى أوربا، أو تبرير التخلف فى المغرب، إضافة إلى ذلك نجد النظام فى المغرب يعارض بشدّة

1- محمد الكتانى، السلفية إشكالية المفهوم والممارسة ، ندوة الحركة السلفية فى المغرب العربى، مطبوعات جمعية المحيط الثقافية، ط1، المغرب، 1989، ص 86 .

2- مسعود طيبى ، المشروع .. مرجع سابق، ص، 23

ويضطهد الأفكار المناوئة للملكية الشريفة، بحيث لا يسمع بالخروج عن عُرف (تقاليد التسليم للسلطنة الشريفة، وإرادة أمير المؤمنين))<sup>(1)</sup> .

إلا أنّ علال، كشف عن حقيقة فلسفته السياسية والفكر الحر الذي ينادي به؛ من خلال وضع حدودا حمراء تعطي الحصانة الكاملة والأبدية لولي الأمر والقصر عموما، وتجّرم من دونهما من "الأهالي" أو أعضاء المجالس الشكلية والمحدودية الصلاحية، ((جلالة الملك هو ولي الأمر في القضاء و في الحكم. و كما أن القاضي منفّذ للقانون بالنيابة عن الملك، و لكنه هو الذي يتحمل مسؤولية الأحكام التي يميضيها، كذلك يجب أن يكون الوزراء منفّذين لشؤون الدولة باسم جلالته؛ ولكن على شرط أن يتحمّلوا مسؤولية ما يمضونه من أعمال أمام جلالته بصفته ولي الأمر، وأمام المجالس النيابية يوم يتم تحقيق ما نصبو إليه من نظام دستوري متين، بعد الإستقلال طبعاً))<sup>(2)</sup> .

ويؤكّد علال الفاسي أن الإيمان عند المسلمين؛ لا يجب أن يبقى إعتقادا باطنيا فحسب، لكنه لا بد أن يشمل التصرفات و الأعمال ، فالتصوّر الذي يعتبر الدين مسألة شخصية، و نسير في الحياة وفقا لإرادتنا واختياراتنا، اعتبر ذلك من الإستعمار الفكري، بينما اختياراتهم تبقى ضمن دائرة الدين و مقاييسه، التي لا يمكننا أن نخرج عنها، إلا إذا قرّرنا مع أنفسنا التخلّي عن عقيدة الإسلام والتديّن به<sup>(3)</sup> .

إنّ علال الفاسي في عرضه و تساؤله عن واجبنا كمسلمين تجاه الإسلام، سواء كنا أفرادا أو جماعات، و يضع هويتنا على المحك، (( أنّ الإسلام لا يطلب منا الإكتفاء بالعقيدة، بل يطلب منا عدم الإكتفاء، فعمل الإنسان هو ثمرة لاعتقاده، وعلامة عليه.. فالإيمان قول و فعل و اعتقاد. فهل تتصوّر أمة تزعم الإيمان والإسلام، ثم تعلن الكفر أو تعمل بمراسيم الإلحاد؟ إذا كانت هنالك أمة على هذه الصفة فهي لا تعتبر أمة إسلام))<sup>(4)</sup>

1- مسعود طيبي، المرجع نفسه، ص، 25.

2- علال الفاسي، النّقد الذاتي، ط 8، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999، ص، 127 .

3- علال الفاسي، دفاع عن الشريعة، "ط1"، دار الكلمة للنشر و التوزيع، القاهرة، 2014، ص 50 .

4- علال الفاسي، دفاع .. المصدر نفسه، ص، 50 .

ولم يستطع علال الفاسي أن يتصور الدين الإسلامي منفصلا عن حياة و معاملات المسلمين في إطار ما يعرف بفصل الدين عن الدولة، كما لم يستصغ كيف لممثل الأمة الإسلامية ونائبها، وزيرا كان أو ملك أو رئيس جمهورية، يدبر أمورها بغير الشرع<sup>(1)</sup>. هذه العبارات الأخيرة، من المعاني التي تعبر عن القدر المباشر في شخص الملك، الذي لا يحكم بالشرعية، والتلميحات الوحيدة تقريبا التي عثرنا عليها ضمن كتاباته الفكرية والسياسة التي تأخذ هذا طابع الإصلاح السياسي المباشر.

#### 1-4- ليبيا :

كان الإتجاه السلفي في ليبيا تمثله الحركة السنوسية بجدارة من خلال المبادئ التي دعا إليها الإمام محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية، الذي يعتبر رائد من رواد مدرسة الإصلاح الإسلامي في شمال إفريقيا، عمل على نشر الإسلام الصحيح، ومحاربة البدع، والخرافات، والشعوذة بأنواعها وأشكالها التي ألصقت بالإسلام في عصوره المتأخرة<sup>(2)</sup>.

وكان أول ما قام به السنوسي لما استقرّ بليبيا، هو إرشاد قبائل برقة بداية إلى كتاب الله وسنة رسوله "ص"، وبتّ دعوته الإصلاحية السلفية عبر الزوايا التي أنشأها<sup>(3)</sup>، ثم استقرّ في واحة جغبوب، وأسس هناك زاوية له كانت المركز الرئيسي للدعوة، حيث انتقلت منها إلى باقي المنطقة خاصة في الصحراء حيث أقيمت عدة زوايا كان أشهرها ما أقيم في الكفرة<sup>(4)</sup>.

ثم جاء من بعد السنوسي ابنه الشريف؛ الذي واصل منهج أبيه في تبليغ وحي الله إلى الناس وتعرفهم به، و نشر أصول الإسلام، و تفسير نصوص القرآن والسنة تفسيراً لمنهج السلف، وجمع الناس على الإسلام و مبادئه وأخلاقه مع الإستعداد للأخطار التي تواجه

1- علال الفاسي، المصدر نفسه، ص 59 .  
2- علي محمد الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا ، محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات ، مكتبة التابعين، القاهرة، 2001، ص، 08.  
3- علي محمد الصلابي، الحركة السنوسية .. المرجع نفسه، ص، ص، 62، 53 .  
4- محمود شاكر، ليبية، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، لبنان، 1972، ص، 37 .

الأمة الإسلامية من أعدائها<sup>(1)</sup>، كما كانت السنوسية على منهج السلف الصالح كمحاربة البدع والخرافات، كما تدعو إلى العقيدة السليمة التي تستند إلى الكتاب والسنة<sup>(2)</sup>، وانطوت دعوة السنوسي على نزعة نهضوية لما جعلت من الإجتهد والتسامح مع غير المسلمين، و إحياء فريضة الجهاد أهم مبادئها<sup>(3)</sup>.

### 1-2- الإتياء التغريبي الليبرالي العلماني :

إن لفظة العلمانية تبلورت بأوربا خلال عصر النهضة، و هي ترجمة غير دقيقة، وغير صحيحة لكلمة "secularism" في الإنجليزية، أو "secularite" أو "Laicité" أو اللاتينية بالفرنسية، و هي كلمة لاعتلاقة لها بلفظ العلم و مشتقاته، ومنه فإن كلمة "secularism" كما تعرفها دائرة المعارف البريطانية: أنها حركة اجتماعية، تهدف إلى صرف الناس، و توجيههم من الإهتمام بالآخرة، إلى الإهتمام بالدنيا وحدها، و استمر الإتياء إلى الـ "secularism" في تطور مستمر خلال العصر الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للمسيحية، و مضادة للدين بشكل عام، كما نجد في "معجم اكسفورد" نفس المعنى لكلمة "secular": دنيوي أو مادي، ليس دينيا أو روحيا مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية الحكومة المناقضة للكنيسة<sup>(4)</sup>.

إن اعتماد كلمة علماني أو مدني في العصر الحديث للتعبير عن كل أمر غير ديني وللتعبير عن عزل الدين عن الدولة و حياة المجتمع، وبالتالي هما لفظتين تستعملان للتغطية عن الأمر اللاديني، ولأنهما أقل إثارة من من كلمة "لا ديني".

وقد ازدهرت الأفكار الليبرالية في عصر التنوير في أوربا، فكان شقها السياسي يدعو إلى احترام الحريات الفردية والعامة و مساواة المواطنين أمام القانون والفصل بين السلطات وسيادة الشعب في اختيار حكامه و ممثليه بواسطة الإنتخابات؛ إلا أن شقها

1- علي محمد الصلابي، الحركة السنوسية .. المرجع نفسه، ص، 72.

2- محمود شاكر، لبينة .. مرجع سابق، ص، 37

3- فقيحي محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة (1157-1364هـ/ 1745-1945م)، تحت إشراف، بوغوفالة ودان، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015، ص، 239.

4- محمد شيخاني، التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام ، ط1، دار قتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2008، ص. 243، 243، انظر كذلك : يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجهها لوجه، ط7، مطبعة المدني، القاهرة، 1977، ص، 43.



الإقتصادي بينتلخص في مقولة الإقتصادي الإنجليزي آدم سميث Adam Smith "1723-1790م" ("دعه يعمل اتركه يمر")<sup>(1)</sup>.

وعادة ما كان دعاة التبعية والتقليد للغرب كانوا يسمون أنفسهم "المجددين"، وتسمى حركتهم حركة التجدد أو التجديد، و كانت المعركة الفكرية بين دعاة الجديد و دعاة القديم على أشدها في تركيا والمشرق والمغرب العربيين<sup>(2)</sup>، و رهن "نهضته" بالأخذ من الغرب واقتفاء خطاه في مجالات العلم و الصناعة والسياسة و الثقافة<sup>(3)</sup>...

و وصل ببعض التغريبيين إلى أقصى تطرفه - وهو سلامة موسى- لما قال: ((أنا إذا أخلصنا النية مع الإنجليز قد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم، وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية، فإننا نقضي على مراكز الرجعية في مصر و ننتهي منها، فلنولّ وجهنا شطر أوروبا))<sup>(4)</sup>، بينما صدح آخر وهو جميل معلوف "1879-1951م" بما هو أجراً من ذلك من خلال قوله: ((إنّ خلاص الشرق يتوقف على تفرنج الشّرقيين بكل معنى الكلمة))<sup>(5)</sup>.

وفي ذلك يقول الأفغاني في مجلة العروة الوثقى: ((إنّ المقلّدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الأعداء إليها،..و يصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبيين، وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب...))<sup>(6)</sup>.

1- رابح لونيبي، مرجع سابق، ص، 21.

2- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة .. مرجع سابق، ص، 30.

3- محمد عابد الجابري، المشروع .. مرجع سابق، ص، 87.

4- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة .. مرجع سابق، ص، 42.

5- يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص، 43.

6- محمد الصالح الصديق، الإجتهد والتجديد .. مرجع سابق، ص، 160.

2-1- الجزائر :

لقد انتقلت الأفكار إلى الجزائر بشكل عام خلال الإحتلال الفرنسي للجزائر، و إن أشار شارل أندري جوليان إلى أن حمدان خوجة كان مطلعاً على هذه المبادئ حيث أوردتها في النسخة الأصلية للمرأة، و يعتبر لونيبي أن الحاكم العام الفرنسي في الجزائر جول فيري هو واضع أسس الجمهورية واللائكية في الجزائر و هو الناقل الرئيسي للأفكار الليبرالية و مبادئ الثورة الفرنسية إلى الجزائر (1) .

فكان فرحات عباس وغيره من خريجي المدرسة الفرنسية في الجزائر يتحدثون باعتزاز عن مبادئ الجمهورية والديمقراطية التي جاءت بها الثورة الفرنسية سنة 1789م، ويروجون للفكر القومي الذي جاء ضمن نظرية "الرغبة في العيش المشترك" (2) التي جاء بها الفيلسوف الفرنسي أرست رينان "1823-1892م" .

بينما صنف آخر من الليبراليين الجزائريين اعتبروا بعيدي الصلة بالإسلام، بحيث طالبوا بالإندماج التام في فرنسا ثقافياً، وانخرط الكثير منهم في الأحزاب الفرنسية بالجزائر، وكانت لهم مجلة يعبرون من خلالها على أفكارهم و طروحاتهم تسمى "صوت المستضعفين" La voix des humbles " و كان شعار هذه المجلة عند تأسيسها من قبل رابح زناتي عام 1922م (( بعيدون عن الأحزاب، بعيدون عن العقائد، من أجل ترقية الأهالي عن طريق الثقافة الفرنسية )) (3) .

وكان من أبرز ممثلي الإتجاه الليبرالي البعيد الصلة بالإسلام نسبياً نجد محند السعيد لشاني، و طاهرات وآيت قاسي و بن حاج، لكن أبرز ممثليه على الإطلاق - كما يقول لونيبي- هما سعيد فاسي و رابح زناتي، وألف كل منهما كتباً يطرحون فيها أساليب تحقيق الإندماج الثقافي في فرنسا، فقد كتب سعيد فاسي عام 1936م ضمن كتاب، دعوته الصريحة للإندماج في فرنسا، و يعتبر بعض الأعيان الجزائريين و كأنهم نبلاء فرنسا في

1- رابح لونيبي، مرجع سابق، ص، ص، 22، 23.

2- رابح لونيبي، المرجع نفسه، ص، 22.

3- رابح لونيبي، نفسه، ص، 30 .

أواخر القرن 18م، و يتهجم على علماء الدين الذين يسعون لتقوية الدين في النفوس، ويشبّههم برجال الكنيسة في فرنسا قبل الثورة الفرنسية 1789م، بينما يعترف الفاسي في إحدى مذكراته بالمأزق الذي وقع فيه المتجنّسون، فهم مرفوضون من الأهالي، و لم تقبلهم فرنسا في مجتمعا(1) .

فأي خسارة و أي نكبة أكبر لما نجد مسلما - من أبوين مسلمين، و أجداد عريقين في الإسلام، و يتسمّى باسم محمد وأحمد و عبد الله و عبد الرحمان، و غير ذلك ممّا حمّد وعبّد من الأسماء، و مع ذلك يتتكرّون للإسلام، و ينظرون إليه من خلال نظرة الأوربيين في عصر التّوير إلى المسيحية والكنيسة و رجال الكهنوت(2) .

## 2-2- تونس :

يشير المستشرق الفرنسي "هانوتو" بشأن نجاح فرنسا في فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية في تونس ، و قال: ((إنها قد استطاعت أن تحقّق هذا الانقلاب العظيم بلباقة و حذق و دون أن تثير ضجيجا أو تدمّرا، فتوطدت دعائم السلطة المدنية من غير أن يلحق بالدين مساس(!) و تسرّبت الأفكار الأوربية بين السكان بدون أن يتألّم منها إيمان المحمدي - أي المسلم- و بذلك انفصل الحبل بين هذا البلد و البلاد الإسلامية الأخرى، الشديدة الإتصال بعضها ببعض)) (3) .

ومن بين المحسوبين على التيار العلماني التّغريبي في تونس؛ نجد الحبيب بورقيبة، لما خلت الساحة السيّاسة من العناصر القوية الفاعله بعد تشريدهم و نفيهم؛ منهم محمد الناصر، و عبد العزيز الثعالبي، حدّدت المعارضة تنظيم نفسها سنة 1933م، التي أسّست جريدة "L'Action tunisienne" أو "العمل التونسي" التي كان بورقيبة أبرز عناصرها، سرعان ما انسحب بورقيبة من اللّجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري، واجتمع المنشقون في قصر هلال بتونس و تم الإعلان عن تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد، و عيّن

1- رابح لونيبي، نفسه، ص، 31.

2- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة .. مرجع سابق، ص، 355.

3- يوسف القرضاوي، المرجع نفسه، ص، 53.

محمود الماطري رئيس له، و بورقيبة كاتباً عاماً، ثم رئيساً جديداً له بعد مدة وجيزة، فكان من الأساليب الجديد لبورقيبة السعي لإستمالة الفرنسيين، وتنظيم زيارات إلى باريس<sup>(1)</sup> .

وبورقيبة هو واحد من التونسيين المتخرجين من الكليات والمعاهد الفرنسية، قد ساروا على النهج العلماني، وحرّضوا التونسيين على أشقائهم في الحزب الدستوري القديم أنصار عبد العزيز الثعالبي والطرح العربي الإسلامي، وهذا ما سيدفع بالمقيم العام الفرنسي "بيروتون" إلى استدعاء بورقيبة وجماعته؛ بحيث أخبرهم بمنحهم رخصة لتأسيس جريدتين بالعربية والفرنسية للتعبير عن أفكارهم والترويج لأطروحاتهم التغيريية<sup>(2)</sup> .

وكان الحبيب بورقيبة هو السبب الذي حمل فرحات حشاد على الإنفصال عن الجامعة النقابية العالمية ( F.S.M ) ذات النزعة الشيوعية والإنخراط في الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة ( C.I.S.L ) التي تضم نقابات أمريكية كبيرة، كما قام بورقيبة بالإرتقاء في أحضان فرنسا منذ البداية؛ بقبول التفاوض مع الفرنسيين، وعدم احترامه للإلتزام والتعهد الذي قطعه مع الجزائريين والمغاربة القاضي بعدم الدخول في مفاوضات منفصلة مع الفرنسيين<sup>(3)</sup> .

وفي باريس أمضى بورقيبة اتفاقاً مع الفرنسيين في 03 جوان 1955م؛ يقضي بنيل تونس استقلالها الداخلي، مع الإحتفاظ بعلاقات اقتصادية وثقافية ممتازة مع فرنسا، و كان الأمين العام لبورقيبة في الحزب صالح بن يوسف من أشد المعارضين لهذا الإتفاق متّهما بورقيبة بالخيانة ومطالباً بمواصلة الكفاح إلى الحصول على الإستقلال التام، واتهم بورقيبة بالكفر و بأنه<sup>(4)</sup> (( عميل الغرب وعدو العروبة والإسلام )) .

1- غيلان طه التكريتي، الحركة الوطنية التونسية ما بين الحربين 1918-1939م، من موقع طلبة التاريخ بتلمسان، <http://studentshistory13.com/> تاريخ التصفح . 2017/12/23. انظر كذلك:

- أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تعريب حمادي الساطي، ط1، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، 1986، ص، 611.

2- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، د.ط، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، 2002، ص، 15، 16.

3- أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر.. مرجع سابق، ص، 610، 619.

4- أحمد القصاب، المرجع نفسه، ص، 654.

واستطاع الغزو الثقافي أن يُعلم قادة وزعماء الأحزاب السياسية، كما تعلمت الأفكار والمشاعر، فحُصر الدين في المساجد، وشاعت الأفكار المضلّة مثل: ((الدين لله والوطن للجميع))، و أنّ الدين لا شأن له بالسياسة، و أنّ الدولة لاعلاقة لها بالدين .

### 2-3- المغرب :

في المغرب الأقصى تبدو فيه التشكيلات الحزبية والتكتلات السياسية؛ محتشمة ومتأخرة نسبيا عن نشاط و مساعي التكتلات المغاربية الأخرى، قد يعود ذلك إلى العمل الجهادي لمقاومة عمر المختار الذي أخذ بزمام المبادرة في مواجهة الإستعمار إلى مطلع ثلاثينات القرن العشرين؛ بحيث بدأت القوى والزعامات الوطنية تتلمس لنفسها مواقع سياسية علّها تواكب متطلبات المرحلة الجديدة .

### 2-4- ليبيا :

لم يكن للتيار التغريبي في ليبيا أي بروز؛ باعتبار خصوصيات ليبيا المحافظة والتي كانت تمر بمرحلة خطيرة ودقيقة منذ احتلالها من طرف إيطاليا، فكانت القوى الوطنية الليبية، والسنوسية كلها مجنّدة منذ سنة 1912م؛ وكأنها في خندق واحد أمام تحديات المشروع الإستصالي التغريبي الإستعماري لإيطاليا .

والجدير بالذكر أنّ المنقّفين الليبيين كان معظمهم في المنفى، إلا أنهم عقب الحرب العالمية الثانية، و وقوع ليبيا تحت نفوذ الحلفاء؛ تقاطر هؤلاء على بلادهم أملا في المشاركة في صناعة مستقبل ليبيا، من بينهم عمر منصور الذي وضع اقتراحات بخصوص مستقبل الوضع في بنغازي ضمن مقال في جريدة بنغازي، حيث نادى بحكم ذاتي تحت إمارة إدريس السنوسي بمشاركة مجلس منتخب، مع إقامة تحالف مع بريطانيا العظمى .

### 3- الإتجاه القومي الإشتراكي العلماني :

إنّ من نتائج الفكر العلماني، الثقافة العلمانية التي بثّها وخلفها الإستعمار الغربي في فكرنا العربي، فظهرت النزعة الوطنية القوميّة، ليس بمعنى أن يحب الإنسان وطنه

ويهتم بأمره . أو يحبّ قومه، فالأمر هنا ضروري، و يطلبه الدين، و لكن المعنى هنا أن يصبح ولاء المسلم لرقعة معيّنة من الأرض أو لجنس من الناس، و بالتالي تقديم الشأن الوطني و القومي، على الشأن الديني والإسلامي، فالتفكير الإسلامي، و الحس الإسلامي، لا يعرفان الإقليمية و لا العنصرية بحال من الأحوال<sup>(1)</sup> .

ويقول الشيخ القرضاوي: رأينا كيف نادى الأتراك بقومية طورانية، والعرب - في بلاد الشام- بقومية عربية، و انتهى الأمر باقتتال العنصرين الإسلاميين - العربي والتركي- بحدّ السلاح، و الرسول(ص) يوصي المسلمين قائلا: (( لا ترجعوا بعدي كفّارا يضرب بعضكم رقاب بعض))<sup>(2)</sup>، كما قال أيضا: (( إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار))<sup>(3)</sup> .

إن الإشتراكية ليست بالفكر أو التيار الواحد والمتكامل بل هي تيارات و مدارس متعدّدة، تناقض بعضها بعضا، من مثالية إلى علمية، و من إصلاحية إلى علمية، و كذا المدرسة الماركسيّة ليست تجربة واحدة من الناحية العلمية، ولا تيارا واحدا من الناحية النظرية.. و تفنقر إلى مجرد تعريف دقيق<sup>(4)</sup> .

ويذهب "ح.أز هوبسون" في كتابه عن "الإمبريالية" إلى أنّ الغموض واستحالة التعريف الدقيق يمتد إلى كل المفاهيم العقائدية الحديثة التي تنتهي بـ(ism)، و الإشتراكية في طليعة هذه المفاهيم الغامضة لأنها أنواع و ألوان كثيرة، و لكنّها جميعا تمثل "النزعة الجماعية" في مقابل "النزعة الفردية" في الليبرالية، و تدعو إلى رفع "الظلم الإجتماعي" وهذا هو موضع الإغراء<sup>(5)</sup>، كما جعل الإتجاه القومي الوحدة العربية هدف في ذاته ووسيلة للتحرر والتقدم<sup>(6)</sup> .

1- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة .. مرجع سابق،ص،ص،58،59.

2- رواه مسلم، انظر: القرضاوي، المرجع نفسه،ص،61.

3- رواه الشيخان و الترمذي و النسائي، نفسه.

4- يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجهها لوجه، ط7، مطبعة المدني، القاهرة، 1977،ص،166.

5- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة .. مرجع سابق،ص،161.

6- محمد عابد الجابري، المشروع .. مرجع سابق،ص،87.

ولمّا كانت الحالة العربية متميّزة بخصائصها القومية في الفكر الثقافي- السوسيولوجي - العربي، و بقدر ما كان الإلتناء القومي نزوعاً عاطفياً، و ردّ فعل على واقع الصراع من الشمال على الجنوب، و بين الشرق والغرب، والصراع الداخلي بدعوى استكمال المسيرة الثورية، وعدم الإنحياز لأي معسكر، ومناهضة القوى الرجعية والإمبريالية ..، كان كل ذلك وغيره غاية تبرر للحكام الأفراد بالسلطة، وإعلان الأحكام العرفية بقوانين إستثنائية تجيز حشر المعارضة في السجون؛ والقيام بالإغتيالات السّياسية، بحيث يصبح مطلب الديمقراطية وسيادة القانون؛ خيانة عظمى وانتهاكاً للأمن القومي، فبحجّة قدسية "الإختيار الشعبي" الذي لا رجعة فيه رُهنت شعوب الأقطار العربية طيلة الخمسين سنة وأكثر؛ للتخلف الإجماعي، وأخضعت للقهر والكبت السياسي، وأغرقت في المثلث الأسود المحرّم في كل الأعراف الدولية والشرائع السماوية من جهل وبطالة، وأمراض (1) .

### 3-1- الجزائر :

الجزائر واحدة من البلدان المغاربية التي تسرّب إليها الفكر الشيوعي و الإشتراكي منذ عشرينات القرن العشرين، عن طريق بعض أعضاء حزب نجم شمال إفريقيا الذين كانوا ضمن الحزب الشيوعي الفرنسي الأم، فكانت الأفكار التروتسكية والستالينية قد غلبت على فكر نخبة هذا الحزب؛ من أمثال حاج علي عبد القادر، عمار عيماش، معروف محمد، بوعلام سيد أحمد وعمار أوزقان<sup>(2)</sup>، وغيرهم، و كان نجم شمال إفريقيا يضمّ مجلسه الإداري 17 ماركسيا من بين 27 عضواً، و كان مصالي الحاج نفسه قد اتهمه المركزيون بأنه (( أصبح سجين التروتسكيين ))<sup>(3)</sup> .

1- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي و مستقبل المجتمع المدني في ليبيا، ج1، برنيق للطباعة والنشر، ليبيا، 2008، ص، 275 .  
2- \*عمار أوزقان ( 1910-1981م): أبعد عن الحزب الشيوعي عام 1944م ، فألف كتابه ( الجهاد الأفضل) الذي هو عبارة عن نقد لاذع للشيوعيين في الجزائر ، و قد أصبح من المتعاطفين مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ عام 1952م ، و قد أصبح أوزقان من الكتاب البارزين في مجلة " الشاب المسلم " التابعة لشباب جمعية العلماء .انظر :

- رابح لونيبي، مرجع سابق، ص، 54.

3- رابح لونيبي، المرجع نفسه، ص، 48، 49 .

وكان الإعلان عن ميلاد الحزب الشيوعي الجزائري بعد عقد مؤتمره التأسيسي يومي 17 و18 أكتوبر 1936م بالجزائر العاصمة، فكانت فلسفة ومرجعية هذا الحزب مستمدة كما قال قاداته من ثلاث مرجعيات وهي: النموذج الستاليني الممثل في الإتحاد السوفياتي وأفكار الثورة الفرنسية، إضافة إلى الأفكار والقيم الوطنية الجزائرية<sup>(1)</sup>. وتبنّت الجزائر النظام الإشتراكي كإختيار "استراتيجي" لتحقيق العدالة الإجتماعية والتنمية الإقتصادية في البلاد<sup>(2)</sup>؛ وهذا من خلال ما قرّره القادة العسكريين والمدنيين في مؤتمر طرابلس الغرب سنة 1962م؛ في غياب أية استشارة أو مشاركة شعبية في هذا الإختيار. ويشير أركان إلى أنّ الشيوعيين اهتموا الشريحة الإجتماعية الجزائرية والتي كانت أصلا تترشح تحت القهر الإستعماري؛ لأنها في نظرهم (محافظة ومتعصبة دينيا)<sup>(3)</sup>.

وكانت للشيوعيين الجزائريين عدة صحف ومجلات منها "Lutte Social" و"Liberté"، إلا أن أهم صحفهم على الإطلاق هي "Alger Républicain" وقد برز فيها بعض المثقفين الشيوعيين والذين سيتصدّرون طليعة الفكر والثقافة لدى النظام السياسي الذي سيستلم مقاليد الحكم في الجزائر المستقلة. منهم عبد الحميد بن الزين وكاتب ياسين و الروائي محمد الذيب الذي تأثر بالطروحات الماركسية، و مالك حداد الذي كان عضوا في الحزب الشيوعي الجزائري، لكن ما يميّز هؤلاء هو ارتباطهم بالفكر الشيوعي والحدائثة العلمانية التغريبية، ورفضهم للممارسات الإستعمارية اللاإنسانية<sup>(4)</sup>.

1- رابح لونيبي، نفسه، ص، 52.  
2- يؤكد محمد أركون و هو المفكر العالمي المحسوب على التيار العلماني، أنّ حركة التحرر الوطني السياسية استطاعت أن تحوّل لصالحها القوة التعبوية و التحبشية الهائلة للإسلام، في الوقت الذي حافظت فيه على قشرة سطحية من التوجّه العلماني التحديثي الإشتراكي. انظر:  
- نغم محمد صالح، الحركات الإسلامية في المغرب العربي (المغرب-تونس- الجزائر)، دراسة لدورها السياسي في ظل التحولات الديمقراطية، ط1. الجنان للنشر والتوزيع، دم. ط، 2010، ص، 51.  
3- رابح لونيبي، مرجع سابق، ص، 55.  
4- رابح لونيبي، نفسه، ص، 55، 56.



وأخذت الإشتراكية الجزائرية كما الإشتراكيات العربية من المدرسة الشيوعية الماركسية في المجال السياسي: فكرة الحزب السياسي الوحيد أو "الحزب الطلائعي"، الذي تتبناه الدولة، و لم تسمح لأي تجمع غيره بالمعارضة، أو بممارسة أي نشاط سياسي<sup>(1)</sup>.

### 3-2- تونس :

تأسس الحزب الشيوعي في تونس سنة 1924م، و تمّ بعث منظمة نقابية تونسية سنة 1924م تحمل اسم " جامعة عموم العَملة التونسيين " كأول منظمة نقابية بمبادرة من رجال في العالم الثالث، منهم محمد علي الحامي<sup>(2)</sup>، الذي كان مناضلا وطنيا من الطراز الأول، وقد كان متطوعا في حرب طرابلس ضد الغزاة الطليان يقود سيارة الهلال الأحمر التونسي لنقل المال والمواد الغذائية والأدوية للمجاهدين الليبيين<sup>(3)</sup>.

ولمّا تمّ القبض ذات مرة على الزعيم النقابي التونسي علي الحامي زعيم (C.G.T.T) من قبل الشرطة الفرنسية، سأله مدير الشرطة الذي قائلا: ((..علمت أنك اجتمعت بالعمال وكنت تستعمل الدين و تقرأ لهم آياته من القرآن لتهيجهم. وهذا يدل على أنّ حركتكم دينية))، فأجاب الحامي: (( إنّ الأمر على خلاف ما تقول يا سيدي المدير فحركتنا نقابية أممية لا دخل للدين فيها ..))<sup>(4)</sup>.

واستطاع التيار الإشتراكي أن يجنّد في صفوفه العنصر النسوي منذ العشرينات، وكان من بينهن المناضلة "منوبية المورتاني"، وهي إشتراكية مسلمة تجرأت على إلقاء محاضرة و هي سافرة في موضوع "حقوق المرأة" سنة 1924م، واهتمت الصحافة بهذا

1- يوسف القرضاوي ، الحلول المستوردة .. مرجع سابق،ص،168.

2-\* محمد علي الحامي (1890-1928م) : هو بن المختار الغفاري ، ولد في القصر من حامة قابس بتونس ، مسقط الطاهر الحداد ورفيقه في النضال النقابي ، اعتبر الحامي رائد النضال الإجتماعي الوطني التونسي، كما شارك في الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي سنة 1911م ، ثم انتقل إلى ألمانيا حيث تمكّن من الإلتحاق بإحدى الجامعات الشعبية الحرة: جامعة homboldt ببرلين تخصص الإقتصاد السياسي ، و رجع الحامي إلى تونس بشكل نهائي سنة 1924م، و انشغل بقضايا العمال التونسيين ، فأسس أول منظمة نقابية تونسية مستقلة عرفت باسم ( جامعة عموم العَملة التونسيين.C.G.T.T) في 03/12/1924م ، فكان رئيسا لها ، بينما الطاهر الحداد مشرفا على لجنة المراقبة ، فأظهر الحزب الشيوعي التونسي مساندة كبيرة لهذه النقابة ، إلا أنّ السلطات الفرنسية سارعت إلى سجن الحامي و المختار العبادي و آخرين مع ممثل الحزب الشيوعي في تونس ، و هو السيد " فيندوري " ، بتهمة التأمّر على أمن الدولة ، فحكمت عليهم السلطات بالنفي إلى الخارج ، و ظل الحامي ينتقل من بلد إلى آخر حتى توفي في حادث مرور بالسعودية سنة 1928م .انظر:

- الموسوعة التونسية المفتوحة ، محمد علي الحامي ، على الموقع: <http://www.mawsouaa.tn/> . تاريخ التصفح: 2017/12/02 .  
3- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956، ط، دار المعرف للطباعة و النشر، تونس، 1990، ص، 186،

4- الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص، 193.

الحدث بين مُشيد ومستنكر، كما تكرر بنفس السلوك مع مناضلة إشتراكية أخرى و هي "حبيبة المنشاري"<sup>(1)</sup> .

وفي عام 1937م أعيد بعث "الجامعة النقابية للعمال التونسيين" على يد المناضل بلقاسم القناوي، لكن السلطات الإستعمارية سرعان ما أصدرت أوامرها بغلقها ومنع العمل النقابي، فشردت وصفت السلطات الإستعمارية أغلب النقابيين البارزين، منهم حسن النوري الذي مات جراء العذاب الذي لقيه في سجون الجزائر<sup>(2)</sup> .

وفي عام 1944م برز فرحات حشاد<sup>(3)</sup>، كواحد من المتقنين النقابيين التونسيين، وشرع في بعث نقابة تونسية مستقلة و جديدة، خاصة مع نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث كان الشعب التونسي يعيش أوضاعا مزرية، وتركز نشاطه في مدينة قفصة حيث عمال المناجم، تم مدينة صفاقس أين بعث نقابة "إتحاد النقابات المستقلة لعمال الجنوب"، وذلك خلال شهر نوفمبر سنة 1944م، وانتخب فرحات حشاد أمينا عاما لها، و قدم الإتحاد نضالات مريرة ضد الإستعمار الفرنسي، من بينها إضراب 05 أوت 1947م بصفاقس الذي كانت مطالبه وطنية واجتماعية ذات طابع إقتصادي وسياسي حيث استشهد إثره 27 عاملا<sup>(4)</sup> .

و في سنة 1953م، بعد اغتيال " اليد الحمراء" فرحات حشاد سنة 1952م، تولّى أحمد بن صالح قيادة الحركة النقابية التونسية، وسار بها في نفس الطريق الذي سار عليه محمد الحامي و فرحات حشاد محافظا على لونها الأحمر و طابعها اليساري .

1- الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، ط1، دارالكتاب المصري، القاهرة، دارالكتاب اللبناني، بيروت، 2011م، ص، 26.

2- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية .. مرجع سابق، ص، 195.

3- فرحات حشاد ( 1914 - 1952م ) : ولد في جزيرة فرنقة، و ترعرع في وسط عائلة متوسطة الحال ، فكان والده صياد سمك، و لم يتمكن من مواصلة تحصيله الدراسي ، إلا أنه - كما يصفه أصدقاؤه- وُلد مناضلا و قائدا بالفطرة ، تبنى و آمن بنظرية ( إنه لا يمكن المناداة بتحرير العمال في وطن مستعبد"، تلقى تكوينه النقابي على يد الإشتراكيين ، فكان رمزا للإرتباط بين العمل النقابي و النضال الوطني ، و زعيما ميدانيا في إطار الإشتراكية، أسس عام 1946م الإتحاد العام التونسي للشغل ، و أصبح القائد الفعلي للحركة الوطنية في تونس، إلا أن " الكف الحمراء" تمكنت من النيل منه ، و يسقط شهيدا يوم 05 ديسمبر 1952م .انظر:

- المجلة، مجلة العرب الدولية، موضوع : فرحات حشاد زعيم العمل النقابي في تونس، على الموقع : <http://arb.majalla.com> / تاريخ التصفّح: 2017/12/02م .

4- فرحات حشاد زعيم العمل النقابي في تونس، على الموقع : <http://arb.majalla.com> / تاريخ التصفّح: 2017/12/02م .

### 3-3- المغرب :

لم يعرف المغرب الأقصى تأسيس تنظيم حزبي شيوعي أو اشتراكي مبكراً؛ عكس الجزائر وتونس، بحيث تأسس فرع للحزب الشيوعي الفرنسي في المغرب في بداية الأربعينات من القرن العشرين، على يد مجموعة من الشيوعيين العالميين ذوي الأصول الأوربية، بينما كان المغاربية فيه كأقلية، ويعتبر كأول حزب يساري في المغرب، وكسب صبغته المغربية عام 1946م لما تولّى أمانته العامة "علي يعنة"، ثم دعم الحزب بإطارات وطنية مغربية، و رغم طابعه الأجنبي الدخيل؛ إلا أنه اعتبر من ضمن الأحزاب التي ساهمت في تعبئة الطبقة العاملة من خلال "الإتحاد العام للنقابات الموحدة في المغرب" لمناهضة الوجود الفرنسي في المغرب، كما أنشأ "منظمة الهلال الأسود" للكفاح المسلح ضد الإستعمار، ثم تعرّض الحزب للمنع سنة 1952م من قبل السلطات الإستعمارية<sup>(1)</sup>.

### 3-4- ليبيا :

لقد شهدت ليبيا هي الأخرى عقب الحرب العالمية الأولى تحولات سياسية متسارعة، وتوسع عسكري إستعماري متعدّد الجنسيات، وسعيه نحو التطويع الجبري للسكان، وتحقيق أهداف التغريب الفكري و الإجتماعي .

و لم تُعدم ليبيا من رجالها الوطنيين الذين سعوا إلى إيقاظها مع ازدياد الوعي الوطني، والنضال السياسي والعسكري ضد القوات الإيطالية، وكانت معظم القوى السياسية الليبية في المنفى؛ تتخذ من بلاد المهجر خاصة مصر كركيزة لها لدعم القوى السياسية والعسكرية في ليبيا، و هذا ما سيؤثر بشكل بارز على ظهور تيارات قومية واشتراكية على الساحة السياسية الليبية .

1- رشيد طلحة، تاريخ اليسار في المغرب، مجلة " الحوار المتمدن"، مقال " علي يعنة الشيوعي الأخير"، العدد 19، 2008/09/2409، على موقع : <http://www.alhewar.org> ، تاريخ التصفح 2017/12/01.

ومن أبرز الأحزاب السياسية المحسوبة على التيار القومي الإشتراكي؛ نجد "حزب الكتلة الوطنية الحرة" الذي تأسس سنة 1946م، و هو حزب سياسي وطني ذو توجهات قومية عروبية، أسسه علي الفقيه حسن، و حدّدت الكتلة أهدافها في النقاط التالية<sup>(1)</sup> :

- تحقيق الوحدة الليبية .

- إستقلال ليبيا التّام .

- الإنضمام إلى جامعة الدول العربية .

بينما حزب "الإتحاد المصري الطرابلسي" الذي تأسس في 16 ديسمبر 1946م من قبل علي رجب و يوسف المشيرقي، فإننا نجد زعيما هذا الحزب قد تأثرا خلال وجودهما في القاهرة بأحلام الثورة العربية الكبرى، و زخم القومية العربية في المشرق العربي، فأسس علي رجب حزب "الإتحاد المصري الطرابلسي" في 16 ديسمبر 1946م، ومما صرّح به علي رجب قوله : ((..ما دام في طرابلس شعب عربي تربطه بمصر وحدة التاريخ والعقيدة والجنس والجوار والثّقافة والعادات والمصالح المشتركة..، فمن الذي سيقوى على منع قيام إتحاد بين هذين البلدين الشّقيين والقطرين المتلاصقين - مصر و طرابلس- و هو إتحاد يتوقّف عليه سلامة كيان كل من هما، واستقرار الحياة في ربوعهما..))<sup>(2)</sup> .

وفي زخم تزايد أحلام القوميين العرب في مصر و ليبيا ، حدّد الحزب أهدافه في

النقاط التالية :

1- توحيد ليبيا تحت التّاج المصري .

2- الدّفاع عن فلسطين .

3- الوقوف أمام عودة الإيطاليين إلى ليبيا .

1- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي .. مرجع سابق، ص، 209.

2- ابراهيم فتحي عميش، المرجع نفسه، ص، 220 .

وعلى الرغم من من أن دعوة الحزب لم تجد استجابة عملية وتأييدا رسميا سياسيا، إلا أنها لاقت رواجا شعبيا عبّر بوضوح عن آمال تداعب نفوس العرب في الوحدة القومية في مواجهة أطماع الإمبريالية العالمية والصهيونية المغتصبة لفلسطين العربية<sup>(1)</sup>.

بينما حزب العمال الطرابلسي الذي تأسس في 01 سبتمبر 1947م من طرف بشير بن حمزة، حيث اعتبر هذا الحزب هو أول تجمع يزاوج في مرحلة النضال الوطني بين العمل السياسي والعمل النقابي في ليبيا، و يعبر عن مصالح الطبقة العاملة ويدافع عنها ضمن التوجه الإشتراكي<sup>(2)</sup>.

إلا أن إبراهيم عميش يرى؛ أنه لا ينكر حركة اليسار الإشتراكي في عمومها العربي وخاصيته الليبية، حيث اتسقت في مرحلتها مع ثورة حركات التحرر ضد الإمبريالية والإستعمار والرأسمالية العالمية<sup>(3)</sup>.

#### 4- الإتجاه السلفي "الإخواني" :

إن حركة الإصلاح الإسلامية التي تمتد جذورها من حركة ابن تيمية، مرورا بحركة محمد بن عبد الوهاب، التي صاغ مفاهيمها جمال الدين و محمد عبده و رشيد رضا،<sup>(4)</sup> قامت على إعادة تأكيد حقيقة الإسلام الفريدة الكاملة، و كانت إصلاحية تجديدية، لأنها استهدفت إحياء ما كانت تعتبره العناصر المهملة في التراث الإسلامي<sup>(4)</sup>، إلا أن عملية الإحياء هذه تبلورت تحت تأثير الفكر الليبرالي الأوربي<sup>(5)</sup> المد التحديثي والتغريبي المستلب الذي عرفته البلاد العربية تحت التأثير المزدوج للإستعمار المباشر والنخب التي تكوّنت في أوربا<sup>(5)</sup>.

1- ابراهيم فتحي عميش، المرجع السابق، ص، 212.

2- ابراهيم فتحي عميش، نفسه، ص، 234.

3- ابراهيم فتحي عميش، نفسه، ص، 243.

4- ألبرت حوراني، مرجع سابق، ص، 410.

5- عبدالمجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1991، ص، 205.

وقد أعطت هذه النخب تفسيراً جديداً للمفاهيم الإسلامية التقليدية بغية جعلها معادلة للفكر الفلسفي الأوربي<sup>(1)</sup>، فتحوّل "عمران" ابن خلدون تدريجياً إلى "تمدن" المؤرخ الفرنسي غيزو، و"مصلحة" الفقهاء المالكيين وابن تيمية إلى "منفعة" الإقتصادي الإنجليزي جون ستيوارت مل، و "إجماع" الفقه الإسلامي إلى "الرأي العام" في النظرية الديمقراطية، و"أهل الحل والعقد" إلى أعضاء المجالس النيابية<sup>(2)</sup>.

ولعب الإخوان المسلمون<sup>(3)</sup> دوراً مهماً في السياسة المصرية خلال فترت 1945م وسنة 1954م، ثم كفوا عن نشاطهم العلني بعد قمع حركتهم في 1954م<sup>(4)</sup> من قبل الرئيس جمال عبد الناصر "1918-1970م" ذو التوجه اليساري وأبسهم تهمة خدمة المصالح الرجعية والأصولية و العصبية و صفة الإرهاب<sup>(5)</sup> لأنه رأى فيهم أكبر منافس سياسي له، بحيث تطلّع الإخوان إلى مجتمع إسلامي أوسع من التفكير القومي، وتبنوا نظرة رشيد رضا العامة<sup>(6)</sup>.

ويعتبر الإتجاه السلفي الإخواني<sup>(7)</sup> من السابق لأوانه تناوله في المغرب العربي خلال خلال مطلع ثلاثينات القرن العشرين،<sup>(8)</sup> لم يتم تصميم جماعة الإخوان المسلمين من

1- تعود قضية الإحياء الديني في مصر و العالم الإسلامي ، إلى طبيعة التحدي الذي واجهه العالم الإسلامي في القرنين الأخيرين ، بفعل ثقل التخلف ، و ذهول العالم الإسلامي من تفوق الغرب ، بدء من حملة نابليون على مصر ، و انتشار الإرساليات التبشيرية في ربوعه و قوى الإستعمار الغربي في ربوعه .. للمزيد انظر:

- أحمد محمد جاد عبد الرزاق، فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، ج1، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1995ص.ص. 415..417 .

2- ألبرت حوراني، مرجع سابق ص411 .

3- جماعة إسلامية تصف نفسها أنها " إصلاحية شاملة" أسسها الشيخ حسن البنا (1906- 1949م ) سنة 1928م ، تهدف حركتهم إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة اليومية، وإعادة الحكم الإسلامي في ظل تشتت الأمة الإسلامية ، و وقوعها تحت نير الإستعمار الإنجليزي و الفرنسي و الإيطالي ، و تحديات الغزو الفكري الأوربي لبلاد المسلمين ، كان حسن البنا المرشد الأول للجماعة ، و رئيس تحرير أول جريدة أصدرتها الجماعة ، جريدة " الإخوان المسلمون ) الأسبوعية سنة 1933م . شارك الإخوان في حرب فلسطين عام 1948م ، حيث دخلوا بقوات خاصة بهم ، و في نفس السنة أصدر رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي في 8 ديسمبر 1948م قراراً بحل الحركة ، و اعتقال عدد كبير من قادتها و أعضائها و مصادرة ممتلكاتهم ، بعد اتهام للجماعة بتشكيل تنظيم سري مسلح ، و المسؤولية عن عدد من حوادث الإغتيال و التفجير ، و في 28 من نفس الشهر اغتيل النقراشي و وجهت أصابع الإتهام في اغتياله للإخوان الذين رفضوا التهمة ، و بعد أقل من شهرين في 12 فبراير 1949م ، اغتيل مرشد الإخوان حسن البنا ، و بعد قيام ثورة الضباط الأحرار بمصر في 23 جوان 1952م ، و توليهم السلطة ، و رغم الصلة التي كانت بين الإخوان و الضباط الأحرار قبل الثورة و في بدايتها ، فإن الرئيس جمال عبد الناصر اختلف معهم و حل جماعة الإخوان عام 1954م ، و اعتقل عدد كبير من أعضائها بينهم المرشد العام حسن الهضيبي الذي اعتقل في نفس السنة ، و سيد قطب الذي ظل في السجن عشر سنوات ثم حكم عليه بالإعدام عام 1965م انظر:

<http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/> -

4- ألبرت حوراني، مرجع سابق ص429 .

5- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص ، 144 .

6- ألبرت حوراني، مرجع سابق. ص ، 429 .

7- لقد أدرك الإنجليز خطورة ما يدعو إليه حسن البنا، خاصة لما انتشرت حركة الإخوان بشكل واسع في الوسط الشعبي المصري ، و أبلغت السلطات البريطانية رئيس الوزراء المصري حسين سري باشا رغبتها في الحد من نشاطها، فصدر قرار بنقل حسن البنا إلى قنا ، ثم ألقى القبض عليه، و بدأت المحنة الأولى للإخوان على يد حسين سري ، فصارت الحكومة مجاتي "التعارف" و "الشعاع" كما صدرت مجلة المنار، و أغلقت مطبعتهم ، و حرمت على الجرائد أن تذكر شيئاً عنهم. انظر:

بدايتها لتكون مجرد جمعية دينية.. بل إنها كمنظمة شاملة تنطوي على نشاطات اجتماعية وسياسية وتربوية وحتى رياضة<sup>(1)</sup> .

و باعتبار حداثة تأسيس جماعة الإخوان المسلمين من قبل حسن البنا سنة 1928م، أي مع ظهور النشاط الإصلاحى والسياسى المغاربي بشكل عام، إلا أن السلفية الإصلاحية المغاربية تتقاطع مع السلفية الإخوانية في أفكار محمد عبده وتلميذه رشيد رضا كواحد من مرجعياتها، و جاء هذا الإتجاه لخدمة مشروع أوسع لأجل البعث والإصلاح المجتمعيين<sup>(2)</sup> .

وجاء تشكيل الإخوان المسلمين كرد فعل على إسقاط الخلافة من جهة، و كدعوة إلى إستعادة حرية واستقلال وسيادة الأمة وإعادة بنائها من جديد لتتسلك طريقها بين الأمم وتتافس غيرها في درجة الكمال الإجتماعي<sup>(3)</sup>، إضافة إلى نضح الإصلاحية الإسلامية، وتبلور فكرها السياسى الإحيائي، كبديل عن غياب "الفقه السياسى الإسلامى العملى" فى مواجهة التحديات السياسية للإستعمار، و "اغتراب" الفكر السياسى للأحزاب الوطنية .

و كان الجابري ينتقد الإتجاه السلفى "التقليدى" الذى بقى يكرّر نفسه ولا يراوح مكانه، لأنه لم يهتد إلى الحسم فى مسألة أساسية بقيت قائمة منذ الخلفاء الراشدين، و هى مسألة العلاقة بين الدين والسياسة<sup>(4)</sup>، وأكدها علي عبد الرازق بقوله: ((الرسالة غير المُلْك))<sup>(5)</sup> أواخر عشرينات القرن العشرين، فإنّ الإتجاه السلفى الإخوانى حسم الأمر منذ تأسيسه سنة 1928م، و دخل السّاحة فى الوقت المناسب كبديل، لأنّ (( الإخوان توسّعوا فى الطرح الشمولى للإسلام واعتباره دين و دولة))<sup>(6)</sup>، و قدرة حركتهم - كما قال ابن نبي - على (( تحويل المسلم إلى إنسان فعّال))<sup>(7)</sup> .

- أحمد محمد جاد عبد الرازق، فلسفة المشروع الحضارى .. مرجع سابق، ص.ص. 472..473 .  
 1- فيلدمان، سقوط الدولة الإسلامية ونهوضها، ترجمة الطاهر بوساحية، ط1، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، 2014، ص.ص. 139 .  
 2- فيلدمان، مرجع سابق، ص.ص. 139 .  
 3- سعود المولى، الإخوان وسيد قطب، ط1، دار المشرق، القاهرة، 2017، ص.ص. 89 .  
 4- محمد عابد الجابري، المشروع .. مرجع سابق، ص.ص. 87، 88 .  
 5- عبد الإله بلقزيز، العرب والحداثة .. مرجع سابق، ص.ص. 139 .  
 6- رابح لونيسي، المرجع نفسه، ص.ص. 77 .  
 7- رابح لونيسي، نفسه، ص.ص. 88 .

واستطاعت حركة الإخوان المسلمين أن تنتشر بسرعة في عموم مصر، إلى خارجها عبر الشام والعراق..، بفعل ما كان يتمتع به حسن البنا من "كاريزما"، وطبيعة فلسفته الدعوية، و قدرته على صياغة مقاربة تعكس رؤيته للدين الإسلامي المرن، القادر على مواكبة واحتواء تحديات الحضارة الغربية، مع تبني هموم المسلمين وتطلعاتهم .

ويُعتبر تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في مصر على يد البنا تحولا تاريخيا مهماً في مسيرة الفكر الإسلامي؛ الذي انتقل من الشكل الفقهي المؤسسي، والجمعي الدعوي، إلى طور من النضالية والتنسيب المباشر، عُرف لاحقاً بالحركة الإسلامية، فولادة جماعة الإخوان المسلمين كانت في صلب ظهورها ردّ فعل على غياب النظام السياسي الإسلامي، وتتويجا عمليا ذا منحى نضالي لدفاعات الفكر منذ عصر النهضة الإسلامي ضد الفكر "التجريبي" (1)، كما اعتبر البنا فصل الدين عن السياسة أنه (( أولّ الوهن وأصل الفساد )) (2).

وخلال إحدى الندوات اليهودية الخاصة بمستقبل إسرائيل، قال "البروفيسور موشيه شارون": (( إنّ الجهود الأولى التي بذلت منذ أكثر من نصف قرن بواسطة علماء الدين المسلمين؛ من أمثال مفتي فلسطين الأسبق الشيخ الحسيني، والشيخ حسن البنا في مصر؛ وغيرهم من العلماء المسلمين، والتي ما زالت، حتى الآن، كان لها تأثير في كسب العالم الإسلامي إلى جانب العرب الفلسطينيين باسم الإسلام و باسم حماية الأماكن المقدسة الإسلامية )) (3).

وأكد موشي دايان في أكثر من مناسبة أنّ عدوّه الأول هو الإخوان المسلمون، وأنه لن يطمئن على مستقبل إسرائيل إلا إذا تمّ القضاء عليهم (4).

كما كان مصير "الجماعة" التي تبنت قضية فلسطين في مصر، و رفعت شعار "الجهاد في سبيل الله" لتحرير الأرض المقدسة، وقدمت صفوة أبنائها للمعركة الفاصلة مع اليهود، إلا أن مصيرها كان الحل والتكليف والتعذيب والمصادرة (1).

1- أنور أبو طه، مازق الدولة بين الإسلاميين والعلمانيين، ط1، جسر للترجمة و النشر، لبنان، 2017، ص، ص، 177، 178..  
 2- عبدالمجيد الشرفي، الإسلام .. مرجع سابق، ص، 205.  
 3- يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية .. مرجع سابق، ص، 202.  
 4- يوسف القرضاوي، المرجع نفسه، ص، 199.



ومال مالك بن نبي إلى الظن أن بوسع الإخوان المسلمين إمداد الإسلام بهذه العقيدة التي تجعل من الإنسان المسلم؛ متحررا من الإعتقاد بالقوى الخارقة والأوهام، و (( مولدا للفضائل الإنسانية ))<sup>(2)</sup>، وأن ((أمل ابن نبي يبقى معقودا عليها - حركة الإخوان المسلمين- لأن البذور التي استودعت التربة ستؤتي أكلها يوما))<sup>(3)</sup>.

كما نوّه ابن نبي بشخصية البنا التي تختلف كثيرا عما عرفه من المفكرين والعلماء المسلمين منها و تأثيرا في الساحة الإسلامية، و كان يرى لحركته مستقبلا زاهرا، لأنها شاملة لجميع ميادين الحياة<sup>(4)</sup>.

بينما الكاتب التونسي محمود مسعودي "1911-2004م" شدد على حاجة الإنسان اليوم إلى مثل هذه العقيدة في الإنسان، و يرى أن القومية الجديدة التي تبناها الفكر العربي خلال العصر المعاصر ترفض و تتجاهل العقيدة في الإنسان، وأن حرية الإنسان تتعدى حدود كل تسيير اجتماعي واقتصادي<sup>(5)</sup>.

وكان علال الفاسي يرى: (( أن الحزب الوحيد الذي كان قد أنتهج النهج الغربي في التنظيم والتوجيه في مصر، هو حزب الإخوان المسلمين الذي حلّ أخيرا،..فهذا الحزب استطاع أن يجدد الأسلوب العملي في الحياة المصرية.. و ظلّ الحزب شعبيا حتى أغضب عليه القائمين بالحكم والمهيمنين على الأحزاب، فاتهم بأشياء نعتقد أنه بريء منها، و بعيد أن تلتصق برجاله ))<sup>(6)</sup>.

كما كتب الشيخ سحنون، وهو واحد من أبرز أعضاء (ج.ع.م.ج) مقالا في جريدة "البصائر"، أشاد فيه بدور البنا الكبير للإصلاح الإسلامي ومحاربة الإستعمار، و تأسف لإغتياله حيث لم يكمل بناء مشروعه النهضوي<sup>(7)</sup>.

1- يوسف القرضاوي، الحلول المستوردة .. مرجع سابق، ص، 105.

2- ألبرت حوراني، مرجع سابق. ص 444.

3- عبد اللطيف عيادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص 97.

4- مولود عويمر، أعلام و قضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط1، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، 2007، ص، 48.

5- ألبرت حوراني، مرجع سابق. ص 445.

6- علال الفاسي، النّقد .. مصدر سابق، ص، 136.

7- مولود عويمر، أعلام و قضايا .. مرجع سابق، ص 48.

ومنه فإنّ الإخوان المسلمون اعتبروا أنّ حلّ إشكاليات نهضة الأمة؛ أنّها تبدأ أولاً بإحياء الدّين في قلوب الناس و حملهم على العمل بأحكامه في حياتهم، كما يقرّر إرساله عند تناول أسباب رقيّ الأمة الإسلامية، أنّها كانت دائماً تعود في مجملها إلى الديانة الإسلامية، تماماً ما يراه برهان غيلون ضمن قوله: (( كانت الشريعة تلعب كعامل توازن بين المصالح المختلفة ))<sup>(1)</sup>، وإن أراد المسلمون أن يبلغوا مبالغ الأوربيين واليابانيين من العلم والإرتقاء، فعليهم أن يبعثوا العزائم التي حثّ عليها الإسلام، تماماً كما كانت نظرة محمد عبده؛ التي يرى فيها أنّ إصلاح الدين وحده يؤدي إلى تنوير ونهضة المسلمين<sup>(2)</sup>.

#### 4-1- الجزائر:

إذا بحثنا في العلاقة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و بقيّة التّطبيقات الإسلامية عبر العالم، نجده علاقتها وطيدة بشكل كبير مع حركة الإخوان المسلمين، فالبشير الإبراهيمي لمّا كان في المشرق العربي كتب في مجلاتهم وصحفهم، كما ألقى محاضرات في نواديهم و مراكزهم، بينما اعتقد أنّ الفضيل الورثلاني<sup>(3)</sup> قد أصبح عضواً عضواً منخرطاً في حركة الإخوان المسلمين و يعمل على نشر أفكارها<sup>(4)</sup>.

وذكر الأستاذ لونيسي أنّ الطيّب العقبّي نشر سنة 1947م في جريدة الإصلاح التي يديرها؛ مقالا في ثلاث حلقات و كان على شكل مقال سياسي يعلن فيه عن تأسيس حزب جزائري جديد أطلق عليه اسم "حزب الوحدة الجزائرية" واعتبره صاحبه بديلاً عن الأحزاب الأخرى، والذي يميّز عنها بـ (( علو مطلبه و عزة شعاره و تفوق قانونه مع خلوه

1- برهان غيلون، الوعي الذاتي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992.  
2- رضوان زيادة، التنوير في عصر النهضة، مقال على موقع: مؤمنون بلا حدود ، تاريخ التصفح 2018/02/29/

3- الفضيل الورثلاني (1906-1959م) : ولد في قرية أنو ببني ورتلان بالشرق الجزائري، اتصل بالشيخ ابن باديس، مثل جمعية العلماء بباريس سنة 1936م، و في ظرف عامين فتح هناك العشرات من نوادي تعليم الفقه و اللغة العربية للمهاجرين، و بسبب مضايقات السلطات الفرنسية له وأنصار مصالي الحاج هاجر الورثلاني إلى مصر بمساعدة شكيب أرسلان سنة 1939م، و سهّلت الصلة الروحية بين جمعية العلماء والإخوان المسلمين بمصر، إتصال الورثلاني بهم و الغنظام إلى حركتهم، و أصبح عضواً بارزاً بها، و كان من أنشط أعضاء "قسم الإتصال بالعالم الإسلامي" التابع لهذه الحركة الإسلامية، وقد استخلف مرتين الشيخ حسن البنا في "حديث الثلاثاء"، و كتب في صفحات جريدة الدعوة التابعة لهم مواضيع عدة، كما شارك في الثورة اليمنية سنة 1948م، ثم لجأ سرا إلى لبنان، و عاد بعد ثورة 1952 إلى مصر، و طارده مخابرات الضباط الأحرار هو و الإبراهيمي، كما حضر المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس سنة 1953م و ألقى خطاباً مؤثراً، توفي الورثلاني بمرض في تركيا، و قامت جمعية "عباد الرحمان" بجمع مقالات الورثلاني في كتاب و نشرته في بيروت سنة 1956م تحت عنوان "الجزائر الثائرة" .. انظر:

- مولود عويمر، اعلام و قضايا .. مرجع سابق، ص.ص. 139.. 143.

4- راجع لونيسي، مرجع سابق، ص. 77.

من مساوىء غيره لأنه نسخة من حزب الإخوان المسلمين ولأنه الأول من نوعه في الجزائر))<sup>(1)</sup>.

وبهذا و من خلال البيان، يكون تنظيم الإخوان المسلمين قد تأسس رسميا في الجزائر، واعتبار الطيب العقبي المحسوب على الإتجاه الوهابي قد أعاد ضبط اتجاهه نحو السلفية الإخوانية التي اعتقد أنها " الأكثر تفوقا " من التنظيمات الأخرى حسب البيان الذي أصدره، و نعتقد أن فترة ما بعد مجازر 8 ماي 1945م كما غيرت من قناعات واتجاهات السياسيين الوطنيين الآخرين، كما غيرت من قناعات السلفية الوطنية كذلك، إلا أن سعد الله يرى (( أن بعض علماء الجمعية كالعقبي والإبراهيمي، قد دخلت عن طريقهم مبادئ الإخوان المسلمين دون أن يكونوا أتباعا لهم ))<sup>(2)</sup>.

ويعتبر الأستاذ لونيبي أن الشيخ البشير الإبراهيمي هو الآخر قد تخفى وراء تنظيم "حزب الوحدة الجزائرية" ليمارس العمل السياسي من خلاله لإبقاء جمعية العلماء بعيدة عن شبهة ممارسة السياسة، ومما قاله الإبراهيمي بهذا الصدد (( إذا كان المجال الديني هو الوظيفة الحقيقية لجمعية العلماء، إلا أنه من غير المستبعد اهتمامها بالمسائل السياسية، فجمعية العلماء لا تحجم عن أداء واجبها حيالها ببرنامج خاص ومستقل عن أية هيئة، ويلتزم هذا البرنامج بثلاثية: الإسلام - العلم - الشخصية الجزائرية ))<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من اختفاء " حزب الوحدة الإسلامية " من الساحة، إلا أن ذلك (( لم يمنع من وجود بوادر لأفكار إخوانية في بعض المجالات والصحف خاصة "الشباب المسلم" و"البصائر" التابعة لجمعية العلماء. و يحسّ القارئ العارف بالإخوان المسلمين أن هناك رائحة إخوانية في بعض كتابات المنار التابعة للحركة من أجل الإنتصار للحريات

1- رابح لونيبي، المرجع نفسه، ص، 78.

2- أبو القاسم سعد الله، مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830-1954 "دراسة مركزة على الجزائر" مجلة الثقافة، العدد، 79، يناير، فبراير، 1984، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 89.

3- رابح لونيبي، مرجع سابق، ص، 79.

الديمقراطية خاصة في أعدادها الأخيرة، و قد نشرت في عددها الأخير مقالا كاملا لحسن البنا<sup>(1)</sup>.

وممن كان يكتب في صحيفة المنار الجزائرية نجد الشهيد بلقاسم زدور<sup>(2)</sup> باسم مستعار هو "قاسم الجزائري"، كما كان ينشر مقالات في جريدة "الدعوة" للإخوان المسلمين في مصر، الأمر الذي ساعد على إصباح الطابع السلفي الإخواني<sup>(3)</sup> على الجريدة خاصة في أعدادها الأخيرة، و إن كان مركزي الحركة من أجل الإنتصار للحريات الديمقراطية من خريجي المدرسة الفرنسية بشكل عام<sup>(4)</sup>.

#### 4-2- المغرب :

على الرغم من الطابع التقليدي والمحافظ الذي يبدو عليه المجتمع المغربي، إلا أن اتجاهات الحركة الوطنية المغربية كانت متعددة المشارب، ومتفتحة على التجارب والتيارات الأخرى، و مما يجدر ذكره في هذا الإطار أن علال الفاسي الذي طرح نفسه كزعيم لما سماه بـ "الحركة السلفية الجديدة"، واحتكاكه بعناصر من جماعة الإخوان المسلمين في مصر، إلا أنه لم يبد أي إعجاب أو علاقة بهم بشكل أو بآخر، كما أنه لم يذكر لهذا الإتجاه أثر في المغرب الأقصى ضمن تشكيلات الحركة الوطنية المغربية بشكل واضح وصريح .

1- عن مقال " سؤال و جواب " جريدة " المنار " العدد 51، السنة الثالثة بتاريخ 1 جانفي 1954، الجزائر، انظر:

[https://archive.org/download/Manar\\_DZ/Manar\\_DZ.pdf](https://archive.org/download/Manar_DZ/Manar_DZ.pdf)

2- بلقاسم زدور (1923-1954م) : ابن الشيخ الطيب المهاجي عضو جمعية العلماء ، كان عضوا في MTLD و لجنة اتحاد المغرب العربي ، و هو خريج الزيتونة ثم واصل دراسته في كلية دار العلوم بالقاهرة أين تحصل على شهادة ليسانس آداب عام 1953م ، و قد كانت له اتصالات بالجماعة التي حضرت للثورة المسلحة و الوفد الخارجي ، و قد دخل مباشرة في مهمة خاصة بعد إندلاع الثورة ليلقى عليه القبض مباشرة ، مما يعتقد أنه وُشي به للسلطات الفرنسية ، و قد ساعد كل من بن بلة و خيدر و آيت أحمد في ربط العلاقات بمختلف القوى و رجال الحكم في مصر بحكم معرفته بالواقع المصري ، انظر :

- H.Ait Ahmed, *Mémoire d'un combattant –l'espoire d'indépendance (1942-1952)* ed Bouchéne , Alger 1990, P : 227.

3- تلقت الثورة التحريرية الجزائرية الدعم من حركة الإخوان المسلمين ، فقد كان المستشار توفيق الشاوي سفير الإخوان لأوروبا والعالم الإسلامي اتصالات مع عدة قيادات من الثورة و على رأسهم محمد خيدر الذي اتهمه بن بلة بعد الإستقلال بأن له ميولات إخوانية. انظر:

- رابح لونيبي، الحداثة والديمقراطية .. مرجع سابق، ص، 80.

4- رابح لونيبي، المرجع نفسه، ص، 80.

4-3- ليبيا :

تعتبر ليبيا من أوائل البلدان العربية التي قصدتها جماعة الإخوان المسلمين بعد فلسطين والسودان في منتصف القرن العشرين، غير أن طبيعة المرحلة الدقيقة التي مرت بها جماعة الإخوان في ليبيا، جعل من الحصول على وثائق أو إصدارات توثق لهم، أو ترصد نشاطهم، فإن ذلك من الصعوبة بمكان، فتنظيم حركة الإخوان المسلمين في ليبيا له جذوره منذ بدايات نشأتها الأولى في مصر على يد حسن البنا، و منذ كان للطلبة الليبيين إحتكاك واتصال بحركات الإصلاح الديني بين جنبات الأزهر، وعلى صفحات الإصدارات الدينية، و لم يكن أنشطة الإخوان سرية أو يجرّمها القانون، بل كانت واحدة من الحركات الدعوية، والتوجّهات السياسية التي أفرزها واقع المجتمع العربي المسلم الباحث عن مخرج إنهاء دولة الخلافة الإسلامية، و تردّي المجتمعات الإسلامية في شتى الميادين<sup>(1)</sup>.

ويذكر ابراهيم عميش ضمن كتابه؛ رواية عن "دي كاندول" و هو الحاكم العسكري البريطاني لإقليم بنغازي، (( أن إتصالا قام به ثلاثة شبان بقصر الأمير إدريس السنوسي يطلبون مقابلته بصورة ملحة، وادّعوا أنهم لاجئون من مصر بعدما أتهموا "زورا" بالإشتراك في جريمة اغتيال النقراشي باشا...)) و لم يذكر أسماء هؤلاء الشبان الثلاثة<sup>(2)</sup>.

وهناك رواية أخرى أصدرها تقرير يتضمن رسدا لنشاط بعض الجماعات السياسية في ليبيا صادر عن القاهرة سنة 1964م، يبدو وكأنها مستقاة ممّا قاله الحاكم العسكري البريطاني " دي كاندول"، تقول هذه الرواية: (( بدأ نشاط الإخوان المسلمين بالظهور في ليبيا منذ عام 1949م عندما لجأ إليها ثلاثة من من الإخوان المصريين هم. " عزالدين إبراهيم و محمود يونس الشربيني و جلال الدين إبراهيم سعدة " حيث قاموا بالتمهيد للحركة ببث الدعوة لها بين صفوف الشعب الليبي، و قد ساعدهم في ذلك عمر باشا الكيخيا الذي كان يعمل حينئذ رئيسا لديوان الأمير إدريس السنوسي، واستطاعوا أن يكونوا

1- ابراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي .. مرجع سابق، ص، 267.

2- ابراهيم فتحي عميش، المرجع نفسه، ص، 268.

أول شعبة للإخوان في ليبيا تحت اسم: "هيئة الدعوة الإسلامية"، و يكمل "دي كاندول" روايته على لسان إدريس السنوسي له: ((...لقد استجاروا بي متوسلين باسم الواجب الإسلامي،..ولم أجد بُدّاً من إجابة طلبهم.. لقد أجرتهم وأمرت بإسكانهم في قصر المنار...)) (1) .

من خلال رواية دي كاندول والتقرير الصادر عن القاهرة، يبدو أن هناك تناغم أمني بينهما، مما يوحي بالتعاون الإستراتيجي الإستخباراتي بين الدول الإستعمارية ومستعمراتها في توظيف ملفات - حقيقية أو مصنعة - من أجل التعاون فيما يتعلق خصوصاً بإدارة العلاقات الثنائية وجعلها - دوماً - تصب في خانة "تأمين مصالح" الدول الكبرى .

ويكمل الحاكم العسكري واصفاً رد فعل الحكومة المصرية فيقول: ((..و سرعان ما جاء الرد المصري على تصرف الأمير.. ففي اليوم التالي مباشرة أغلقت الحدود المصرية مع برقة، كما ألقى القبض اثنين من الشخصيات السنوسية البارزة كانا يزوران مصر،.. وبعد ذلك طلبت الحكومة المصرية من حكومة بريطانيا تسليم الفارين رسمياً...)) (2) .

وقد كان الخطاب السياسي الديني لجماعة الإخوان المسلمين ينسجم مع الليبيين؛ لأن أكثر من 90% من سكان ليبيا مسلمون و يتبعون المذهب المالكي؛ و لم يكن لهم برنامج سري يسعى للإطاحة بالنظام الملكي في ليبيا، و كانت في ليبيا شخصيات إجتماعية، ورموز وطنية معروفة؛ يشار إليها بالبنان؛ أن هذا من جماعة الإخوان المسلمين، و كانوا يوصفون بالصفوة الصالحة.. و لم تكن قامت ثورة عبد الناصر بعد (3) .

وفي مقال نشرته جريدة "الوطن" لسان حال جمعية "عمرالمختار" في برقة بتاريخ 15 فبراير سنة 1949م؛ تنعى فيه مقتل الإمام حسن البنا كما تنعى النقراشي باشا في نفس المقال، الذي جاء فيه: ...ونحن لا يسمح لنا الموقف؛ و لعدة اعتبارات أن نبحت الأسباب الدافعة إلى الحادثتين الأليمتين و هي لاشك متضاربة لا متقاربة،...إلا أننا نسمح لأنفسنا

1- ابراهيم فتحي عميش، مرجع سابق، ص، 268.

2- ابراهيم فتحي عميش، المرجع نفسه، ص، 270.

3- ابراهيم فتحي عميش، نفسه، ص، 270.

أن ننظر إلى الواقع على ضوء الحالة التعسة التي يعانيها العرب هذه الآونة.. فنتساءل؛ أمن المصلحة أن يُقتل النقراشي الذي تحدّى الإنجليز و رفض مفاوضاتهم و إن أخذ عليه تكتمه و تربيته،.. أو أن يُصرع حسن البنا الذي أعدّ جيلاً مؤمناً بالدين على حقيقته... مستعداً للوطن بقوّته و إن تطرّف من أتباعه من تطرّف... نناشدكم الله والضمير يا فتیان مصر أن لا تتخذوا القتل وسيلة الإصلاح لقيادتكم<sup>(1)</sup>... (( وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ))<sup>(2)</sup> .

وقد قامت قوات الأمن والمخابرات بحملة اعتقالات ومطاردات استهدفه جماعة الإخوان في مصر و توجيه التهم لهم بتدبير محاولة اغتيال جمال عبد الناصر في مدينة الإسكندرية؛ فتمكن بعضهم من إخوانهم في ليبيا، و قد لقوا الترحيب من الملك إدريس، الأمر الذي مكّنهم من تكوين أول شعبة منظمة للإخوان المسلمين في ليبيا حيث مارسوا نشاطهم بصورة علنية حتى اليوم الخامس من شهر أكتوبر سنة 1954م حيث اغتال الشاب الشريف محيي الدين السنوسي ابن عم الملك إدريس السنوسي ناظر الخاصة الملكية إبراهيم الشلحي رمياً بالرصاص، و ترتب على ذلك أمرين مهمين وهما<sup>(3)</sup> :

- الأول: إصدار الملك مرسوم يحظر بموجبه على جميع أفراد العائلة السنوسية ممارسة السياسة و تقلد الوظائف الحكومية العامة .

- الثاني: صدور أمر بمنع جماعة الإخوان في ليبيا من ممارسة نشاطهم السياسي،... إثر شكوك بعلاقة القائل " الشريف محيي الدين السنوسي " بجماعة الإخوان المسلمين في ليبيا. وكانت مساعي حكومة جمال عبد الناصر تطالب الحكومة الليبية بتسليم عناصر من جماعة الإخوان،.. وفي كل مرة يعرض فيها الأمر على الملك إدريس، كان يرفض الطلب بحجة أن الدستور الليبي يمنع تسليم اللاجئين السياسيين<sup>(4)</sup> ..

1- إبراهيم فتحي عميش، نفسه 2008، ص، 271.

2- سورة الأنفال، الآية: 27، برواية ورش عن نافع .

3- إبراهيم فتحي عميش، مرجع سابق، ص، 273.

4- إبراهيم فتحي عميش، نفسه، ص، 273.

## 2- الخلافة والجامعة الإسلامية في فكر السلفية الإصلاحية المغاربية :

### 2-1- في الجزائر :

إن من أهتم بشأن الخلافة و تأسّف عند إغائها من قبل زعيم تركيا الجديدة "كمال أتاتورك"<sup>(1)</sup>، رجال الإصلاحية الإسلامية في الجزائر وبقية بلاد المغرب العربي كما في المشرق، فكان الشيخ عبد الحميد بن باديس واحد من هؤلاء، فهو الذي كان يطالع ويراقب واقع الأمة العربية والإسلامية و ما يحيط بها، وكان يتناول بقلمه قضايا الأمة التي تخص نضالها السياسي في ضل الإستعمار الأوربي الحديث، كما تناول قضايا الوحدة العربية كمرحلة أولى للوصول إلى الوحدة الإسلامية تحت راية الخلافة الإسلامية<sup>(2)</sup>.

### 2-1-1- الخلافة في الفكر الباديسي :

لقد عرف الشيخ عبد الحميد بن باديس الخلافة بقوله: (( الخلافة والإمامة العظمى وإمارة المؤمنين ألفاظ مترادفة على معنى واحد لا تخرج عبارات المتكلمين عليه من علماء الطوائف عما قاله العلامة المحقق سعد الدين القفتراني في مقاصده :هي أي الإمامة رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ))<sup>(3)</sup>.

لقد كانت الخلافة العثمانية تمثّل رمزا دينيا وسياسيا للمسلمين على الرغم من مظاهر الضعف والانتقادات التي وُجّهت إليها، و عند إغائها في 03 مارس 1924م وقع اضطراب كبير وحركات تنديد واحتجاجات واسعة وعُقدت مؤتمرات إسلامية بهذا الشأن، و كان ابن

\*1- مصطفى كمال" أتاتورك"(1881-1938م) ولد في سالونيك من أسرة متوسطة الحال شارك في الحرب التركية الإيطالية التي دارت في ليبيا (1911-1912م) و في سنة 1919م نزل بسيسمون أين نظّم المقاومة الوطنية و كان يشغل وقتئذ مرتبة مفتش الجيش التركي الثالث و في نفس السنة خرج عن طاعة السلطان ، فقام هذا الأخير بعزله سنة 1920م ، فعين كرئيس للمجلس من طرف الجمعية الوطنية الكبرى بأقرة في 19 سبتمبر 1921م ، و منحته الجمعية الوطنية لقب الغازي و رقي برتبة ماريشال و بذلك أصبح القائد الأعلى للقوات المسلحة . و في 1 نوفمبر 1922م ألغى السلطنة العثمانية ، و في 29 أكتوبر من نفس السنة يعلن قيام الجمهورية التي أصبح أول رئيس لها ، إلا أن اسمه بقي مرتبطا بإلغاء الخلافة في 3 مارس 1924م و في 1 نوفمبر 1927م أعيد انتخابه رئيسا للجمهورية ، و منحته الجمعية الوطنية لقب أتاتورك أي " أب الأتراك" ، توفي في 10 نوفمبر 1938م.انظر:

- بن خليف مالك،الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، أطروحة مطبوعة لنيل شهادة الدكتوراه، ط1، دار طليطلة.الجزائر 2019، ص.284.

2- بن خليف مالك،المرجع السابق،ص.267. انظر كذلك :

- عبدالمجيد الشرفي،الإسلام .. مرجع سابق،ص،215.

3- بن خليف مالك، مرجع سابق، ص.282.



باديس قد أصدر موقفه الواضح بشأن كمال أتاتورك، حيث شنَّ عليه حين أسقط الخلافة و تبرأ من الإسلام<sup>(1)</sup> .

ويقول ابن باديس بشأن الكماليين الذين استغلَّوا الإسلام وانخدع بهم المسلمين من خلال شعارات برقة<sup>(2)</sup> «فلئن والينا الكماليين بالأمس حيناً فلأنهم قاموا يذبون عن حمى الخلافة و ينتشلون أمة إسلامية عظيمة من مخالب الظالمين، و قد سمعناهم يقولون في دستورهم<sup>(3)</sup> «إنَّ دين الدولة الرسمي هو الإسلام، و لئن تبرأنا منهم اليوم وعاديناهم فلأنهم تبرؤوا من الدين و خلعوا خليفة المسلمين، فكانوا ممَّن عمل بعمل أهل الجنة حتى لم يبق بينه وبينها إلا ذراع فعمل بعمل أهل النار فكان من الخاسرين، وإنَّ الأمور بخواتيمها والعاقبة للمتقين<sup>(4)</sup>» .

لقد دعا الشيخ ابن باديس المسلمين إلى ترك ما أسماه "خيال الخلافة" الذي لن يتحقَّق في ظل تحكُّم القوى الإستعمارية في رقاب المسلمين شرقاً وغرباً، و اقترح عليهم - كبديل مرحلي- من خلال بعثه برسالة إلى شيخ الأزهر، والذي لم يتلقَّ منه جواباً بشأن تكوين هيئة علمية عالمية تتولَّى النظر في مصالح المسلمين وأطلق عليها اسم "جماعة المسلمين"<sup>(5)</sup> .

وبعد مرور أكثر من عقد من الزمان لما تولَّى الملك فاروق الحكم في مصر سنة 1938م، والذي صلى الجمعة في الأزهر برؤساء و ملوك الدول العربية، فقام بعض علماء الأزهر- كواحد من الذين اعتبرناهم من جماعة "مشيخة الحاكم المتغلب"- قام بترشيح الملك فاروق "1920-1956م" لمنصب الخلافة، واعتبر ذلك ابن باديس تهوِّراً واندفاعاً ابن باديس من خلال ما كتبه في جريدة الشهاب في ماي 1938م<sup>(6)</sup> و من هذا الإندفاع ما يتحدث به في مصر، فتردد صداه الصحف في الشرق و الغرب و تهتم له صحافة الإنجليز على الخصوص، يتحدثون في - في مصر وفي الأزهر- عن الخلافة

1- الخلافة سقطت في 24 مارس 1924م و مقال ابن باديس صدر يوم 28 مارس من نفس السنة في جريدة النجاح . انظر:  
- بن خليف مالك، مرجع سابق، ص، 293.  
2- بن خليف مالك، المرجع نفسه، ص، 292.  
3- بن خليف مالك، نفسه، ص، 309 .

وكأنهم لا يرون المعادل الإنجليزية الضاربة في ديارهم ولا يشاهدون دور الخمر والفجور المعترف بها في قانونها<sup>(1)</sup> .

وقطع ابن باديس الطريق على المتاجرين بالدين من "مشيخة السلاطين" و من ورائهم من السياسيين والحكام المستغلين للدين بقوله: «كفى غرورا وانخداعا أن الأمم الإسلامية اليوم حتى المستعبدة "المستعمرة" منها أصبحت لا تخدعها هذه التهاويل ولو جاءت من تحت الجبب والعمائم...»<sup>(2)</sup> .

## 2-2- تونس :

اهتم الشباب المثقف في تونس بالقضايا الوطنية والعالم الإسلامي من خلال تناول المواضيع المثارة في معظم الجرائد الصادرة حينها؛ كقضية الخلافة الإسلامية وما يتعلق بها من قضايا كالجامعة الإسلامية، وصراع السلطان عبد الحميد الثاني مع الإتحاديين العلمانيين الأتراك .

ويرى بعض الفرنسيين أن حركة الشباب التونسي خلال سنة 1908م قد برزت بشكل مخيف وثورى؛ من خلال جريدة "مرشد الأمة"، و"المشير" خاصة لما عاد حينها عبد العزيز الثعالبي من المشرق العربي و تركيا يحمل فكرة الجامعة الإسلامية، و كأن الفرنسيين والأوربيين على حد سواء و كأنهم أصيبوا بنوع من الهلع، و هذا العقيد بارون يصرح قائلاً سنة 1920: «إنّ الشّكل الذي عليه حركة الجامعة الإسلامية اليوم خطير بحيث أصبحت لها اتجاهات واقعية وأهداف عملية قابلة للإنجاز. تطمح في النهاية إلى عدم فائدة وجود الوصاية الأوربية على البلدان الإسلامية، وقد أصبح المسلمين بجميع طبقاتهم يؤمنون بذلك»<sup>(3)</sup> .

وكان إنتماء هؤلاء التونسيين الأحرار لفكرة الجامعة الإسلامية، دافعا قويا لهم عند وقوفهم صفا واحدا في أكتوبر 1911م ضد الإعتداءات الإيطالية على ليبيا كآخر معقل

1- بن خليف مالك، المرجع السابق، ص، 318.

2- بن خليف مالك، نفسه، ص، 319.

3- يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية .. مرجع سابق، ص، 44.43.

للخلافة العثمانية في المغرب العربي، بفعل تفاعل الصحف في تونس مع القضية الليبية<sup>(1)</sup>.

وقام الحزب الدستوري بنشر الدعاية لصالح الخلافة الإسلامية في ماي 1922م، وإثارة السخط الشعبي في الشمال والجنوب من تونس، واستنكر التدخل الفرنسي والإنجليزي في شؤون الخلافة العثمانية<sup>(2)</sup>، فكان من دعاة الخلافة والجامعة الإسلامية في تونس؛ محمد السنوسي، عبد العزيز الثعالبي، و علي باش حامبه الذي<sup>(3)</sup> اعتبر أن كل مسلم هو منتم بالضرورة إلى الجامعة الإسلامية<sup>(3)</sup>.

## 2-3- المغرب :

لقد اهتم المصلحون المغاربة بقضية الخلافة<sup>(4)</sup>، و اعتبروا صلاح أو فساد أي نظام؛ بمدى قربه أو بعده عن الخلافة، كما اعتبروها الوسيلة المثلى لبسط العدل وإشاعة الشورى، وعنوان الوحدة و قوة المسلمين وهدف النظم الراشدة .

ولمّا وجدت النخبة المغربية نفسها وجها لوجه أواخر القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين؛ أمام إشكالية القوة والهزيمة، فإنّ عديد الإصلاحيين، كاللجائي في كتابه "مقع الكفرة"، والفلاق في كتابه "تاج الملك المبتكر"، والسملالي في "عناية الإستعانة"، وأكنسوس في "الجيش العرمم"<sup>(5)</sup>.. وغيرهم، أكدوا كلّهم على أهمية الخلافة في حل أزمت المجتمعات الإسلامية والتصديّ للتحديات الإستعمارية .

واعتقد أن هذا المطلب- الخلافة- عند هؤلاء الإصلاحيين، ينمّ عن تفكير سليم؛ ونظرة متبصرة لواقع وتطلعات مستقبلية؛ المستقبل الإستعماري الذي دمّر المجتمعات

1- يوسف مناصرية، نفسه ص.44.

2- كان أول من تأثر بفكرة الجامعة الإسلامية في تونس هو محمد السنوسي (1850-1900م) و هو أديب و صحافي و مؤرخ تونسي، الذي درس في جامع الزيتونة على الشيخ سالم بوجاجب، و شارك في إصلاحات خير الدين، وقد تأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ، و كان من مؤسسي الجمعية السرية للعودة الوتفي بتونس ، و تأثر بزيارة محمد عبده لتونس سنة 1884-1885م، و عارض سلطة الحماية ، إلا أنّ فكرة الجامعة الإسلامية ظهرت بوضوح أكثر في شخص الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، و كانت ناضجة لديه منذ التسعينات حين كان يرأس الجرائد المصرية و عبّر عن ذلك في جريدته " سبيل الرشاد " . انظر:

- يوسف مناصرية، نفسه ص.ص.332..335.

3- يوسف مناصرية، نفسه ص.338.

4- الخلافة لغة: تعني من خلّف، نقول: فلانا خلفا و خلافة: جاء بعده، و الخلافة الإمارة و الإمامة و الخليفة: المستخلف، و نقول خلفه، جاء بعده. و الخلافة اصطلاحا: تعرّف بأنها (( النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في سياسة الدين و الدنيا وفق الشرع )) و الخليفة: السلطان الأعظم. انظر:

- بن خليف مالك، الفكر السياسي .. مرجع سابق، ص.ص.282،228.

5- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح .. مرجع سابق، ص.258 .

الإسلامية واستنزف ثرواته الإقتصادية والإجتماعية وفكك وحدته السياسية، المستقبل الذي لا يتحمل ثقله، و يقدر على استيعاب تحدياته العظمى والمتعددة، إلا هذا النوع من الأنظمة السياسية والجماهيرية المتماسكة والقوية، التي تحيا بنبض أوطانها، و تتحرك لأجل آلام وآمال أمتها .

وليس بالضرورة أن يكون هذا المطلب على شاكلة الخلافة الأولى؛ بشكلها وصفتها كما عرفها السلف الصالح والتابعين من بعدهم، أو كما هي في مخيال الإصلاحيين الحالمين، إنما دولة عصرية ذات نظام شوري وديمقراطي، مؤداه إحياء الهوية العربية والإسلامية، مع تعزيز ثوابت الأمة، مع الأخذ بكل أسباب الرقي والتطور والإستقلال السياسي والإقتصادي، مع قطع كل أسباب الفساد والنفوذ الأجنبي وأعوانه. مع إقامة علاقات دولية ندية على أساس الإحترام والتعاون، تحكمها مواثيق الشرعية الدولية المتزنة والمتكافئة .

إن علال الفاسي رغم أنه يطلق على خط الإصلاح الذي انتهجه بالسلفية الجديدة، إلا أنه لم يشر إلى قضية الخلافة كنظام بديل لدولة تروم الوثبة النهضوية، ولا إلى أي نظام سياسي معين، بل اختصر كل ذلك في "الإدارة"، ففي فصل "الفكر الإداري" في كتابه "النقد الذاتي" أشار إلى أن بدء النهضات الشعبية قد تغفل القيمة الحقيقية للتنظيم الإداري في الدولة، (( فالمسؤولية الوزارية والمجالس النيابية ليست كافية لتحقيق الحكم الشعبي أو المعاني الديمقراطية، بل لابد من إدارة منتظمة حسنة التنسيق ثابتة البناء))<sup>(1)</sup> .

ويختم الفاسي الفصل هذا بكيفية الفصول بحكمة عامة و بليغة، دون أن يسلب الضوء على خفايا القصر و زوايا المخزن في سبيل إحداث إصلاح سياسي شامل و متكامل، ((ألا إن كل نظام لا يقوم على العدل والحرية فهو فتنة، و كل إدارة لا تتبنى على إعتبار

المصلحة العامة فهي فوضى، و كل شعب لا يناضل من أجل العدل والحرية ولا يكافح لتعلو سيطرة الصالح العام فهو على فناء ((<sup>(1)</sup>).

## 2-4- ليبيا :

لمّا كانت ليبيا ولاية عثمانية، وعادت إلى الحكم المركزي المباشر من اسطنبول، منذ إنهاء حكم العائلة القرمانلية سنة 1835م، التي تولّت حكم ليبيا منذ 1711م، و لمّا كانت الحركة السنوسية مرتبطة، و موالية للسلطان والخلافة العثمانية، و اعتبرت ذلك من عرى الدين الواجب التمسك بها والقيام بالواجب نحوها .

وظلّ الليبيون على ولائهم للدولة العثمانية وسلطانها عبد الحميد باعتباره خليفة المسلمين، و رمز الدنيا والدين، والخلافة ملاذ المسلمين جميعا و درعهم الواقى ضد مساعي أوروبا للنيل من دينهم وحرّيتهم<sup>(2)</sup>، كما استفادت السنوسية من تجربة الوهابية فلم تعمل على محاربة الدولة العثمانية التي كانت لها السلطة الإسمية على المنطقة قبل انتشار الفكرة بشكل واسع<sup>(3)</sup> .

واستمرّ الليبيون على هذا الموقف، كما زعماء الحركة السنوسية وأتباعها، حتى قام حزب الإتحاد والترقي في تركيا بإبعاد السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908م، (( بحيث لم يطمئن أهل الولاية تجاه هذه الحركة، و قابلوها بالمعاداة والإستتكار، لِمَا عرفوه عن الإتحاديين من بعد عن الحكمة و مناهضة الدين ))<sup>(4)</sup>، كما يذكر كاكيا : (( أن الأهالي في ليبيا نظروا إلى الجمعية بغير عين الرضى، و كرهوا رجالها، لتدخلهم في مسائل العادات والدين، و عدّوا إعلان الدستور انتهاكا للشريعة الإسلامية ))<sup>(5)</sup>، كما (( اعتبر السنوسيون أنفسهم مساعدين للسلطان عبد الحميد في ترويجه لفكرة الجامعة الإسلامية ))<sup>(6)</sup> .

1- علال الفاسي، المصدر نفسه ، ص، 117 .  
2- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية لليبيا ، الإمام محمد علي السنوسي و منهجه في التأسيس..، ج1، ط1، مكتبة الصحابة الإمارات، مكتبة التابعين القاهرة، 2001، ص، 249.  
3- محمود شاكر، ليبية، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، لبنانو 1972، ص، 38 .  
4- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، ص، 250، 249.  
5- علي محمد الصلابي، المرجع نفسه، ص، 150.  
6- صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، د، ط، المطبعة الفنية الحديثة، معهد البحوث و الدراسات بالجامعة العربية، القاهرة، 1970، ص، 06 .

ويقول الصلابي أن زعماء الحركة السنوسية كانوا شديدي الولاء للدولة العثمانية وكذلك أعيان و زعماء المدن الليبية، و رأى زعماء الحركة السنوسية والليبيون عموماً عدم الخروج على الدولة العثمانية، و ولاية الأمور فيها ((ونرى طاعتهم طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة))<sup>(1)</sup>، وهذا دليل على شعورهم بواجبهم بضرورة الإخلاص للخلافة الإسلامية والمحافظة عليها من منطلق شرعي من فهمهم لقوله تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ))<sup>(2)</sup> .

### 3- المرأة عند الإتجاه السلفي المغاربي :

لم يغفل رجال النهضة الحديثة في الغرب العربي الكتابة في شأن المرأة<sup>(3)</sup> و ما يتعلّق بها، سعياً منهم للتأكيد على أهميتها و دورها في المجتمع الحديث، و رداً على شبهات الفكر الإستعماري الغربي الذي يتّهم الإسلام بامتهان المرأة، و من شايعه و سار في ركابه، و تبنى فكره، و رأى أنّ تحسين وضعها يكمن بالكلية في ضرورة التخلّي عن حجابها وهويّتها، و تحقيق ذاتها إقتداءً بالمرأة الأوروبية، و تبنى سيرتها في ترك البيت، وولوج زخم الحياة العصرية .

وكانت الصحافة في الجزائر قد تناولت موضوع المرأة، فهذه جريدة المغرب "Le Maghreb" التي كتبت سنة 1903م مقالا تحت عنوان "معامل النساء والبنات المسلمات" حيث حث فيه الكاتب المحسوب على النخبة المفرنسة على تشجيع هذه المعامل التي هي رمز (( انبعاث روح الحياة في طبقات الأمة الإسلامية و نهضتها من خمول طالما كان حاجزا بينها وبين الوسائل التي تساعد على تحسين حالتها العمومية و تضمن لها رغد العيش .. ))<sup>(4)</sup> .

1- علي محمد الصلابي، الثمار الزكية .. مرجع سابق، ص، 50.

2- سورة آل عمران، الآية: 103، برواية ورش عن نافع .

3- صدرت أول جريدة نسائية في بلاد الشام و هي " أنيس الجليس " في مطلع سنة 1898م لصاحبتها ألكسندرا ملتبادي، و أخذت المجلات النسائية تصدر تباعاً في مصر و بلاد الشام و أهمها : " العائلة " لأستير زهيري صدرت بالقاهرة سنة 1899م، و " المرأة " لأنيسة عطاء الله، في القاهرة سنة 1901م ، و " المرأة في الإسلام " لصاحبها إبراهيم رمزي، و مجلة "شجرة الدر" لصاحبها سعدية سعد الدين، سنة 1901م، و " فتاة الشرق " لصاحبها لبيبة هاشم ، مجلة نصف شهرية ، صدرت في القاهرة سنة 1907م ، و "الريحانة" لجميلة حافظ، صدرت في القاهرة عام 1907م، و "الجنس اللطيف" لمليكة سعد و صدرت سنة 1908م.. وغيرها من المجلات ، انظر:

- علي الحافظ، الإتجاهات الفكرية .. مرجع سابق، ص، 197 .

4- أميرة سنبل وأخريات، النساء العربيات في العشرينيات حضوراً وهوية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2010، ص، 368.

وفي سنة 1910م، صدر في صفحات جريدة كوكب إفريقيا، مقالة تحلّل تخوّف المجتمع من تعليم المرأة إذ ورد فيها: (( قد رسخت في عقول بعض الناس، إن لم نقل جلّهم، فكرة مفادها أنّ )) المرأة إذا تعلّمت أدى تعليمها إلى مضار شتى، فإنّها متى قدرت على تركيب جملة كتبت رسالة إلى زيد، أو بيت شعر لعمر و..))؛ إلا أنّ الكاتب يعقّب على ذلك بقوله أنّ ترك النساء في بحر الجهالة حكم مناقض لما أمر به الله و رسوله"ص" من أنّ العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة(1).

وظهرت في المغرب دعوات مبكرة لتعليم المرأة و ترقيتها؛ ولم تكن وليدة الظرفية الإستعمارية والنمط الأوربي التحرري الذي أخذ يناقش بحدّة في المجتمع الإسلامي، بل كان مبعثه تنامي الأفكار الإصلاحية التي برزت من خلال دعوات رواد النهضة في المغرب العربي .

### 3-1- الجزائر :

#### 3-1-1- رأي محمد بن العنابي:

يبدو محمد ابن العنابي في كتاباته تجاه المرأة متمسكا أكثر بالضوابط الإسلامية التي تحدد علاقة المرأة بالآخرين، وكانت هذه الكتابات ضمن فتاوى تخص المرأة، فكتب مفتيا في عورة المرأة و حدود حجابها الشرعي بقوله: (( إنه لا يجوز للمرأة أن تكشف للأجنبي سوى باطن كفيها و ما تحت الكعبين..ولا يمسّ وجهها و كفيها و إن كان يأمن من الشهوة لعدم الضرورة فيه إن كانت شابة لأن حكم اللّمس أغلظ من حكم النظر..، وإذا عرف هذا فلا يحل لامرأة تؤمن وإن كانت عجوزا فانية أن تكشف عضديها و ذراعيها وما أشبه ذلك لأجنبي أصلا ))(2) .

وحكم ابن العنابي على الفسقة المستحلّين لحرّامات الله، و ذكر أنّه ((من استحلّ الحرام القطعي الذي يعلمه كل أحد من أهل الإسلام فإنه يصير كافرا))، و هذا لما تعرّض للدرأويش المتكشفة الذين ادّعوا (( مواخاة المرأة في الله ))، للوصول إلى أغراضهم المحرّمة

1- أميرة سنبل وأخريات، المرجع نفسه،ص،368 .

2- أبو القاسم سعد الله، راند التجديد الإسلامي، محمد بن العنابي المتوفى 1850م، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1990، ص،121.

وسمّاهم بالزنادقة، و طالب أمراء المسلمين قتل هؤلاء وإراحة المسلمين من شرهم إذا هم لم يتوبوا أو رجعوا عن توبتهم، و عدّ قتلهم من أعظم ما يتقرب به إلى الله<sup>(1)</sup> .

### 3-1-2- محمد بن مصطفى بن الخوجة :

لم تخلُ الساحة الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين من دعاة تحرير المرأة وإن كان عددهم ضئيلا و صوتهم خافتا<sup>(2)</sup>، إلا أن المحافظين كان صوتهم أعلى بحكم طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ، وطبيعة دعاوى تحرير المرأة التي دعت إليها سلطات الإستعمار الفرنسي و تبناها جماعة النخبة الذين تتفوقوا في مدارها و نهلوا من عاداتها .

ومن بين علماء الجزائر "الإجتماعيين" الذين اهتموا بقضايا المجتمع؛ نجد الشيخ مصطفى بن الخوجة<sup>(3)</sup> الذي لقبه عمر راسم بأبي النهضة الجزائرية، اهتم بقضايا المرأة وحقوقها و ما يتعلق بزینتها وحجابها من خلال مؤلفاته: "الإكثارات في حقوق الإناث، اللباس في أحكام الزينة واللباس والحجاب" كما أولى فيهما اهتمامه الأكبر لنهضة المرأة الجزائرية؛ و يرى أنها الطريق السليم لإصلاح الجيل الجزائري الذي أصبح لا يعرف ثقافة آبائه و أجداده<sup>(4)</sup> .

وقد خلق الله عزّ و جلّ أمنا حواء من أبيضنا آدم، حتى تملأ عليه وحدته و تتجب له ذريته لتحمل الأمانة، فاستخلف الله آدم و حواء وذريتهما، و نشرهم في مشارق الأرض ومغاربها حتى يعمرّوها بالخير والمعرفة، فلما كان الرجل قد أُعطي القوامة على المرأة؛ فإن ذلك لأجل أن تستقيم العلاقة الزوجية؛ فلا تؤسس العائلة من دون قيام أحدهما على الآخر، ولا جدال في الإقرار بأن الرجل هو القيمّ والمسؤول عن المرأة والعائلة .

1- أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد .. المرجع نفسه، ص، ص، 121، 122.

2- أميرة سنبل وأخريات، النساء العربيات .. مرجع سابق، ص، 372 .

3- محمد بن مصطفى بن الخوجة ( 1865 - 1915م ) ، حقّق و نشر العديد من كتب التراث العربي مثل تحقيقه لكتاب " الجواهر الحسان في تفسير القرآن " للشيخ الثعالبي ، اشتغل محررا في الجريدة الرسمية " المبشّر " ، ثم عيّن مدرسا للتفسير و التوحيد و الفقه و الأدب العربي في مسجد سفير بالجزائر، من أهم آثاره : " الإكثارات في حقوق الإناث " ، اللباس في أحكام الزينة و اللباس و الحجاب " ، أولى فيهما اهتمامه الأكبر لنهضة المرأة الجزائرية ، و يرى أنها الطريق السليم لإصلاح الجيل الجزائري الذي أصبح لا يعرف ثقافة آبائه و أجداده ، انظر :

- تاريخ الجزائر الثقافي ، أبو القاسم سعد الله ، ج 3 ، طبعة خاصة، الجزائر، ص، ص، 83، 88 .

4- لطيفة عميرة، مرجع سابق ، ص، 86 .



فقوامة الرجل لا تعني البتة تشريف الرجل واحتقار المرأة؛ بل هي تكليف ومسؤولية يتحملها الزوج و تساعده زوجته في ذلك إذا تعثر أو عجز عن ذلك، فالعلاقة بين الرجل والمرأة لا تبنى على التفاوت والتراتب والتفاضل وحسب؛ بل تقوم كذلك على التكاتف والتعاون والتكامل الناشئ عن اجتماعهما<sup>(1)</sup> مصداقا لقوله تعالى: ((الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ))<sup>(2)</sup> وقال الله تعالى أيضا: (( هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ))<sup>(3)</sup> .

فالزوج أعطي القوامة على المرأة ليكون مسؤولا عليها، يعينها و يتولى أمرها ويأخذ بيدها إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة، ومن أوجب هذه المسؤوليات تعليمها وتربيتها، لأن المرأة نصف المجتمع؛ فبصلاحها يصلح المجتمع والعكس صحيح، فإذا أهمل الرجل هذا الواجب اختل وضع المرأة و تدهور ..

فابن الخوجة يُرجع جهل المرأة الذي هوى بها في مهاوٍ مخيفة و جرّها إلى مفاسد كثيرة و حملها على الإعتقادات الفاسدة، إلى جهل الرجل فلولا جهله و غباوته لما وصلت المرأة إلى هذه الدرجة من الأمية والزيغ والضلال، و كل المفاسد الخلقية والإجتماعية ترجع إلى فساد الرجل نفسه أو إلى إهماله<sup>(4)</sup> .

### 3-1-3- رأي عبد الحميد بن باديس :

وأكد الشيخ ابن باديس على ضرورة تعليم المرأة حتى يتسنى لها القيام بواجباتها الدينية والأسرية والوطنية، وأنشأ لهن المدارس عبر ربوع الوطن، و حمل مسؤولية الوضع الذي آلت إليه المرأة من جهل وأمية لأهل العلم والفقهاء، فحثهم للقيام بهذا الواجب العظيم ذلك لأن النساء شقائق الرجال في المسؤولية والتكليف وعليه وُجب تعليمهن؛ لكن ضمن إطار مضبوط<sup>(5)</sup> .

1- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 181

2- سورة النساء، الآية 34 . برواية ورش عن نافع .

3- سورة البقرة، الآية، 187. برواية ورش عن نافع .

4- محمد بن مصطفى بن الخوجة، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة ( 1865-1915م ) ، منشورات خمسينية جامعة الجزائر (1912-1962) ، منشورات ثالثة ، الجزائر 2012، ص، 81 .

5- عبد الحميد بن باديس، ابن باديس حياته و آثاره ، جمع و دراسة عمار طالبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ج2، ص، 199

كما خصّ ابن باديس المرأة بعناية فائقة، ودعا إلى تحريرها مما تعانيه من بقايا عادات وقيود التخلف والجهل، وفسح المجال أمامها في حدود ما يلائم طبيعتها، ضمن إطار الحرية والحقوق التي منحها لها الشرع الإسلامي، كونها نصف المجتمع، فعزل المرأة عن المجتمع؛ يعني هدر لنصف طاقة المجتمع<sup>(1)</sup>، وعليه فقد فتح ابن باديس مدرسة خاصة لتعليم الفتيات<sup>(2)</sup> تعليما صحيحا..مقترنا بالحشمة والفضيلة والعفة..حتى تكون فتاة جديرة بالحياة<sup>(2)</sup>

وأما دعوات التحرر والسفور التي لعبت الدولة الإستعمارية على حبالها، التي انجرت وراءها بعض مثقفي النخبة الليبرالية<sup>(3)</sup>، وأصبحوا دعاة تقليد المرأة الأوروبية في عاداتها وأخلاقها، فقد ردّ عليهم ابن باديس على لسان ذلك الرجل الخيالي قائلا: ((إذا أردتم التفكير الصحيح والإصلاح المنتج ففكروا بي قبلها، فأنا أبوها، و زوجها، و وليها، ومصدر خيرها و شرّها، و إذا أردتم إصلاحها الحقيقي، فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر فإنه ما ضرّها في زمان تقدّمها، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة و بنات بجاية مكانا عاليا في العلم وهنّ محجّبات؛ فليت شعري ما الذي يدعوكم اليوم إلى الكلام في كشف الوجوه قبل كل شيء ))<sup>(4)</sup>.

### 3-1-4- أبو يعلى الزواوي :

لقد انفرد أبو يعلى الزواوي<sup>(5)</sup> برأيه، و هو واحد من الأعضاء البارزين والناشطين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ بحيث لم ير مانعا في سفور المرأة كما لا يرى

1- محمد بن سميحة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج2، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2014، ص، 244 .  
2- محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشرق، القاهرة، ص، 103 .  
3- \*الليبرالية: هي التحررية أو المذهب الفردي ، و هي إطار سياسي يصف الحياة السياسية، و نظام الحكم في الدول ذات الغقتصاد الصناعي ، و التي تأخذ بالمبادئ الرأسمالية و و تسود فيها الحرية كقيمة عليا ، و تؤكد الحرية الفردية ، و تقوم على المنافسة الحرة من أجل تحقيق الصالح العام عن طريق الصالح الخاص الفردي..انظر:  
- محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة، مراجعات الفكر الغربي في تازم فكر الحداثة، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، السعودية، 1434هـ، ص، 96 .  
4- عبد الحميد بن باديس ، ابن باديس حياته و آثاره.. مصدر سابق ، ج 3 ، ص، 465 .

5- أبو يعلى الزواوي ( 1862-1952م): هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي بن أيت سيدي محمد الحاج و ولد بقرية تيفريث ناث الحاج بلدية أرفون دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو ، تلقى تعليمه الأول في قرينته فحفظ القرآن الكريم ، من شيوخه محمد السعيد بن زكري مقني الجزائر ، تنقل إلى سوريا ككاتب في القنصلية الفرنسية بدمشق سنة 1912م ، فعاد إلى الجزائر سنة 1920م، فاستقر بمدينة الجزائر حيث تولى إمامة جامع سيدي رمضان بالقصبة ، تبنى الزواوي الفكر السلفي الإصلاحية بقوة و حماس و وعاش محاربا لمظاهر الشرك و البدع و الخرافات ، و هو الذي عرف بحرية التفكير و التعبير و التحرير ، و كان الزواوي من المؤسسين الأوائل لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و ترأس فيها لجنة العمل الدائمة ، كما ترأس لجنة الفتوى التابعة للجمعية ، و نشرت له مجلة البصائر عدة فتاوى و مقالات، و :تنب في عدة مواضيع ؛ و من مؤلفاته: " الإسلام الصحيح" ، " جماعة المسلمين" ، " تاريخ الزواوة" ، " فصول الإصلاح" ، " امرأة المرأة المسلمة" ، و غيرها من المؤلفات، و ممّا كتبه الزواوي

بأسا في خروجها، لأنه ببساطة لا يرى أنّ المرأة (( كلّها عورة و مضرّة و رذيلة، أو بضاعة تباع و تشتري..))، و دعمّ الزواوي رأيه بأحداث وقعت في عصر النبي(ص): ((..لقد كانت هند غير محجوبة ولا غلّقت عليها الأبواب، ولا أحيّطت بسبعة أسوار إذ أجابت النبيّ صلى الله عليه وسلم...)) (أو الحرّة تزني؟))، و يختم الزواوي مقولته بهذه العبارات: (( لا حجاب غير الخلق الحسن، والعقيدة الإسلامية الصحيحة، والشرف والفضيلة، والرفعة والنزاهة.. ))(1) .

والحق أنّ الكثير من الملاحظين قد أقرّوا أنّ الحجاب قد زاد تداوله في الجزائر تحت حكم الإستعمار الفرنسي احتماء من الأجنبي وترسيخا للتمايز بين المجتمعين: الأهلي المسلم والمستعمر المسيحي(2) .

ومنذ "صدمة الحداثة" أو "فتنة الحداثة"(3) التي نتجت عن الغزو الإستعماري للمجتمعات الإسلامية، فإنّه لم ينقطع الحديث عن قضايا المرأة في الفكر الإسلامي، ممّا فتح معارك ساخنة، شكّلت واحدة من أشد أنواع الإصطدام بين المنظومات الفكرية المتنازعة في رؤيتها الإجتماعية والثقافية والسياسية في المجال العربي والإسلامي، نظرا لارتباطها بصميم المجتمع، و هي قضايا المرأة والأسرة(4) .

كما لم يختلف ابن باديس عن زعماء الإصلاح السابقين الطهطاوي وابن الخوجة حول أهميّة الدور الطبيعي للمرأة، و أكدّوا أنّه (( لا بقاء لأمة من الأمم إلاّ بانتظام الأسرة فيها و حفظ نسلها، و قد خصّ الله المرأة للقيام بهذين الأمرين العظيمين، و زودها من الرّحمة و الشفقة ما يعينها عليهما ))(5) .

أنّه وجّه نداءً صارخا إلى المسلمين في العالم بأسره يدعوهم إلى النهضة و نيل اليأس والإعتصام بحبل الله تعالى و العمل على تنظيم شؤونهم ، جاء في كتابه " جماعة المسلمين ص15: (( النهوض يا عباد الله ، يا معشر العرب خصوصا و المسلمين عموما ، هبوا، أفيقوا ، استنشقوا، و لا تيأسوا من روح الله ، و اعتصموا بحبل الله .. )) ، لقب الطيب العقبي الزواوي بأنّه ( شيخ الشباب و شاب الشيوخ )..رحمة الله عليه.انظر:

- موقع الدكتور سعيد بويزري ( الشيخ أبو يعلى الزواوي ) . الرابط: <http://www.saidbouizeri.com/ar/a3lam-alhouda-html/abou-ya3la-zeouaoui.html> تاريخ التصفح: 2018/03/25.

1- أميرة سنبل وأخريات، النساء العربيات .. مرجع سابق، ص،371.

2- أميرة سنبل وأخريات، المرجع نفسه، ص،371 .

3- فادي اسماعيل،قراءة نقدية في مفاهيم النهضة .. مرجع سابق،ص،23 .

4- زكي الميلاد،الفكر الإسلامي .. مرجع سابق، ص،ص،141،142 .

5- عبد الحميد بن باديس، ابن باديس حياته .. مرجع سابق ، ج2،ص،222.

وتناول ابن باديس الإتجاه الإجتماعي في رؤيته النهضوية، واعتبر أنّ عملية التغيير الإجتماعي ينبغي أن تنطلق من داخل الذات، و من الضمير الإنساني لا من المؤسسات الإجتماعية فحسب، ذلك أنّ إصلاح الأفراد والذوات هو الذي يؤدي بالضرورة إلى إصلاح المجتمع، فلا بد أن يبدأ الإصلاح أولاً من العقل، أي إصلاح العقائد ثم إصلاح الأخلاق ثانياً، أي تقويم النفس و بناء الفضائل، فإنّ الباطن أساس الظاهر والعلم مبدأ العمل والباعث عليه<sup>(1)</sup>.

وضمن العمل التنظيمي للمجتمع المدني نشرت مجلة البصائر مقالا منسوب لـ جمعية "نهضة المرأة المسلمة" والكائن مقرها بمدينة تلمسان، تحت عنوان "نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة" ((..إننا لا نطلب سفورا لعلنا بأنّه يؤدي حتما إلى ما لا يحمد عقباه خصوصا في الوقت الحاضر، لذلك أدعو كل رب عائلة.. أن يكون مشجعا للحركة النسائية و مؤسسا لها على دعائم متينة تكفل لنا مستقبلا سعيدا، و ما بلغت أمة أوجّ المعالي إلا بمشاركة نساءها في نهضتها..))<sup>(2)</sup>.

### 3-2- في تونس :

لقد أجمع الإصلاحيون التونسيون على أهميّة القيام بشؤون المرأة وإصلاح وضعها الإجتماعي والتعليمي، و كان محمد السنوسي قد نشر رسالة بعنوان: "تفتّق الأكمّام عن حقوق المرأة في الإسلام" حيث أعتبرت آراء ابن السنوسي في المرأة على أنها متحرّرة ومتطورة<sup>(3)</sup>.

كما أعتبر ابن أبي الضياف من بين أبرز المصلحين الذين دافعوا عن حقوق المرأة التونسية، وألّف في ذلك كتابا بعنوان: "رسالة في المرأة"، صحّح فيها بعض المغالطات

1- عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، ج3، ص، 217.  
2- مجلة البصائر، العدد20،الصادرة بتاريخ 19 جانفي 1948م،ص،158.تحميل من موقع: ملتقى أهل الحديث/[https://ia601402.us.archive.org/15/items/ElBassarDZ/El-Bassar\\_DZ\\_Part\\_2-2.pdf](https://ia601402.us.archive.org/15/items/ElBassarDZ/El-Bassar_DZ_Part_2-2.pdf) تصفح بتاريخ 2018/02/24.  
3- زهير بن علي، قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925- 1954، تحت إشراف،سليمان قريري،جامعة الحاج لخضر، باتنة،2015،ص،88.

حول المرأة والدين، و من بين ما جاء فيه قوله: (( هنّ يجهلن الكتابة والقراءة، والمعلوم أنّ الجهل يدفعهنّ نحو الرذيلة والعلم يُبعدهنّ عنها ))(1) .

وفي سنة 1908م كتب الصحافي محمد الجعايي في جريدة الصّواب: (( إنّ الذين يحاولون النهضة و لم يجعلوا رائد نهضتهم تعليم المرأة فإنّما يحاولون عبثا و يطلبون مستحيلا ))(2) .

لقد اهتمّ الإصلاحيون بحق، بشأن المرأة المسلمة و أفاضوا في الكتابة عنها، و بحثوا في سبل نهضتها و رقيّها، كما حاولوا جاهدين مدافعة التقاليد والأفكار الرجعية التي أسرت المرأة، و حرمتها من أداء دورها في المجتمع، و اشترطوا في ذلك فقط، أن تلتزم المرأة بأحكام الشريعة في زيّها، مع ضبط علاقاتها بالمجتمع بما يصون كرامتها و يحفظ حقوقها .

### 3-3- في المغرب :

لقد كان للمرأة في المغرب نصيب من الإهتمام من قبل النهضويين، بحيث تناولها محمد بن الحسن الحجوي ضمن رسالته المسماة "تعليم الفتيات لا سفور المرأة"، فرأى ضرورة تعليمها كما كان على عهد السلف الصالح؛ من غير أن يؤدّي ذلك إلى السفور ورفع الحجاب الذي يباه الدين والقرآن ومكارم الأخلاق، وقال: لم أقف في الكتاب والسنة على دليل يمنع المرأة من العلم<sup>(3)</sup>، كما أدرج عدّة أدلة شرعية من الكتاب والسنة والسيرة تبيّن أهمية تعليمهن و ثواب ذلك عند الله عزّوجلّ<sup>(4)</sup> .

وتناول علال الفاسي قضية المرأة، و يعترف بدورها كعنصر فعّال في المجتمع، ويرى أنه ليس في الإسلام ما يمنع من اعتبار المرأة مشاركة في الشورى، ولا من مشاورتها و العمل برأيها إن أصابت، وذلك لأنّها ممّن يباح لها الإجتهد في الأحكام ويؤخذ بفتواها. و قد كانت عائشة أم المؤمنين أعلم الناس بالفقه وأقواهم اجتهادا فيه. قال

1- زهير بن علي، المرجع نفسه، ص88.

2- أميرة سنبل وأخريات، النساء العربيات .. مرجع سابق، ص446 .

3- سعيد بن سعيد العلوي، الإجتهد والتحديث دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ص200.

4- سعيد بن سعيد العلوي، المرجع نفسه، صص، 201..205.

ابن حزم: يمكن أن يُجمع من فتيا عائشة سيفر ضخم، كما كانت أمهات المؤمنين مفتيات مجتهديات كأم سلمة، و حفصة، و صفية، و جويرية، و حبيبة و جويرية، و فاطمة بنت النبي وغيرهن (1).

ويرى الحجوي أنّ النساء شاركن في أعمال عظيمة في تأسيس الإسلام، و يرى أنه ما من منقبة سبق الرجال إليها، كالهجرة والبيعة و الجهاد والنصرة في الدين وإعلاء كلمة شأنه و نشره والدعاية إليه، إلا و كان للنساء حظهنّ في ذلك (2).

ويرى علال الفاسي إمكانية قيام المرأة بدور سياسي هام في المجتمع إن هي تدرّجت في المناصب السامية، وأهلتها كفاءتها إلى ذلك، تماما كما كانت النسوة اللاتي شاركن في بيعة العقبة الثانية، و بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعدم الفرار، كما كان لعائشة دور قوي في الشؤون العامة، وتارة مؤيدة، و تارة معارضة، حتى خاضت معركة الجمل و معها عديد من الصحابة، فيهم طلحة، وابن الزبير، حتى قال علي عنها، لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة (3).

ويرى الفاسي أن توكل للمرأة نفس المهام التي يعين فيها الرجل عدا الإمامة العظمى، كالحق في نيابة الأمة، و التشريع والانتخابات و تولي منصب القضاء، وإمامة المرأة بالنساء في صلاة التطوع، و غيرها من المهام التي استدلت بها علال الفاسي ضمن ما سماه بـ ((الولاية المطلقة للمؤمنات كما هي للمؤمنين)) (4)، و يربط ذلك من قوله تعالى: ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (5).

إلا أنّ الحجوي كان أكثر تحفظاً من الفاسي في قضية تبوء المرأة للمناصب العليا في الدولة، و خاف من النتائج العكسية التي قد تنجم عن تفلّت الوضع الاجتماعي للأمة (( لا يُرجى من تحرير المرأة، بالمعنى الذي يقصدونه، إدخال أدنى إصلاح على النظام

1- أحمد الريسوني، علال الفاسي .. مرجع سابق، ص،76.

2- سعيد بن سعيد العلوي، الإجتهد والتحديث .. مرجع سابق، ص،302.

3- أحمد الريسوني، مرجع سابق، ص،76،77.

4- أحمد الريسوني، مرجع سابق، ص،78.

5- سورة : التوبة، الآية:71، برواية ورش عن نافع ز

الإجتماعي وإنما ينتج من ذلك التقلت من قيود البيت والأمومة والسقوط في إشباع نهم شهواتهن السافلة... فينشأ عن ذلك إضطرابات سياسية واقتصادية وأخلاقية وإجتماعية<sup>(1)</sup>.

ويرى الحجوي في قضية " تحرير المرأة " على طريقة الطاهر الحدّاد و قاسم أمين؛ أنّها دعوة صريحة للسّفور والمروق من حظيرة الدّين، واعتبر السّفور ويل و ثبور على المرأة نفسها، فسفورها ناقص من جمالها و مفتر لأشواق زوجها إليها و مزر بقيمتها، فضرر السّفور على النّساء ليس بأقل من ضرره على الرجال<sup>(2)</sup>.

ونفس الرّأي الذي رآه الحجوي؛ يراه مالك بن نبي في ما سماه بـ" مشكلة المرأة " الذي حاول أن ينظر إليها بمنظار متزن وسطي، لا كما يراه أنصار التحرّر الذي يصل بالمرأة إلى درجة التحلّل، ولا كما يراه أنصار التزمّت الذي يغلق بصره أمام حقائق الإسلام، و يرى القضيّة من إفتعال الغرب لإشغال المسلمين بمعارك جانبية بين أفراد المجتمع الإسلامي، فيتحوّل الصّراع من صراع المجتمع ضد التخلّف الحضاري والإغتراب إلى صراع داخل المجتمع<sup>(3)</sup>.

ويرى ابن نبي في تقليد المرأة الشرقية المسلمة للمرأة الأوربيّة أنّه لا يحلّ المشكلة، وإنما يزيد من تعقيدها، لأنّ أساس الإشكالية ليست في سفور المرأة فحسب بل في المنظومة الإجتماعية ككل، فالضرورة تقتضي وضع قضية تحرّر المرأة المسلمة في إطارها الحضاري الإسلامي الطبيعي، وضمن الخصوصيات الثقافيّة لهذا المجتمع، فأول هذه الخصوصيات والتي كانت محلّ هجوم شرس، ومادة دسمة لدى دعاة تحرير المرأة هو الحجاب، الذي تناوله ابن نبي، باسم "مشكلة الزي" الذي يراه مسألة لصيقة بالنموذج الحضاري والإختيار الثقافي للفرد والمجتمع<sup>(4)</sup>، فالحجاب إذن يمثّل مرجعية قيمية خاصّة في عصر صراع و تدافع القيم والثقافات .

هذا الرّأي الذي ساقه الحجوي وابن نبي المشبع بالمرجعية الإسلامية، يبدو أنّه عصيّ أمام تحديات و تجلّيات الحداثة والتنوير، وهذا يوحي بقوة هذه المرجعية وعدم

1- سعيد بنسعيد العلوي، مرجع سابق،ص،211.

2- سعيد بنسعيد العلوي، المرجع نفسه،ص،ص،217،218.

3- العرابوي عمر، أرزازي محمد، إشكالية المرأة في الفكر العربي الإسلامي رؤية مالك بن نبي نموذجا، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية،العدد1، مخبر البحوث التاريخية والإجتماعية،جامعة معسكر، جوان 2011،ص،ص،208،209.

4- العرابوي عمر، أرزازي محمد، إشكالية المرأة .. مرجع سابق، ص،211.

قناعتها بها، باعتبارها مغريات شكلية لا تصمد أمام الثوابت، لأنهما يعتبران القضية جوهرية تشمل قضية بقاء أو فناء، و ليس مجرد تبعية وتقليد .

والحق أنّ هناك إجماع و اتفاق في الفقه الإسلامي على أولوية وظائف و مسؤوليات المرأة داخل الأسرة، على كل ما لها من علائق وارتباطات خارج الأسرة، و هذا من جهة الأولوية والتراتب في نظام القيم والمسؤولية، و هذا لا يعني منع المرأة في أن تجمع إلى جانب وظائفها داخل الأسرة، وظائف أخرى تتصل بعلاقتها بالمجتمع<sup>(1)</sup> .

#### 4- المرأة عند الإتجاه العلماني التغريبي :

ونقصد بالإتجاه الليبرالي التيار النخبوي المتعصن المشبع بالثقافة الغربية الذي يؤمن بالمشروع النهضوي من منظور الطرح الليبرالي والإشتراكي العلماني الغربي، ومعظم رواده من البعثات الطلّابية الذين تابعوا دراساتهم في الجامعات الغربية والمدارس التنصيرية، و كان تأثرهم شديدا بالحضارة الأوربية التي أبهرتهم، و في الوقت نفسه كانوا ساخطين على "المشرق والمغرب" المتمسك بـ"القديم" .

#### 4-1- في الجزائر :

لقد تأخر النضال النسوي في الجزائر إلى مرحلة متأخرة نسبيا، و لكن رجال الحركة الإصلاحية كانوا يتصدّون للآراء التي تدعو إلى التحرر على الطريفة الإفرنجية ويوصم ذلك بـ"التفرنج الآثم"، ممّا دفع بأحدهم إلى التحذير من خطر التّعليم الفرنسي للبنات على غرار ما حدث في تونس، حيث عُرف عنهن<sup>(2)</sup> بغضهنّ الشديد لكل ما هو قومي وإسلامي حتى رغب عن التزوّج بالشبان المسلمين الذين لا يزالون تونسيين غير متفرنجين<sup>(2)</sup> .

وكان بعض المستغربين من تلامذة المدرسة الأجنبية، و بعض المنبهرين بحضارة الغرب من دعاة التّجديد يساندون الإحتلال في مخططاته ضد الأسرة المسلمة، فيدعون بدعوته إلى السّفور و تمزيق الحجاب والمطالبة بالمساواة في الميراث و حرية الطلاق<sup>(3)</sup> .

1- زكي الميلاد، الفكر الإسلامي .. مرجع سابق، ص، ص، 147، 148 .

2- أميرة سنبل وأخريات، النساء العربيات .. مرجع سابق، ص، 372 .

3- محمد بن سميّة، أسس مشروع .. مرجع سابق، ص، 275 .



وكان ابن باديس يواجه في خطبه وكتاباته هؤلاء الذين يريدون إغراء المرأة الجزائرية ببريق الحضارة المزيّفة، وادّعاءات التحرر المقيّنة، و يتساءل في ذلك: فمّم يريد هؤلاء أن يحرّروا المرأة؟، فإذا كانوا يريدون أن يحرّروها من دينها ولغتها وحضارتها، فهم وأسيادهم على ذلك ساهرون وعلى إنجازهم متواطئون، ولكنهم في أمانهم تلك بالخيبة والخسران سيؤوبون<sup>(1)</sup> .

وبالتالي فإنّ ابن باديس كان يدرك مرّامى دعاة تحرّر المرأة، وعدم جدوى مساعيهم التي لا تجدي مع المرأة الجزائرية المتمسّكة بدينها ولغتها و قيم حضارتها، وأنّ هؤلاء يراهنون على الخسران لا محالة .

#### 4-2- في تونس :

كان الإحتلال الفرنسي لتونس قد أدى إلى بروز مظاهر الحداثة، حيث تجلّت في قضايا الحياة السّياسية، والإقتصادية، والإجتماعية، و كان النقاش قد زادت حدّته في تونس خلال عشرينات القرن العشرين، حول قضايا الحجاب وتحرير المرأة، بين أنصار السفور من الإشتراكيّين الفرنسيين، وأنصار رجال الحركة الإصلاحية والمتقفين في تونس .

وفي سنة 1924م ظهر أول تنظيم مستقل للعمال التّونسيين، و في مقر جمعية الترقّي الأدبية التي يديرها مجموعة من الإشتراكيين، ظهرت منوبية المنشاري كأول امرأة تونسية سافرة التي بادرت بأخذ الكلمة بكل جرأة، و طالبت الحاضرين وأغليبيتهم رجال بتمكين المرأة المسلمة من حقوقها و ضرورة رفع الحجاب عنها والإرتقاء بها فكريا واجتماعيا، فقد لاقى هذا الأمر الذي جمع بين السفور والخطاب ضجّة كبرى تناقلته الألسن و الصّحافة و على منابر الأحزاب بين مؤيد و معارض<sup>(2)</sup> .

وخلال سنة 1929م، في نفس نادي جمعية الترقّي؛ صعدت المنبر مناضلة عضوة في الفرع النسائي للحزب الإشتراكي وهي حبيبة المنشاري و كانت سافرة، ودعت صراحة إلى تقليد نمط العيش الأوربي الذي يمكّن المرأة والأطفال والعائلة من السعادة،

1- محمد بن سميّنة، أسس .. المرجع نفسه، ص،278.  
2- أميرة سنبل وأخريات، مرجع سابق، ص،441،442.

ونددت بالحجاب و تزويج البنت في سن مبكرة دون الأخذ برأيها، واعتبرت الحجاب عادة بالية موروثه عن قرون مضت، و استشهدت بتجربة تركيا التقدمية<sup>(1)</sup> .

وكان كتاب " امرأتنا في الشريعة والمجتمع " لصاحبه الطاهر الحدّاد الذي صدر سنة 1930م، هو الكتاب الأكثر جدلا خلال هذه الفترة من الزمن، بفعل ما تضمّنه من أفكار جديدة و جريئة تتعلّق بقضايا تحرير المرأة، وحقوقها كما يراها الحدّاد؛ فاستنكره البعض، بينما أيّده البعض الآخر من "المستبشرين" واعتبروه بداية جديدة في تاريخ الإصلاح التونسي<sup>(2)</sup> .

وإن تعرّض كتاب الحدّاد إلى الطعن والجدل في جانبه التشريعي، فقد سلّم له الجميع بالإمتياز من ناحية الوصف الإجتماعي، فهذا هو الشيخ المصلح محمد الفاضل بن عاشور " 1909-1970م"، الذي كان أحد خصوم الحدّاد، يقول: (( أما الوصف الإجتماعي يكاد يختصّ به كاتب واحد هو الطاهر الحدّاد، وقد أظهر براعته في هذا المنهج، وأنّ أهل المعرفة بالفنون البيانية مجمعون على تقدير الوصف الدقيق والبيان المعجب اللذان ميّزا القسم الإجتماعي، حتى سمعت أكبر أساتذتنا في البلاغة العربية وأشدّهم تمسّكا بالقديم، وهو شيخ الإسلام محمد بن يوسف، يكرّر التصريح بأن بلاغة تحرير الطاهر الحدّاد، ودقّة تعبيره في منزلة قلّ أن تُنال ))<sup>(3)</sup> .

إلا أنّ الآراء التي تناولها الحدّاد في كتابه هذا، رآها بعض منتقديه أنها تخرجه صراحة من حظيرة الإسلام، حيث رأى الحدّاد أنّ أحكام الشريعة الثابتة؛ يجب أن تتغيّر بتغيّر الظروف والمجتمع، و رأى أنّه لا مانع من تغيير نظام الإرث، واستبدال عقوبة الزنا، و حظر تعدد الزوجات<sup>(4)</sup> .

و وجّه الحدّاد نقدا لاذعا للحجاب السائد في تونس- يعني وضع المرأة الإجتماعي بشكل عام-، كما اعتبر فرض النقاب على المرأة تمسكا بعبادات موروثه و بالية، و قال

1- أميرة سنبل وأخريات، المرجع نفسه، ص، ص، 448، 449.

2- الطاهر الحدّاد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2011م، ص، 15.

3- الطاهر الحدّاد، امرأتنا .. مرجع سابق، ص، 26.

4- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، 233 .

في ذلك: (( ما أشبه أن تضع المرأة النقاب على وجهها منعا للفجور، بما يوضع من الكمامة على فم الكلاب كي لا تعضّ المارين.. ))<sup>(1)</sup>.

وبالمقابل تعرّض الحدّاد إلى حملة واسعة من الإنتقادات بعد صدور كتابه هذا، واتّهمه البعض بالخروج من ملة الإسلام، وهاجمه علماء الزيتونة، و ردّ بعضهم عليه بما يدحض دعواه، باعتبار هذا النوع من الكتابات والصيحات المنفلتة (( دعوة إلى الفجور والمروق عن الدين ))<sup>(2)</sup>، وكان من أبرز تلك الردود؛ كتاب الشيخ الصالح بن مراد، الذي كان عنوانه: "الحدّاد على امرأة الحدّاد" أو "ردّ الخطأ والكفر والبدع التي حواها كتاب امرأتنا في الشريعة و المجتمع" مثلما عنوانه صاحبه<sup>(3)</sup>.

فأنصار تحرير المرأة من أمثال الحدّاد و قاسم ربّما (( لم يكونوا يروّجون أفكارهم من منظور غربي، و إنّما كان الغرب حافزا لهم على إعادة النظر في المنظومة الدّينية الموروثة قصد تجديدها من الداخل مع الوفاء لـ"جوهرها" فاصطدموا بممثلي الإسلام الرسمي "المتشبهين بحرفية النصوص" ))<sup>(4)</sup>.

وكان الحدّاد قد أطلع فيما يبدو على كتاب قاسم أمين "1863-1908م"، "تحرير المرأة" الذي هو الآخر سانده البعض وعارضته الأغلبية، كما أثار كتاب السورية نظيرة زين الدين "1908-1976م" "الحجاب والسفور" جدلا واسعا في تونس، و من ذلك يبدو أن الحدّاد قد استقى بعض الحجج والعبارات من هذه المصادر، كما كان صديق الحدّاد الأديب زين العابدين السنوسي؛ قد اهتم بقضايا المرأة و تطور الحركات النسائية في مجلته "العالم الأدبي"، كما تجادلت الصحف التونسية آذاك في قضية المرأة وشؤونها<sup>(5)</sup>.

وما يميّز الحدّاد أنّه صاحب قدرة فذة في النظر إلى الأحكام والنصوص الشرعية من منظور الحياة و ليس العكس.. لأنّ نظريته الإصلاحية تتدرج في إطار الفقه الإسلامي

1- زهيرين علي، قضايا المرأة .. مرجع سابق، ص، 90.

2- أميرة سنبل وأخريات، النساء العربيات .. مرجع سابق، ص، 449.

3- زهيرين علي، مرجع سابق، ص، 91.

4- عبدالمجيد الشرفي، الإسلام .. مرجع سابق، ص، 245، 246.

5- الطاهر الحدّاد، امرأتنا .. مرجع سابق، ص، 26.

وتحديث النظرة في النص القرآني، و يرى الكاتب العراقي علي الصرّاف أنّ تحرير المرأة هو حجر الزاوية للمشروع الإصلاحى ككل، وأنّ الرؤية التثويرية مرتبطة أساسا وعضويا بالرؤية الإجتماعية الكاملة، و يرى الصرّاف أنّ المجتمع يمثل نقطة الإنطلاق ونقطة الوصول، فلا تثوير ولا تحديث ولا نهضة، ولا تقدّم بدون تحرير المرأة<sup>(1)</sup> .

ولمّا يقارن علي الصرّاف بين قاسم أمين والطاهر الحدّاد، من وجهة نظره من حيث المدى الذي وصلت إليه اليوم المرأة التونسية من خلال مقياس "التحرّر والتفتّح" على المجتمع، فيقول: (( أنّ الأثر الذي تركه اليوم الطاهر الحدّاد في الثقافة الإجتماعية في مجمل سيرة التّحديث التونسية أكبر مليون مرة من الأثر الذي تركه قاسم أمين في مصر ))<sup>(2)</sup> .

إلّا أنّ محمد بن الحسن الحجوي صاحب كتاب "تعليم الفتيات لا سفور المرأة" يرى أنّ الطاهر الحداد و قاسم أمين أنهما (( هتكا الحجاب وأزالا عن هيبة الشريعة كل جلباب، ولو أنّ قاسم أمين رأى حالة مصر الآن و ما يتخبّط فيه مجتمع قومه من أزمة المرأة السافرة بل السافلة، لقرع من سن الندم ولات حين مندم ))<sup>(3)</sup> .

وبينما الصرّاف يعقّب على كلامه ملاحظا أنّ الطاهر الحداد وغيره من أركان المدرسة الإصلاحية التونسية قد انتهجوا نهج النّظر إلى النص، باعتبار (( النص بحد ذاته لم يكن سوى وسيط ، مقدّس .. لنقل المجتمع من حالة الجاهلية إلى نور الإسلام، بقيم إجتماعية جديدة، قيم العدالة والمساواة وإنصاف المظلوم والمحروم، والدّعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ))<sup>(4)</sup> .

وخلص الأستاذ ميلاد زكي من هذا السجال الفكري الذي كان محمومًا بين الطرفين، إلى أنّ (( الأدبيات الإسلامية ربطت كرامة المرأة على أساس العفة والحماية الأخلاقية

1- أحمد الطويلي، رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، د.ط، المطبعة الرسمية، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، تونس، 2010، ص، 89.

2- أحمد الطويلي، المرجع نفسه، ص، 89.

3- سعيد بنسعيد العلوي، الإجتهد والتحديث .. مرجع سابق، ص، 217.

4- أحمد الطويلي، رواد الإصلاح .. مرجع سابق، ص، 90.

بعيدا عن فكرة الحقوق، في حين ربطت الأدبيات المغايرة كرامة المرأة على أساس فكرة الحقوق بعيدا عن العفة و الحماية الأخلاقية ((1).

وعلى الرغم من الكتابات الكثيرة التي تناولت قضية "تحرير المرأة" منذ صيحة قاسم أمين<sup>(2)</sup> و الطاهر الحداد إلى اليوم، فإنني لا أرى جديدا أضيف إلى ما عندها من حقوق طبيعية وشرعية، إلا أن كل ما في الأمر أن هذه الحقوق المقدسة في حاجة لمن يفعلها ويحميها من الكتاب غير النزهاء، الذين قد نسميهم "باللاهثين وراء الشهرة" و"السكراري من صدمة الحداثة"، الذين كسبوا الكثير على حساب جوهر طبيعة المرأة السرمدية، وسمو وظيفتها الطبيعية والخالدة!، وهذا ما يعترف به علي الصراف نفسه .

#### 4-3- في المغرب :

المغرب الأقصى الذي اكتسحته تأثيرات الحداثة المدمرة، من خلال إجراءات الحماية الفرنسية، القاضية بترسيخ القوانين العلمانية و الثقافة التغريبية، عن طريق المقيم العام الفرنسي ليوطي، الذي عرف كيف يستخدم السلطنة الشريفة لشرعة سريعة الكافر الصائل، و جرايتها في حق الأمة المسلمة، والذي فقه التدوين الطرقي و جعله بديلا عن الدين السني .

فكان تلميذه الضابط "سبيلمان" أحد نجباء "مدرسة ليوطي" الذي شجّع ضمينا مساعي لالة عائشة بنت العاهل محمد بن يوسف، حيث أبدى إعجابه - كما قال - بزيارتها الشهيرة لطنجة سنة 1947م للدفاع عن قضية تحرير المرأة المغربية تحريراً حذرا و فعليا في نفس الوقت، و قد صدم حماسها مشاعر الأوساط المحافظة، بينما وُلد آمالا كبيرة لدى أغلبية نساء الحواضر اللواتي ضجرن من الحياة المملة والمرهقة التي يعرفها الحريم<sup>(3)</sup> .

1- زكي الميلاد، الفكر الإسلامي .. مرجع سابق، ص، 147 .

2- احدثت آراء قاسم أمين صدى واسعا في أوساط مفكري عصره، فمنهم من رحّب بها و أثنى عليها ، و منهم من تصدّى لها و رد عليها بعنف ، فقد ألف عبد المجيد خيرى كتاب " الدفع المتين " عام 1899م ردا على كتاب " تحرير المرأة " ، و منع كتاب قاسم أمين دخول البلاد العثمانية . للمزيد انظر :

- علي الحافظة، الإتجاهات الفكرية .. مرجع سابق، ص، 195 .

3- جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912-1956م، تر: محمد المؤيد، ط1، مطابع الرباط، المغرب، 2014، ص، ص، 229، 230.

وكانّ الفاسي يردّ على ادعاءات سبيلمان من أنّ النساء المسلمات يعانين الحياة المملّة وهن في دورهن، يدرج قول عمر بن الخطاب: ((إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية))، والواقع أنّ حقوق المرأة المسلمة المدنية تفوق حقوق كل امرأة في مختلف القوانين والحضارات القديمة والحديثة<sup>(1)</sup>، ولم يقدم سبيلمان ومن نهج نهجه؛ من أذعيا التحرّر من العلمانيين والمنظمات النسوية في المغرب جديدا للمرأة المسلمة، غير مظاهر التمرّد على الأخلاق و الفضائل والقيم النبيلة .

تمثّل فترة العشرينات بالنسبة لمعظم الدول المغاربية مرحلة ترسيخ مظاهر التغريب والعلمانية، و بروز دعاوى التحرّر النسوية كظاهرة اجتماعية جديدة، حيث أصبحت فيها المرأة عنصرا هاما ضمن حسابات تحديات المشروع النهضوي، لتتضج الظاهرة خلال الثلاثينات ضمن شبكة من الجمعيات مكّمة للتنظيمات السياسية والاجتماعية، بحيث ستتأسّس من خلالها مرجعية الحركة النسائية المعاصرة المنادية لاستكمال مسار الإصلاح والمساواة في المجتمع<sup>(2)</sup> .

إلا أنّ الإصلاحية الإسلامية تصدّت لهذه الدعوى، من خلال بعض الآراء أو التآليف لتوضيح موقفها، الذي عادة يصبّ في إطار مسعى قراءة القضية من وجهة نظر معتدلة؛ وذلك بإيجاد صيغة توافقية بين ضوابط الشريعة، و متطلّبات الحياة العصرية مختلف قضاياها، كالتحرّر، و المرأة و حقوقها .

1- علال الفاسي، النقد الذاتي، ط8، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، ص، 250 .  
2- أميرة سنبل وأخريات، النساء العربيات في العشرينيات حضورا وهوية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2010، ص، 450 .

## 1- إشكاليات "معوقات" النهضة في الفكر المغربي المعاصر:

إن الدّعاوات الإصلاحية التي نهض بها علماء ومفكرّي الإصلاح خلال القرن التّاسع عشر، لم يكن يوازئها وسط ومناخ فكري كمحضن في المجتمع يضمن نموّها وتطوّرها، لقد كان أفراد البعثات الموجهة إلى أوروبا يعودون ليندمجوا في أحضان واقع إجتماعي وفكري و سياسي غير ملائم، لا يسمح لهم بتجاوز الحدود المتوارثة الذي يفرضه المجتمع أو القيود المستحدثة التي يفرضها الإستعمار .

ففي المدينة العصرية الفرد فيها يكون في خدمة الجميع، بينما مدنيتنا المتخلفة نكون فيها، إما الكل في خدمة الفرد، وإما الفرد في خدمة مصالحه ضمن حدود وآفاق ضيقة، لا ترقى إلى مستوى متطلّبات وزخم الحياة المعاصرة، بفعل تراكمات تاريخية تنطوي على سلبيات كرّسها الإستعمار في المجتمع، كما أقرتها السياسات اللاحقة المرتبطة بشكل أو بآخر بهذه السياسات، وما عليها من إلتزامات .

### 1-1- المعوقات الميدانية :

#### 1- المعوقات السياسية :

عادة ما كانت السّلطة السياسية القوة القادرة على القيام بفعل التغيير، بفضل ما تمتلك من أدوات و وسائل لا تكون في متناول الأفراد والجماعات، و في الوقت نفسه تكون القوة القاهرة أمام المساعي الإصلاحية .

وإنّ أسوأ ما تتعرّض له الخطط الإصلاحية، أن يكون القائمون على وجوب تنفيذها هم أنفسهم العاملين على عرقلتها، فهؤلاء الذين وكلّ إليهم مهمة التّحديث والإصلاح عرفوا بالإستبداد و تحقيق مصالحهم والأهواء و ليس السعي إلى هموم الوطن والأمة<sup>(1)</sup> .

فالإستبداد عبر التّاريخ هو العدو الأوّل للإصلاح، وقاتل الإبداع والتفكير؛ يخلق نفوسا خائفة لا تبوح بما تراه أنفع، خائفة من أولئك الحريصين على مواقعهم والإمتيازات

1- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح السياسي... مرجع سابق، ص264

التي يحوزونها<sup>(1)</sup>، فتتعطّل طاقات الأمة وتقلّ منافع الناس، فتغلب الأنانية والمصلحة الخاصة على النفع العام .

ولمّا نتطرّق مثلاً إلى قضية المخزن في المغرب الأقصى، الذي يجعل دوماً مصلحته فوق مصالح الأهالي، فإنّه بقي كحاجز أمام حركة الإصلاح، فيذكر مثلاً صاحب كتاب "مشاريع الإصلاح في المغرب"<sup>(2)</sup>، أنّ السلطان المولى عبد العزيز صرّح بسعي أفراد من السلطنة في المخزن الذين يجتهدون في إفشال أيّ تقدم، و يذكر أنّه فطن لما: (( عليه العمال من السعي في تعطيل إجراء العمل بذلك لكرهيتهم نجاح أمره، و اجتهادهم في الأسباب الموصلة لتعذيره ))<sup>(3)</sup>، و (( عندئذ يصير الإستبداد كالعلق يطيب له المقام على امتصاص دم الأمة، فلا ينفك عنها حتى تموت و يموت هو بموتها ))<sup>(4)</sup> .

ومن جهة أخرى نجد ابن نبي هو الآخر يفرق بين السياسة، و ما يسميه بـ "البوليتيك" باعتبار (( الأولى محاول تأمل في الصورة المثلى لخدمة الشعب والثانية مجرد صرخات و حركات لمغالطة الشعب واستخدامه ))<sup>(5)</sup>، فـ "البوليتيك" كما يتصوره ابن نبي كمدلول على السياسة كما يمارسها السياسيون النفعيون بطرق غير قانونية وغير أخلاقية، وبأساليب منحطة وقذرة، يمتطون السياسة للوصول إلى تحقيق مصالح شخصية على حساب ضروريات المواطن .

وبذلك فإن "البوليتيك" أو سياسة الوصوليين عادة ما تتحالف مع المغتصب الإستعماري أو المستبد المحلي؛ من أجل إبعاد الشعب عن همومه ومشكلاته الجوهرية وإغراقه في مشكلات هامشية تبعده كل البعد عن السياسة الحقيقية النبيلة، وعن التفكير بطريقة

1- أحمد كافي، المرجع السابق، ص 264 .

2- من الملاحظ أن الكاتب يجعل حداً فاصلاً بين القصر "السلطان وحاشيته" من جهة ، و بين المخزن و الشعب من جهة أخرى ، و لا يعتبر السلطان طرفاً مسؤولاً لما يتعلق الأمر في البحث في قضايا تحميل مسؤولية ما آل إليه المغرب و التخلف و تعثر مشاريع الإصلاح و إذلال الشعب المغربي و إقبال كاهله بالمشاكل و الإحتلال و تبعاته الأنية و المستقبلية .. و كان هناك خطوطاً حمراء التزم بها الكاتب بشكل دقيق.. انظر:

- أحمد كافي، نفسه، ص، 265 .

3- أحمد كافي ، نفسه، ص، 265

4- عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الإستبداد .. مرجع سابق، ص، 143.

5- محمد عاطف، معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص، 32.



صحيحة؛ لأنّ بداية السير ضمن السياسة الحقيقية والواعية، تعني بكل بساطة بداية نهاية المستبد الأجنبي، والحاكم المحلي<sup>(1)</sup>.

### 1-2- قوة النفوذ الأجنبي :

ونقصد بالنفوذ الأجنبي مدى قوة تمكّن سلطة و نفوذ الآخر في البلاد العربية عموما والبلدان المغاربية بوجه خاص، هذا الحضور والنفوذ يكون بشكل مباشرة؛ بحيث يشرف نفسه "الإحتلال" على إحكام قبضته على كل الأنشطة والمسايع الوطنية ويتم توجيهها لصالحه، وخلق المحاولات الجادة التي تصرّ على التغيير وتتشد الإصلاح الشامل، أو يكون هذا النفوذ بشكل غير مباشر؛ و هذا عند التكليف بتشكيل حكومة إنتقالية أو حكومة "إستقلال"؛ ويكون ذلك بمثابة أدرعه القوية التي يكون قد أوكل لها خلافته على إدارة مصالحه؛ دون شك في إخلاصها له؛ لأنها صنيعته نهلت من ثقافته وفكره؛ و وصلت بعونه وإرادته، فهذه الأدرع هي بمثابة صمام أمان لضمان بقاء المصالح الأجنبية وإستمرارية التبعية له؛ فالسلطة الجديدة هذه حريصة على الإبقاء على نفوذه و مصالحه؛ مع تعطيل أي مسعى وطني يرنو إلى الإصلاح و النهوض، أو يرمي إلى منع هكذا نفوذ أو إعادة ترتيب علاقات جديدة وفق إستراتيجية تخدم المصلحة العليا للوطن .

### 1-3- التدخل المباشر:

منذ بدايات الحركة الإصلاحية في المغرب العربي، اتفقت الدول الأوروبية على عرقلة أي إصلاح حقيقي، ففي مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي سويت من خلاله الدول الأوروبية مصالحها على حساب المغرب الأقصى، فإن ممثل ألمانيا السيد "روزن Rozen"، رد على احتجاجات وزير الخارجية المغربي "عبد الكريم بن سليمان": (( بأن من المصلحة للحضرة الشريفة أن توافق على ما قرّره المؤتمر بالخزيرات - الجزيرة الخضراء-، وأنه لا يناسبه تبديل شيء مما قررّ الدول ))<sup>(2)</sup>.

ولقد كتب السيد " J.L.Miége " في كتابه (( le Maroc et l'Europe 1830 ))

1- محمد عاطف، معوقات النهضة.. المرجع السابق، ص، 34،

2- أحمد كافي، مرجع سابق، ص، 271

أنّ الأوربيين قد اتفقوا على إعاقة كل نهضة، و ظلوا طيلة القرن التاسع عشر يعارضون كل إصلاح حقيقي هادف للنهوض بالشعب المغربي (1) .

وكان همّ هذه الدول الإستعمارية إشغال المغرب بمشاكله الداخليّة، عن طريق إذكاء الفتن والإضطرابات والقتال والوقوف بجانب القوى التي تعمل للمصلحة الأجنبية، ففي الجنوب المغربي عزّزت فرنسا و بريطانيا علاقاتها مع "بيروك التكني" الذي تواطأ معها، فوَقَّع مع "ماكينزي" ممثل الشركة الإنجليزية المسماة " شركة شمال غرب إفريقيا" حق إحتكار التبادل التجاري في منطقة نفوذ محمد بيروك عبر رأس جوبي "طرفاية" بمنطقة العيون بالصحراء في أفريل 1879م، كما عزّزت فرنسا علاقاتها مع الثائر الجليلي بن ادريس الزرهوني "1860-1909م" الملقب بـ "بوحمارة"، والذي استخدم لإضعاف سلطة المخزن، و أجمل ذلك أحد أعضاء مجلس الأعيان في المغرب خلال مطلع القرن العشرين قائلاً ((..إنّ الأوضاع الداخليّة استمرت في التدهور بفعل التّدخل الأوربي السّافر في الشّؤون الداخليّة، و أن الأوربيين لم يساعدوا المغرب و إنّما اتّفقوا على حسابه..)) (2).

واستطاعت السّلطات الإستعمارية منذ البداية توظيف القصر لصالحها، و تمرير مشاريعها باسم السّلطان المغربي، فكان القادة العسكريون، و على رأسهم المارشال ليوطي؛ يردّد أنه "خادم سيدنا الأول"، و كتب ذات مرّة لأحد أصدقائه عن السلطان في المغرب المولى يوسف بأنه (( أجمل ما ابتكر في المغرب )) (3).

واستغلّت السّلطات الفرنسيّة السلطان المغربي والدين الإسلامي في تنفيذ السّيّاسات الإستعمارية باسم السلطة الشريفية، فهذا الجنرال ليوطي كتب بنفسه في تقريره السري السنوي لوزارة الخارجية قائلاً: (( فيما يخص السلطان يوجد اهتمام عظيم بالمحافظة على امتيازاته الخاصّة، وإحاطته بالإحترامات الشريفية..فكل التدابير الإداريّة تتخذ باسمه، فهو يوقّع الظهائر لكنه عملياً ليست له أية سلطة حقيقية، و رأيه الخاص لا يؤخذ في الواقع إلا صورياً، فهو في عزلة عظمي محبوس في قصره ..)) (4).

1- J.L.Miége ، le Maroc et l'Europe 1830- 1894 , paris 1962. T . III . P 30.

انظر: حمد كافي ، مرجع سابق، ص 271 .

2- علال الخديمي، مجلس الأعيان و مشروع الإصلاحات الفرنسيّة بالمغرب سنة 1905م، مطبعة النجاح و الدار البيضاء ، 1986 ، ص 292 .

3- محمد المكي الناصري ، إظهار الحقيقة .. مصدر سابق ، ص، 79 .

4- محمد المكي الناصري ، المصدر السابق ، ص، 79 .

كما أمر ليوطي باسم السلطان كذلك، بإلقاء خطبة الجمعة التي يدعو فيها المسلمين بالالتزام الهدوء، و عدم الخروج عن الإمام أو الإنجرار وراء دعاوى الفتنة.. ((فتحصنوا من مهالك الدنيا بإسلامكم، والتدبير في أمركم، فمن رمى ذلك جهلا منه و فضولا، فلا تسمعوا له قولا، ولا تلقوا له بالا، فذلك خروج منه عن الحق وعدوه، فلا جهاد يصح إلا بإذن الإمام، مع توفر شروط الأئمة الاعلام، و إلا فمن خرج بقصده مات ميتة جاهليّة، وقال عليه السلام: (( الفتنة نائمة لعن الله موقظها ))،.. و لو كان الكفار على الباطل ما ظهوروا، و لو كنا على الحقّ على حربنا ما قدروا..))<sup>(1)</sup> .

كما أمعن الإستعمار الفرنسي في إشاعة المعاملات الربويّة، وإطلاق المنكرات في المغرب في ظل حماية القوانين الإستعمارية والظواهر السلطانية نكايّة في الإسلام والمسلمين عقب الإحتلال مباشرة، فقد كان من أول الظواهر التي استصدرها، ظهير ضبط محال بيع المسكرات الذي نشر بالجريدة الرسمية سنة 1913م، فلم يتخيّل أن يسن قانون يجيز التجارة في الخمر، في بلاد مسلمة مجمعة على مذهب واحد، و يحكمها "أمير المؤمنين"، و سليل سبط الرسول الأمين، و يكون دخله الضريبي ضمن مالية الدولة<sup>(2)</sup> .

وخلال هذه الفترة الدقيقة والحرجة في تاريخ المغرب، زادت حدة التغلغل الرأسمالي في المغرب، واستفحل نطاق وعمق تفكك آليات و بنيات السيطرة والهيمنة السياسية والاجتماعية في المجتمع المغربي<sup>(3)</sup> .

وأصدرت سلطات الإحتلال باسم السلطان كذلك، ظهير خاص، يقضي بتقنين البغاء ثم ألحق بتعديلات قانونية أخرى تجيز إنشاء فضاءات للبغاء الرسمي في مدن المغرب وقراه<sup>(4)</sup> .

وأصدرت ظواهر أخرى تسعى كلها لتكريس سياسة الإستعمار القائمة على أساس قاعدة "فرّق تسد"، لسلخ البربر عن العرب، و تفكيك المجتمع المغربي، وإلغاء أحكام

1- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص، 80 .

2- محمد المكي الناصري، نفسه، ص، 85 .

3- عثمان اشقرا، الوطنية والسلفية .. مرجع سابق، ص41

4- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص، 86 .

الشريعة الإسلامية، مع تكريس القوانين والعادات العرفية، و من ذلك الظواهر الصادرة سنة 1919م و1920م وبعدها، المتعلقة بتنظيم الولاية الإدارية على الجماعات والتنظيمات العرفية، ليس حبا في الأمازيغية وسعيا لترقيتها، بل كمرحلة متدرجة لإذابة المجتمع البربري والهوية الأمازيغية الإسلامية في الثقافة والعلمنة الفرنسية، و كان للجنرال ليوطي دور كبير في وضع الأسس التطبيقية لهذا المشروع التغريبي المضاد في المغرب، و كتب " جيرود juraud في كتابه : ( la justice Grètiemme ) :

« ces berberes ne sont pas des musulmans ils ne faut pas qu'ils soient gouvernés par des lois musulmanes »

« إن هؤلاء البربر ليسوا مسلمين، ولا ينبغي أن تطبق عليهم الشريعة الإسلامية »<sup>(1)</sup>

إن السياسة الفرنسية الإستعمارية والعنصرية، باتت مكثوفة في البلدان المغربية لتقويض كل ما له علاقة بالدين الإسلامي، وإحلال محلها النعرات الجاهلية والعادات البدائية، لهدم الروابط والميزات الحضارية بطمس و مسخ هوية المجتمعات، لإنهاكها وإخضاعها لإرادة الإحتلال .

كما كتب "موريس لغلاي" أحد موظفي الإقامة العامة بالمغرب، ضمن نشرة المعارف العامة المغربية الصادرة سنة 1921م بعنوان " المدرسة الفرنسية لدى البربر" ما يلي: « يجب أن نحذف تعلم الديانة الإسلامية واللغة العربية في مدارس البربر، و أن نعلّم البربر كل شيء ما عدا الإسلام »<sup>(2)</sup> .

و من جهة أخرى كتب ريبو " ribaud " في كتابه " القضاء في الجماعات البربرية"

: " les djamaas judiciars "

« cette politique pour but la non islamisation de berberes »

« إن هذه السياسة تهدف إلى إخراج البربر من حظيرة الإسلام »<sup>(3)</sup> .

إن جو الفوضى وعدم الإستقرار السياسي والأمني، جو قاتل للإصلاح يجعل الناس تفكر في النأي بأرواحها إلى برّ الأمان، فيقل ظهور المصلحين لأنهم عادة ما يكونون أهدافا للإستعمار وأعاونهم، بينما يكثر العملاء والمتملقين للإستعمار والمستبدين، ويرتفع شأنهم.

1- محمد المكي الناصري ، نفسه، ص، 90 .

2- محمد المكي الناصري، نفسه ، ص ، 97 .

3- محمد المكي الناصري ، إظهار الحقيقة وعلاج الخليفة ( من مناهضة الطريقة إلى مقاومة الإحتلال ) ، تحقيق محمد برعيش الصفرىوي ، ط 1 ، مطبعة طوب بريس ، الرباط 2010 ، ص ، 91 .

## 1-4- التّدخل غير المباشر :

ويكون التّدخل الأجنبي غير المباشر في المجتمعات العربية والإسلامية، عن طريق ما بثّه وصنعه الإستعمار من أدرعه وأدواته المتمثلة في أعوانه من العملاء والعناصر الليبرالية الفرونكوفيلية من النخب المثقفة الموالية للغرب والممجدّة لماضيه في البلاد المستعمرة، و حتى من عوام الناس المقلدون للغرب المتمسكون بقشور ثقافتهم وأدران عاداتهم، و الذي قال فيهم علال الفاسي: (( صاغ منهم كائنات على صورته، تُردد ما يقول، وتعمل بما يوحي به دون أن تدرك أنها إنما تعمل ضد نفسها وتحارب كيائها ))<sup>(1)</sup>، وهؤلاء يتجلّى فيهم المعنى الحقيقي لما نسميه بانفصام "شخصية الهوية"، فهم يدعون الإنتساب للأمة الإسلامية، ونبذ الإستعمار وآثاره، بل و يستشيطون غضبا وقد يجرّمونك لو أنت قد شككت في وطنيتهم أو إنتمائهم للإسلام (( جلّهم من المسؤولين في الحكومات الإسلامية؛ يقومون مقام المستعمر في الذب عن الفكر الأجنبي، المتمثل في القوانين المحدثة، وكيل الطعن المتوالي على الفقه الإسلامي و رجاله و دعاة العودة إليه ))<sup>(2)</sup>.

وإنّ كل ما قدّمه هؤلاء كمسؤولين لشعوبهم المسلمة، هو "قانون الأحوال الشخصية"، لأنّه الشيء الوحيد الذي لم تشمله "إصلاحات فرنسا" بشكل جذري كبقية الشؤون الأخرى، وكان علال الفاسي قد (( انتخب رئيسا للمجلس التأسيسي لوضع الدستور الذي لم ينجح لأسباب سياسية ))<sup>(3)</sup>.

إنّ الدول الإستعمارية سعت بشتّى الوسائل لأن يبقى لها النفوذ المادي والثقافي والقانوني على مستعمراتها خاصة العربية والإسلامية، و فرض الصبغة العلمانية في شتّى المجالات، عمدت هذه الدول الإستعمارية إلى نسخ شعوب على شاكلة شعوبها، فكانت تقبل في بعض مراحل الإستعمار إدماج الأهالي في جنسيتها، و إمتاعهم بنفس الحقوق التي يتمتع بها المواطن المستعمر<sup>(4)</sup>، ولقد راكمت العلمانية التي ورثها الإستعمار

1- علال الفاسي ، دفاغ .. مصدر سابق ، ص 7 .

2- علال الفاسي ، نفسه ، ص 8 .

3- عبد الحليم مرجي، مرجع سابق، ص30.

4- علال الفاسي ، دفاغ .. مصدر سابق، ص 14 ، ص 25 .

لمستعمراته لاحقا سجلا من السياسات الفاشلة والفساد، و سجلا من الضحايا في البلدان العربية والإسلامية<sup>(1)</sup> .

إلا أنّ الواقع المرّ الذي خلص إليه علال الفاسي، هو أنه لما أصبح الأمر بيدنا، رضينا بتركة ما سماه الفاسي "مقاصد الإستعمار" فينا، و فضلنا تبعيتنا له إلى الأبد،<sup>(2)</sup> إن إبقاءنا على القوانين الأجنبية، واعتبارنا لها مصدرا من مصادر تشريعاتنا المقبلة، هو عين الرضا بدوام الإستعمار، و الإبقاء على بذوره في نفوسنا وأفكارنا إلى الأبد<sup>(3)</sup> .

وإن ما اعتبرت؛ أهم قضية تعرض لها علال الفاسي في الجانب السياسي، هو ما تناوله في فصل "الفكر السياسي" ضمن كتابه "دفاع عن الشريعة"، أشار إلى أن الأساس الأخلاقي للسلطة هو أنها تعمل لصالح الجميع، و كل عضو في الجماعة يمثل سلطة معنوية لحراسة سير السلطة ومراقبتها.. لأن السلطة كامنة في الأمة، و منها تصعد إلى أيدي الرؤساء وأولي الأمر، و من حق الأمة و واجبها أن تظل حارسة على مواطن الإستعمال لما هو منها وإليها<sup>(3)</sup> .

فانتكاسة الشعب المغربي الكبرى-كما الحال في بقية البلدان المغاربية الأخرى- التي أعقبت فرحة الإستقلال مباشرة، هي ربط هذه البلدان بالدول الإستعمارية، و منها فرنسا بالخصوص، وقال علال الفاسي بشأن ذلك:<sup>(4)</sup> عقب الإستقلال أصدر الملك ظهيرا سنة 1956م يقضي بتشكيل لجنة برعايته، تضم كبار الفقهاء والقانونيين، تتولى<sup>(5)</sup> وضع مدونة لأحكام الفقه الإسلامي، تكون بمثابة قانون رسمي موحد للدولة<sup>(6)</sup>، فوضعت "مدونة الأحوال الشخصية"، لكنها فوجئت بتوقف عمل اللجنة بعد تمرير مدونة الأحوال، لتبقى القوانين الفرنسية نافذة في المغرب، فلم يكن يخطر ببال أحد من المناضلين، أن القانون الذي

1- نادر هاشمي، الإسلام والعثمانية والديمقراطية الليبرالية نحو نظرية ديمقراطية للمجتمعات المسلمة، ترجمة أسامة غاوجي، ط1، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ص266.

2- علال الفاسي، دفاع .. مرجع سابق، ص 212 .

3- أحمد الريسوني، علال الفاسي .. مرجع سابق ، ط2 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2014 . ص ، 126 .

وضعه الفرنسيون لمقاصد إستعمارية سيصبح المتحكّم في كل النشاط الإسلامي في المغرب<sup>(1)</sup> .

ويواصل علال الفاسي شكواه من تحكّم النفوذ الفرنسي فينا بواسطة وكلائه من المسؤولين في الحكومات الإسلامية، الذين يقومون مقام المستعمر: (( وهكذا أصبحنا أمام جبهة داخلية ترفض علينا أن نتكلم لغتنا أو نتعلم بها، كما ترفض علينا أن نتخلّى عن ما أسّسه المستعمر من قوانين في بلادنا وإحلال الشريعة الإسلامية محلها... لقد أصبح قسم من المسلمين، وجلّهم من المسؤولين في الحكومات الإسلامية، يقومون مقام المستعمر في الذبّ عن الفكر الأجنبي المتمثّل في القوانين المحدثّة، و كيل الطعن المتوالي على الفقه الإسلامي و رجاله و دعاة العودة إليه ))<sup>(2)</sup> ، و (( أنّ تعليم الدّين نفسه أعطي لنا بالكيفية التي تُرضي رجال السلطة والمال من أبناء قومنا أولاً، و ثم من الأجانب عنا ثانياً ))<sup>(3)</sup> .

ويرى علال أن الإستقلال الحقيقي ليس أن نزيح الأجنبي و نطرده، و نحل المغربي أو العربي محله لأي منصبه و سلطته فحسب، بل أن يستعمل المغربي قانونا غير القانون الذي كان يستعمله الأجنبي، (( إن توحيد القضاء يعتبر مظهرا للسيادة الخارجية للدولة، لكن توحيد القانون وقوميته يعتبر مظهرا للسيادة الداخليّة، فكيف نستغني بالإستقلال الخارجي عن الإستقلال الداخلي ؟ ))<sup>(4)</sup> .

وهذا النوع من المسؤولين أو الحكومات؛ يبدو لنا من خلالهم ((الفصل الكامل بين المسلمين و بين أنفسهم))<sup>(5)</sup>، فهم مسلمون، يصومون و يصلّون متمسّكين في الغالب بالإنتساب إلى الإسلام، و يفتخرون بترائمه و حضارته، كما يتسمّون بأسماء الصحابة و أسماء الله الحسنى، ولكن (( إذ بك تجدهم يقاومون كل رجوع للإسلام، و يتمسّكون بشريعة المستعمر ولغته وتفكيره ))<sup>(6)</sup>، وكانت الحكومات العربية المستقلّة يحكمها

1- أحمد الريسوني ، علال الفاسي .. مرجع سابق . ص، 110 .

2- أحمد الريسوني ، نفسه . ص، 112 .

3- علال الفاسي ، دفاغ .. مصدر سابق ، ص، 210.

4- أحمد الريسوني ، نفسه . ص، 112 .

5- علال الفاسي، نفسه، 2014 ، ص . 7 .

6- علال الفاسي، نفسه، ص . 7 .

علمانيون، حكموا بقبضة من حديد، مما كان سببا في ذهاب الشرعية عنهم و عن العلمانية أيضا، علما أن ((العلمانية في العالم الإسلامي لم تتجاوز أصولها الإستعمارية))<sup>(1)</sup> .

فإذا رضينا نحن بقوانين الأجنبي مكان قوانيننا؛ وإذا اخترنا لغته مكان لغتنا؛ وحضارته على حساب حضارتنا، فمعنى ذلك فإننا لم نزد على أننا ورثنا سلطته؛ و قمنا مقامه في تطبيق البرامج التي كان يعمل لها<sup>(2)</sup>، بينما دولتنا لا تزال تقول: إنها دولة مسلمة، و دستورها يعتبر الإسلام دينها الرسمي، و رئيس الدولة لا يزال يحمل لقب إمارة المؤمنين<sup>(3)</sup> .

ولقد حوربت الحركة الإصلاحية من شتي الجبهات، من مشيخة الجمود والطرقين، ومن السياسيين والليبراليين الوصوليين، و من الإستعمار وأعوانه الآخرين.. كلهم شكّلوا صفا مرصوصا لمنع و محاربة أي صوت أو حركة تسعى نحو التّجديد والتّغيير، بل نحو إقامة حكومة وطنية وشعبية تجعل من عناصر هويتها أركانا في بنائها و صرحها ..

### 1-5- فرض النظام الإستبدادي :

إنّ الإستبداد من الأمراض العويصة التي تعاني منها المجتمعات العربية والإسلامية خلال العصور الحديثة والمعاصرة، إذ أفرد له الكواكبي رسالة سياسية فلسفية تجسّد آثار الإستبداد في النفوس والأوطان، و تحلل ما ينجر عنه من فساد، سماه "طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد" حيث يرى الكواكبي الإستبداد داء الشرق، وهو أعظم بلاء، و وباء دائم بالفتن، و جذب مستمر، و حريق متواصل، و سيل جارف للعمران، و خوف يقطع القلوب، و قصة سوء لا تنتهي<sup>(4)</sup> ..

1- نادر هاشمي، الإسلام والعلمانية .. مرجع سابق، ص، ص، 265، 266.

2- علال الفاسي، دفاغ .. مصدر سابق، ص 26 .

3- علال الفاسي، نفس المصدر، ص 33 .

4- عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الإستبداد .. مصدر سابق، ص، 44.



إلا أن أصل الإنحراف والضعف في الجهاز السياسي للأمة كما يراه الأفغاني؛ قد بدأ عندما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن ينالوا شرف العلم والفقّه في الدين والاجتهاد في أصوله و فروعه، كما كان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم (1) .

و طرق أحمد بن أبي الضياف موضوع الإستبداد في مقدمة كتابه "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" و أسماه "المُلك المطلق" أي التصرف بمقتضى الهوى بدون دستور ولا قانون ولا شورى، واعتبر ذلك ((معارضاً للشرع والعقل معا)) (2)، كما رأى ابن أبي الضياف (( أن جور الملوك هو أقوى الأسباب في تدمير البلدان وتخريب العمران وانقراض الدول)) (3)، كما ناهض خيرالدين التونسي مبدأ الإنفراد بالحكم، وطغيانه ورأى (( أن للإستبداد عواقب وخيمة، و أن العمل بالرأي الواحد مذموم و لو بلغ صاحبه ما بلغ من الكمالات والمعارف)) (4)، داعياً إلى ضرورة توسيع السلطنة من خلال مجلس شوري، و وزراء تنفيذيين (5) .

و من معالم الإستبداد في العالم المعاصر؛ أن تنتقل الدولة من كونها تعبير عن جماعة وأداة للحكم بين الناس إلى التمرکز حول شخص الحاكم، والتعبير عن مصالح نخبة ضيقة من بطانته، دونما اعتبار للناس ومصالح بقية المواطنين (6)، كما اعتُبر إنشاء المجالس المنتخبة هي أول أسباب الأمن العام و التمدّن التام (7) .

و بدون مجالس شعبية منتخبة؛ يتحول طابع نظام الدولة من دولة المواطنين والشعب إلى دولة شخص معيّن أو أفراد معدودين تجمعهم شبكة من المصالح المتبادلة، فتصبح الدولة برمتها مشحصنة في شخص بعينه، وتصبح كل مفاتيح السلطنة بيده، فيغلق هذا النوع من النظام على نفسه، ولا تقوم آلية ما لإجراء أي تعديل أو تغيير فيه، وأي ادعاء

1- رضوان زيادة، التنوير في عصر النهضة، مقال على موقع: مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم : الدين و قضايا المجتمع الراهنة. تاريخ التصفّح <http://www.mominoun.com/articles/2018/02/29/>

2- فهمي جدعان، تحرير الإسلام .. مرجع سابق، ص، 166.

3- فهمي جدعان، المرجع نفسه، ص، 166.

4- فهمي جدعان، نفسه، ص، 166.

5- أحمد الطويلي، رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، د. ط، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي ، تونس، 2010، ص، ص، 60، 74.

6- أنور أبو طه، مآزق الدولة بين الإسلاميين والعلمانيين، ط1، جسور للترجمة والنشر، لبنان، 2017، ص، 61.

7- محمد الهادي بن الطاهر المطوي، الطريق إلى الحداثة .. مرجع سابق، ص، 144.

في إحداث تعديل أو تنويع فيه إنما يكون بطريقة "الإستنساخ السياسي"، فلا يحدث في هذا النظام المشخصن أية عملية تجديد ذاتي، إنما يقوم بعملية استبقاء وتثبيت بأي ثمن وبأي مقابل، في حين يزيد الميل إلى إسباغ نوع من القداسة على الفرد الذي يعتبر رأس الدولة المشخصنة<sup>(1)</sup>.

وهذا النوع من الإستبداد السياسي أو الشبيه به؛ كان هو النظام الغالب في معظم بلدان العالم العربي والإسلامي، عقب استلام النخب السياسية والعسكرية لمقاليد الحكم في هذه البلدان إثر إندحار الإستعمار وطرده، وهذا الوضع "المصطنع" الذي آلت إليه هذه البلدان؛ هو بمثابة الحدّ الفاصل والجدار العازل؛ الذي سدّ وقطع الطريق على مشروع النهضة؛ وأبقاه مؤجّلاً إلى أجل غير مسمى.

### 1-2- المعينات الفكرية :

لقد تحالفت السلّطات الإستعمارية بشكل أو بآخر مع بعض القوى الطرقيّة في بلدان المغرب العربي، وتجسّد خلالها نوع من التتاغم بين الفكر الطرقي والفكر الإستعماري، خاصّة في الجانب الفكري الدعائي والنفسي؛ فالإستعمار<sup>(2)</sup> محيط علما بكل ثغرات نفسيتنا<sup>(3)</sup>، فاعترف شكليا بنفوذ شيوخ الطرقيّة وامتيازات الزوايا، و بالمقابل قيام هؤلاء بأدوار دعائية في مُحاسنة الإستعمار، والترويج لأفكار الإستسلام لمشيئته، و مجريات القضاء والقدر في رقاب العباد و مقدرات البلاد.

و يقول الناصري، بأنّ الإستعمار ما كان له لأنّ يتمكّن من البلاد الإسلامية، إلاّ من خلال مداخل ضعيفة في أمراضنا عرف كيف يستغلها لصالحه؛ من بينها شيوخ الزوايا الذين كان همهم الإبقاء على نفوذهم الروحي وامتيازاتهم المادية، فاستمالهم الإستعمار لصالحه واستخدمهم ضد المسلمين المقاومين، يقول القبطان "أدينوت Paul- adinot" في كتابه "محور السّياستين" في فصل بعنوان: "الدور السياسي للطرق الصوفية والزوايا في مراكش"، وهو يتكلّم عن شيخ التجانيين في رسالة وجهها لأتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا و عبد

1- أنور أبو طه، مازق الدولة .. مرجع سابق، ص، ص، 61، 62.

2- عاطف، معينات النهضة .. مرجع سابق، ص، ص، 96.

الكريم الخطابي عام 1925م: (( قال الشيخ تيجاني محمد الكبير بن البشير حاضاً للإخوان على الإنحياز إلى جانب الدولة المسيحية ضد بني وطنهم المسلمين، (( الفرنسيون يكافئون من يقدم لهم خدمات... و لقد هزمت فرنسا منذ عهد قريب - يقصد حرب 1914-1918م - دولة من أعظم دول أوربا قوة، ألا يهب الله العلي النصر من يريد لهم النصر?... لقد ظلّ التيجانيون يقدمون لنا الخدمات طيلة ستين سنة، كما أننا بدأنا منذ سنة 1911م نستخدم نفوذهم الكبير جنوب مراكش، و في موريتانيا والريف ((1).

ويضيف "أدينو": (( أن مشايخ الطرق بهم نهم إلى المال، وتعطش إلى السلطة، وهم يدركون أن معارضتهم لسلطات الحماية ستحرمهم من الإثنين، وهم يعرفون كيف يبررون موقفهم أمام هؤلاء الأتباع ((2).

كما كان شيخ الدرقاوية مولاي حسن، من بين مشايخ الطريقة: (( يوصي أتباعه بالطاعة والخضوع للسلطات الفرنسية ((، أما شيوخ الطريقة الوزانية فهم الذين ساعدوا فرنسا على التوغّل في الصحراء الكبرى أولاً، ثم في مراكش بعد ذلك ((3)، كما أنهم لعبوا دوراً هاماً في الحوادث التي أدت إلى تسليم عبد الكريم زعيم الريف سنة 1926م.

وكانت ولا تزال طبقة عريضة من الناس الذين توطّروهم مشيختهم التقليدية الجامدة، التي ترى التجديد والتغيير من البدع في الدين؛ أو توطّروهم مشيختهم الطريقة المتشبّثة بالضريح و صاحبه، لا تسمع ولا ترى ولا يعينها من أمر الإسلام إلا ما جاء به شيخه الفلاني؛ حريصة على التمسك بالتدين السطحي والممارسة الآلية والشكلية لطقوس المواسم. طقوس الخصب والعافية والزردات...

وطبقة أخرى حياتها وهمّها الأول والأخير، الكسب المادي و لو كان ذلك على حساب دينها و وطنها؛ مستعدة لبذل أي شيء من أجل ذلك، ولا يعينها سؤال من أين و كيف؟،

1- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص 125.

2- محمد المكي الناصري، نفسه، ص 126.

3- محمد المكي الناصري، نفسه، ص 126.

ولسان حالها: أنا وبعدي الطوفان،<sup>(1)</sup> شعب يقاتل في سبيل الطاغوت ويجاهد في سبيل البهتان<sup>(1)</sup>.

## 2-1- حركة مشيخة الحاكم المتغلب :

ونقصد بمشيخة الحاكم المتغلب<sup>(2)</sup>، مشائخ الطرق الصوفية ومريديها، ورجال الدين المنضون والمنتسبون للهيئات الدينية الرسمية، الذين ناووا الحركات الوطنية، والدعوات الإصلاحية الإسلامية، وصوّغوا لحاكمية الإستعمار المغتصب، و برّروا وجوده في بلاد الإسلام والمسلمين، وتعاونوا معه في تثبيت حكمه و تقوية شوكلته وتوسيع سلطانه. فمعظم الطرق الصوفية فضلت الإستكانة والتعاون مع الإستعمار، ونشر أفكار التواكل والكسل بين الناس و تثبيط همهم<sup>(3)</sup>، اعترافاً وإقراراً بشرعية سلطته بدعوى القضاء والقدر<sup>(4)</sup>،

1- علال الفاسي، النقد الذاتي .. مصدر سابق ، ص 46 .  
2- أصل المصطلح من التراث والتاريخ الإسلامي، أصله العلماء ، إلا أننا أسقطنا المصطلح على واقع الفئة المتأخرة من مشيخة والمشيخة الرسمية التي برّرت و شرّعت للإستعمار أو الانظمة المستبدّة ، لتحقيق أغراض شتى.. فالأصل يقصد بالمتغلب (( هو المستولي على السلطة في وقت شغور المنصب وخلوه بموت من سبقه أو نحو ذلك، أو لخارج على السلطان القائم بالمستولي عليها وقت فراغ السلطة أو خلو الزمان أو شغوره عن الإمام، إذا لم يكن صالحاً للمنصب، أو غير متحقق بشروطه، ولم تكن هناك حاجة ملحة لاستيلائه، أو لم يكن الوحيد الصالح للإمامة بل يشاركه في الصلاح غيره؛ فإن مبادرته في الاستيلاء على الحكم من غير رجوع إلى الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد الذين يرجع الناس إليهم في مهمات أمورهم؛ يُشعر برغبته في العلو في الأرض بالفساد، .. ولا يجوز عقد الإمامة لفاسق، وإن كانت ثورته لحاجة ثم زالت وحالت، فاستمسك بعفته محاولاً حمل أهل الحل والعقد على بيعته، فهذا أيضاً من المطولة والمصالوة، وحمل أهل الاختيار على العقد له بحكم الاضطرار، وهذا ظلم وغشم يقتضي التفسير. فإذا تصورت الحالة بهذه الصورة، لم يجر أن يبايع ."  
والحالة التي يجوز فيها إقرار المستولي على الحكم عند شغور الزمان أو فراغه عن الحاكم، إذا كان المستولي متفرداً بالصلاح لهذا المنصب ولم يشاركه غيره في الصلاح، أو كان المستولي صالحاً له في وجود صالحين غيره لكن كانت هناك حالة ملحة أو مستغزاة لا يصلح التراخي فيها تدعوه لهذا المسلك، وتقاس أهل الاختيار من هو صالح للولاية، (قطالت الفترة، وتمادت العسرة، وانتشرت أطراف المملكة، وظهرت دواعي الخلل، فتقدم صالح للإمامة داعياً إلى نفسه، محاولاً ضم النشر، ورد ما ظهر من دواعي الغرر، فإذا استظهر بالعدة التامة من صفناه، فظهور هذا لا يحمل على الفسوق والعصيان والمروق، فإذا جرى ذلك، وكان يجر صرفه ونصب غيره فتناً، وأموراً محذورة، فالوجه أن يوافق، ويلقى إليه السلم، وتصفق له أيدي العاقدين)، أو تتابع أهل الصلاح وأهل الشوكة على طاعته ومتابعته وكان صرفه عن ذلك يجر فتناً وإراقة دماء، فإنه لا يدافع ولا يمانع  
أ- كونه صالحاً لتولي هذا الأمر، ما يعني أن المقصود من نصب الولاية متحقق بنصبه.  
ب- ما يترتب على مدافعتة وممانعته من فتنة وفساد وإراقة دماء، قال إمام الحرمين: "إذا ثار لحاجة، ثم تألبت عليه جموع لو أراد أن يتحول عنهم لم يستطع، وكان يجر محاولة ذلك عليه وعلى الناس فتناً لا تطاق، ومحنناً يضيق عن احتمالها النطاق، وفي استقراره الاتساق والانظام، ورفاهية أهل الإسلام؛ فيجب تقريره (( انظر:

- كتاب، غِيَاثُ الْأَمَمِ فِي التَّيَّاسِ الظُّلْمِ، أبو المعالي الجويني المتوفي سنة 498هـ، تحقيق ودراسة مصطفى حلمي و فؤاد عبد المنعم، د. طبار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية. ص.ص. 325، 326، 327.

- مقال الإلكتروني لمحمد بن شكر الشريف، حكم الحاكم المتغلب، <http://ar.islamway.net/article/19671> بتاريخ 2017/02/04.

3- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص 137 .

4- يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس معرفا القضاء والقدر (( و قدر الله تعالى هو تلق يعلم الله تعالى و إرادته أزل لا بالكائنات كلها قبل وجودها فلا حادث إلا وقد قدره الله تعالى ، أي سبق به علمه تعالى و تقدّمت به إرادته ، فكل أمر يقع في هذا الكون إلا و قد قدره الله تعالى ، و مضت به إرادته سبحانه و تعالى ، و من ذلك قوله تعالى (إنا كلّ شيء خلقناه بقدر) وقوله تعالى( و كان أمر الله قدراً مقدوراً ) . فإفعال العبد يبأسرها باختياره ، فبذلك كانت أعماله و كان مسؤولاً عنها ومجازى عليها ، و تلك المباشرة هي كسبه و اكتسابه ، فيسمى العبد عاملاً وكاسياً و مكتسباً. و العبد فعلاً لا يخرج في جميع تصرفاته عن مشيئة الله غير أنّ له اختياراً يجده بالضرورة من نفسه ، و مشيئة يجدها كذلك فيما يمكنه من أفعاله كان بهما مكلفاً ، ثم لا يخرج بهما عن مشيئة الله.. و يُحاسب الله عباده على ما علموه و كسبوه و اكتسبوه بما عندهم من التمكن من الفعل و الترك و ما عندهم من الإختيار .. فلهاذا يُمتحنون لظهور حقائقهم و يقع جزاؤهم على ما كسبت أيديهم باختيارهم ..). فالشيخ ابن باديس اعتنى كثيراً بموضوع القضاء و القدر شرحها في مواضع كثيرة ، كما حارب الافهام المغلوطة التي ارتبطت بها، خصوصاً عند الموالين للإستعمار من أذعياء التصوّف المنحرف من شيوخ الزوايا البدعية قد تصوّروا هذه العقيدة بأنها جبرية مطلقة و بالتالي اتخذوها ذريعة لزرع اليأس و الإستسلام للطغاة و المعتدين. انظر:

- محمد الدرارجي، الإمام عبد الحميد .. مرجع سابق، ص.ص. 61، 66.

كالتجانية<sup>(1)</sup> في الجزائر التي ناعت بنفسها عن المقاومة، وأعاققت مقاومة الأمير عبد القادر<sup>(2)</sup>، طلبا للعافية والجاه، وأكلا لأموال الناس بالباطل، و هذا دليل - كما قال مالك بن نبي- على ((انحطاط الإسلام بسيطرة أتباع الطرق الصوفية و بروز ذهنية عاجزة عن التفكير))<sup>(3)</sup>

وكذلك الحال مع المشيخة الرسمية التي كانت تشرف على المؤسسات الدينية وإمامة المساجد و إدارتها تحت سلطة الحاكم الأجنبي، و الحكومات " الوطنية " الموالية له والتي استخدمت كأدوات لتنفيذ وتمرير الدعاية الإستعمارية و مخططاته السياسية والفكرية<sup>(4)</sup>، حيث ترسخ التدين الطرقي و فكر القدرية، و الطقوس الموسمية، بموافقة غالبية مشائخ الأزهر بسكوتهم و مشاركتهم الفعلية والقولية<sup>(5)</sup>، المشيخة التي عُرِف عنها ((الإنغماس في التقاليد و التشبث السطحي و الطقوسي بالدين))<sup>(6)</sup>، كرّست و روّجت لـ (فقه العافية)<sup>(7)</sup>، ممّا

1- التجانية منذ بداية الإحتلال أتخذت موقفا سلبيا تجاه القضية الوطنية وضحت بمبادئ الإسلام الكبرى " الجهاد "، واهتمت فقط بما يخدم أهدافها المادية و الدنيوية لرجال مشيختها في عين ماضي و تماسين ، و رفعت شعارها " الخالد " و هو أن الإحتلال مكتوب و مقدر ولا فائدة من محاولة التخلص من هذا المكتوب و المقدر لأن ذلك ضد إرادة الله .انظر :

- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي .. مرجع سابق ج.4 . ص 201 .

2- من المؤكد أن الأمير لما تبث له خطر الإتصالات بين التجاني و الفرنسيين من خلال مخابراته التي اكتشفت رسائل من التجاني إلى الحاكم العام الفرنسي ( المارشال فاليه ) و التي كانت بخط التجاني نفسه ، و مما قاله التجاني للقائد الفرنسي : اشغل أنت الأمير من جهة البحر و أنا سأشغله من جهة الصحراء .اتصل الأمير قبل سنة 1838 مع محمد الصغير التجاني من أجل التفاوض معه لتنظيم شؤون دولته في الجهة الجنوبية ، لكن محمد الصغير التجاني طلب من الأمير عدم القدوم إلى " قصور الصحراء " ، و في نفس الوقت شرع التجاني في الإستعداد للحرب ، فجمع الخلفاء من مختلف النواحي و أدخلهم داخل بلدة عين ماضي ، و هذا يعني بالنسبة للأمير مبادرة بالقتال من جانب التجاني ، الذي راسل أهل الأغواط ، و ادعى لهم ، حسب رسالة الأمير ، أنه خليفة الله في أرضه ، و كان الأمير قد خاب ظنه في التجاني لما عامله كواحد من المرابطين " و أحد أعيان الوطن .انظر :

- أبو القاسم سعد الله ، المرجع نفسه . ص.ص ، 198.199 .

3- ألبرت حوراني ، مرجع سابق ص.444 .

4- انغمس الكثير من مشايخ المؤسسات الدينية الرسمية و الطرق الصوفية في ملذات الدنيا و إغراءاتها، و ساعد هذا الإنحدار و التبذع على الجمود و نقشي الخرافات ، و زاد الجهل و الأمية بين الناس خاصة في الجزائر التي كانت أكثر عرضة للجهل و الفقر بعد أن قضت الحروب الكثيرة بعد غزو الإستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830 م ، على زهرة العلماء المتوربين و على المدارس و المعاهد العلمية و المساجد و معظم التراث الفكري العربي الإسلامي ، كما وصل الأمر ببعض الطرق الصوفية ابتداء من منتصف القرن 19م العوبة في يد الإستعمار يسخرها في خدمة مآربه ، و هي تحذير الجزائريين السذج من الجهاد و طلب الحرية لبلادهم ، فعمدت بعض الطرق إلى نشر أفكار التواكل و الكسل بين الناس و تثبيط همهم في الغستعداد للكفاح من أجل إستقلال الجزائر و طرد الإستعمار الغاصب منها ، و ذلك بدعوى أن وجود الإستعمار هو من باب القضاء و القدر الذي ينبغي التسليم به و الصبر عليه ، و بلغ عدد زوايا الطرق الصوفية المنتشرة في الجزائر خلال القرن التاسع عشر حوالي 349 زاوية ، كما وصل عدد أتباعها و مرديها حوالي 300 ألف تابع و مرید ، تشكل قوة كبيرة تقف بالمرصاد لكل فكر أو فعل يُراد منه التغيير ، و أصبحت كل محاولة تريد الإصلاح في المجتمع الجزائري تصطدم برجال الطريقة و مؤسساتهم التقليدية ، و تلقى هذه المحاولة مقاومة شديدة منهم و ذلك خوفا على مصالحهم أن تنهار بعد أن أصبحوا طلاب سلطة و رئاسة لا طلاب إيمان و عبادة . انظر :

- عمارة تركي رابع ، الشيخ عبد الحميد بن باديس: راند الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر ، ط5 ، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، الجزائر، 2001، ص، 124 .

- عبد العزيز فيلالي، الشيخ أحمد حماتي و دوره في الحركة الإصلاحية الوطنية 1915-1998م، د.ط، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ص، 162 .

5- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص ، 79 .

6- عثمان أشقرا ، مرجع سابق، ص، 19 .

7- أحمد كافي ، مرجع سابق، ص، 9 .

مما تسبب في شل حركية المجتمع وإعاقته، و الوقوف في وجه مساعي التغيير والتّجديد، و بالتّالي إفشال المساعي النهضوية للأمة<sup>(1)</sup> .

وكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتبر الطّرق الصوفية وفرنسا استعمارين متحالفين ضد الشعب الجزائري، ففرنسا هي استعمار مادي و ظاهري يعتمد على الحديد والنار والبطش، أما الطريقة فهي استعمار روحي وباطني متغلغل في جميع أوساط الشعب الجزائري و متعاون مع الدولة الفرنسية عن رضى و طواعية مما دفع الإستعمار الفرنسي إلى التحالف مع هذه الطرق و حمايتها من خصومها الإصلاحيين<sup>(2)</sup> .

## 2-2- تكريس فكر الحاكم المتغلب :

على الرغم من إدعاء الإستعمار، ومن شايعه من الحكومات الموالية له على فصل الدين عن السلطة؛ إلاّ أنّه لأجل تحقيق أهدافه الإستعمارية، فإنه يصنع "مشيخة دينية" تفتي بإسلام سياسي على هوى السلطة القائمة، لشرعنة وجوده و تمرير المهمات و " المقاصد الإستعمارية" .

ومع مرور الوقت، فإنّ التحالف الهجين بين "السلطة العلمانية والمشيخة الدينية"، فإنّه سيخلق إنفصاما في شخصية المواطن المغربي، و يحدث شرخا في بين مكونات هويّته، ومسخا في ثقافته، و هذا ما عبّر عنه أشقرا بـ "التأثير المدمر والمرضى للظاهرة الإستعمارية على البنيات النفسية والثقافية للفرد المستعمر"<sup>(3)</sup>، على المدى القريب والبعيد ويتجلّى ذلك في السّياسة الدينية للإدارة الإستعمارية في الجزائر، التي أنشأت كهنوت إسلامي شبيه بالكهنوت المسيحي، والتحكّم فيه، وهو ما يُعرف كذلك بـ"فقهاء السلطان" الذين يغلب عليهم ضعف المستوى الثقافي والفكري والجهل بالدين، الذين يُشهد لهم كما

1- و بالمقابل قامت الإدارة الإستعمارية بغلق مؤسسات ومدارس جمعية العلماء المسلمين و مطاردة علمائها و التصييق عليهم ، ليفسح المجال أمام التدين الشعبي المغشوش ليخدر الشعب و يغذي مخياله الجماعي بالأساطير والخرافات التي تجعله في النهاية يعيش الأوهام و الإستسلام السلبي للقضاء و القدر ، كدين بديل عن الإسلام السياسي الثوري المفعم بالعمل و النشاط و التضحيات لتغيير الأوضاع.. انظر:  
- سامية بن معروف ، مقال: " الإخوان التيجانيين .. الرهان الجديد في الجزائر " مجلة دراسات إسلامية . العدد3 جويلية 2007م ، الجزائر ص. 19 .

2- عمامرة تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد .. مرجع سابق، ص، 126 .

3- عثمان أشقرا، مرجع سابق، ص، 18.

قال أوغسطين بيريك بأن ((عدم الكفاءة والمبالغة في الخضوع والإنقياد هي الشهادات الوحيدة التي يمكن لهم الاعتزاز بها... لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف ديني لأن يترقى إلا إذا ما أظهر للإدارة الفرنسية إخلاصاً منقطع النظر))<sup>(1)</sup>.

وأن ما يهم الحاكم المتغلب؛ هو عرقلة الحركية الفكرية والدينية المستتيرة للمجتمع، واستبدال ذلك بصورة دين رسمي أو طرقي رجعي جامد، يكرس طقوساً وشعائر دينية محنطة عن الإسلام، و حامياً لأركان العلمانية و محارباً لكل إصلاح ديني أصيل، أو نضال وطني .

كما كان متقف النخبة العلماني، مُستخدماً هو الآخر من قبل السلطة السياسية وسائراً في فلكها، من أجل إضفاء طابع تنويري على السلطة، بينما رأى متقنون و"علماء" من النخبة التقليدية، أن الإصلاح لن يتحقق إلا على أساس ((الطاعة التامة لولي الأمر)) وأن التحديث لن ينجح إلا بالإعتماد على إرادة الحاكم<sup>(2)</sup>.

## 2- الإشكاليات النظرية :

### 2-1- إشكالية العلاقة بين السياسة والدين:

من المعروف أنّ الفكر السياسي عند المسلمين يشهد ندرة في التأليف سواء من حيث التنظير أو التأصيل أو الإبداع والتجديد، مقارنة مع ما عرفته الفنون الأخرى، و نرى أنّ الموضوع هذا من الإشكاليات الملحة التي تستدعي اهتماماً خاصاً لبناء نظرية إسلامية واضحة وثابتة، باعتبارها ركناً أساسياً في استكمال المشروع النهضوي، وهذا ليس قصوراً في الدين الإسلامي أو علم السياسة، بل هو قصور فينا لعدم قدرتنا على فهم وممارسة السياسة الشرعية .

1- رابح لونيبي، الحدائث والديمقراطية .. مرجع سابق، ص. 66. 69.  
2- رضوان زيادة، التنوير في عصر النهضة، مقال على موقع: مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، قسم: الدين و قضايا المجتمع الراهنة ، تاريخ التصفح <http://www.mominoun.com/articles/2018/02/29/>

إنّ إجتماع السّقيفة بين الصحابة، قد أفرز خيارات سياسية تسعى للمشاركة وتأطير الفعل السياسي، و كان صاحب الرأي السياسي: منّا أمير ومنكم أمير، و الذي أعلنه في وجه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما و غيرهما من كبار الصحابة، و هو نفسه الذي تربّى على إبداء الرأي في حضرة النبي صلّى الله عليه وسلّم، والذي كانت له مثل هذه في بدر حين قال: أمنزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة<sup>(1)</sup>.

فأرضية المجتمع الإسلامي الأوّل كانت صلبة، و سرّ ذلك يعود لوجود رجال من أمثال الفاتح عقبة بن نافع والخليفة عمر بن عبد العزيز والإمام مالك - رضي الله عنهم - ولا يعود فضلهم إلى ما حازوه من ألقاب، بل لأنّ فضائل الإسلام الفطرية العظيمة قد تجسّدت فيهم بصورة أو بأخرى، فالأوّل احتقر مجدا حان مواعده، و الثاني رفض سلطة لا تقوم على حق، والثالث تحدّى و جابه ظلما باغيا<sup>(2)</sup>.

في البدء كانت السّياسة؛ و في البدء كان الإختلاف سياسيا..، ويقول الشهرستاني في "الملل والنحل": ((وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة..))<sup>(3)</sup>، لأنّ الإمامة بمثابة الرّأس للأمة، فالرّأس ((الشرعية)) الواعية والمتبصرة بآلام وآمال الأمة، هي عين الطلب و منها الخير كله، فهي تتفانى في خدمة الجسد، و تسعى بتوجيه من العقل و تدبير من القلب، و حولهما تجتمع الأعضاء الأخرى وتتعاون و تقوى على كل محال، بينما إذا فصلت الرّأس أو وضعت أخرى "إصطناعية" أو "مستوردة" مكانها، و عطّلت بعض وظائف القلب، فلا وجود هنا لتلك المعاني، فالكلّ سيان مُسخر لخدمة أهداف غير الأهداف وبناء مشاريع غير المشاريع...

وكان ابن قيم الجوزية قد أولى مسألة "السّياسة الشرعية" أهمية، و رآها من مصلحة الأمة وأنّ للسّياسة علاقة بالشرع حين قال: ((أنّ الله أرسل رسله و أنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط - وهو العدل - الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل

1- أحمد كافي، مرجع سابق، ص122

2- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، ط2، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص141.

3- أحمد كافي، مرجع سابق، ص122



وأسفر وجهه بأي طريق فتمّ شرع الله ودينه<sup>(1)</sup>، و يؤكد الماوردي أنّ "السياسة العادلة" تتولى قبل كل شيء "حراسة الرعية" التي هي أمانات الله لدى السلطان<sup>(2)</sup>.

فرجال الحركة الإصلاحية؛ لم يغفلوا الجانب السياسي وأهميته في مشروعهم النهضوي، فقد تناول مالك بن نبي جدل جمال الدين الأفغاني لأرنست رينان، و محاضرة محمد بن رحّال التي ألقاها في مؤتمر المستشرقين وعنوانها "مستقبل الإسلام"، كما أشاد ابن نبي بالمجهودات الجبّارة التي قام بها البنا في مصر من أجل غرس العقيدة الإسلامية في النفوس و حمل المسلم على تطبيقها في حياته، في حين كان من بين أهداف المستشرقين هو التركيز على عزل الإسلام عن السياسة<sup>(3)</sup>.

ولقد اعتبر حسن البنا علاقة الدين بالسياسة بمنزلة ((الأصل الأساسي)) الذي تمّ تضييعه، بل هو أول الأخطاء التي تمّ الوقوع فيها من قبل المشرّعين<sup>(4)</sup> وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل، ففصلنا الدين عن السياسة عملياً<sup>(5)</sup>، و يردّ حسن البنا على دعاوى الفصل بين الدين والسياسة قائلاً: ((فمن ظنّ أن الدين لا يعرض للسياسة، وأن السياسة ليست من مباحثه، فقد ظلم نفسه، أو ظلم عمله بهذا الإسلام، مشيراً أن سبب ضياع الدين هو زوال سلطته السياسية))<sup>(5)</sup>.

و رغم اعتماد البنا المرجعيتين الفقهيّة والنصيّة في بيان رأيه؛ إلا أنّ هناك نصّ للبنا يخصّ موقع السلّطة من الإسلام، نصّ يراه الأستاذ أبوطه أنّه مهم فارق فيه البنا الإتجاه التقليدي والشائع لدى فقهاء وعلماء أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً، وهو أنّ الحكم والسياسة من المسائل الفرعية والفقهيّة، فالبنا أدرج قضية "نظام الحكم" في مباحث الإعتقاد وأصول الدين، حيث يقول في رسائله: ((والحكم معدود في كتبنا الفقهيّة من العقائد

1- فهمي جدعان، تحرير الإسلام مرجع سابق، ص، 159.

2- فهمي جدعان، المرجع نفسه، ص، 159.

3- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص، 136.

4- أنور أبو طه، مآزق الدولة .. مرجع سابق، ص، 181.

5- أنور أبو طه، نفسه، ص، 181.

والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم و تنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون و قضاء، لا ينفكّ واحد منهما على الآخر<sup>(1)</sup> .

ويشير يوسف القرضاوي إلى قضية الفصل بين الدين والسياسة بقوله: ((إنّ تاريخ الفكر الإسلامي في عصوره المختلفة لم يعرف أحدا من رجاله من أي طائفة كانت من المتكلمين، أو الفقهاء، أو الأثريين، أو من المتصوفة، أو حتى من الفلاسفة، نادى بفصل العقيدة عن الشريعة، أو الدين عن الدولة، أو الرسالة عن الحكم..، والإسلام كما شرعه الله وكما بلّغه رسوله لا بد أن يكون سياسيا، لأنّ شريعته شريعة شاملة، والفقه الإسلامي تناول الحياة كلّها، من أدب قضاء الحاجة إلى بناء الدولة، واختيار الخليفة<sup>(2)</sup> .

وإنّ الكثير من العلماء اكتفوا بالحديث عن مواضيع معلومة في الفقه، و ((لم يتعدّوه إلى المواضيع الملحة التي تؤرّق الحاكم وتشكل له إزعاجا في باب الإمامة، فاختاروا الإشتغال بالعلوم التي احترقت حتى لا يحترقوا، وفضلوا البُعاد عن ضبط السياسة بالشرع، وتقعيدها و ضبطها وفق سنن العدل<sup>(3)</sup> .

فالأمر لا يعني خلو الفكر الإسلامي من التنظير في المقاصد السياسية، والخوض في شؤونها، هناك علماء كُثر طرّقوا هذا الباب، وألّفوا فيه أمهات المصادر والمراجع والأبحاث المطوّلة، و رأوا أنفسهم معنيون بالحديث عنه والكلام فيه، فكانت لهم مشاركة معروفة، و مساهمة جادة، ساهمت في النفع العام و توسيع دائرة الخير .

1- إنّ مباحث السياسة و نظم الحكم في ما عُرف في مصنفات القدماء بالإمامة، أو الولاية، أو الخلافة، من الفروع لا الأصول، و الفقهيات لا العقائد، هي نقطة إنقضاء و موضع إتفاق كل التيارات الفكرية و المذاهب العقدية الإسلامية باستثناء الشيعة، فالشيعة الإمامية وحدهم الذين قالوا: ((إنّ الإمامة هي من أصول الدين وأركانه))، و هو كذلك موقف المعتزلة، و موقف الخوارج، و يقول الشهرستاني في ذلك: ((إنّ الإمامة ليست من أصول الاعتقاد))، كما ذكر عضد الدين الإيجي و الجرجاني حيث يقولان: ((إنّ الإمامة ليست من أصول الديانات و العقائد، بل هي من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين..))، كما ذكر الجويني إمام الحرمين من ((أنّ الكلام في الإمامة ليس من أصول العقائد))، وقال أبو حامد محمد الغزالي: ((إنّ نظرية الإمامة ليست من المهمات، و ليست من فنّ المعقولات)).

أما ابن تيمية فهو يفي أن تكون الإمامة من أركان الإسلام الخمسة، أو من أركان الإيمان الستة، أو من أركان الإحسان..، أما ابن خلدون فيقول في معرض ذكر الإمامة و موقعها لدى الشيعة: ((و شبهة الإمامة في ذلك، إنّما هي كون الإمامة من أركان الدين...، وليس كذلك، إنّما هي من المصالح العامة المفوّضة إلى نظر الخلق)).

و كثير من المعاصرين ممن ساروا على سنن الفقهاء القدماء، منهم محمد عمارة الذي يقول: ((أصول الدن ثلاثة: الألوهية، والنبوّة، و اليوم الآخر، و ليس منها مبحث (الإمامة/الخلافة) الذي يندرج تحته الفكر السياسي في تراث الإسلام...، فالإمامة و السياسة من الفروع، و ليست من الأصول، وكذلك القرضاوي في كتابه " السياسة الشرعية " خالف البنا عندما التزم بالرأي التقليدي للفقهاء و المتكلمين السنة من أنّ الإمامة و الخلافة من مباحث الفروع، لأنها تتعلق بالعمل، لا بالاعتقاد أساسا، كما يقول، وأنه يسلم بذلك من ((غير شك))

إلا أنّ حسن البنا يكون جانب ما ذهب إليه هؤلاء الفقهاء، حيث اعتبر مسألة الحكم في كتب الفقه من العقائد، في الوقت الذي عولجت مسأله ورضت في كتب الفقه لا في كتب العقائد.. للمزيد، انظر:

- أنور أبوطه، مآزق الدولة .. مرجع سابق، ص181..184.

2- أنور أبوطه، نفسه، ص185.

3- أحمد كافي، مرجع سابق، صص10،9 .

وإنه ليس من الخفي، ما لإشكالية النهضة العربية من دور للجانب السياسي فيها، باعتبار العائق الأكبر الذي منع قيام هذا النهوض والتوثب نحو الريادة، هو الإستعمار دون أدنى شك في ذلك، وهذا من بديهيات السيرورة التاريخية وعلاقات الغرب بالشرق ودول شمال إفريقيا.

ولا يخفى علينا ما ذهب إليه مجدي الفكر الإسلامي أواخر القرن التاسع عشر، لما اشتكوا من ظاهرة الجمود عموماً، منهم كما أسلفنا خير الدين التونسي وكتابه<sup>(1)</sup> «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك»، ذكر أنه من بين الأسباب الداعية لتأليف كتابه هذا هو «سراب التنظيمات»<sup>(1)</sup>. التي لم تدخل على المجتمعات الإسلامية غير النفوذ الأجنبي والتصدع الداخلي والتيارات الفكرية المعادية..

وأنّ موضوع الخوض في القضايا السياسية البناءة، هو من المباح غير المرغوب فيه، حاجة في نفس الطرف الآخر، و حاجة في نفس وكيله، و ليس حاجة في نفس المتكلم، ومما قاله الفاضل بن عاشور في كتابه "روح الحضارة الإسلامية"، أنه كان هناك خطيباً لجماعة من المسلمين، منذ نحو من سنتين سنة، مبيّناً أن أسباب تقدم المسلمين هي دين الإسلام، و لما أنهى محاضراته تقدم إليه أحدهم من ذوي التنكيت في ذلك المجلس، ورجا منه أن يتم حديثه ببيان أسباب تأخر المسلمين، فأجابه الأستاذ قائلاً: هذا لا يكون إلا في محاضرة تلقى خارج البلاد الإسلامية<sup>(2)</sup>..أجابه و كأنه ينظر إلى المسلمين بما هم عليه من فساد ناشئ منهم، وقد امتزجت بهم و بأوضاعهم حتى أصبحت جزء من واقعهم المعاش، وأصبحت منهم بمنزلة أنفسهم، يثرون لأجلها؛ و يحاربون دون نزعها؛ فلا يبتدئ بذلك إلا في أرض بعيدة ، كما ابتدأت العروة الوثقى<sup>(3)</sup> .

ومن المعترف به أنّ الحركات الإصلاحية بالمغرب العربي، من خلال الدراسات العلمية المنجزة في هذا الصدد تتسم بالقلّة الشديدة رغم خطورة الظاهرة المرصودة،

1- خير الدين التونسي ، أقوم المسالك ..مرجع سابق ج.1. ص30.

2- أحمد كافي، مرجع سابق، ص12

3- أحمد كافي ، نفسه، ص،ص،12،13 .

مقارنة مع ما تمّ إنجازه من أبحاث بالنسبة للحركات الإصلاحية في كل من تونس ومصر و تركيا و الشرق الإسلامي عامة<sup>(1)</sup> .

وقد نقول أنّ البرامج التربوية والدّعوية قد نجحت ضمن المشاريع الإصلاحية في المغرب ولكن بنسب معيّنة، ولم يواكب نجاحها نجاح المشاريع السياسية<sup>(2)</sup>، وهذه الخاصية تتسحب بالخصوص على دول المغرب، ويعود ذلك في اعتقادنا، إلى "الحساسية الإستعمارية الصليبية" التي أبدتها تجاه حركية الإسلام الإصلاحي النهضوي والسياسي، والقيود التي فرضتها تجاه نشاطاتها .

إلا أنّ علال الفاسي من خلال كتابه "دفاعٌ عن الشريعة"، لا يتصور أنّ يعيش المسلمون مفصولين عن دينهم تحت مظلة ما يعرف بـ"فصل الدين عن الدولة"، لأنّه في الأصل ((لا يتصور الإسلام أن يكون الفرد المسلم منفصلا عن الدين. وتبعاً لذلك لا يتصور أن يكون المسلم النائب عن الأمة، يدبّر أمورها بغير الشرع ..))<sup>(3)</sup> .

ويضيف علال، أن الإسلام واضح التعاليم، لا يقبل أن يقال عنه أنه يبيح لمعتنقيه أن يكتفوا بالإعتقاد، ويتبعوا الحكم بغير ما أنزل الله، ولا يمكن للمسلمين أن يتراخوا عن التّحاكم لشريعة الإسلام، ولا يمكن أن يخطر ببالهم التّحاكم إلى الطّاغوت، و هو قانون الإستبداد الناشئ عن إرادة الحكام والرؤساء والنواب، الخاضعين للرأسمال الأجنبي أو الأهواء الأحزاب و قاداتها، و يؤكّد علال أن القرآن صريح في ضرورة السير في جميع المسائل بمقتضى التشريع السماوي، كقوله عزّ و جل<sup>(4)</sup>: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ))<sup>(5)</sup> .

كما أن علالا، يرفض أية طاعة لحاكم لا يحترم أحكام الشريعة الإسلامية، بل ويذهب أن الطاعة لا تجب في حق هذا الحاكم إلا إذا كان قائما على أمر

1- أحمد كافي، مرجع سابق، ص15 .

2- أحمد كافي، نفسه، ص17

3- علال الفاسي، دفاعٌ .. مصدر سابق، ص59 .

4- علال الفاسي، المصدر نفسه، "ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص62 .

5- قرآن كريم، الآية 60، من سورة النساء، برواية ورش عن نافع .

الشرعية، (( والطاعة لا تجب على المسلمين، إلا إذا كان الأمر، أو الحكم، اللذان يطلب منهم طاعتها، متفقين مع الشريعة ، فطاعة الحاكم مستمدة من رعايته للشرعية، و قيامه عليها ))(1).

ثم يردف علال القول، أن القرآن (( قد حكم على المنحرفين على الشرع، والحاكمين بغير ما أنزل الله، بالكفر، أو الظلم أو الفسق، ذلك قوله تعالى: (( وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ))(2).. فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ))(3).. فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ))(4)، فهل بعد هذا يمكن لمؤمن صحيح الإيمان، أن يقبل إحلال قوانين وضعية محل القوانين الشرعية، ويرضى بالجاهلية نظاماً؛ (( أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ))(5) .

وذهب علال الفاسي إلى أبعد من ذلك ، لما أطلق تحذيره بشكل قوي و صريح بقوله: (( فالعدول عن الحق بالشرعية يعد في القرآن كفراً و ظلماً و فسقاً. وهو كفر لأن رد الفعل الإنساني لأمر الله هو القبول أو الرد. الأول هو الطاعة ومآلها الإيمان، والثاني هو العصيان و مآله الكفر. وهو ظلم لأن العدل هو ما جعله الله عدلاً. وهو فسق لأنه خروج عن أوامر الله، من قولهم فسقت النواة إذا خرجت ))(6) .

وتعتبر ردّة فعله القوية هذه التي أبدأها علال الفاسي في معرض كتابه (( دفاع عن الشريعة ))، نوع من خيبة الأمل، في بعض المجموعات المناضلة في حربه ضد الإستعمار، أصحاب الفكر الشيوعي، الذين رفضوا رؤية علال الإسلامية في دستور مغرب الإستقلال، و هذا مظهر آخر من مظاهر الإيعاز، لإعاقة المشروع الإصلاحي في بلدان المغرب العربي .

ويرى علال أنه لا مكان في الإسلام لتلك النظرية التي تقول بفصل الدين عن الدولة: ((إنّ الإسلام لا يقبل النظرية التي تسير عليها بعض الدول من فصل الدين عن

1- علال الفاسي ، دفاع .. مصدر سابق ، ص 119 .

2- قرآن كريم ، الآية 44 ، من سورة المائدة ، برواية ورش عن نافع .

3- قرآن كريم ، الآية 45 ، من سورة المائدة ، برواية ورش عن نافع .

4- قرآن كريم ، الآية 47 ، من سورة المائدة ، برواية ورش عن نافع .

5- قرآن كريم ، الآية 50 ، من سورة المائدة ، ورش عن نافع .

6- أحمد الريسوني، مرجع سابق. ص، 62 .

الدولة...وما شرعت الدولة إلا لمصلحة الدين، و ما جعلت الخلافة إلا لتنفيذ أحكام الشريعة...))<sup>(1)</sup> .

ولقد اهتزّت (( ركائزنا العقائدية والأخلاقية تحت ضربات أناس يأتُمرون بأوامر تأتيهم من وراء البحار))<sup>(2)</sup>، والذين ينساقون وراء التّشريعات الغربية ويستسلمون لها ويفرضونها على شعوبهم، إنّما يجهلون و يتجاهلون أن القوانين لا بد أن تكون مرآة المجتمع وعقيدته وأخلاقه، وأنّ هذا هو الذي يعطيها القبول والإحترام والتجاوب الطوعي لدى الشعوب<sup>(3)</sup> .

إلاّ أنّه لا بد أن نوّكّد في نهاية الأمر، أن مفكّري الإسلام المحدثين قد خلصوا إلى الإعتقاد بأنّ العالم العربي الحديث لا يستطيع أن يتقدّم إلاّ إذا وضع حد لحالة "الفصام النكد" بين الحياة السياسية-الإجتماعية و بين نظم الإسلام الفقهيّة أو القانونية، وحُمّل الإسلام نفسه إلى موقع السلطة "الوازعة" والسلطة "المشرّعة" في المجتمع ومؤسساته، أي أن تكون "الدولة" للإسلام<sup>(4)</sup> .

## 2-1-1- إشكالية التدين والمعاصرة :

قبل أن نتناول إشكالية التدين و المعاصرة و العلاقة بينهما، لا بد أن نتطرّق لمفهوم المعاصرة، حيث تقول د. فوزية محمد بريون : (( فالمعاصرة لا تعني إلاّ حضور الأُمّة في هذا العصر حضوراً إيجابياً، يصحّ مسارها و يؤكّد هويّتها التاريخية والحضارية ويمكنها من أن تلعب دورها في التاريخ. ولا يتأتّى ذلك إلاّ بتوظيف طاقات الأُمّة ورصيدها البشري والفكري ممّا يستوجب الأخذ بأسباب القوة، واستخدام العقل واليد والوقت والمال استخداماً مبرمجاً تؤدّي كل مرحلة فيه إلى أخرى في اتجاه واضح و هو الدّخول في دورة حضارية جديدة ))<sup>(5)</sup> .

1- أحمد الريسوني ، نفسه .ص 117 .

2- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص، 105.

3- أحمد الريسوني ، مرجع سابق . ص، 118 .

4- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص، 550.

5- عبد اللطيف عبادة، مرجع سابق، ص، 114.

واعتبرت نظرية الحضارة التي جاء بها مالك بن نبي، كرؤية جديدة إلى التاريخ، وكحل لأزمة التخلف والانحطاط الذي يعانيه المسلم المعاصر روحيا واجتماعيا وماديا، لإستعادة توازنه وانسجامه مع مقتضيات الحياة، و إزالة المناقضات والمفارقات في مجتمع اليوم<sup>(1)</sup> .

وتقتضي المعاصرة على أن يحرص الإنسان المسلم في عصرنا على أن يكون عنده استعداد عقلي ونفسي وعملي تجاه مشاكل عصره بغية حلّها، وهو ما أطلق عليه مالك بن نبي بالفعالية. والفعالية تتحكّم في توجيهه وتشريع عملية التغيير الضرورية للمعاصرة والتحضّر. وهي السرّ الذي أشار إليه الله سبحانه و تعالى في قوله: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ))<sup>(2)</sup> .

## 2-2- مقارنة بين المشروع النهضوي وإشكاليات الحداثة :

### 2-1-1- المفاهيم :

1- التحديث " MODERNISATION "<sup>(3)</sup>: هو سياق التحوّل الإقتصادي والتكنولوجي، كما جرى تاريخيا لأول مرة في أوروبا وهي ظاهرة أوروبية، وأصبح التحديث مرادفا للإِنماء الإقتصادي و محاكاة أنماط إقتصادية مميّزة للبلدان الغربية<sup>(4)</sup>، والإصلاح في جوفه بذرة التّحديث الذي لن يكون إختيارا بل سيكون ضرورة و مشروعاً أواخر القرن التاسع عشر<sup>(5)</sup> .

1- جيلالي بوبكر، الإصلاح والتجديد لدى "محمد إقبال" و"مالك بن نبي" بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص، ص، 126، 127 .

2- سورة الرعد، الآية: 11، برواثة ورش عن نافع .

3- للتوسع والإطلاع أكثر على العلمانية ومفاهيمها، انظر:

- عبد الرحمان البعقوبي، الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر ( محمد أركون، محمد الجابري، هشام جعيط ) ، ط1، مركز نماء للبحوث و الدراسات، بيروت، 2014، ص، ص، ص، 27، 28، 29.

4- أحمد قوال ، التحضّر، التحديث ، الحداثة ، في المجتمع المغربي الحديث ، مطبعة إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء. المغرب 2012م. ص 22 .

5- أحمد قوال ، التحضّر، التحديث ، الحداثة ، في المجتمع المغربي الحديث ، مطبعة إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء. المغرب 2012م. ص 41 .

## 2- الحداثة " MODERNITE " :

إن مفهوم الحداثة<sup>(1)</sup> قد رسخ في القول أنه تحول جذري على كافة المستويات، في المعرفة، في فهم الإنسان، في تصور الطبيعة، و في معنى التاريخ، إنها بنية فكرية كلية، فهي لما تلامس بنية إجتماعية و ثقافية تقليدية فإنها تصدمها وتكتسحها بالتدرج ممارسة عليها ضربا من التفكك و رفع القدسية، كما تستخدم الحداثة أساليب رهيبية في الانتشار والإكتساح، فهي تنتقل كالجائحة في الفضاءات الثقافية الأخرى إما بالإغراء والإغواء عبر النماذج، والموضة والغزو الإعلامي بمختلف أشكاله<sup>(2)</sup>، أو عبر الانتقال المباشر من خلال التوسّع الإستعماري (( الحداثة الوافدة المحمولة في ركاب الجيوش الغازية ))<sup>(3)</sup>، امتدت زمانا منذ غزوة بونايرت لمصر أواخر القرن الثامن عشر، نعتت بأنها ولدت بعملية قيصرية من خارج و لم تنشأ في ثورة ثقافية ذاتية في جوف المعرفة - الإسلامية<sup>(4)</sup>، والنزعة الحداثية برمتها تعني الولوج بكل جديد<sup>(5)</sup>، مع تكريس النزعة الفردية الفردية والتحرر من سلطة الدين والأخلاق إلى حد الفوضوية في قيم الأسرة والعلاقات بين الجنسين<sup>(6)</sup> .

أوهي مجموعة العمليات التراكمية، اقتصادية بتعبئة الموارد والثروات، وتطوير قوى الإنتاج، وسياسيا ببلورة دولة المؤسسات، القائمة على تحرير تقاليد الممارسات السياسية

1- ظهرت الحداثة في أوروبا مع النهضة الإنسية التي قامت على أكتاف الحضارتين: اليونانية والرومانية مع الاطلاع على الفكر العربي عن طريق الترجمة والاحتكاك بالعرب عبر مجموعة من القنوات كالحروب الصليبية وطرق التجارة والأندلس وبعض مرافئ إيطاليا كصقلية. وقد تجسدت الحداثة الأوربية إثر انطلاق الاكتشافات الجغرافية واكتشاف أمريكا واختراع المطبعة واندلاع الثورتين: الفرنسية والأمريكية وتطور الفلسفة العقلانية وظهور النظرية النسبية مع إنشئين وتطور الرأسمالية الغربية مع تطور الثورة الصناعية والتقنية. كما ظهرت الدولة الحديثة وحقوق الإنسان والطبقة البورجوازية التي ساهمت في تطوير المجتمع الغربي وتحديث وسائل الإنتاج والاستغلال الاقتصادي والطبيعي وانتشار الفكر الليبرالي القائم على الحرية والفردية وخلق الثروة قصد تنمية المجتمع. وتذهب الحداثة إلى أكثر من ذلك حيث يعتقد الفيلسوف هايدجر أن صلب مشروع الحداثة (( يكمن في الإنسلاخ عن المقدس واستبعاده ))، فكل الحضارات السابقة كانت لها محرماتها " الطابو " عدا حداثة الغرب فإنها لا تعترف بأية محرمات أو مقدسات. انظر:

- محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة، مراجعات الفكر الغربي في تأزم فكر الحداثة، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، السعودية، 1434هـ، ص، 89. انظر كذلك: جميل حمداوي، المغرب والحداثة، مقال من موقع: [http://www.aljabriabed.net/n93\\_07hamdaoui.htm](http://www.aljabriabed.net/n93_07hamdaoui.htm) بتاريخ 2017/01/28.

2- أحمد قوال، التحضر، التحديث، الحداثة، في المجتمع المغربي الحديث، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء. المغرب 2012م. ص 22.  
- محمد سبيللا. الحداثة و ما بعد الحداثة. دار طوبقال للنشر. الطبعة الأولى. الدار البيضاء. المغرب. 2000. ص 21.  
3- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى. بيروت 2007. ص 15.  
4- عبد الإله بلقزيز، المرجع نفسه، ص.ص 28، 29.  
5- للتوسع والإطلاع أكثر على العلمانية ومفاهيمها، انظر:  
- عبد الرحمان يعقوبي، الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون، محمد الجابري، هشام جعيط)، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2014، ص، 53.  
6- محمد محمود سيد أحمد طه، أعداء الحداثة .. مرجع سابق، ص، 82.



من أجل المشاركة في الحياة العامة، واجتماعيا بتأسيس القيم والقوانين والنواميس، وإبعادها عن المواقف العقائدية<sup>(1)</sup>، لكن الحداثة بالنسبة للفكر العربي هي: إعادة قراءة التراث<sup>(2)</sup>.

إنه لا قوانين معينة للحداثة ولا نظريات لها، بل مجرد سمات للحداثة، بل هناك منطق و حتى إيديولوجيا للحداثة، فهي بوصفها أخلاقا صارمة و تغييرا، تتعارض مع الأخلاق الصارمة للتقليد، إنها تفصح عن حقيقة مسارها بالتغيير الجذري، و الهروب المستمر إلى الأمام. (( إنها تقليد الجديد ))<sup>(3)</sup>.

فلا يمكن اعتبار الحداثة الغربية قطيعة وقعت في التراث الإنساني بأجمعه وإنما هي قطيعة وقعت في جزء منه و تجديد في جزء ثان و تعديل في جزء ثالث وإصلاح في جانب رابع واستئناف في جانب خامس وإعادة في جانب سادس وهكذا دواليك، وهذا ما قاله يورغن هيرماس، حين وصف الحداثة بالمشروع الناقص غير المكتمل (Modernité est un projet inachevé). وقد تعدّ الحداثة في جانب منها انتكاسا و تقهقرا بالنسبة إلى التراث الإنساني ناهيك عن التراث العربي الإسلامي، ففي إحدى المبادئ التي قامت عليها الحداثة هو إنكار القيم المتعالية والغيبية، ومعلوم أن الأصل في القيمة هو العلو والسمو، لأنّ الهدف منها هو أن ترتفع همّة الإنسان وكلّما ازدادت القيمة سمّوا، فالإنسان ابن عصره، لكن الإنسان الذي لا يتزوّد بأعلى القيم لا يكون فاعلا في عصره بقدر ما يكون منفعلا، و من يفعل بالشيء لا يأمن أن يُستدرج إلى ما يضرّه<sup>(4)</sup>.

ولقد اشتغل المثقفون العرب منذ بداية النهضة بإشكاليات الحداثة والمعاصرة والهوية والتراث<sup>(5)</sup>، لدرجة حصول ما قد نسميه بالتراكم النظري الضخم لمسائل الحداثة والتراث

1- فتحى التركي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003، ص214.

2- عبد الرحمان البيقوي، الحداثة الفكرية في التأليف الفلسفي العربي المعاصر (محمد أركون، محمد الجابري، هشام جعيط)، ط1، مركز نماء للبحوث و الدراسات، بيروت، 2014، ص9.

3- أحمد قوال، التضرر، .. مرجع سابق، ص 15.

4- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 126.

5- يعرف د.حسن حنفي التراث بقوله: (( إنه كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروثة، وفي نفس الوقت قضية قضية مُعطى حاضر على مستوى عديد من المستويات )).. إن التراث لا يتحوّل إلى همّ وقضية في الغالب إلا في حالة التفكير بالنهوض والتقدّم الذي يستحضر معه التراث، و يعيد قراءته بمنظور مختلف، و هذا يعني أنّ الأمم و المجتمعات المتقدّمة لا تواجه مشكلة أو إشكالية حول التراث، لأنّ

والنهضة، سعيا من الفكر العربي و ما أنتجه من خطابات و مشاريع لإيجاد مقاربة آمنة وغير صادمة مع تحديات الحداثة الغربية<sup>(1)</sup> .

إن رصد وتتبع المشاريع الإصلاحية النهضوية، وعمليات الحداثة والتحديث التي راحت تتبلور بشكل متسارع بدءا من أواخر القرن التاسع عشر، وعلى مدار النصف الأول من القرن العشرين والرؤى التي أفرحتها النخب المثقفة، من علماء و مؤرخين وسياسيين وموظفين حكوميين.. تطرح إشكاليات عدة .

فالتحديث مظهر من مظاهر الإصلاح، كون التحديث يولد من الإحتكاك والتصادم بين التقليد والتجديد، فإذا دخل المجتمع عهد التحديث فهذا يعني أنه أصبح واعيا بتاريخيته -كما قال أحمد قوال-، أي الوعي بضرورة مواكبة التطور، الذي يكاد يكون حتميا، فوجود النخبة المثقفة، كانت تقابله كتلة بشرية بطيئة التحرك، يصعب عليها الخروج من مألوفاها، الأمر الذي يشكل عائقا كبيرا أمام كل داعية للتحديث<sup>(2)</sup> .

وخلال الأجواء المتأزمة والقلقة، فإن الفكر العربي حاول أن يؤسس لفكرة الحداثة والتحديث، علما أن التصورات والأفكار والواقع العام كان يغلب عليه الطابع الإنهزامي، فطرح سؤال الحداثة هو سؤال البحث في سبل الخروج من الأزمة بأبعادها المختلفة<sup>(3)</sup> .

ويعدّ التحديث من الإشكاليات التي شهدتها البلدان التي خضعت للإستعمار، و منها البلدان المغاربية، و شكل منعطفا في تاريخها الحديث، ونميز فيها نوعين :

## 2-1-2- التحديث القسري :

إنّ التحديث القسري<sup>(4)</sup> نقصد به استخدام أدوات الإخضاع والتبعية التي أمعن الإستعمار في فرضه على الشعوب المستعمرة، فتصبح المستعمرات نفسيا منقادة للمستعمر

التقدم الناجز و التمدن الذي وصلت إليه هذه الأمم يُفترض منها أنها هضمت تراثها و تجاوزته.. فتفكيرها غالبا ينصرف إلى قضايا الحاضر و المستقبل ، أو ما يُعرف بالحداثة والمعاصرة.. انظر:

- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد،.. مرجع سابق، ص،ص، 245، 246.

1- عبد الرحمان اليعقوبي، الحداثة الفكرية .. مرجع سابق، ص،ص، 16.

2- أحمد قوال ، التحضر، .. مرجع سابق، ص ص، 17، 13 .

3- عبد الرحمان اليعقوبي، الحداثة الفكرية .. مرجع سابق، ص،ص، 18.

4- إن من المفارقات أنّ الفكر الحداثي قام على أساس نقيض للفكر الكنسي إلا أنّهما يلتقيان في خاصة واحدة و هي التاريخ الدموي لكليهما في حق الإنسان والبشرية( الحروب الدينية في أوروبا و الحروب الصليبية ضد المسلمين ثم حرب الحداثة خلال حروبها الدموية الإبادة لشعوب المستعمرات الحربين العالميتين..، فتاريخ الحداثة في كثير من جوانبه هو تاريخ التسلط، والإستغلال، والإحتلال، فمنطق الحداثة يعتمد أسلوب القمع والعدوان

بأداة الإغواء والإبهار، بعدما غيَّب عقول شعوبها، أو شغلها بالمتشابه من بريق نظرياته التغريبية، وعوده المزيّقة، فنهلت منه النخب الموالية والمنقادة للإستعمار، بعدما تلقت تعليمها في مدارس الإحتلال، واعتقدت أنّ النقدّم هو إلغاء كل ما له صلة بالماضي والتحرّر من قيوده، كما اعتمد الإستعمار أساليب أخرى لفرض التّحديث القسري على بقية أبناء المستعمرات، بوسائل التنصير والعنف والإكراه والدعاية، لأنّه -التحديث القسري- يجعل المستعمرات مسلوقة تسير في فلك الإستعمار وتفتات من فتات و دنس حضارته، وتظل تابعة وراضخة له في كل شيء .

وذلك ما يذهب إليه الدكتور زكي نجيب محمود ضمن كتابه " تجديد الفكر العربي" حين قال: (( بدأتُ بتعصّب شديد لإجابة تقول أنّه لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلاّ إذا بترنا التراث بترًا، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علما و حضارة، و وجهة نظر إلى الإنسان و العالم، بل إنني تمنيت عندئذٍ أن نأكل كما يأكلون، و نجدّ كما يجدّون، و نلعب كما يلعبون، و نكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون، على ظنّ مني أنّذ أن الحضارة وحدة لا تتجزأ، فإمّا أن نقبلها من أصحابها - أصحابها اليوم هم أبناء أوربا وأمريكا بلا نزاع- و إمّا أن نرفضها.. بدأتُ بتعصّب شديد لهذه الإجابة السهلة، و ربّما كان دافعي الخبئي إليها هو الإمامي بشيء من ثقافة أوربا و أمريكا و جهلي بالتراث العربي جهلا كاد أن يكون تامًا، والنّاس - كما قيل بحق - أعداء ما جهلوا ))<sup>(1)</sup>. وكان الشيخ مبارك المليبي، قد أشار إلى ما يشبه ذلك في قوله: (( الإندماج موت لا نشور بعده ))<sup>(2)</sup> .

فكان من بين الذين ركبوا موجه التّحديث القسري هذا دعاة الليبرالية والعلمانية والقوميين العرب، بطرس البستاني، شبلي الشميل، فرح أنطون، أديب اسحاق، وأحمد

والتوسّع والتدمير، كما تنتشر بالطف و و الدماتة ، إنها تدغدغ الرغبة و تداعب الخيال .. تنتشر في النفوس كانتشار النار في الهشيم ، و تكتسح المكان كالسيل الجارف ، فتتسبّب في وقوع ارتطام مع النظم التقليدية ، وهذا ما اسطوح على تسميته بصدمة الحداثة، فالنشأة الحقيقية لحداثة أوربا ((تكنم في الحيز الإستعماري لا الحضاري)) ، ففرنسا كانت من أكبر مراكز الحداثة الثقافية واعتبرت (( المركز الثقافي للحقبة الإستعمارية ))، ويقول عالم الإجتماع هانز جواس: (( العنف والحرب هما من مكونات الحداثة بمثل ما هما من أصول نشأتها))، و آخرين يرون أن الحداثة تعني العنصرية والعنف.. للبحث أكثر أنظر:

- محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة، .. مرجع سابق، ص.ص. 181.. 183 .

- وأحمد قوال، مرجع سابق، ص. 39 .

- محمد سبيلا، الحداثة وما بعد الحداثة، ط2، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007، ص. 91.

1- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهااد.. مرجع سابق، ص.ص. 248، 249.

2- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص. 108.

لطفي السيد، سلامة موسى، طه حسين، الطاهر الحداد، هؤلاء الذين (( قدموا الخطابات العربية كنوع من الأضحية أمام صنم الحداثة و معبدها السّاحر، يتحوّل في زمن تاريخي مختلف إلى قضية فكرية كبرى.. وكأنّه تعويض وإحساس بالتّقصير، أو ما يشبه عودة الإبن الضال إلى صوابه))<sup>(1)</sup> .

والحداثة العربية بداية ارتبطت بالعنف والغزو الإستعماري؛ بدءا من غزو مصر سنة 1798م، مرورا باحتلال الجزائر سنة 1830م، و بالتّالي هي حداثة مرتبطة بالصدمة، و العنف واحتلال الأرض<sup>(2)</sup>، و كان ذلك جزء من مهمّة الرجل الأبيض أو رسالة الغرب، حيث ((يتوجّب على الشعوب العصرية عدم التخلّي عن نصف الكرة الأرضية لأناس جهلة و عجزة...))<sup>(3)</sup> .

### 2-1-3- التحديث الإرادي :

لقد تشبعت الإصلاحية المغاربية أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، بأدبيات التحديث الإرادي، وهو واحد من مرتكزات نهضتها، ألّفت فيه مصنّفات من الكتب ووضعت له نظريات، كـ " نظرية خيرالدين التونسي، وفلسفة تلاميذ مدرسة محمد عبده ورشيد رضا، و إرث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي اعتبرت (( السند الحقيقي لحداثة أكثر تجذرا ))<sup>(4)</sup>، هي تماما كما بدأت الحضارة العربية الإسلامية أوّل مرة خلال العصر الذهبي للمسلمين، فقد كانت ثقافتها كونية بين القرنين الثّالث والخامس الهجريين "التّاسع والحادي عشر للميلاد"، لمّا انفتح المسلمون على الثقافات الخارجية: الفارسية واليونانية والهندية... فزادها كل ذلك قوة و ريادة، بينما يخلص هشام جعيط إلى أنّ عملية الإصلاح يجب أن تتّجه نحو الحداثة التي لا مفرّ لنا من السير في ركابها<sup>(5)</sup> .

1- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد، .. مرجع سابق، ص، 249.

2- عبد الرحمان يعقوبي، الحداثة الفكرية .. مرجع سابق، ص، 67.

3- محمد محمود سيد أحمد طه، أعداء الحداثة .. مرجع سابق، ص، 94، 95.

4- عبد الحق الزموري، مراجعات في وعي النهضة تونس القرن 19 أنموذجا، الدار التونسية للنشر، الطبعة الأولى و تونس 2009م. ص 27 .

- احميدة النيّفر، الشّيخ محمد النخلي العالم الشّاهد، المجلة التونسية للعلوم الإجتماعية. عدد 133 سنة 1993. تونس ص 80 .

5- عبد الرحمان يعقوبي، الحداثة الفكرية .. مرجع سابق، ص، 319.

إلا أنّ التّحديث المعاصر الذي اقتصر على الجوانب التكنولوجية والحياتية وحتى السياسية، أدّى ذلك فقط إلى تكريس التبعية، وتعميق شعور الإنهزام، والإتكال على الغيب وحده، وزيادة مظاهر التخلف<sup>(1)</sup>، وهذا ما تخوّف منه الدكتور فهمي جدعان حين قال في ندوة "التراث وتحديات العصر في الوطن العربي": (( أنّ قضية التراث ستظل أحد هواجسنا الرئيسية في السنوات القابلة من هذا القرن، وإلى أنّها إن لم توضع بعد ذلك وضعا صحيحا، قد تصبح مصدر قلق مقيم و حيرة دائمة للأجيال التي ستتحدّر من أصلابنا))<sup>(2)</sup> . وهذا ما يسمّيه محمد سبيلا بالحدّثة الكسيحة، والتي تعني نقل مجموعة من أشكال الحدّثة دون أن يرافق ذلك تغيير في البنيات الفكرية والسياسية المقابلة والمرافقة لها، وهو ما نلاحظه منذ بدايات مشاريع الإصلاح سواء في المشرق أو المغرب<sup>(3)</sup> .

#### 2-1-4- النهضويون والأصالة :

لم يبق مفكرو النهضة حبيسي الماضي والتراث والذات ليرموا الواقع والعالم بأشنع الأوصاف والشتائم، بدعوى الأصالة. بل اعتبرت فرصة مواتية لإعادة بناء مفهوم الأصالة، ليس باعتباره مرجعية فكرية واجتماعية وقيمة مغلقة وثابتة و"متحرّرة"، بل كونه- أي مفهوم الأصالة - يعيد إنتاج نفسه ليس على النحو الذي تكون فيه الأصالة رديفا للماضي، وإنما قرنثة بالحاضر والمستقبل أيضا<sup>(4)</sup>، والدفع بالإسلام للمصالحة مع العصر، وإطلاق سلطان العقل - و إن كان هذا هو أصل الإسلام مع نزول أول كلمة وآية (( اقرأ ))<sup>(5)</sup> - و فتح الأبواب أمام ثقافة الآخرين للإنتهال مما هو مفيد منها<sup>(6)</sup> .

وسرعان ما تبلورت أدبيات الأصالة إلى فكريديولوجي يحمل مشروع إجتماعي- سياسي وحضاري، كحلقة مفصلية ضمن مشروع النهضة العربية والإسلامية، و ذلك من خلال ((الخطاب الإحيائي))<sup>(7)</sup>، الخاص بـ

1- عبد الرحمان اليعقوبي، المرجع السابق، ص10.  
2- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد .. مرجع سابق، ص، 249.  
3- عبد الرحمان اليعقوبي، مرجع سابق، 2014، ص، 11.  
4- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحدّثة .. مرجع سابق ص 16 .  
5- القرآن الكريم ، سورة العلق، الآية 1. برواية ورش عن نافع .  
6- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحدّثة .. مرجع سابق، ص 18.  
7- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحدّثة .. المرجع السابق، ص 18 .

(( الحقيقة القرآنية ))<sup>(1)</sup> التي أعاد إحيائها حسن البناء، وعبد القادر عودة<sup>(2)</sup> بداية مع أواخر عشرينات القرن العشرين، لما افتضح و تأكد من حقيقة التحالف الإستراتيجي بين الإمبريالية والصهيونية عند الإعلان عن اسقاط الخلافة سنة 1924م .

وبعدما انتكس حلم الإستقلال العربي في المشرق بعد توريط القومية العربية في حلم "الثورة العربية" سنة 1916م، والتي كانت ثورة إقطاعية لا قومية و كسبا للإستعمار والصهيونية<sup>(3)</sup>، و" مكافأة " اتفاقية سايكس- بيكو لها، لتأتي "طعنة" وعد بلفور، وتعلن عن تأسيس قواعد للإمبريالية والعنصرية، وما تبع ذلك من رجّة قويّة في الوعي القومي والإسلامي عمّت العالم، ممّا أكّد أهميّة واستراتيجية ((المشروع النهضوي العربي الإسلامي))، أسقط قناع الحداثة المزيفة المتخفية تحت دعاوى التقدّم والحرية والمساواة والعدل.. ((ومن البديهي أن يأتي إجهاض حلم الإستقلال وسقوط النموذج الأوربي إجهاضاً لفكرة الحداثة. و لقد وجدت النخب المتمسكة بفكرة الأصالة في إلغاء الخلافة وقيام تركيا الحديثة" مبرراً جديداً للهجوم على فكرة الحداثة وشرعيتها))<sup>(4)</sup> .

إنّ هذه "الطعنات" المتتالية التي منيت بها الأمة الإسلامية خلال سنوات 1916, 1917 و1924م السالفة الذكر، قوّت موقف النهضويين السلفيين في البلاد الإسلامية و عززت نظريتهم المتعلقة بـ ((مشروع النهضة))، بينما جرفت النخبة الليبرالية والعلمانية ودفعت بهم إلى تحدي توابث فكر الأمة ككتاب: "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرّازق سنة 1925م وكتاب: "في الشعر الجاهلي" لطف حسين سنة 1926م، و الأهم من ذلك، هو إعادة تجذر وتموقع الفكر الإصلاحى السلفى وفق المعطيات الجديدة، و بفلسفة إسلامية أكثر عقلانية واعتدالا، أسّسها الشيخ حسن البناء في مارس 1928م، عرفت بجماعة

1- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص، 112.

2- \*عبد القادر عودة (ت 1954م): المنظر السياسي لجماعة الإخوان المسلمين في كتليه " الإسلام و أوضاعنا السياسية " انطلق فيه من السؤال المحوري: "لمن الحكم؟" و كان الجواب ببديهيها " لله الحكم و الأمر"، فالحكم بما أنزل الله دعامة الإسلام و الأصل الجامع فيه ، لأن 5 الإسلام ليس عقيدة بحسب، و لكنه عقيدة و نظام ، و ليس ديناً فقط و إنما دين و دولة ، و ((الدولة المثالية في الإسلام هي الدولة التي تقيم أمور الدنيا بأمر الدين .. انظر:

- عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1991، ص، 206.

3- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة .. مرجع سابق، ص، 112 .

4- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة .. مرجع سابق، ص 37 .

"الإخوان المسلمين" التي شهدت توسعا سياسيا وتنظيما في ثلاثينيات القرن الماضي، وبالمقابل تراجعت حدة و جرأة الحداثة وانتكست و كأنها أعلنت ((توبة ثقافية))<sup>(1)</sup> .

إلا أنّ عبد الله العروي يتّهم الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة التي تسعى إلى الدفاع عن التراث، مقابل مادية الحضارة الغربية بالإنكفاء والتراجع إلى الماضي البعيد والقريب، كما يرى العروي أنّ الإصلاحية لم تتمكّن من إدراك محدودية المرجعية التي تستند إليها، تماما كما فعل الجابري لما حاول معالجة قضية، من خلال طرحه إشكالية ترى أننا نعيش زمن التخطيط العلمي و ليس زمن الحلم النهضوي<sup>(2)</sup> .

ولقد كان رجال الإصلاح مطلّعين على معطيات الثقافة الحديثة، لكنهم لم يستوعبوا القطيعة التي بلورتها الحداثة في علاقاتها بالثقافات الوسيطة والثقافات القديمة، فأنجبت هذه الحركات الإصلاحية نصوصا حاولت فيها إحياء جوانب من منظومة التراث كوسيلة لمواجهة التحديات الجديدة والمعاصرة لها<sup>(3)</sup> .

فالجابري يؤكد أنّ الفكر النهضوي العربي يفتقد للعقلانية في الوعي بالشروط التي تحكم النهضة، والتي وُجِبَ استيعابها من أجل الارتباط بالواقع وليس الإنغماس في الحلم النهضوي بكل صورته، فبدل العاطفة يجب ترسيخ العقلانية<sup>(4)</sup> .

فكل من العروي والجابري يمعنان في الواقعية والعقلانية المُفرطة، وتناسيا أنّ الفكر الإصلاحي النهضوي سواء في المشرق أو المغرب؛ كان وسطيا في طرحه لقضايا وإشكاليات النهضة .

هذا الإتهام الذي ساقه العروي في طرحه لا يعدو إلاّ أنّ يكون اتهاما تقليديا للإصلاحيين؛ بالتقليد والماضوية ومعاداة لكل ما يمتّ للماضي بصلة، متناسيا أي العروي أنّ مسعى الحركة الإصلاحية، هو التوفيق بين إرث الماضي ومعطيات الحضارة

1- عبد الإله بلقزيز، المرجع السابق، ص38 .

2- عبد الرحمان يعقوبي، الحداثة الفكرية .. مرجع سابق، ص، 167.

3- لطيفة عميرة ، مرجع سابق، ص ، 124 .

4- عبد الرحمان يعقوبي، مرجع سابق، ص، 167.

المعاصرة؛ هو نوع من الإجتهد الذي يحثّ عليه الدين الإسلامي؛ وهذا ما يتبين من خلاله صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان .

أمّا الأستاذ محمد أركون الذي انبهر هو الآخر في المنهج الغربي الموغل في العقلانية المفرطة، واتخذ من العقل محور مشروعية إشكاليات الإصلاح؛ لما يبحث في إشكاليات النهضة؛ فيرى أن القضية تتعلق بما أسماه (( الخيار المنهجي في دراسة الفكر الإسلامي ككل في تاريخيته، إنطلاقاً من المناهج الحديثة التي موضوعها الظاهرة الدينية في سيرورتها التاريخية، أو ما قد يسمّيه بالنقد العلمي للفكر الإسلامي، أو بالقراءة النقدية للتراث الإسلامي))<sup>(1)</sup>، و تمحيصه لاحتوائه و تلوينه و إدماجه في حركية الزمن المتجدّد<sup>(2)</sup> وأنّ الدّعوة للدّخول و الإنخراط في الحداثة العالمية، كما يقول طه عبد الرحمان، إنّما هو في جوهره تغطية لتقليد الغرب متذرعا لتزيين ما هو عليه من كسل عقلي وانكسار ذاتي، و هذه علامة من علامات التّقليد و تبرير التبعية للغالب، فزمن الحداثة لا يمكن أن يُضادّ زمان القرون الوسطى الأوربي، لأنّ هذه القرون شهدت ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، ثم إن الإعتقاد على العقل والعناية بالإنسان لا يمكن أن يختصّ به زمان الحداثة وحدها، فالحداثة لا يمكن أن تعني بأي حال من الأحوال القطيعة مع الماضي<sup>(3)</sup> .

ولم يدم عمر النهضة طويلاً، بل بدت كوميض بزغ ثم راح يخبو شيئاً فشيئاً أمام ظلمات و معاول الإحتلال الأجنبي، والذي دمرّ مجتمعات متحفزة إلى هذا الوميض المحاصر الذي سخر له الإستعمار قوى مناوئة لمحاكاته بـ"أنوار" مزيفة للتشويش عليه وحجبه عن النّاس بشتّى مستحدثات الحداثة التي كانت سرايا (( كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ))<sup>(4)</sup> .

1- عبد الرحمان اليعقوبي، المرجع نفسه، ص.ص، 171..174.

2- محمد الهادي بن الطاهر المطوي، الطريق إلى الحداثة .. مرجع سابق، ص، 55.

3- لطيفة عميرة ، نفسه ، ص ، ص ، 125 ، 126 .

4- الآية 39 من سورة النور برواية ورش عن نافع .



## 2-1-5- الحداثة التأصيلية " الحداثة الآمنة " :

لقد شهد العرب خلال الحضارة الإسلامية؛ حداثة خاصة تختلف تماما عن حداثتنا اليوم، و هو ما قد نسميه بـ"الحداثة الآمنة أو الرحيمة" أو الحداثة التي بدأت إسلامية في الأصل و نتاجا للمدنية الإسلامية، التي استهدفت عمارة الأرض و بناء حضارة إنسانية متكاملة ومنسجمة بين الرّوح والمادة؛ حيث عمّ خيرها القاصي والداني، المسلم وغير المسلم، كما احتوت جبروت و طغيان الفرس والروم حينها .

إن مشروع "الحداثة الآمنة" أو "الحداثة الإصلاحية" بدأ إصلاحي تأصيلي، مشبع بروح التراث الإسلامي ومبادئه السّامية، فلسفته تجمع بين الأصالة والمعاصرة، بشكل تكاملي، حداثة مؤسّسة على الأصالة، وأصالة مندمجة في الحداثة، بمعنى (تحديث الأصالة وتأصيل الحداثة)<sup>(1)</sup>، والحداثة التأصيلية أو "الحداثة الآمنة"؛ وتكييفها بما يجعلها أصيلة بالتماس الشرعية الدينية لها<sup>(2)</sup>، حتى تكون جزء ضمن المشروع النهضوي العربي خلال العصر الحديث والمعاصر، يستهدف أسلمة الحداثة "بلجمها روحيا و ترشيدها ماديا"، بحيث تطّلع رواد الإصلاح إلى تصوّر مستقبل المدنية الذي يعمّها الرخاء والحريات والعدالة والمساواة بين بني البشر، حداثة تركز على مقومات وحي السماء وتراث الشرائع والحضارات الإنسانية قديما وحديثا، فيتحقّق التّواصل والربط، بين حكمة ورصيد الماضي، وعلم وتقنية الحاضر، طُرح ذلك ضمن المشروع النهضوي، كبديل عن الحداثة الكاسحة المرعبة والدامية، والمغرية والإغرائية، الهالكة والمهلكة .

ويرى الشيخ محمد عبده أنّ للمرجعية الدّينية دور قي بناء التمدّن، ورفض التفسيرات التي تصوّر أنّ الدّين من معوقات التّقدّم والتمدّن، فهو يؤكّد (( أنّ المسلمين إذا تهذّبت أخلاقهم بالدين سابقوا الأوربيين في اكتساب العلوم و تحصيل المعارف، و لحقوا بهم في

1- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي .. مرجع سابق ، ص، 95.

2- وجيه كوثراني، أفكار النهضة بين الأمس واليوم من الدعوة لها إلى البحث فيها، مقال "منطق الخطاب الإصلاحي الحديث في المغرب" لعبد الله بلقزيز، ط1، منتدى المعارف، بيروت، 2011، ص، 168.

التمدّن<sup>(1)</sup>، و الأمة الإسلامية ما تنازلت عن سطوتها واحتجب نور تمدّنها إلا بعد أن عطّلت قوانين شريعتها<sup>(2)</sup> .

كما نجد في فلسفة علال الفاسي أن<sup>(3)</sup>..الأصالة والعصرية معا هي أن تبحث عن هدف في الفكرة، تأخذ بها إذا كانت صالحة "نافعة للناس" و تنبذها إذا كانت فاسدة ((يترتب عنها ضرر))<sup>(3)</sup>، و حتى الوحي الذي صنّفه جدعان<sup>(4)</sup> خارج المجال التراثي، لكنه أدخله طرفا أساسيا في عملية إبداع التراث حين يتفاعل مع معطيات الواقع الإنسانية، فيولّد تراثا ممتدا في جميع الأزمنة، وعلى هذا النحو يُصبح التجذر، من حيث هو استراتيجية تكافح الإغتراب<sup>(5)</sup> .

ولقد أعطى الشدياق للتراث أهمية خاصة، بحيث اعتبر عملية الإحيائه من مظاهر الحداثة، معتبرا نهضة أوروبا قامت على مبدأ بعث التراث، وحرّيّ بالعرب والمسلمين، إذا أرادوا الدخول في عالم الحداثة والتمدّن أن يهتموا بتحقيقه و بعثه ونشره<sup>(6)</sup> .

فهذه النخبة المناوئة للمشاريع الإستعمارية التّغريبية والمستعصية عن أساليب الإنبهار والإغواء، كانت أكثر الفئات الأخرى استهدافا و مطاردة وإقصاء من قبل الإستعمار، لأنها ترفض طروحاته و بدائله الإستغلالية، و تسعى لتنفيذ مشروعها الإصلاحية النهضوي والتحديثي من داخلها و وفق فلسفتها العربية والإسلامية .

ومنه فإنّ الدوائر الإستعمارية، ستجعل من البديل الإصلاحي، سواء في الوقت الحاضر أو لاحقا، عدوا لا تأمن جانبه، فلا تعطيه فرصة ولا تمكّنه من شيء، لأنه قد ينسف مشاريعها الإستعمارية أو قد يعيقها على الأقل لفترة من الزمن .

1- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجهاد .. مرجع سابق، ص، 91.

2- محمد الهادي بن الطاهر المطوي، الطريق إلى الحداثة .. مرجع سابق، ص، 224 .

3- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي .. مرجع سابق، ص، 97 .

4- \* يعتبر الدكتور فهمي جدعان و الباحث الفلسطيني الاردني، من المشتغلين بالفلسفة الإسلامية و الفكر العربي المعاصر ، حيث انجز في نهاية الستينات أطروحة جامعية في فرنسا في موضوع " التأثير الرواقي في الفكر الإسلامي " سنة 1968، و نشر مجموعة من الأبحاث الفلسفية في المجالات المتخصصة باللغتين العربية والفرنسية ، كما نشر مجموعة من الكتب في قضايا الفكر العربي المعاصر، انظر:

- كمال عبد اللطيف، أسئلة النهضة العربية، التاريخ، الحداثة، التواصل، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص196.

5- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص، 570.

6- محمد الهادي بن الطاهر المطوي، الطريق إلى الحداثة .. مرجع سابق، ص، 85 .

والدعاية الغربية ضد نخب العلماء والمصلحين و ما يطمحون إليه عبر "مشاريعهم الحضارية" كبديل استراتيجي، قد يكون أدواتها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الغربيين، الذين درسوا الشعوب الإسلامية عامة والمجتمعات العربية بالخصوص، في الفترة السابقة للإستعمار، إلى إهمال دور علماء الدين في مسيرة النهضة، وأشادت بدور الحركة الوطنية " العلمانية " واستجابتها لمسائل الإصلاحات السياسية والدستورية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، وأنّ العلماء لم يساهموا إلا كعناصر ثانوية في أهم التيارات التاريخية<sup>(1)</sup>، أو تقوم بذات الدور قوى "وطنية" من حيث تدري أو لا تدري، وعادة ما تقوم بهذا الدور بمسميات براقية، سواء باسم التقدّم أو الحداثة والحرية وغيرها .

واعتبر علال الفاسي، أن النهضة الإسلامية الحديثة قد أقرت بحتمية الإجتهد، والعمل به لمسايرة العصر، لكن دائما في إطار الشريعة الإسلامية،<sup>(2)</sup> إن التطور إذا فسّر بمعنى التغيير، يكون إلى أعلى، و إلى أسفل. فقد يكون التّقدم، و قد يكون المسخ. ولذلك لا بد من اتخاذ العقيدة، التي يؤمن بها المجتمع، مقياسا للتحوّل الذي يقع، ليحكم عليه، هل هو إنحراف، يؤدي إلى المسخ، أم هو حركة في الخط المستقيم، يؤدي إلى التّقدم<sup>(3)</sup> .

### 3-2- التراث و الحداثة :

في إطار بناء نهضة على أساس معطيات الماضي، يقول "كامغماير": لن ينفصل العرب عن الماضي المجيد، ليس من الممكن أن يحدث في العالم العربي شيء يشبه ما حدث في تركيا، إنّ حركة بعث الإسلام لا يمكن أن تنقطع أو تتوقّف لأنّ الناس في حاجة إليها، فهي إحدى مقومات نهضتهم الوطنية<sup>(3)</sup> .

وهذا علال الفاسي أدرك خطورة مشروع الحداثة التغريبي "المشبوّه" في البلاد العربية والإسلامية،<sup>(4)</sup> التطور مهما بلغ، يجب أن يقاس بمقياس الشريعة، فما وافقها قبل، وما خالفها رفض، وليست الشريعة التي تعرض على التطور، ليحكم عليها، فيقبل منها ما

1- أرنولد غرين ، العلماء التونسيون .. مصدر سابق، ص 28 .

2- علال الفاسي ، دفاع .. مصدر سابق ، ص ، 140 .

3- أنور الجندي، معالم الفكر العربي المعاصر، دط، مطبعة الرسالة، القاهرة، دت، ص، 179 .

شاء، و يرفض منها ما لم يجانسها، وإذا كان التطور "صورة"، فإن مرآته هي الشريعة، هي التي تظهر حسن الصورة، أو انحرافها، أو مسخها<sup>(1)</sup> .

فالعودة إلى التراث وإلى أصوله هي إذن إمتلاك رؤية متكاملة وشاملة تكون متكيفة ذاتيا ولا تحتاج إلى التقليد أو الإفتتان بالآخر، إنه عبارة عن إصلاح ذاتي لا تقليدي، يسعى بالدرجة الأولى إلى إصلاح العقل بإصلاح المعتقدات ثم بإصلاح النفس ثانيا على أساس إصلاح الأخلاق وإحياء الفضائل، فإنّ الباطن أساس الظاهر والعلم مبدأ العمل والباعث عليه<sup>(2)</sup>، و بالتالي فإن من أهداف التغيير من خلال فكر ابن نبي، هو التركيز على تغيير الإنسان لأنه الشرط الجوهري لكل تحول في المجتمع<sup>(3)</sup> .

فمنذ استقلال بلدان المغرب العربي، تتحدث مختلف الحكومات والأحزاب والتيارات عن النموذج المجتمعي للمغرب الحديث أو الحداثي عند البعض، دون أن يقدموا سوى نطف وأمانى ذات طبيعة إيديولوجية، لكن علال قدم للناس - قبل استقلال المغرب - رؤيته ونموذجه المتكامل للمجتمع المغربي وللدولة المغربية<sup>(4)</sup> .

ومن جهة أخرى، نجد ابن باديس يعتبر الإصلاح الذاتي إصلاح داخلي لا خارجي يقوم على مبادئ الإسلام أولا، وعلى تراث الإسلام ثانيا، و بشرط ألا يكون وراثيا أي عن طريق التقليد والجمود الفكري والانحراف الخلقي والتفوق العلمي<sup>(5)</sup> .

ويقول الجندي أنه خلال فترة "مرحلة فجر اليقظة" قاوم المصلحون قوى ضخمة من النفوذ الأجنبي و"التبشير" أو التنصير والغزو السياسي والاجتماعي والفكري، في ظل مرحلة كان خلالها الفكر العربي يحاول أن يستعيد مكانته و يصحّ مفاهيمه و ينفذ عن نفسه غبار القرون التي أصابته وجمّده..فتفتحت أبواب التجديد والإجتهاد خلال مرحلة النهضة، فبدت معالم جوهره النقي وقدرته على الإستمرار والتفاعل مع النهضات

1- علال الفاسي، دفاغ .. مصدر سابق، ص، 140 .

2- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 128 .

3- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص، 110 .

4- أحمد الريسوني، مرجع سابق . ص، 199 .

5- لطيفة عميرة، مرجع سابق، ص، 128 .

والحضارة، ويتبث أنه قادر دائماً على الإيجابية والفاعلية، و يحمل لواء التقدمية والعصرية متطاولاً مع الأزمان المتتالية، و منسجماً مع البيئات المختلفة<sup>(1)</sup> .

فالإصلاحية الإسلامية تعطي الأهمية والأولوية للإرث السلفي أكثر مما تهتم بالحدثة المتطرفة التي تناقض بشكل صارخ المبادئ السلفية في الكثير من الجوانب، ولا تكاد السلفية والحدثة يلتقيان إلا في جانب التحديث الذي يوجبه الإجهاد .

فكل أمة ينبغي أن يكون لها اتصال بماضيها وقيمها وصلة بتراثها وتاريخها وثقافتها، فالبحث عن مستقبل أفضل لأية أمة أو حضارة لن يتحقق إلا بفحص الماضي الحضاري لهذه الأمة، فالماضي يتصل بالحاضر ويغذيه و يمدّ بروافده إلى المستقبل بما يحمله من قيم و مكونات<sup>(2)</sup> .

ويقول جاك بيرك (j.Berque)<sup>(3)</sup>: إنَّ مستقبل العرب في إحياء الماضي، لأنَّ المستقبل في كثير من الحالات هو الماضي الحي أو الماضي الآني وقع احياؤه وعيشه من جديد<sup>(4)</sup> .

### 3-2-1- الحدثة التغريبية :

إنَّ الحدثة "العلمانية" المغاربية على غرار ما ذهب إليه الجابري وجعيط وأركون استلزمت نسخ نماذج من الأفكار والقيم والسلوك، من المجتمعات الغربية واسقطتها على عادات وتقاليد مجتمعاتها، بل اشترطت الإلغاء الكلي أو الجزئي للتراث، ظناً منها أنها ستصيب التطور الحاصل في أوروبا، فكانت نتيجة ذلك، بروز مظاهر وسلوكيات غريبة، مشوهة و جوفاء، يبدو منها تمردها الصارخ على المبادئ والقيم الإسلامية، وهذا مما زاد في انتكاسة الأمة في قدسية تعاليم دينها، وضربة أخرى لمشروعها النهضوي الأصيل

1- أنور الجندى، معالم الفكر العربي .. مرجع سابق، ص، 05 .

2- مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة عبد العظيم علي ، مكتبة القاهرة ، مصر ، 1971 ، ص ، 49 . انظر :

- لطيفة عميرة، سؤال النهضة .. مرجع سابق ، ص ، 129 .

3- \* جاك بيرك (1910-1995م): جاك بن أفست بيرك، مستشرق فرنسي من أعضاء مجعبي اللغة العربية و عمان ، ولد في مدينة وهران بالجزائر ، ودرس في جامعتي الجزائر و السوربون حيث نال الدكتوراه والتحق بالإدارة المغربية عام 1953م، كان خبيراً في اليونسكو، و مشرفاً على مركز الدراسات العربية في لبنان عام 1955، و اختير للتدريس بجامعة باريس من دراساته: دراسات في التاريخ الريفي المغربي، من الفرات إلى الأطلس، الإسلام يتحدّى، مثل الإسلام، العرب بين الأمم والغد، ترجمة معاني القرآن الكريم .. انظر:

- أحمد العلوانة، ذيل الأعلام ، قاموس تراجم .. مرجع سابق، ص، 56.

4- أنور الجندى، معالم الفكر العربي .. مرجع سابق، 07 .

وبالتالي يكون الإستعمار قد وصل إلى إيجاد إنسان نموذجي صنيع مختبراته الذي جعله "منفصم الهوية"، أو ما عُرف بـ ((الإستيلاّب وفقدان الهوية))<sup>(1)</sup>، بذلك ((لا يتوصّل أبداً إلى أن يتطابق مع ذاته))<sup>(2)</sup>، لأنه حُرّم من أن ينهل من العلوم الشرعية الصحيحة، و لم يرتو من معين الثقافة الإصلاحية الحديثة، و ((لم يُلح على تصحيح مسار الثورة والعودة بها إلى منابعها الأصلية))<sup>(3)</sup> على غرار رجال النهضة و تلامذتهم، وبالتالي قامت إثر "إجهاض مشروع النهضة" دولا مصطنعة ((لها وجودها الموضوعي خارج ذات الفرد))<sup>(4)</sup>. ويذهب آخرون إلى أن التطوّر الذي انسلخ بموجبه التيار السياسي التحديثي الذي قاد الحركة الوطنية في أواخر ثلاثينات القرن العشرين؛ والذي اختار بموجبه الغرب العلماني كمعيار قيمي مطلق في تصوراته لبناء المجتمع والدولة، قد ساهم بشكل حاسم في إزاحة التوجّه الإصلاحي<sup>(5)</sup> بإيعاز من الإدارة الإستعمارية لضمان "راع" أمين على مصالحها الإستراتيجية وقتئذٍ وخلال العهود اللاحقة ..

فالحداثة التي بدأت في الغرب، تعني بالأساس إلغاء قواعد الحاضر والتخلّي عن تراث الماضي، كما يرى آلان تورين (( أن التحديث يفرض تحطيم العلاقات الإجتماعية والمشاعر والعادات والإعتقادات المسماة بالتقليدية.. ))<sup>(6)</sup> .

ويقول الأستاذ عبد الإله بلقزيز أنه منذ مطلع عقد الخمسينات من القرن العشرين، (( انتقل الوعي العربي من إشكالية النهضة إلى إشكالية الثورة، فوصلت النخب القومية إلى السلطة، وعمّ الفكر القومي والإشتراكي ))<sup>(7)</sup>، ليفسح المجال و بشكل غير مسبوق و رهيب للثقافة الحداثية<sup>(8)</sup> في المشرق والمغرب العربيين والتي قادت (( ثورة مضادة ))<sup>(1)</sup> بشكل

1-عثمان اشقراء،الوطنية والسلفية .. مرجع سابق،ص،17.

2- عثمان اشقراء،المرجع نفسه،ص،20.

3- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق،ص،111.

4- عثمان اشقراء،مرجع سابق،ص،26.

5- عبد الحق الزموري، مراجعات في وعي النهضة .. مرجع سابق ص 27 .

- احميدة النيفر، الشيخ محمد النخلي .. مرجع سابق تونس ص80 .

6- زكي الميلاد،من التراث إلى الإجتهد .. مرجع سابق،ص،284.

7- عبد الإله بلقزيز ، العرب والحداثة .. مرجع سابق ص.ص39.38

8- لقد لقي مذهب الحداثة استجابة الأديباء اللادينيين و العلمانيين و الملحدّين المارقين في الشرق و الغرب ، و صل إلينا على وقع أقدام الإستعمار الثقافي و الفكري ، فقرعت الحداثة أبوابنا المهترئة ، و نوافذنا المتهاككة ، و دكت أرجاننا و عبثت بروابينا ، و اخترقت عقول نخبنا الفارغة القابلة للإستعمار ، كما وملأت قلوبنا الخاوية .. و كانت أدواتها أبناء جلدتنا .انظر :

صارخ على الثقافة والإرث العربي الإسلامي، نكاية في "المشروع النهضوي" الذي "انكسر" على المستوى الرسمي سنة 1948م<sup>(2)</sup>، عند إعلان قيام الكيان الصهيوني المصطنع "اسرائيل" وإندلاع الحرب العربية الإسرائيلية، بينما على المستوى الشعبي بقيت جذوته متقدة لدى شريحة عريضة من الشعوب العربية والإسلامية، ستستثمره في موعده عند الإعلان عن بدء "المشروع الوطني التحرري"، و ذلك من خلال إعلان الثورات الشعبية ضد الإستعمار عبر البلدان المغاربية بدءاً مطلع منتصف القرن العشرين.

إنّ بلقزيز وغيره من الحداثيين المغاربيين اعترفوا بتراجع معدلات حدّة الحداثة خاصّة من الناحية الفنية، فإنّه يردّ ذلك إلى أزمة الدولة الوطنية الحديثة في الوطن العربي، و سياسات التهميش والإقصاء الإجتماعيين، وإخفاق برامج التنمية، والتصدّعات الحادة في منظومة القيم، وسياسات التكديح العقلي والتجهيل، وسياسات قمع الفكر النقدي<sup>(3)</sup>، بدعوى ترسيخ الحداثة في الخطاب العربي المعاصر؛ فيحصل ذبح التراث والتعسف والإسقاطية في التعامل معه<sup>(4)</sup>.

ولا يردّ "بلقزيز" ذلك البتّة إلى طبيعة الحداثة نفسها الموسومة بالشذوذ في المنطق والفوضى القيمة والعتة الأخلاقي والفراغ الروحي، و هي<sup>(1)</sup> وليدة بيئات الترف والفراغ

- محمد العربي فلاح ، أدونيس تحت المجهر، محاولة لتسليط الضوء على زوايا فكر أدونيس المظلمة ط1 ، دار الفكر الخلدونية ، الجزائر 2008 ص22 .

1- عودة ( الحداثة ) الفنية بكل قوة وعنفوان من خلال ثورة ( الشعراحر ) منذ نازك الملائكة إلى أدونيس ومحمود درويش مروراً ببدر شاكر السياب و عبد الوهاب البياتي، وفي الرواية ثورة التعبير الروائي من ثلاثية نجيب محفوظ (أولاد حارتنا) إلى شعرية جبرا إبراهيم جبرا و سردية حنا مينه و عبد الرحمان منيف الحادة. وفي السينما ثورة الواقعية التعبيرية في أعمال يوسف شاهين و صلاح أبو سيف، و في الموسيقى تفجرت ثورة الحداثة في الكتابة و التوزيع الأوركستراي و في التعبير الغنائي مع الأخوين رحباني ، واستعيد تراث المسرح الغنائي عند سيد درويش في المسرح الروائي الرحباني . و في النقد الأدبي ازدهرت الواقعية النقدية في كتابات عبد القادر القط و غالي شكري و رجاء النقاش و محيي الدين صبحي و علي الراعي كما ازدهرت مدرسة تحقيق النص الأدبي التراثي مع إحسان عباس . و في الفلسفة شاهدنا عنفوان المنطقية الوضعية مع زكي نجيب محمود ، و الوجودية مع عبد الرحمان بدوي و الشخصانية مع محمد عزيز الحباني .. بينما نجد (الحداثة) الفكرية و الإنتاج النظري من خلال - كما يقول بلقزيز ديارتية طه حسين و صرخة عبد الرحمان بدوي الوجودية و فؤاد زكريا الوضعية و علموية سلامة موسى المبكرة ، و (مغامرات) الحداثة الأنتروبولوجية لعلي الوردي ، و جينيا لوجية جمال حمدان ، و شخصانية محمد عزيز الحباني ، و تاريخانية عبد الله العروي ، وجدلية حسين مروة و طيب تيزيني و سمير أمين و صادق جلال العظم ، و فوكوية محمد عابد الجابري ، و سيميائية محمد أركون ، و نقدية حسين حنفي التاريخية ، و صولات هشام جعيط بين التاريخ السياسي و الإجتماعي و تاريخ الفكر و علم الإجتماع السياسي، و حداقة التحقيق المقارن لدى رضوان السيد، و سياحة جورج قرم الفكرية بين الإقتصاد و التاريخ و الأنثروبولوجيا السياسية ..إلخ، هؤلاء جميعاً شهدوا على تلك (المغامرة) الفكرية المستمرة في فتح قارة الحداثة في الفكر... كما قال بلقزيز - ليستطرد قائلاً .. لكن نصوصهم الكبيرة لا زالت و ستظل لفترة قادمة نصوص نساك معتكفين في أدبرة المعرفة لن يكون لها شأن سائر النصوص النظرية إمكان الفسوّ و السيادة... و إن لم يكن أمر (الجماهيرية) في جملة شواغلها.. انظر :

- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة .. مرجع سابق صص 38-56 .

2 - بتواطؤ و تخاذل الدول العربية ، كخيانة الملك فاروق ملك مصر و توريده أسلحة فاسدة للجيش المصري ، و تواطؤ ملك الأردن عبد الله بالتحاليف السري مع اليهود ، حيث منع فتح النار من جهة الخليل ، لأجل تحقيق مكاسب سياسية على حساب فلسطين .. انظر :

- موقع <https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2009/12/09/182119.html> / تاريخ التصفح 2017/01/29 .

3- عبد الإله بلقزيز، العرب و الحداثة .. مرجع سابق صص 57 .

4- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد .. مرجع سابق، صص 254.

في أمريكا وأوروبا<sup>(1)</sup>، و إلى المنعة والحصانة القيمة التي تتمتع بها المجتمعات والبيئات العربية والإسلامية، بفضل ما تمتلكه من أدبيات الموروث الحضاري للأخلاق الإسلامية وما تتمتع به من الذوق النقي والفطرة السليمة، إلا أنه في موضع آخر يعترف "بلقزير" بأهمية الممانعة<sup>(2)</sup> التي أبدتها الحركة الإصلاحية الإسلامية عبر ثلاثة مراحل وهي<sup>(3)</sup> :

- الممانعة الأولى: تمثلها مراكز إسلامية عريقة استطاعت أن ترعى المعرفة الإسلامية التقليدية وإنتاج الناطقين بها وهي: الأزهر في مصر، والقرويين في المغرب، والزيتونة في تونس .

- الممانعة الثانية " المتكيفة " :

اتخذت الممانعة المتكيفة شكل رد فكري متكامل وبالغ الإيجابية هو الفكر الإصلاحي الإسلامي للقرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، انصرف هذا الرد إلى إعادة بناء خطاب إسلامي منفتح على معطيات العصر ومتطلع إلى تأهيل مجتمعات الإسلام للمشاركة الفعالة في بناء الحضارة الإنسانية و صناعة التاريخ، و إذا تأملنا خارطة هذا الفكر الممانع، فسنلاحظ أنها شاملة أهم مراكز الفكر والثقافة في البلاد العربية والإسلامية، فمن مصر مهد الممانعة الإصلاحية الإسلامية مع حسن العطار ابتداء وإرهاصا و رفاة الطهطاوي تأسيسا و صوغا و محمد عبده تطويرا وإنتاجا؛ إلى سورية المجتهدين المتأخرين عبد الرحمان الكواكبي ومحمد رشيد رضا، إلى ليبيا محمد السنوسي، وتونس أحمد بن أبي الضياف، و خيرالدين باشا إلى مغرب محمد بلحسن

1- محمد العربي فلاح ، أدونيس تحت المجهر، .. مرجع سابق ص21 .

2- يقابل الممانعة هنا ما أورده مالك بن نبي ضمن نظريته ، و هي مصطلح القابلية والتي تنطبق على كل ما نتقبله من المستعمر أو الغرب بصفة عامة بدون وعي و إدراك منا ،فما يطلقه من مصطلحات ضدنا نتقبلها و نردها على أساس أنها من المسلمات الصحيحة ، و نقيس أنفسنا بمقاييه و معاييرها ، نتيجة الضعف في شخصيتنا و الهزيمة في نفسيتنا، فنحن نخدمه باستغلاله لما في أنفسنا من استعداد لخدمته ، فنفسنا مريضة من باطنها ، بها موقوع داخلي يمسخها عن التقدم ، فنحن مسخرون له حيث أصبحنا أبواقا يتحدث من خلالها، وأقلما يكتب بها .. انظر:

- حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، إشراف د.صالح حسين الرقب، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة. 2005. ص183.

3- التصنيف هذا للاستاذ عبد الله بلقزير، قمنا بالتصرف فيه حسب الحاجة. انظر :

- عبد الإله بلقزير، العرب والحداثة .. مرجع سابق صص.27-28 .



الحجوي<sup>(1)</sup>، وجزائر عبد الحميد بن باديس حيث تكاملت هذه الممانعة الإصلاحية فيما بينها على امتداد تلك الجغرافيا الفسيحة.

- الممانعة الثالثة " البعدية والمتأخرة " :

أمّا الممانعة المتأخرة جاءت في أعقاب إنتكاسة الحداثة السياسية<sup>(2)</sup>، من خلال ما عبّر عنه المفكر طرابيشي في كتابه "مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة"، إذ يرى بأنّ هزيمة 1967م كشفت عن (( مازق الإيديولوجيات الثورية وفشلها - ممّا أدّى - إلى نقل الصراع الإيديولوجي إلى ساحة التراث.. ))<sup>(3)</sup>، فظهرت موجة سعت إلى قراءة التراث بخلفيات ماركسية، كالذي قام به طيب تيزيني في كتابه "من التراث إلى الثورة، حول نظرية مقترحة في التراث العربي"، أو خطابات إحياء التراث القديم مثل الفرعونية في مصر التي دعا إليها محمد حسين هيكل، أو دعوات إحياء الأشورية في العراق، والفينيقية في سوريا، و الأمازيغية في البلدان المغاربية<sup>(4)</sup>..

ونجد هناك خطابات أخرى اتّسمت بقراءة التراث وفق المدرسة الغربية المعروفة بـ"علم المناهج"، محاولة منها قراءة التراث بعيون الحداثة والمعاصرة، حتى تميّز نفسها عن الخطابات الإسلامية، التي تعيب عليها الفهم التراثي للتراث، كمحاولات زكي نجيب محمود، و محمد أركون و محمد عابد الجابري، حيث ذهب هؤلاء إلى (( ممارسة نقد صارم و تشريح موغل في العلمية هو أشبه ما يكون بممارسة الطبيب لعملية جراحية من دون تخدير ))<sup>(5)</sup> .

إنّ الوطنية والدول القومية القائمة، التي بقيت بعيدة عن تطلعات وآمال الشعوب العربية والإسلامية ولا تعبر عن اختياراتها الحضارية والإستراتيجية؛ وبقيت "مرتبطة" بالآخر راعية لمصالحه الإستراتيجية و إن على حساب التطلّعات الملحة والمصيرية

1- عبد الإله بلقزيز، المرجع السابق، ص، 27.

2- حيث اسغلت دعاوى الحداثة ولا تزال في الترويج الإشهاري والدعائي لتوجهات و سياسات الأنظمة والحكومات العربية ، و يروّج لها كذلك كقربان الولاء والخضوع للغرب وعربون تبعية ووفاء ..

3- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهااد .. مرجع سابق، ص، 250.

4- زكي الميلاد، المرجع نفسه، ص، 251.

5- زكي الميلاد، نفسه، ص، 251.

الكبرى للأمم، اكتست شكلا رفضويا حادا تعبيريا عن خيبة آمالها بعدما ظنت أنها ستستكمل بناء مشروعها النهضوي لحظة تحررها من قبضة الإحتلال الأجنبي، وتمثلها كتابات مفكري الإصلاحية الإسلامية الحركية كحسن البنا وسعيد حوى في سوريا، و سيد قطب وعمر عبد الرحمان في مصر. ومحمد الفيزازي، و محمد الزمزمي في المغرب ومالك بن نبي والبشير الإبراهيمي في الجزائر .

### 3-3- حتمية الإجتهد لتفعيل التغيير الإيجابي " الجذري العميق " :

إذا نحن حاولنا مجدداً أن نبحث في حقيقة الإجتهد في الفقه الإسلامي، أو ما قد نسميه بـ "الحدائثة الإسلامية"<sup>(1)</sup> فإنه (( في جوهره وفلسفته هو بمثابة النظام المعرفي الذي يربط الدين بالدنيا، ويؤسس علاقة الشريعة بالحياة والفقه بالواقع والزمن والعصر))<sup>(2)</sup>، فالإجتهد عند المسلمين يقارب مفهوم الحدائثة الذي يرتبط بالحضارة الغربية، وهو الذي يعيد للتراث الإسلامي إنبعائه الجديد؛ من خلال وظيفة التأصيل والتجديد التي وُجب أن تُلزم الفقه الإسلامي في كل عصر.

وأكد المؤرخون والفلاسفة عبر التاريخ ((أن الأفكار الأصيلة والفعالة هي التي صنعت التاريخ))<sup>(3)</sup>، بذلك كان الإنسان في الإسلام حرّ في اختياره، إلا أنه يتحمل مسؤولية هذا الإختيار ونتائجه، بعدما بيّن له القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة طريق الهداية وطريق الضلال، فوقع انحراف للمسلمين حين وانشغالهم بقشور ومظاهر التدين لا بجوهره، بل وإدخالهم البدع والخرافات في بعض اعتقاداتهم و سلوكياتهم، في الوقت نفسه فإن الإسلام ليس مسؤولاً عن تخلف أو استعمار أو اضطهاد و نلّ المسلمين، بل الإسلام يعاني من تخلف المسلمين الذين فقدوا الخيرية، بسبب إخلالهم بسنن التغيير والتّمكن .

1- و هذا إنطلاقاً من التساؤل الإسلامي في الجامعات الألمانية "راينهارد شولسته" في مشاركته بكتاب حول الإسلام و الغرب و بفرانكفورت ، هل توجد حدائثة إسلامية ؟ سؤال أصبحت له مبرراته الموضوعية و المعرفية بعد إعادة التفكير فيه من جديد، و ذلك للحقائق التي تكشفت و كان من الصعب التنكر لها أو عدم الإكتراث بها، و هي الحقائق التي تولد بعضها من ظاهرة الإنبعثات الإسلامية بعد تعاظم حركتها و فاعليتها في مجتمعات عربية و إسلامية ..انظر:

- الميلاد، من التراث إلى الإجتهد، .. مرجع سابق، ص، ص، 265، 266.

2- زكي الميلاد، نفسه، ص، 280.

3- أحمد بابا العلوي، علال الفاسي .. مرجع سابق ، ص، 104 .

فالإجتهد إذن يفرض تعاملًا مع النص، بتمحيص الفحص وتعميق النظر بصفة دائمة ومستمرّة مع إبقاء النص مفتوحًا في كل زمان و مكان، دون احتكاره أو مصادرته أو نسخه من عصرٍ أو تجربة سابقة، وهذا ما يحيلنا على تبني مصطلح المعاصرة؛ باعتبارها توحى بقدرة الشريعة من حيث الإستنباط والإجتهد لإحتواء ضرورات التكيف مع الأوضاع العصرية الراهنة<sup>(1)</sup>.

وكان من بين المفكرين البارزين الذين اهتموا بقضايا النهضة والتّجديد الحضاري؛ نجد مالك بن نبي<sup>(2)</sup> الذي وضع شروطًا للنّهضة، وذلك ضمن ثلاثيته المشهورة وهي: الإنسان، الثراب، الوقت، و يرى أنّ الماديات الملموسة من تقنيات ضخمة ودقيقة وعمران، ما هي إلاّ مكتسبات النهضة، و ليست عناصر أولية لعملية النهضة<sup>(3)</sup>.

إلاّ أنّ مالك بن نبي يرى نهضة الأمة تبدأ أساسًا بتصفيّة الأفكار الميّتة والقائلة، حتى يعود الإنسان إلى نقاوته العقلية وفطرته السليمة، وبالتالي يصبح قادرًا على خوض المعترك الحضاري من جديد<sup>(4)</sup>، وهذا ما قصده حسن البنا حينما تناول قضية تنظيم طاقة المسلم الحيوية وتوجيهها وفق الحقيقة القرآنية<sup>(5)</sup>، (( فتتبعث في صورة إسلام حركي ))<sup>(6)</sup>، الإسلام الذي يتميّز عن غيره من الإيديولوجيات بالفاعلية والحركية المستمرّة، شريطة أن يبدأ تفعيله داخل قلوب المسلمين أولاً، وهذا ما عبّر عنه جدعان و سمّاه "التكيف" الذي

1- زكي الميلاد، مرجع سابق، ص، 285.

2- مالك بن نبي (1905-1973م): هو مالك بن عمر بن خضير بن مصطفى بن نبي، ولد في مدينة قسنطينة، و هو الإبن الوحيد في أسرته الفقيرة، بالإضافة إلى ثلاث بنات، و لقد عمل أبوه موظفًا بسيطًا في الإدارة الحكومية في منطقة تبسة، بينما أمه زهيرة كانت تساعد والده في تحسين دخل البيت عن طريق العمل في الخياطة، و قال مالك عن نفسه سنة ولادته: ( .. كان لي حين ولدت تلك السنة الحظ الممتاز الذي يتيح لي أن أقوم بدور الشاهد، على تلك الحقبة من الزمان )، و نشأ مالك في أسرة متديّنة، متأثرة بواقع الجزائر الأليم، وكان جده يأخذه إلى الكتاب والزوايا، و دخل مالك المدرسة و بعد تخرجه من الثانوية سافر إلى فرنسا، و في سنة 1935م تخرّج مهندسًا كهربائيًا من كلية الهندسة، وتزوج هناك من امرأته الأولى الفرنسية، بعد إسلامها، سمّت نفسها خديجة، وكان لها الأثر الكبير في حياته، و كان يتنقل بين فرنسا و الجزائر إلى أن استقرّ أخيرًا في مصر سنة 1956م، و تزوج ثانية وأنجب توأم بنات و بقي في مصر يحاضر و يناقش و يؤلف باللغتين الفرنسية والعربية، إلى سنة 1963م، حيث عاد إلى الجزائر، من مؤلفاته: الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، الفكرة الإفروأسيوية و مشكلة الثقافة، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. انظر: ص، 3 و ما بعده. انظر:

- بوبكر جيلالي، استراتيجية البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ط1، دار قرطبة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص، 14.

3- حسن موسى محمد العقبي، مالك بن نبي .. مرجع سابق، ص، 185.

4- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير في .. مرجع سابق، ص، 103.

5- عبد اللطيف عبادة، نفسه، ص، 112.

6- حسن موسى محمد العقبي، مرجع سابق، ص، 187.

اعتبره بمثابة الفضيلة التي تمثل الإستجابة الذهبية لأموج التغيير، والضامن للإستمرار والبقاء، أمام صدمات المستقبل العنيفة<sup>(1)</sup>.

ويراهن مالك بن نبي للوصول إلى التغيير الحقيقي؛ على "الثورة" و يقول: (( إنَّ الثَّورَةَ التي لا تحركها هزّة تكاد تكون شطحة صوفية ليست بثورة ))<sup>(2)</sup>، فلا بد أن تكون عمل غريزي (( مطابقاً لرسالة المسلم التَّغييريّة في المجتمع ))<sup>(3)</sup>، فالثَّورَة التي يقصدها ابن نبي هي حرارة الإيمان التي تتوقّد في القلب لتجسّد العمل الصالح في الواقع المعاش بقدر المستطاع و حسب كفاءة و قدرة كل مسلم في ذلك، ولا تغيّر دون البدء بتغيّر باطن الإنسان نفسه .

وفي الوقت نفسه يحذّر ابن نبي من الإنحراف بالثَّورَة عن أهدافها الحقيقية؛ بحيث يكون نتيجتها أن تترك الثَّورَة مكانها لشبه ثورة تستبدل الكم بالكيف و شبه التَّغيير بالتَّغيير الجذري والضروري<sup>(4)</sup>، فتُسرق الثَّورَة هذه و تُحرّف عن أهدافها الحقيقية، فتجرّم الأولى وتمجّد الثانية، وعندها تصبح مساعي التضحيات من أجل التَّغيير الحقيقي ضرب من الجنون .

وكانّ ابن نبي يقوم بنقد و تقويم حركة النهضة الإسلامية الحديثة، بحيث راجعها بشكل موضوعي و جريء، ساعد ذلك على كشف بعض النقائص وعناصر القوّة، كما ساعد على وضع ملامح خطّة للإصلاح والتجديد، ضمن إطار رؤية فلسفية للتاريخ والحضارة و الإنسان<sup>(5)</sup>.

إنّ المسلمين يتلون ذلك كل وقت، من خلال قول الحق سبحانه وتعالى: (( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ ))<sup>(6)</sup>، فالأساس فالأساس الأمر بالخير، من كل خير، خير الحكمة والعلم والفعل، ثم التحذير من المنكر

1- فهامي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص، 575.  
 2- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص، 108.  
 3- حسن موسى محمد العقبي، مرجع سابق، ص، 189.  
 4- عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير .. مرجع سابق، ص، 107.  
 5- جيلالي بوبكر، الإصلاح والتجديد لدى "محمد إقبال" و "مالك بن نبي" بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص، 161.  
 6- قرآن كريم ، سورة آل عمران ، الآية 110 ، برواية ورش عن نافع.

الذي هو الشر، بالقول والعلم والفعل...، و مما يؤكد هذا المسار الصحيح نحو التغيير إلى التمكين والقوة والعزة، قول الله تعالى: (( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ))<sup>(1)</sup>، فبدأ التغيير من النفس على مستوى المجتمع...، و منه بقدر إهتمام وتفصيل الأمة للفكر المقاصدي وفق آليات الإجتهد والتجديد؛ تجددت قوة الأمة و برزت ثمار ذلك في شتى مجالات الحياة، والعكس صحيح .

و من جهة أخرى كان محمد إقبال<sup>(2)</sup> قد أطلق مقولته في كتابه الشهير " تجديد التفكير الديني في الإسلام " الصادر سنة 1929م، أكد فيه أن الإجتهد هو مبدأ الحركة في الإسلام، مما يعني أن الإجتهد هو الكفيل بنقل الفكرة الإسلامية من حيّز النظري إلى حيّز الفعل والتطبيق، ليس بشكل فوري ولكن على سبيل التدرّج وفق قاعدة مقتضيات الزمان والمكان<sup>(3)</sup>.

ومن ذلك كما قال الدكتور حسن حنفي أن (( الإسلام عن طريق الإجتهد هو أكبر دين حدثي، لأنه يعطي الفرع شرعية الأصل، و يعترف بالزمان والمكان وبالتطور، إنّ اجماع كل عصر غير ملزم للعصر القادم... ))<sup>(4)</sup> .

وأصبح اليوم من الضّروري البحث في إمكانية أن ينهض الإسلام باجتهد "حدثي" من داخل منظومته الفكرية والقيمية والتاريخية، بعدما تبين ما لهذا الدين من قدرة فائقة على الإنبعاث والحيوية والتجدد، ويفرض حضوره الفاعل في شتى الحقول العالمية<sup>(5)</sup> .  
والمسلم اليوم لا يمكنه أن يبقى خالصا لإسلامه إن هو تبنى فكر "الآخر" بشكل مطلق، و لن يستطيع كذلك أن يكون جزءا حقيقيا من واقعه في الحاضر والمستقبل إن هو بقي مقتنعا بما وصله من تراث الماضي<sup>(6)</sup>، فيعيش واقعه المبتور بين غربتين .

1- قرآن كريم، سورة الرعد، الآية 11، برواية ورش عن نافع .

2- محمد إقبال (1873-1938م) : واحد من أكبر الشعراء و الفلاسفة المسلمين، وأحد أعلام الأدب العالمي في العصر الحديث، ولد في مدينة سيالكوت بجنوب البنجاب بالهند، تربى وسط أسرة يعود أصولها إلى منطقة كشمير، تعلم في جامعة لاهور، ونال شهادة الماجستير من نفس الجامعة بإشراف توماس أرلوند المستشرق البريطاني الشهير صاحب كتاب " الدعوة إلى الإسلام " ودرس في أوروبا بجامعة كامبريدج في بريطانيا و نال شهادة الدكتوراه فيها تخصص فلسفة، و انخرط في التدريس و التأليف و العمل السياسي، وكتب محمد إقبال بثلاث لغات، الأوردو و الفارسية والإنجليزية، و تلك إقبال الكثير من الأبحاث و الدراسات تدور حول القيم الفاضلة و كرامة الإنسان، و رسالة المسلم و عظمة الدين الإسلامي فكان من مؤلفاته " تجديد الفكر الديني في الإسلام "، الذي لقي شهرة واسعة، رسالة الخلود، الأسرار و الرموز، أرار معرفة الذات، هدية الحجاز، مسافر. انظر: - مولود عويمر، أعلام و قضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط1، دار الخلدونية للنشر و التوزيع الجزائر، 2007، ص.ص. 111.. 119 .

3- زكي الميلاد، من التراث إلى الإجتهد .. مرجع سابق، ص، 276.

4- زكي الميلاد، المرجع نفسه، ص، 276.

5- زكي الميلاد، نفسه، ص، 266.

6- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص، 572.

وكان علال الفاسي يرى أنّ النقد الذاتي شرط أساسي لنهضتنا وتقدمنا، لأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن أمة أصابها ما أصابها من بلايا ونكبات في ذاتها وأمام أعدائها، فهي أمة تحتاج أول ما تحتاج - و بأسرع ما يمكن - إلى نقد ذاتي صريح و شامل، لكي تدرك مواطن الخلل ومكامن الداء...، ولقد بذلت فيه - علم الله - جهد المخلص الذي يريد البناء، و يسعى في التجديد..<sup>(1)</sup>، و إن بقيت قضايا النهضة والنهوض "مطالب و أهداف" بالنسبة للعرب والمسلمين، ما تزال مطروحة إلى اليوم<sup>(2)</sup> .

والمسلم لن تسعفه مستقبلا كما سماها جدعان "العقلية السكونية" التي تقوم على أساس "الثوابت"، أمام قاعدة "تغيير الأحكام بتغيير الزمان" و مبدأ "المصالح المرسلة"، فهذا ما يتلاءم مع مقتضيات التغيير في مستقبل المسلمين<sup>(3)</sup>، وهو المحكّ الأكبر لمدى قدرة المسلم للتأقلم مع القضايا الكاسحة للحدثة وتحديات العولمة .

وكان لزاما على المثقف النهضوي أن يقوم بالدور المنوط به، وهو بث الوعي وإنهاض الهمم، فالثقافات الإنسانية تعتبر المثقف شخصا كونيا، شريكا إجتماعيا ملتزما بالقضايا الإنسانية.. فرواد النهضة العربية الإسلامية كانوا متحررين في أفكارهم ومواقفهم، وربطوا الإجتهد والفقہ بالمكان والزمان، فتنامي الإدراك بروح العصر والإنتفاح على القضايا الشائكة والحرجة استلزم ذلك تفعيل الإجتهد لمواجهة قضايا الراهن والمستقبل .

1- أحمد الريسوني، علال الفاسي.. مرجع سابق . ص 201

2- محمد عابد الجابري، المشروع .. مرجع سابق، ص، 7 .

3- فهمي جدعان، أسس التقدم .. مرجع سابق، ص، 569 .

عرفت بلدان المغرب العربي يقظة منذ أوائل القرن التاسع عشر، حيث سرعان ما تحولت هذه اليقظة إلى أنشطة ثقافية و مبادرات فكرية وطنية في المغرب و تونس، و إلى وعي نهضوي ثوري، في الجزائر و ليبيا، لعبت النخب المحافظة والنخب الجديدة فيها دورا هاما في التفاعل الحضاري، وتبني الإصلاح الاجتماعي والسياسي والفكري في مختلف المجالات، دون إغفال مجال المرأة وتعلم اللغات والعلوم الحديثة، والدعوة إلى تقليد الغرب في النهضة العلمية التقنية والإقتصادية، و طرح ذلك من خلال خيارين إثنين: الأول يشترط التخلي عن الإرث الحضاري للأمة العربية والإسلامية، والأخذ بنظريات الغرب الوضعية، والخيار الثاني يشترط الأخذ بأسباب تقدم الغرب دون التخلي عن هذا الإرث، حيث مثل هذان الخياران التحول المفصلي في مستقبل مشروع النهضة، وعلى مصيره النهائي سواء في بلدان المشرق أو المغرب العربيين أو العالم الإسلامي ككل .

إلا أنّ العرب الرسميين " تورطوا " أو " تواطأوا " جميعا على الأخذ بالخيار الأول تقليد الغرب والتخلي عن الإرث العربي والإسلامي للأمة واللّهت وراء "الحدائث" لا "التحديث" إعتقادا منهم أنه الحلّ الأمثل لمشكلاتهم وأمراضهم المستعصية، فكانت أول ثمار هذا التحول في ضمير الأمة الجديد؛ هو تلقيهم أقسى وأشد صدمة في العصر المعاصر؛ و هي صدمتي 1948 و 1967م . التي مني بها العرب مرة أخرى خلال صدامهم مع "النموذج أوالنسخة المحسنة للمشروع الإمبريالي الغربي" وهي الكيان الصهيوني "اسرائيل"، وكشفت الصدمتان عن مدى فشل النظام الرسمي العربي في الأخذ بالخيارات النهضوية العربية المتاحة والأخذ "بالنموذج أو النسخة المشوهة لمشروع النهضة العربية" وهو "نموذج الإشتراكية العروبية والقومية الضيقة والمستبدّة"، ومدى إصرار النظام الرسمي على هذه الخيارات الفاشلة، و غير الملائمة لطبيعة المجتمعات العربية والإسلامية، ممّا أجهض المشروع النهضوي و أحاله النظام العربي الرسمي على التّقاعد المبكر، وفرض عليه الإستقالة السّرمدية من شؤون الأمة و قضاياها المصيرية؛

لتواصل حلقات الإنتكاسات والأزمات والإخفاقات والإنتكاسات العربية، بشكل متواصل ورهيب في شتى المجالات إلى اليوم .

وفي نهاية دراستنا، توصلت إلى جملة من الإستنتاجات تتمحور حول النقاط التالية:

- إن الإستعمار الأوربي الحديث رغم ترسانته العسكرية والقانونية؛ التي سُخرت لتنفيذ أشنع الجرائم في حق الإنسانية، والديانة السماوية في البلدان المغاربية، فإنه لم يكسر إسلامها، و لم يمحو وطنياتها بل دفعهما لليقظة والنهوض مع مطلع القرن العشرين .

- إن الصدمات والرجّات الهائلة التي أصابت دول المغرب العربي خلال العصر الحديث، وما تمخض عن ذلك من علاقات غير متكافئة مع الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، فرضت على المثقّف وغير المثقّف المغربي تغيير نظرتة للذات وللآخر، وتأكّد لديه أنه لا حجة معقولة، ولا مبرر مقبول للتخلف والهوان العربي أمام التفوق الكاسح لأوربا .

- كانت الطريقة أقرب إلى الأحزاب الموالية للسلطات الإستعمارية وأبعدها عن مساعي التيار الإصلاحى والفعل النهضوي .

- إن جمود وتحجّر الطريقة وانحرافها عن خط "رجال التصوّف والجهاد الأوائل"، وإفلاسها دنوبيا وأخرويا، حيث ظلّت تعيش عكس الهمّ الوطني(في عمومها)، و بعيدا عن طموحات الأمة في أحلك مراحلها، وفي ظل أصعب التحدّيات التي تهدّد حياتها ومستقبلها، فتورط الطريقة بشكل مباشر في تكريس التخلف وتنويم الأمة، وتقوية الإستعمار المغتصب، والتحاليف معه نفسيا ومعنويا واستراتيجيا .

- إن اتجاهات النهوض الوطني المغربي لم تكن ذات لون واحد، ففي الوقت الذي غلب الطابع السلفي على الحركة الوطنية المغربية، كان اللون العلماني الأحمر أكثر حضورا ضمن الحركة الوطنية التونسية، في حين اتصلت النزعة الإسلامية بالحركة الوطنية لكي تشكل قوة عظيمة في وجه الإستعمار الفرنسي في الجزائر .



- لقد تحقّق المشروع النهضوي العربي على المستوى "الباطني" بنسب متفاوتة بين المشرق والمغرب العربيين منتصف القرن العشرين، إلاّ أنّه لم يتعدّاه إلى الجانب "الخارجي"، ليشمل المجتمع والمؤسسات، و هياكل الدولة، بفعل تحالف البورجوازية المحلية مع القوى الأجنبية .
- إنّ الوعي بالحقائق الجديدة لدى النخب المغاربية، ولّد لديها إحساس عميق بمرارة الإنهزام، و إرادة جامحة دافعة لإكتشاف قوة وسر الآخر .
- إنّ مفهوم النهضة يحيل إلى ضرورة وغاية الإصلاح بما هو تجاوز ليس للوضعية الإستعمارية فحسب، ولكن لتدارك حالة التأخر الحضاري للمجتمع، والبحث في واقع ومستقبل الأمة بشكل عام .
- لا بدّ من الإنتباه إلى أهميّة المرجعية الدينيّة والتراثيّة التي تؤسّس لتفعل الإصلاح وشرعيّته في حقل العمل الإسلامي المعاصر، بحيث يكون الفعل النهضوي مرتكزا على أصالة الماضي بالأساس؛ و على التفاعل والإبداع مع معطيات العصر .
- لقد كرّست التجربة النهضوية للشّيخ عبد الحميد بن باديس و من ورائه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مشروع التّربية والتّعليم على أساس أخلاق الإسلام، باعتبار العلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان يبني عليهما الكمال الإنساني .
- لقد نجحت السلفية المتبصّرة والمتحرّرة في مساعيها التجديدية الحديثة ضد البدع والطرقية والجمود، وأعدت الإعتبار للعقل وأهمية الأخذ بالعلم الحديث .
- إنّ السّياسيين المغاربيين رواد مشروع الإستقلال ركّزوا بكل إخلاص لتحقيق هذا المبتغى بالأساس؛ و هو ما كان بالفعل، إلاّ أنّ "القتال" لم يتواصل بنفس النّفس، و بنفس القوى الوطنية المجنّدة في سبيل النهوض الشامل،"فسرّحت" بقية القوى الوطنية والإسلامية، كما أُجلت بقية مشاريع الأمة، و من تمّ انحصرت المهام الوطنية في يد ثلاثة من الوطنيين .

- الإصلاحية الإسلامية أرادت أن تصنع نهضة تقوم على أساس الخلق والإبداع؛ وفق طبيعة المجتمع العربي الإسلامي لخلق نهضة عربية وإسلامية أصيلة و معاصرة، إلا أن القوى التقدمية القومية سعت إلى النسخ الظاهري والشكلي المباشر لما عليه التطور الأوربي، فكانت النتيجة ولادة مشوهة تحمل من كل حضارة عيوبها وقبحها .
- إنّ العقائد الإجتماعية، والإيديولوجيات الفكرية والأنظمة السياسية لا تفرض على الناس من فوق وبحق القوة، بل الشعب الذي يؤمن بها هو الذي يفرضها على نفسه بقوة الحق .
- إنّ فشل القومية والقوميين العرب يعود للقطيعة والجدار العازل الذي بنتها بينها وبين تراث الأمة العربية والإسلامية؛ وارتباطها بفكر غربي هجين و غريب عن تربة و مناخ الأمة العربية، واعتمدها مرجعية جديدة للأمة، فرضت بما يشبه النهوض - حكومات وطنية شبه مستقلة مرتبطة و تابعة للغرب في شتى الميادين - ضربا للمشروع النهضوي العربي الإسلامي .
- كان من باكورة ثمار الحركة الإصلاحية وعصر النهضة العربية، بروز تيار الإخوان المسلمين؛ كفكر وحركة أصيلة وفاعلة و معاصرة؛ تتحفّز للأخذ بزمام المبادرة لتحقيق الإنبعاث المنشود للأمة .
- إنّ التراث الإسلامي ما يزال يحافظ على قيمته و حضوره و فاعليته، في حياتنا الفكرية المعاصرة، و في تفكيرنا الجمعي، مستعدّ لمواكبة أية نهضة أصيلة و فاعلة .
- إنّ النهضة والتّقدم لا تتحقّق إلاّ من خلال التّصالح مع التّراث والتواصل معه، وقرأته بنفّس وروح إسلامية، و ليس بنظرة و عيون أجنبية .
- إنّ التحدّي الإستعماري ظل قائما في عمق البلدان المغاربية أثناء الإحتلال، ولا يزال قائما رغم الإستقلال، يساومنا بكل ما أوتي من قوة لإزالة الموانع التي تؤخر تمكّنه النهائي هناك، والموانع هي: الدين الإسلامي السني المالكي، والمقومات الوطنية العربية والأمازيغية الملتحمتين إسلاميا وحضاريا، فهي الأساس الصلب التي ينبعث من خلالها مشروع النهضة المنشودة .

- فالدين الإسلامي مثل و لا يزال يمثل اللبنة الأساس التي يُقام عليها صرح الأمة، و كان المثقفين والمصلحين المتأثرين بالشرق والغرب، يمثلون "القلب النابض" و"الضمير الحي" في مسار التغيير والنهوض .
- إنّ الإصلاح الحقيقي، والتغيير الجذري، وإحياء الأمة من جديد كما أرادها رجال النهضة، هو ردّ الأمة إلى أصولها، وإلى منابعها، وإخراجها من ذلك التيه الطويل، لتعود إلى اكتشاف نفسها، و معرفة قدرها، و تعمل لتحقيق ذاتها، والحفاظ على وجودها .
- إنّ النهضة لا تعني الثورة و إخراج المحتل؛ و إن كان ذلك جزء من الثورة، و إنّما الثورة قبل كل شيء هو البعث الحضاري، من خلال الوعي الفكري، والحراك الفاعل، فقد تحققت الأولى، و أفضلت الثانية .
- الحداثة قيمة مضافة ضمن المشروع النهضوي، و قيمتها تقتضي التحكم فيها وتكييفها من خلال إخضاعها للتراث ، فهو وحده القادر على كبحها و تهذيبها .
- إنّ الحداثة- كمشروع لكيانات العربية الحديثة- لا و لن تعوّض النهضة - كمشروع النخب والشعوب العربية والإسلامية-، فالأولى تذكرنا بالفعل الإستعماري البغيض؛ فهي إلى الآن تصرّ على اقتلاعنا من جذورنا واستحالتنا إلى مواد خام في يد الغرب، لصهرنا وإعادة تدويرنا وفق "الكائن" الذي يريده هو، بينما الثانية أي"النهضة" هي آخر حصن وملاذ بقي في مخيال العرب والمسلمين للإحتماء به، والإنبعاث من خلاله من جديد كخير أمة أخرجت للناس .
- إنّ المشروع النهضوي العربي يحمل في ثناياه التوفيق بين استلهام التراث والفعل التحديثي بشكل عقلاني ومعتدل، تماما كما كان علماء السلف الصالح يربطون بين العقل والنقل؛ عملا بفريضة الإجتهد فيما يخص الإشكاليات الطارئة عبر العصور .
- إنّ طرح سؤال الحداثة، هو سؤال البحث في سبل الخروج من الأزمة بأبعادها المختلفة، و ذلك على ضوء التراث العربي الإسلامي و ليس بعيدا عنه .

- لقد خلّص النهضويون إلى أنّ الإسلام هو الدين الوحيد القادر على التركيب بين عناصر الحضارة المعاصرة في إطار العالمية، لتكريس القيم الإنسانية الحداثيّة الأمانة والخيرة بين شعوب المعمورة .
- إنّ مشروع النهضة سيظلّ يحمل بين ثناياه سمات ومبادئ معتدلة؛ تجمع بين ثنائيين متقابلين تنشدهما الأمة؛ فهو موزّع بين الإيمان والعقل، بين الأصالة والمعاصرة، بين العقيدة والعلم، بين التراث والتجديد، بين اليأس والثقة، بين الماضي والمستقبل، بين الضعف والقوة بين حرقة التخلف وأمل التقدم..
- لا بدّ من المراهنة على مستقبل مشروع النهضة في العالم الإسلامي، وقدرته على تحطّي الإشكاليات المعاصرة المعقّدة للمسلمين في شتى مناحي الحياة، و مواجهة تحديات الحداثة والعولمة بقوة و نجاح .
- إنّ المشروع النهضوي همّ عربي وإسلامي؛ و هو فرض عين على العلماء والنخب وأهل الحل والعقد، و بعثه من جديد قضية ملحّة ومصيرية في آن واحد، يستلزم نفيرا شاملا ومتكاملا في شتى الميادين .
- إنّ إقامة المشروع النهضوي؛ يعني الإجابة عن إشكاليات المدنيّة الفاضلة والإنسان العالمي الصالح؛ الذي يعمر الأرض فلا يفسد، ولا يسفك فيها الدماء، و يُشيع فيها العدل والرخاء..
- إنّ سؤال الإصلاح والنّهضة يبقى مستمرا إلى يومنا هذا، فالأسباب والشروط لا تزال قائمة، والحاجة إلى ذلك أكثر إلحاحا، لأجل مباشرة التأسيس والانخراط في صناعة المستقبل، لأنّ الدواعي والمبشّرات تزيد و تتراءى هنا وهناك .

ملحق مرسوم الملك لإختيار أعضاء مجلس الأعيان في المغرب .  
الصادر في مارس 1904م<sup>(1)</sup> .

« عرض أمر مهم من أكد الأمور التي يهتم بها الخاصة والجمهور، و لم يسع فيها إلا الكتب لسائر رعيتنا السعيدة لتعيين أفراد من كبرائنا وأعياننا ممن يتقون بهم ويأتمنونهم على أمور دينهم وعرضهم و مالهم، و يرتضون منهم وكلاء عنهم، ولا يرون أصلح و أرجح منهم، و يوجهونهم لشريف حضرتنا بقصد اجتماعهم على المفاوضة في علاج هذا الأمر الملح، والخطب العارض المهم، لتكون المشاورة فيه بين جميع أعيان الرعيّة، و نستبرئ بذلك لديننا ونخلص من شوائب التقصير الذي يتوهم في العمل والرويّة .وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم نأمركم أن تعينوا من خياركم من تعتقدونه في الأمانة والديانة؛ وترضونهم وكلاء عنكم في أقوالكم وأفعالكم، وتأمنونهم على أنفسكم، وتوجهونهم لحضرتنا الشريفة بقصد المفاوضة في الأمور العارضة » .

1- أحمد كافي، مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ط1، دارالكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ص171

## بيان من اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري إلى الشعب التونسي<sup>(2)</sup>

إن اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري التونسي بعد درسها للحالة الحاضرة على ضوء التطورات العامة، نرى من واجبنا الحتمي في هذه الظروف الدقيقة التي تجتازها قضية الأمم المستضعفة أن نذكر الشعب التونسي بما قرره المؤتمر القومي العام المنعقد ليلة 27 رمضان الموافق للثالث والعشرين من أوت سنتي 1365-1946م من إفلاس الحماية كنظام سياسي اقتصادي يناقض السياسة التونسية و مصالح الشعب الحيويّة، و إعلان عزم الأمة على السعي للحصول على استقلالها التام .

منذ ذلك اليوم التاريخي أصبحنا نشاهد - بكل أسف- أن حالة الجالية الفرنسية التي ما انفكت في تحسن وازدهار نتيجة لإستغلالنا و ذلك على الرغم من أن التطورات الحاصلة في الميدان الدولي تطبيقا للمواثيق التي أسفرت عنها الحروب والتي تكفلت بتحسين حالة الشعوب المستضعفة في جميع الميادين، تلك المواثيق التي وقّعت عليها فرنسا وضمّنتها دستورها الأخير، و في ذلك تناقض واضح بين ما التزمت به و بين سلوكها العملي المضرّ بحقوقنا ومصالحنا والمعطل لنهضتنا و لنيل استقلالنا. و في الوقت الذي نرى فيه فرنسا تتشبّث بالنظام الإستعماري العتيق، ذلك النظام غير الإنساني الذي فقد الأساس الدولي حيث نبذته منظمة الأمم المتّحدة، نرى بعض الدول المستعمرة وقد بادرت تنفيذا لما قرّرته تلك المنظمة إلى تصفية تركتها الإستعمارية بطريقة سلمية، هادئة نالت نجاحا باهرا ماديا و معنويا، وبعض الدول الإستعمارية الأخرى التي امتنعت من الإستجابة لما قرّرته هيئة الأمم المتحدة، أرغمت على تمكين الشعوب التي كانت خاضعة لها من استقلالها بعد مفاوضات بينها و بين ممثلي تلك الشعوب بحق، تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة. و يجب أن ننبه الشعب التونسي هنا إلى أن الإستعمار الذي نظّم

2- الطاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية ، رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة،تونس  
ص.ص،99..91.

مؤتمرات دولية، لا يمكن أن ينتهي إلا بصفة دولية ما لم تبادر دولة استعمارية ما إلى تصفية قضيتها الإستعمارية تصفية عادلة .

إنّ اللّجنة التّفيذية للحزب قد شعرت من أول وهلة بهذا الإتجاه الجديد في السياسة الدولية، فبادرت في خلال الحرب الأخيرة إلى عقد مؤتمر دستوري في شهر سبتمبر سنة 1944م قرّر السّعي للحصول على الإستقلال الذي كان ولا يزال هدفنا الأسمى، و أوكل إلى اللّجنة التّفيذية اختيار الظروف المناسب للإعلان بهذا الأمر .

ولقد قامت اللّجنة التّفيذية بهذه المهمّة التي أوكلها المؤتمر و كانت كالحارس الأمين على هذا القرار الذي قرّره، فعندما حاول المقيم العام الجنرال ماسط الرجّوع بالأمة إلى سياسة الإصلاحات لتلهية الشعب التونسي و لفت نظره عن الهدف الذي ينبغي أن يتّجه إليه و ارتأى تشكيل لجنة لذلك الغرض، حاول استدراج بعض التونسيين للمشاركة فيها، ورأت اللّجنة التّفيذية للحزب جنوح بعضهم للإستجابة إليه فقامت في الحين وسعت بنجاح لحملهم على العدول عن ذلك .

ولمّا انتهت الحرب بذلت اللّجنة التّفيذية مجهوداتها لإقناع الوطنيين التونسيين الذين يهتمهم الأمر بتكوين جبهة وطنية تعقد مؤتمرا قوميا يضم نواب جميع الهيئات والمنظمات التي تمثّل مختلف طبقات الشّعب التونسي كله، يصادق على ميثاق قومي يتضمّن الإعلان بالمبدأ الذي قرّره المؤتمر الدستوري سنة 1944م فكان مؤتمر 27 رمضان الذي اتّخذت فيه الأمة التونسية اتحادا مخلصا تسامت فيه فوق جميع الإعتبارات، و صادقت على ذلك الميثاق الذي وضعت اللّجنة التّفيذية خطوطه الرئيسية الذي وضع حدا لكل خلاف أو تأويل من ناحية المبدأ الذي ينبغي أن يتوخاه كل من يتصدى للقيام بمهمة الكفاح السياسي في هذه البلاد. و قد حرصت اللّجنة التّفيذية على أن يستمر ذلك التكتل والإتحاد اللذان ظهرت آثارهما الطيّبة في ذلك الظروف التاريخي وأن يكون أكثر ثباتا واستقرارا حتى يتيسّر لنا أن نستمر على السّير لتحقيق الهدف الذي تضمنه الميثاق القومي في جبهة متّحدة متماسكة لا يجد فيها الخصم منفذا و تكون أقوى ضمان للفوز والنجاح، بيد أننا

أصبحنا نرى بكل أسف انحرافا عن الميثاق القومي الأخير إلى سياسية إصلاحية ترجع بنا إلى عهد 1922. بل لقد بلغ الأمر في سبيل تحقيق بعض الغايات إلى التفريط في أمور خطيرة تتعلق بصميم السيادة التونسية ومصحة الشعب التونسي، وهو ما نعدّه افتئاتا على هذا الشعب ولا نقرّه أبدا .

واللجنة التنفيذية ترى أنها إزاء هذه الأمور الخطيرة و في مثل هذه الظروف الدقيقة، لا مناص لها من أن تحذّر الشعب التونسي من التطويح به في مهام غير واضحة المعالم وتوريطه في شرك يعسر عليه فيما بعد الخلاص منها و هي تعلن إليه :

أولا: أنها لا تزال متمسكة - قولا وعملا- بالميثاق القومي لليلة 27 رمضان .

ثانيا : أنها لا تعترف لأي أجنبي بأي حق في بلادنا فـ"تونس للتونسيين" وليس للأجانب مهما كانت علاقتهم بنا إلا المصالح المشروعة التي لا تتنافى مع مصلحة الشعب التونسي وسيادته .

واجتتابا لكل تأويل سيء فإننا نوضح أننا لا نصدر في ذلك عن أي تطرف ملي ضيق النظر أو تعصب عنصري، بل إن غرضنا وضع حدّ لهذا التدخل في أمور سيادتنا واستغلال مواردنا إستغلالا جائرا انحط معه المستوى الإقتصادي والإجتماعي والثقافي للشعب حتى يمكن لنا أن نعيش أحرارا مستقلين في بلادنا كسائر الأمم الحرة . و نحن على استعداد طيب للتعاون مع سائر الأمم الحرة لمصلحة الجميع و لخير الإنسانية العام .

ولذلك فهي تهيب بالشعب التونسي إلى التمسك بحقه الكامل في السيادة والإستقلال و عدم الرضى بالحلول العرجاء التي لا تنزع غل العبودية من عنقه بل تزيد في تمكين خصمه من مقاومته و تدعوه إلى التكتل والإتحاد المخلص في جبهة متينة متمسكة تسمو عن جميع الأغراض والنزعات إلا مصلحة الوطن العليا مثلما فعل ذلك في مؤتمره التاريخي العظيم ليلة 27 رمضان وان في استجابته لدعوتنا المخلصة الوسيلة الوحيدة لتحقيق حريتنا

واستقلالنا . عن اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي القديم

صالح فرحات . الأمين العام



## لجنة تحرير المغرب العربي

و ميثاق القاهرة 1947م .

- 1- بطلان معاهدة الحماية المفروضة على تونس و مراکش و عدم الإعتراف بحق فرنسا في الجزائر.
- 2- مطالبة الحكومة المغربية والهيئات الوطنية باعلان استقلال البلاد .
- 3- المطالبة بجلاء القوات الأجنبية من بلاد المغرب كلها .
- 4- رفض الإنضمام للإتحاد الفرنسي في أي شكل من أشكاله .
- 5- اعتبا أيام احتلال الجزائر "5جويلية" و فرض الحماية على تونس "12 ماي" و فرض الحماية على مراکش " 30 مارس" أيام حداد في جميع أقطار المغرب .
- 6- تعزيز الكفاح في الداخل والخارج لتحقيق الإستقلال والجلاء .
- 7- ضرورة الإتفاق بين الأحزاب الوطنية داخل كل قطر .
- 8- إحكام الروابط بين الحركات الوطنية في أقطار المغرب العربي .
- 9- الإتفاق على غاية واحدة هي الإستقلال التام و الجلاء الناجز .
- 10- تكوين لجنة من قادة الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل لكفاح مشترك .
- 11- العمل على توحيد المنظمات العمالية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية في أقطار المغرب العربي و توجيهها توجيهها قوميا .
- 12- ضرورة وقوف أقطار المغرب العربي جبهة واحدة عند حدوث الأزمات في أي قطر منها .
- 13- مطالبة الجامعة العربية باعلان إلغاء معاهدي الحماية المفروضة على تونس ومراكش و إعلان عدم شرعية احتلال الجزائر ، و تقرير مصير هذه الأقطار مع تعيين ممثلين عنها في جامعة الدول العربية .

- 14- عرض قضية تحرير المغرب العربي على الهيئات الدولية و استعمال كل ما لدى الجامعة من وسائل لمساعدة أقطار المغرب العربي على تحقيق استقلالها التام .
  - 15- إرسال لجان تحقيق إلى المغرب العربي .
  - 16- عرض الحالة الثقافية بالمغرب العربي على الجامعة العربية و مطالبتها على نشر الثقافة العربية و تعميمها في أقطار المغرب العربي و حل مشكلة الطلاب المغاربة الذين ينتجئون إلى المشرق لمواصلة دراساتهم في المعاهد العربية و تذليل ما يلاقونه من عقبات و مصاعب في سبيل كسب الثقافة العربية .
  - 17- شكر جامعة الدول العربية على كل ما بذلته في سبيل المغرب العربي من جهود .
  - 18- تأييد وحدة مصر و السودان .
  - 19- تأييد فلسطين العربية و المطالبة بدعمها و بتحريرها .
  - 20- تأييد الشعب الليبي في جهاده و المطالبة بوحدة القطر الليبي و استقلاله التام .
  - 21- تأييد نضال شعوب الهند الصينية في نضالها ضد الإستعمار .
- وبعد المؤتمر وجّه الأمير "عبد الكريم الخطابي" بياناً إلى قادة الحركات الوطنية في أقطار المغرب العربي هذا نصه :
- (( في هذا الوقت الذي تعمل فيه الشعوب على تأمين مستقبلها و تتطلع فيه أقطار المغرب العربي إلى استرجاع استقلالها المغصوب و حريتها الضائعة يتحتم على جميع زعماء المغرب أن يتحدوا و على كافة الأحزاب الإستقلالية أن تتآلف و تتساند، إذ أنّ هذا هو الطريق الوحيد الذي سيوصلنا إلى تحقيق غاياتنا وإدراك أمانينا .
- وإذا كانت الدولة الإستعمارية على باطلها تحتاج إلى التساند و التعاضد لتثبيت سيطرتها الإستعمارية فنحن أحوج إلى الإتحاد و أحقّ به من أجل إحقاق الحق و تقويض أركان الإستعمار الغاشم الذي كان نكبة علينا، ففرّق كلمتنا و جزأً بلادنا و ابتزّ خيراتها واستحوذ على مقاليد أمورنا و وقف حجر عثرة في سبيل تقدمنا و رقيّنا ثم حاول بكل الوسائل أن يقضي على جميع مقوماتنا كأمة عربية مسلمة، و يسرني أن أعلن أنّ جميع

الذين خابرتهم في هذا الموضوع من رؤساء الأحزاب المغربية و مندوبيها بالقاهرة قد أظهروا اقتناعهم بهذه الدعوة واستجابتهم لتحقيقها وإيمانهم بفائدتها في تقوية الجهود وتحقيق الإستقلال المنشود. ولقد كانت الفترة التي قطعناها في الدعوة للإئتلاف خيرا وبركة على البلاد فاتفقت مع الرؤساء و مندوبي الأحزاب الذين خابرتهم على تكوين " لجنة تحريرالمغرب العربي" من سائر الأحزاب الإستقلالية في كل من تونس والجزائر ومراكش على أساس مبادئ الميثاق التالي :

1- المغرب جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة وتعاونه في دائرة الجامعة العربية مع الأقطار العربية على قدم المساواة أمر طبيعي ولازم ..

2- الإستقلال المأمول للمغرب العربي هو الإستقلال التام لكافة لأقطاره الثلاثة "تونس-المغرب- الجزائر" .

3- لا غاية يسعى إليها قبل الإستقلال .

4- لا مفاوضة مع الإستعمار في الجزئيات ضمن النظام الحاضر .

5- لا مفاوضة إلا بعد إعلان الإستقلال .

6- للأحزاب الأعضاء في "لجنة تحريرالمغرب العربي" أن تدخل في مفاوضات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والإسبانية على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه الإتصالات .

7- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام لايسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير الشعبين .

هذا هو الميثاق الذي قطعنا على أنفسنا العهد بالسير على ضوئه والعمل بمقتضى

مبادئه ، قد وافقت عليه أنا كما وافق عليه رؤساء الأحزاب المغربية التالية :

1- الحزب الدستوري الحر القديم .

2- الحزب الدستوري التونسي الجديد .

3- حزب الشعب الجزائري .

4- حزب الوحدة المغربية .

5- حزب الإصلاح الوطني المغربي .

6- حزب الشورى والإستقلال المغربي .

7- حزب الإستقلال المغربي .

وقد كتبنا لبقية الأحزاب نطالب موافقتها النهائية على تكوين اللجنة والمصادقة على ميثاقها و تعيين مندوبيها في اللجنة بصفة رسمية و منذ الآن سندخل قضيتنا في طور حاسم من تاريخها و سنواجه المغتصبين و نحن قوة متكئة تتكون من خمسة وعشرين مليوناً كلها مجتمعة على كلمة واحدة و تسعى لغاية واحدة، هي الإستقلال التام لكافة أقطار المغرب العربي و سنعمل على تحقيق هذه الغاية بكل الوسائل الممكنة في الداخل والخارج، كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، و لن نجد المستعمر بعد اليوم منفذا لتثبيط عزائمنا و ايقاع الفتنة بيننا و استغلال تعدد الأحزاب و تفرق الكلمة لاستعبادنا و تثبيت أقدامه في بلادنا. فنحن في أقطارنا الثلاثة نعتبر قضيتنا قضية واحد و نواجه الإستعمار متحدين متساندين و لن يُرضينا أي حل لا يحقق استقلالنا الناجز و سيادتنا التامة على أننا نأمل أن يعمل الفرنسيون و الإسبانيون على انصافنا دون أن يلجؤونا إلى إراقة الدماء وأن يكونوا قد تيقنوا من تجاربهم السابقة من أن استنادهم إلى استخدام القوة والبطش والإحتفاظ باستعمار أوطاننا وإسكات صوتنا عن المطالبة بالحرية والإستقلال أصبح لا يجدي شيئاً، وأن من الخير لهم أن يسارعوا إلى فكّ أغلالهم الإستعمارية بطريق التفاهم بين الجانبين وتقدير مصالح الطرفين. أما إذا تتكّبوا هذا الطريق فسيكونون المسؤولين عن تغيير خطتنا لأننا لن نتأخر إذا نحن يئسنا من استرجاع استقلالنا بطريق التفاهم والإقناع عن استرجاعه بطريق التضحية وبذل النفوس .

وإنني إذ أعلن عن تكوين "لجنة تحرير المغرب العربي" أتوجّه إلى الشعوب المغربية بالتحية والشكر في مناصرتها لقضية المغرب العربي ولا يخالجنني شك في أنها ستستقبل تكوين هذه اللجنة بالمؤازرة والتأييد والترحيب .

و يسرّني في الختام أن أحيي إخواننا مجاهدي فلسطين الشقيقة داعيا لهم بالفوز والنصر مؤكدا لهم تضامن الأقطار المغربية معهم وعزمها على اتخاذ جميع الوسائل الممكنة للإشتراك في انقاذ بلادهم والمحافظة على عروبتها و وحدتها<sup>(3)</sup> .

عبد الكريم الخطابي

رئيس لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة .

\*\*\*\*\*

### بيان من الأستاذ يوسف الرويسي

في الوقت الذي ينهار فيه صرح الإستعمار في آسيا و تنزل الأرض بمعاقله الإفريقية و تتحفّز بقية الشعوب المغلوبة على أمرها لإغتنام الفرص التي تخلقها الظروف فتطمّ قيود الإستعمار و تفكّ سلاسل العبودية .

وفي الوقت الذي يصبح فيه شمالي افريقيا خطا أساسيا لحرب مقبلة ومركزا استراتيجيا مرموقا من العسكريين المتقابلين ممّا يتيح لأهله فرصا مواتية تمكّنهم من افتكاك حريّتهم و استقلالهم وظرفا مناسبا يساعدهم على خلق قوّة تلعب دورا أصيلا في سياسة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، و في الوقت الذي استطاع الوطنيون أن يحطّموا الستار الحديدي المضروب حول المغرب و يرفعوا صوت بلادهم المكبوت عاليا في أنحاء العالم و يكونوا لقضيتهم أنصارا في كل مكان .

وفي الوقت الذي غدا فيه الصراع القائم بين سلطات الإستعمار والحركات الإستقلالية في تونس و مراکش محل اهتمام دول العالم و مثار عطف الشعوب المناضلة في سبيل الحرية. و في الوقت الذي تزحف فيه الحرية على الحدود الشرقية التونسية و يستعدّ الشعب الليبي الشقيق للممارسة استقلاله في عام 1952م .

3- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ص.ص. 236، 239.

وفي الوقت الذي كانت فيه الجامعة العربية تعدّ عدتها لعرض قضية تونس و بقية قضايا المغرب العربي على هيئة الأمم المتحدة .

وفي هذا الوقت الذي تهيأت فيه الفرص و تكتلّ فيه الشعب بجميع طبقاته حول الحركة الوطنية و تكامل فيه استعداده للمقاومة الجدية كنتيجة لتجارب سبعين عاما في النضال و استعدادّ للوثبة الحاسمة التي تطوح بالإستعمار و تريح البلاد من مساوىء الإحتلال والحكم الأجنبي، فوجيء العالم العربي بمشاركة بعض زعماء حزب الدستور في وزارة مختلطة من التونسيين والفرنسيين على الأسس التي حدّدها المقيم العام الفرنسي في خطبه وبلاغاته وهي: (( تتلخص في تشكيل وزارة مختلطة تقوم بمهمّة المفاوضات وإجراء إصلاحات تنتهي بالبلاد على مراحل متتالية إلى الإستقلال الذاتي الداخلي وتشريك التونسيين بصورة تدريجية في شؤون بلادهم بشرط المحافظة على الحقوق المكتسبة للفرنسيين و ضرورة التعاون الفرنسي التونسي القائم على الوضع الجغرافي والمصالح المشتركة واعتبار البحر الأبيض لا يقيم حاجزا بل يوحد بين فرنسا و تونس. وأكدّ المقيم العام عدم إمكانية تصوّر مستقبل تونس بدون إعانة فرنسا و حضورها الدائم وحذرّ التونسيين من التطلّع لما وراء ذلك من التمسك - بما سمّاه - القوميات الضيقة والبائدة .

إنّ هذه الظاهرة الغريبة التي تبدو في شكل تحوّل خطير في الإتجاه القومي في تونس قد أعطت الرأي العام الخارجي صورة غير صحيحة عن مدى انتشار الوعي في تونس و عن صدق نضال حركتها الوطنية، وأثارت إستياء عميقا في جميع الأوساط الوطنية العربية في المشرق والمغرب على السواء فلم تتمالك هذه الأوساط عن إبداء حيرتها عن تفسير الحافز الذي دفع ببعض قادة الدستور الجديد إلى التراجع عن خطة النضال المغربي الموحد التي سار عليها الحزب في الماضي إلى الإنكماش في حدود القطرية الضيقة، و الإنحراف عن الاسلوب النضالي الصحيح إلى الأخذ بالأساليب الضعيفة الفاشلة والتكّر للمبادئ الإستقلالية والمواثيق القومية إلى التورط في

المفاوضات على أساس الحماية و قبولها كأمر واقع، والمشاركة في الحكم الإستعماري مع السلطات الأجنبية والدخول في وزارة محدودة الصلاحيات تخضع قراراتها لتأثير الكاتب العام الفرنسي و يرأس مجلسها المقيم العام .

والحق أنّ المتتبع لسير الحوادث الجارية في تونس يرى أنه لا الحزب الدستوري كحركة مقاومة ولا الشعب التونسي المناضل يمكن أن تحمل عليهما تبعه التطورات الأخيرة في الإتجاه الجديد فالشيء بأغلبه الساحقة و في طليعتها شبابه الواعي يستنكر الإتجاه الجديد و لا يقرّه و يصرّ في تصميم و عزّة على مواصلة النضال على الأسس التي قرّرها ممثلوه في القرارات الوطنية، و هي أولا المؤتمر المنعقد في تونس في 23 أغسطس سنة 1946م، و ثانيا مؤتمر المغرب العربي المنعقد في القاهرة في 2 فبراير سنة 1947م، و ثالثا ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي. و جميع هذه المواثيق تنصّ على إلغاء نظام الحماية المفروض بالقوة على البلاد و إعلان الإستقلال التام و الجلاء والإنضمام إلى الجامعة العربية و تمنع بصفة باتّة الدخول في مفاوضات مع سلطات الإستعمار على غير أساس الإستقلال. والحزب الدستوري الجديد كان طرفا في هذه المؤتمرات الوطنية تبنى مقرراتها واعتبرها ميثاقا له يسير بهديه و مبادئ أصوله لا تقبل التأويل و لا يجوز الإنحراف عنها بحال .

ولكن الذين يتحمّلون تبعه التطورات الأخيرة بعض أعضاء الديوان السياسي للحزب ممّن استبدّ بهم الغرور و توهّموا أنّ ما يتمتّع به بعضهم من شعبية يخولهم حق التصرف في مقدرات الشعب بما توحى به انفعالاتهم الآنية وأهواؤهم الشخصية دون التقيد بالمبادئ والمواثيق والأوضاع الحزبية دون حاجة إلى الرجوع إلى المؤتمرات التي ربطتهم بأهداف و قيّدتهم بمواثيق فلم يتحرّجوا أوّلا من الدخول في مفاوضات انفرادية مع سلطات الإستعمار، و التقدّم إليها بمطالب رسمت بطابع الضعف والتراجع والإستخذاء، و اضافت إلى البلاد قيودا جديدة تربطهما بصورة دائمة بعجلة الإمبراطورية الفرنسية و لم يستتشفوا ثانيا من المشاركة باسم الحركة الوطنية الإستقلالية في الوزارة المختلطة تحت الشروط

التي وضعها المقيم العام، و بذلك قلبوا الحزب عمليا من حركة مقاومة استقلالية إلى حزب تعاوني مع سلطات الإستعمار محاولين تسخير الحزب و المنظمات الشعبية لتأييد الوضع الحاضر و خدمة مصالح الوزارة الجديدة و انطلقت دعايتهم تضل الشعب وتوهمه بأنّ ( دخولهم في الوزارة الحاضرة هو السبيل الوحيد للمحافظة على السيادة التونسية وأنّ قبول فرنسا للدخول معهم في المفاوضة - على أساس الحرية - كسب لتونس في معركة الحرية.. وأنّ مشاركة الحزب في الحكومة المختلطة درب من دروب الكفاح القومي ولون من ألوان البراعة السياسية المستوحاة من عبقرية فذة لا يتمتع بها غيرهم من قادة الشعب المناضلة، و انهم بهذه العملية قد خطوا خطوة أولى في استرجاع السيادة التونسية و نقلوا الكفاح إلى داخل الحكم، ليهيئوا للشعب استقلاله من أقرب طريق وليوفروا عليه النضال وتقديم الأضاحي و بذل الدماء .

وهكذا تتبدّل الحقائق وتتغيّر المفاهيم و تنعكس قيم الأشياء فيصبح التتكرّر للمبادئ الوطنية براءة في السياسة، و التعاون مع المستعمر لونا من ألوان الكفاح القومي و هو منطوق غريب لا يستساغ في صدوره من المستعمرين و لا يصح أن تخاطب به حتى الشعوب البدائية . إنّ عملية الإشتراك باسم الحزب في الوزارة المختلطة التي يلذّ لبعضهم أن يسميها "حكومة المفتي" كان نتيجة لخطة استعمارية دبّرت لبيل وأحكمت أطرافها بمهارة لخدمة مصالح الإستعمار و توطيد أقدامه في تونس، و للقضاء على الحركة الوطنية و لو لمدة من الزمن توفّقت فيها السياسة الفرنسية - على عاداتها- إلى أبعد حدود التوفيق و تورّط فيها الديوان السياسي بتأثير بعض المخدوعين و ذوي الوصولية فهي ليست خطوة للتدرّج في استرجاع السيادة كما تقول الدعاية المضلّة الخادعة، بل هو مرحلة حاسمة في دعم الحماية و اكسابها صفة المشروعية و خطوة جريئة في تقرير نظام السيادة المزيف و الذوبان في الوحدة الفرنسية. خطّة بارعة خدمت فرنسا أجل الخدمات في وقت تتحدر فيه جيوشها و تتحطم قواتها العسكرية أمام صلابة الفيتناميين بالهند الصينية وتخشى إندلاع ثورة لاهبة في شمال إفريقيا فخفّفت عنها حد الضغط



وأمنت لها جانب الخطر الذي كانت تخشاه و فتحت أمامها آفاقا جديدة تستتيرها ضد الأمم القومية للأقطار الإفريقية المنكوبة باستعمارها و مكنتها من سلاح أصابت به حركة النضال الموحد للمغرب العربي فعدت تتحداها متفرقة بعدما كانت فرائص الإستعمار ترتعد فرقا من مواجهة خمسة وعشرين مليوناً من العرب المغاربة الأشداء. خطة بارعة طعنت الكرامة الوطنية والوجدان القومي في الصميم و نزلت بالمثل العليا والأهداف إلى المساومة سيكون من نتائجها زعزعة ثقة الشعب بنفسه و بقدرته على الكفاح و إخماد شعلة النضال فيه و توجيهه وجهة خاطئة تحمله على الرضا والتسليم و تروّضه على الإستكانة والرضوخ لمآرب المستعمرين وهي إلى جانب ذلك تفوّت على تونس فرصا مواتية في هذا الظرف الدولي المناسب وتجعل من العسير عليها الحصول على سند خارجي بعد الإتفاق بين حركاتها المقاومة والسلطات الإستعمارية .

وإزاء هذه التصرفات الطائشة المناقضة لأبسط المبادئ القومية والبعيدة عن الإدراك السياسي بعد خيبة المساعي والجهود التي بذلت طيلة ثلاثة أعوام لتلافي وقوع الحركة في كارثة، واستجابة لما يحتمه عليّ الواجب كمسؤول في قيادة الحزب أعلن معارضتي الشديدة لما قام به بعض الزملاء و جاء ذكره في هذا البيان منذد بكل محاولة ترمي إلى ربط تونس بوحدة خارجية عن محيط وحدتها الطبيعية، و هي وحدة الأمة العربية و مستكرا باشمئزاز هذا النوع من العبقرية السياسية التي ابتدعت فكرة تجزئة السيادة و جعلت من حقوق الوطن موضوع مساومات و رضيت بخلق وضع جديد في البلاد يقوم على أساس الأمر الواقع و توطيد الإستعمار واعتبار ما اغتصبه الفرنسيون بالقوة القاهرة من قبيل المصالح المشروعة و الحقوق المكتسبة ما أكد بأنّ تونس حقها الطبيعي في السيادة المطلقة على أرض الوطن كحقها في الإستقلال و الحرية والتفرد بالحكم والنفوذ .

إنّ التصرفات الأخيرة التي قام بها بعض أعضاء الديوان السياسي قد كشفت عن نقطة تحوّل خطيرة في الإتجاه القومي في تونس تجلّت بشكل واضح في مشاركتهم في

الوزارة المختلطة و ظهرت بوادرها في توجيه النضال وجهة خاطئة، و حصره في الجزئيات بصورة أظهرت القضية الوطنية بمظهر نزاع محلي بين الشعب العربي في تونس والجالية الفرنسية، و أعطت لفرنسا صفة المرجع الأعلى والحكم في فصل النزاع بينما الواجب يقضي بترك النضال يتّجه اتجاهه الطبيعي ضد النظام الإستعماري الذي تقوم على أساسه الإمتيازات و ضد سلطة الإحتلال التي تدعم امتيازات الفرنسيين بسلطانها السياسي و تحميها بقواتها العسكرية .

وإنّ وجود فرنسا في تونس كان نتيجة لعدوان مسلّح و حماية فرضت على البلاد فرضا و قامت على أسنّة الحراب و قد قاومها الشعب التونسي بثوراته و نضالة و بذله للأموال و الأرواح والدماء الزكية طيلة سبعين عاما فهو وجود عدواني لا يُكسب المعتدي أي حق في البلاد المُعتدى عليها، ولا يلبث أن يزول بزوال الإستعمار الذي هو الآن في طريق الإنهيار.

إنّ التطورات الأخيرة قد أثبتت بصورة لا سبيل معها إلى الشك أنّ نقطة الضعف في النضال التونسي تمكّنت في صميم القيادة وأنّ ما أصاب القضية التونسية من الجمود والتراجع والإنكماش بالرغم من تزايد الإستعداد الشعبي و توافر الإمكانيات يرجع في حقيقته إلى فقدان القادة الأكفاء على رأس الحركة الوطنية القادرين على الإستفادة من هذه القوّة الشعبية النامية و توجيهها وجهة صحيحة لتحقيق الأهداف الوطنية .

لذلك أدعو الوطنيين إلى المبادرة بحل هذه المشكلة الأساسية واتخاذ الإجراءات اللازمة لتجديد قيادة الحركة الوطنية وإبعاد المسؤولين عن التطورات الأخيرة و تنظيم الحزب على أسس جديدة والتشبّث بالمبادئ والمواثيق القومية وجعلها أساسا للنضال ومعيارا لصدق الوطنية و مقياسا لصحة الأمة .

يوسف الرويسي

عضو المكتب السياسي للحزب الدستوري الجديد

و رئيس مكتب لجنة تحرير المغرب العربي في دمشق

\*المرجع : الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، دارالمعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ص،ص.100,95

- وزارة الحربية :
- هيئة أركان الجيش :
- فرع الدراسات، افريقيا، المشرق، المستعمرات .

### نشرة الإستعلامات الشهرية

باريس، في 11 سبتمبر 1934

تلقى كاتب الحزب الدستوري الأسبوع الماضي رسالة من الشعبة الدستورية بالقاهرة تُعلمه أنّ الشيخ الثعالبي قد عاد بسرعة كبيرة إلى مصر، إذ كان في طريقه إلى الصين، و ذلك بسبب الإشاعات التي تدور حول إمكانية رجوعه إلى تونس. غير أنّ هذه الإشاعات لم تتأكد وأبقي على الإجراءات المتخذة ضده، واتجه إلى فلسطين و ساهم في المحاضرات بين مختلف الشخصيات الإسلامية. و طلب من الشيخ الثعالبي أن يتّجه إلى سويسرا، و يستقرّ مستقبلاً في هذا البلد، أين يستطيع الإتصال بجميع الحركات الإسلامية المتمركزة في أوروبا.

- المصدر: أرشيف ما وراء البحار، أكس، صندوق ( 27H6 )

نقل عن: يوسف مناصرية

الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937

، د.ط، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 2002، ص57.

## تحدي روح الحضارة الحديثة

تحديات الحياة العصرية للإسلام تحديات متعدّدة الجوانب، و متنوّعة الوجوه. فهي تحديات تاريخية، وعقائدية، وفلسفية، وعلمية، وجمالية، وخلقية. ومأساة الحياة الإسلامية اليوم هي مأساة الرّدود الإسلامية على هذه التحديات.

والرّدود متعدّدة تعدّد التحديات، و تعدّد الأحوال التي فاجأت بها الحياة العصرية دار الإسلام. فالحياة العصرية، التي انطلقت من أوروبا الغربية في القرن الخامس عشر، وسرت منها إلى جميع أنحاء العالم، ظواهر مختلفة، و لكن لها روحا واحدة: هي روح التحدي لكل ما هو قديم. و للإسلام ظواهر مختلفة، و لكن له في العصر الحديث روحا واحدة: و هي روح الإستغراب تجاه الجديد. و معضلة الإسلام العصرية الأولى هي معضلة الثقة فيما هو جديد، و استساغته، و التكوّن بظوئه تكونا جديدا. فإذا أظهر الإسلام هذه الطّاقة التّجديدية، بقي، و ظلّ له دوره الخلاق في تجديد الحياة الإنسانية؛ و تقدّم الفكر الإنساني. و إن لم يظهرها تجاوزته الحياة الإنسانية، و أصبح تراثا من تراثات الأمس، بدل أن يكون حقيقة حيّة من حقائق اليوم، أو حركة خالقة من حركات الغد.

وجوهر الإسلام كجوهر كل دين سماوي هو الاعتقاد بحقيقة أولية تعلو حركة الزمان بين الأمس واليوم والغد. فالزمان الإسلامي زمان روحي، ليس له أول و ليس له آخر. وهذا هو المعنى الحقيقي للاعتقاد بالله، و بخلود الروح، و باليوم الآخر. فالله لا الزمان هو الأول و الآخر. فالله السرمدي هو أكبر من كل شيء، تسع كينونته أي رحمته كل شيء، و يضيق عنها كل شيء. و له المثل الأعلى المحب في السماوات والأرض. و هو فريد: «ليس كمثل شيء». و كل الظواهر المتغيرة أمام أعيننا تعبيرات حسية خادعة عن قدرته الخالقة. فهو خالق كل شيء. و كل شيء يتغيّر و يصير، و هو كائن لا يصير ولا يتغيّر أبدا، و إليه المصير.

والروح العصرية هي روح هذا التغيّر. والروح الإسلامية خاصة، والروح الدينية عامة، هي روح الغيب الذي لا يتغيّر أبدا الروح الإسلامية كينونة، و الروح العصرية

صيرورة. و هذه الرّوح منطلقة في اكتشاف قوانين الصيرورة و التغيّر، متجاهلة ما لا يتغيّر، جاحدة له أو ساخرة منه ! .

وهذه النزعة إلى التحرّر من النسبي إلى المتغيّر والمتعدّد المنبثقة من الشوق إلى المطلق و الواحد الأزلي، هي نزعة الرّوح الإسلامية. و ميزة الرّوح السّامية التي تعبّر عنها الرسالات التوحيدية الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلام. و هي في نظر الإسلام نزعة طبيعية للروح الإنسانية. و هي تفسّر قوله تعالى: ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ) { سورة:النساء، الآية:116 }. و كأنّ الإسلام جاء كثورة روحية جديدة. تؤكّد الإيمان بالوحدانية، تحرّرها من أيّة شائبة اعترتها. و يبدو هذا التأكيد في ركن الإسلام الأول و قاعدته الأساسية: (( لا إله إلا الله محمد رسول الله )) . ففي هذا التأكيد نفي لحقيقة كل ما ليس بواحد، و شهادة بحقيقة الواحد، و شهادة برسالة محمد للتذكير بهذه الحقيقة .

ولقد بنت الرسالات التوحيدية الثلاثة أديانا ثلاثة، وأنشأت ثقافات، و صنعت حضارات ، و كان آخرها وأحدثها الحضارة التي ازدهرت منذ القرن السابع الميلادي في ظل الديانة الإسلامية. و يمكننا أن ننظر إلى الحضارة من أية زاوية أردنا معجبين أو منتقدين. و لكن الحقيقة التي لا يمارى فيها، هي أنها آخر محاولة حضارية قامت باسم الله، و نادت بأنّ منطلق الإنسان منه و معاده إليه و استهدفت التحرّر الروحي، الذي تطلّعت إليه الروح السامية، واستشرفته الروح الإنسانية .

ولا يمكن أن تُفقه روح هذه الحضارة، و لا أن تُقيم تقييما صائبا، و لا أن تُقدّر التحدّيات التي تواجهها بها الحياة العصرية، إلاّ إذا فهمت حقيقتها هذه فهما كاملا. فنحن معها منذ القرن السابع حتى نهاية القرن الثامن عشر، تجاه حضارة تتحرّك حقا أو باطلا باسم الله و الوحي والشرع الإلهي. و نحن منذ القرن الخامس عشر مع أوروبا الغربية في محاولة حضارية جديدة، تتطلق باسم الإنسان، و تتحرّك بوحى العقل، و تنظم أمرها بهدي القانون الوضعي. وليس معنى هذا أنّ الحضارة الإسلامية لم يكن فيها إنسانيّون وعقلانيّون و وضعيون. فقد كان منهم كثيرون بين الأدباء و العلماء والفلاسفة والمتصوّفة. و لكنهم لم يطبعوا حضارتهم بروحهم؛ و لم يستطيعوا أن يغيّروا طابعها الإلهي، كما أنه لا يعني أنه ليس للحضارة الحديثة، في نماذجها الأوربية والأمريكية

واللاتينية، قديسون و زهاد و لاهوتيون و متديّنون، و لكنهم لم يستطيعوا هم أيضا أن يغيّروا من طابع حضارتهم العقلاني العلمي .

ولذلك فإنّ التحديّ الأول والأكبر، الذي تواجه به الحياة العصرية الإسلام، هو تحديّ التقابل بين روحين و طابعين : روح الإسلام الإلهية و طابع حضارته الديني، وروح الحضارة الحديثة العقلانيّة، و طابعها العلمي. و هاتان الروحان هنا في حالة صراع في نفس كل مسلم منذ أن ابتداء التفاعل بين الحضارتين في نهاية القرن الثامن عشر. و نجمت من هذا التفاعل ازدواجية توترية في الشّخصية الإسلامية المفكّرة، و لدى الخاصة من المسلمين . فهذه الشّخصية تعيش بالضرورة نسق الحياة العصريّة، و لا يكفي التحرّر السياسي وحده للتحرّر من هاتين الهويتين، و الإنعتاق من هذه العُقد، فانطلاق الإسلام التحرّري السياسي منذ الحرب العالمية الأولى حتى الآن إنطلاق رائع . فلم يكن الإسلام بعد نهاية تلك الحرب سوى خمس دول مستقلة. و دوله المستقلة المشتركة الآن في الأمم المتحدة خمس وعشرون. و إذا قارنا قوّة هذه الدول المادية بقوة الدول التي كانت مسيطرة عليها، فإننا هنا أمام معجزة تحرّرية. و لكن هذه المعجزة ما تزال تعترّيها شوائب كثيرة. فأطراف الجزيرة العربية، و هي مهد الإسلام و موطن ثروته المادية الجديدة، ما تزال بحاجة إلى المزيد من الإستقلال . و فلسطين اليوم هي اسرائيل. و لن يكون استقلال دول عربية أو إسلامية حقيقيا حتى تعود اسرائيل فلسطين من جديد. ثم إنّ جميع الدول الإسلامية المستقلة واقعة في صف التخلّف . فليس بينها دولة واحدة متقدّمة بالمعيار الإنمائي الحديث، و ليس بينها دولة واحدة، استوى نظام الحكم فيها بعدُ استواء عقلانيا تتاوبيا مستقرا. و ليس بينها دولة واحدة تشارك بعد مشاركة خلاقة في التقدّم الحضاري والعلمي الحديث .

حسن صعب، الإسلام وتحديات العصر،

ط2، بيروت، 1971، ص، ص، 18- 19.

- المرجع: عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ط2، الدار التونسية للنشر، 1991، ص. ص، 273..277.

## القرآن و تحرير الإنسان

القرآن الكريم .

هو عند الناس جميعا كتاب دين .

وعندي أنه الكتاب الذي نزل من السماء ليحرر العقل البشري من تلك القيود التي كان يرسف فيها باسم الدين، و التي قيّده بها السلّطات الدينيّة التقليديّة : سلطات الآلهة، وسلطات الأنبياء والمرسلين، و سلطات الأحرار والرهبان، والقساوسة والكهان، والعرّافين والمنجمين، و كلّ من يتّصل بسبب إلى السماء و يكسبه هذا الإتصال - و لو في الوهم و الظن - المقدرة على الإتصال بالآلهة، و استرضاء الآلهة، و تصريف أمور الغيب وتحويل ما يضر إلى ما ينفع أو العكس .

وعندي أيضا أنه أوّل و آخر كتاب سماوي يعمل على القضاء على الدولة الدينية وإحلال الدولة المدنية الديمقراطية محلّها - الدولة التي يصعد رئيسها إلى الحكم باسم الشعب، و باختيار من الشعب، و ليعمل لصالح الشعب ...

على أنّ أمر القرآن مع الحرّيات لم يقف عند هذا الحد، و إنّما مضى إلى ما هو أبعد من هذا، فعمل على تحرير الإنسان من ربة أخيه الإنسان، عمل على القضاء على التّبعية، و على الرّق و العبوديّة، و دعا الدولة على أن تنفق جانبا من الأموال التي تحصلها في فكّ الرقاب و تحرير العبيد .

ومضى القرآن أبعد و أبعد فحرر الإنسان من المخاوف الطبيعيّة - تلك المخاوف التي كان يجرها على نفسه بتفسيره للظواهر الطبيعيّة تفسيراً خاطئاً لا يتصل من قريب أو من بعيد بالنواميس الطبيعيّة والقواعد العلميّة ...

وانتهى القرآن في عمليات التّحرير إلى أن يدعو الدولة إلى كفالة حدّ أدنى من المعيشة يحفظ على الإنسان إنسانيته وكرامته، ويحول بينه وبين الإنحدار إلى مرتبة الحيوان.

ودعا الأغنياء إلى أن يسهموا في هذه العملية بتلبية احتياجات المحتاجين والقضاء على عوز المعوزين، و جعل ذلك علامة من علامات الإيمان .  
كل ذلك فعله القرآن، و أكثر منه، و فعله في سبيل التحرير.

د.محمد أحمد خلف الله ،

القرآن وتحرير العقل البشري، ضمن كتاب،

القرآن، ضمن نظرة عصرية جديدة، بيروت 1272.

- المرجع : عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ط2، الدار التونسية

للنشر، 1991، ص..ص، 285..286



(( إنَّ المسلمين ينهضون بمثل ما نهض غيرهم ))

إنَّ الواجب على المسلمين- لينهضوا و يتقدّموا و يتعرّجوا في مصاعد المجد، و يترقّوا كما ترقّى غيرهم من الأمم - هو الجهاد بالمال والنفس الذي أمر به الله في قرآنه مرارا عديدة، و هو ما يسمّونه اليوم "بالتضحية" .

فلن يتمّ للمسلمين ولا لأمة من الأمم نجاح ولا رقي إلا بالتضحية، و ربما كان الشيخ محمد بسيوني عمران أو غيره من السائلين عن رأينا في هذا الموضوع قد ظنّ أنني سأجيبه أنّ مفتاح الرقي هو قراءة نظريات " اينشتين " في النسبية مثلا أو درس أشعة " رونتجين " أو ميكروبات "باستور" أو التعويل في اللاسلكي على التموجات الصّغيرة أكثر من الكبيرة، أو درس اختراعات "اديسون" وأنّ سبب حادثة المنطاد الإنجليزي الذي سقط أخيرا و احترق هو كونه لم يُنفخ بالهليوم وإنما بالهيدروجين، و الحال في الهيدروجين- وإن كان أخف في الوزن - قابل للاشتعال، وأنّه لا خوف من اشتعال الهليوم و إن كان أثقل شيئا من الهيدروجين - وما أشبه ذلك .

والحقيقة أنّ هذه الأمور إنما هي فروع لا أصول، وإنها نتائج لا مقدّمات، و إن "التضحية" أو الجهاد بالمال والنفس هو العلم الأعلى الذي يهتف بالعلوم كلّها، فإذا تعلّمت الأمة هذا العلم و عملت به دانت لها سائر العلوم و المعارف و دنت منها جميع القطوف والمجاني .

وليس بضروري أن يكون صاحب الحاجة عالما بعملها حتى يكون عالما بالإحتياج إليها.

قال لي مرّة حكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني :

((إنّ الوالد الشفيق يكون من أجهل الجهلاء، فإذا مرض ابنه اختار له أحذق الأطباء، و علم أن هناك شيئا نافعا هو العلم لا يعلم هو شيئا منه، و لكنّه يعلم بسائق حرصه على حياة ابنه أنه ضروري)) .

ولم يكن محمد علي عالما و ربما كان أميا، و لكنه بعث مصر من العدم إلى الوجود في زمن قصير، و صيرها في زمانه من الدول العظام بسائق هذا العلم الأعلى الذي هو العقل السليم والإرادة، و هو الذي يبعث صاحبه إلى التفتيش عن العلوم و حمل الأمة عليها .

فالمسلمون يمكنهم إذا أرادوا بعث العزائم و عملوا بما حرّضهم عليه كتابهم أن يبلغوا مبالغ الأوربيين والأمريكيين واليابانيين من العلم والإرتقاء، و أن يبقوا على إسلامهم كما بقي أولئك على أديانهم، بل هم أولى بذلك وأحرى، فإن أولئك رجال ونحن رجال، و إنما الذي يعوزنا الأعمال، و إنما الذي يضرنا هو التشاؤم والإستخذاء و انقطاع الآمال. فلننفض غبار اليأس ولننتقدّم إلى الأمام، ولنعلم أننا بالغو كل أمنية بالعمل والدأب والإقدام، وتحقيق شروط الإيمان التي في القرآن :

((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)) {سورة العنكبوت : الآية 69} .

لوزان 11 نوفمبر سنة 1930م .

شكيب أرسلان

- المرجع : الأمير شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، مراجعة الشيخ حسن تميم، القاضي الشرعي، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص، ص. 163,164

## التأسيس الجديد

..إنّ الأزمة التي آل إليها مشروع النهضة قد أوجدت في مستوى الواقع والفكر وضعا يتسم بالتعطّش إلى الجديد، وفتح آفاق غير معهودة في جميع المجالات، غير ما أبنتلي به الفكر العربي من نزعة نفعية تجعله في جميع الحالات يستعجل النتائج قبل أن يتدبّر مقدّماته حق التدبّر، و يشرئب إلى الغايات قبل التثبت من حقيقة ما يضرب فيه من المسالك، و ما يصطنع أو يُصطنع له من المناهج ممّا لعلّ بعضه أن يكون راجعا إلى أسباب مركوزة في أصول الفكر وملابسات تكوّته، وإن كان بعضه الآخر متأتيا بكل تأكيد من خصوصية اللحظة التاريخية بما هي لحظة تأزّم وانسداد في الآفاق، ممّا يمنع الفكر من أن يتعاطى نشاطه بأدنى ما يقتضيه من "الإطمئنان" بحيث تتاح الرؤية الواضحة ويتيسّر التقدّم، وهذا ما لا يكون إلّا بما تمتع عنه لحظات التأزّم الخطير في حياة المجتمعات وهو هذا الحد الأدنى من التباين عن الواقع، قلتُ إنّ هذا كلّه قد جعل الوضع المذكور طيّعا لذوي المآرب المختلفة، قبلا للتوظيف بكل سهولة لإشهار الدعوات إلى الحلول الجاهزة و ما تفرزه أو يفرزها من روح الإختزال وآلية التبسيط، ثم لا يكاد الكلام يقف عند حدّ لو أردنا إحصاء ما يقترن بهذا كلّه من ظواهر، ففي أحشاء مثل هذا الوضع المعقّد تعشّش آفة التعصّب والتحجّر، و ينتعش رديفها و قرينها وهو نزعة الإلغاء والإقصاء في التّعامل مع الآخرين من ذوي الرأي المخالف .

وها هنا تكمن على ما يبدو لي الحقيقة الثّانية التي تشهد عليها هذه التّيارات الثلاثة التي أخذت تتنازع الخطاب العربي في قضية المرأة، و هي دلالتها على قصور الخطاب العربي و قصور الفكر الذي أنتجه عن إنجاز ذلك المطلب التاريخي، المشروع الذي هو تجاوز فكر النهضة، و تجاوز الواقع المؤسس عليه مما أوشك أن يحول هذه العبارة، عبارة التجاوز، في حالات كثيرة إلى مجرد شعار برّاق فضفاض ليس من ورائه شيء .

وكانّ قضية المرأة في هذا المستوى من النظر لا تعدو أن تكون عيّنة دالة على وضعية عامّة شاملة لمختلف قطاعات الفكر السياسية والإجتماعية والثقافية على حدّ سواء، و لو أردنا أن ندرك الأسباب العميقة المتنوّعة التي تكمن وراء هذا الوضع لاحتاج الأمر من أنواع المباحث و تعدّد مستويات النظر إلى ما لا ندعي القدرة عليه

فضلا عن أن حدود هذا العمل لا تسمح به، و لكن من الثابت أن مجموع هذه الأسباب مهما اختلفت و تعددت فإنها لا تخرج عن كونها أجزاء من إشكالية واحدة معقدة متعددة الوجوه والتجليات، و صورتها أن الفكر العربي يريد أن ينجز أو يُطلب منه أن ينجز ما لا تتوفر له الأدوات الضرورية لإنجازه ، إذ كيف يمكن للفكر أن ينجز مهمة النقد و هو محكم ببنية إطلاقيه إقصائية مناوئة للنقد روحا و منهجا، والحال أن ممارسة النقد الحق تقتضي أول ما تقتضي تشريع الوظيفة النقدية و تأسيسها و تأصيلها في بنية الفكر الذي يتعاطاها و ينتج من تعاطيه ما ينتج من ضروب الخطاب ؟ .  
- ما الذي جعل الفكر كذلك ؟ و أي سلطة أوكلت إليه هذه المهمة ؟ .

لسنا نستند في ذكر ما سبق إلى غير التطور التاريخي بمختلف أبعاده ، فهو الذي افضى بمشروع النهضة و نموذج التقدم المبني عليه إلى طريق مسدود، كان من نتائجه انحلال ما كان قد تحقق أو ظن أنه تحقق من الوفاق المنشود بين الأصالة والمعاصرة على يد رواد التيار السائد في فكر النهضة، و هو ما يتوضع على تسميته بالتيار الإصلاحية. و معنى هذا أنه قد لا يحق الكلام على أزمة في النهضة العربية إلا من حيث هي منسوبة في المقام الأول إلى هذا التيار بالذات. إن هذا التيار الذي كان من السيادة والشيوخ . و كان خطابه من الإتساق والقوة في الظاهر على الأقل ما خول له أن يعزز مشروعيته التاريخية فيطغى على ما عداه و يحدث نتيجة لذلك ضرب من التماهي بينه وبين نهضة المجتمع عموما. إن هذا التيار قد فقد مصداقيته إذ بات قاصرا عن إنجاز عملية التأسيس الجديد في ظل اللحظة التاريخية الجديدة . فهكذا تفككت المعادلة التي يقوم عليها فانحل إلى مركباته الأولية ونشأ هذا الوضع الذي يسم واقع الفكر والحياة العربيين في مختلف المجالات: تيارات مختلفة متنازعة من جنس ما تقدم بيانه تستمد لا محالة مشروعية وجودها من واقع الأزمة و إفرازاتها المختلفة، فأما العلة في استمرارها، على ما هي عليه، بل واستحكامها المتزايد مع ما ينجز عن هذا و ذاك من نتائج، كل هذا لا مصدر له إلا في استمرار التيار والموقف التأسيسي في قصوره عن أن ينجز، بما يتوفر له من رصيد الخبرة التاريخية والأدوات المعرفية، ما وفق إلى إنجازه رواد النهضة في إطار لحظتهم التاريخية المخصوصة و بما أتيح لهم من الأدوات المعرفية المخصوصة أيضا .

وعلى هذا النحو تتبلور الإشكالية الراهنة في فكر النهضة، فإنما هي في هذا التفاوت بين ما يقتضيه التاريخ من تجاوز من جهة، و بين ما يقضي على الفكر بالقصور عن انجاز ما تتطلبه اللحظة التاريخية من جهة أخرى .

فأين العلة وأين المعلول في هذا الوضع ؟ أو قل ما طبيعة الأزمة أي إيديولوجية في المقام الأول أم معرفية ؟ ثم لما كان التيار المرسوم بالإصلاحية يحيل من حيث محتواه الإقتصادي والإجتماعي على واقع الطبقة البورجوازية الناشئة وهمومها و مطالبها منذ أواخر القرن التاسع عشر، على ما بيننا ذلك في غير ما فصل من هذا الكتاب، لما كان ذلك على هذه الصفة، أفلا يُعدّ المآل الذي آن إليه مشروع النهضة بعد حوالي قرن من الزمن شاهدا على أزمة هذه الطبقة دون سواها من التشكيلات الإجتماعية ؟ أو لعله أن يكون تعبيرا عن فكّ الارتباط الذي كان قائما بين نهضة هذه الطبقة و نهضة عموم المجتمع، و إنّ طبيعة الأزمة إذن في غير ما تقدّم فلا هي إيديولوجية ولا هي معرفية، وإنما هي إجتماعية في المقام الأول يقتضي تجاوزها الإقبال على واقع المجتمع بالممارسة العملية على اختلاف أشكالها و مجالاتها .

فلا تذهبنّ إلى حيث يحملك تمويه الظنون، فتشرئبّ إلى طلب الأجوبة وتسبق إلى إطلاق الأحكام، ولكن اعلم على أيّة حال أنّ أوضاع الفراغ ممّا يباه منطق الفكر بالطبع والضرورة، و تنبو عنه تجارب التاريخ و نواميس الحياة جميعا .

**فرج بن رمضان، قضية المرأة في فكر النهضة،**

صفاقس، 1988م، ص ص 93-96 .

- المرجع : عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة

، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1991،

ص ص ، 313 - 317 .

(أ)

– الإصلاح، الإصلاحية: 2، 4، 6، 13، 17، 18، 19، 20، 23، 27، 28، 33، 48،  
52، 57، 74، 82، 83، 89، 90، 93، 94، 101، 186، 187، 189، 196، 248،  
250، 254، 284، 285، 293، 294، 303، 304، 319، 325، 331، 336، 338،  
345 .

– الوهابية ، الإخوان الوهابيون: 9، 10، 82، 99، 276 .  
– الإلحاد: 17، 19 .  
– الإخوان المسلمون: 203، 214، 269، 271، 272، 273، 275، 276، 277، 287،  
279، 280 .

(ب)

– البوهيمية: 19، 133 .

(ج)

– الجبرية: 16، 18، 26، 28، 29، 67، 82 .

(د)

– الدرور : 39، 40 .

(س)

– السلفية: 2، 3، 24، 83، 98، 139، 167، 181، 203، 235، 236، 247، 251،  
253، 254، 256، 257، 277، 287، 335، 342 .  
– السلفية الجديدة: 121، 144، 187 .

– السنوسية: 97، 98، 123، 146، 173، 190، 217، 256، 279، 286 .

(ش)

– الشيعية : 265 .

(ص - ض )

- الصفوية: - 26 ، 82 ، 171 ، 202 ، 319 ، 327 .  
الصهيونية: - 21 ، 37 .

( ط )

- الطرقية: - 7 ، 22 ، 23 ، 24 ، 103 ، 181 ، 184 ، 196 ، 232 ، 247 ، 248 ، 252 ، 302 ، 315 .  
الطورانية: - 37 ، 40 ، 263 .

( ع )

- العلمانية : - 44 ، 45 ، 47 ، 52 ، 53 ، 257 .

( ل )

- الليبيرالية: - 14 ، 46 ، 50 ، 53 ، 54 ، 257 ، 270 ، 310 .  
اللائكية: - 259 .

( م )

- الماسونية: - 36 ، 40 ، 47 .  
الموارنة: - 39 .

( و )

- الوثنية: - 9 ، 28 .

## المصادر و المراجع

- القرآن الكريم .

أولاً: المصادر .

أ- المصادر المنشورة :

2- ابن باديس، عبد الحميد :

- ابن باديس حياته وآثاره، ج1,2,3، جمع و دراسة عمار طالبي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1983 .

3- ابن الخوجة، محمد بن مصطفى، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة ( 1865-1915م )، منشورات خمسينسة جامعة الجزائر(1962-1912) ، منشورات ثالثة ، الجزائر 2012 .

4-5- ابن أبي الضياف، أحمد :

- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج4، تح، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، 1976 .

- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، ج5، الدار التونسية، ش، و، ن، ت، تونس 1976 .

6- غانياج، جان، ثورة علي بن غدام 1864م، ترجمة، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار لثونسية، تونس، 1965م .

7- أرسلان، شقيب، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، مراجعة الشيخ حسن تميم، القاضي الشرعي، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت .

7-8 ابن نبي، مالك :

- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة عبد العظيم علي، مكتبة القاهرة ، مصر، 1971 .

- شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، ط2، مطبعة دار العروبة، مصر، 1961 .



- 9- ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، في التعليم العربي الإسلامي، ط3، دار سحنون للطبع والتوزيع، تونس، 2010 .
- 10- ابن عثمان خوجة، حمدان، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق ، محمد العربي الزبيري، ط2، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 .
- 11- بن الخوجة، محمد بن مصطفى، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة ( 1865-1915م )، منشورات خمسينسة جامعة الجزائر (1962-1912)، منشورات ثالثة ، الجزائر 2012 .
- 12- ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، في التعليم العربي الإسلامي، ط3، دار سحنون للطبع والتوزيع، تونس، 2010 .
- 13-14- التونسي، خير الدين:
- أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تمهيد وتحقيق، المنصف الشنوفي. ج.2، ط3. مطبعة وفاء. تونس 2013 .
- مذكرات خير الدين التونسي، تحقيق وتعريب، محمد العربي السنوسي، المجمع التونسي. دار الحكمة مطبعة المغرب للنشر. تونس 2008 .
- 15- التونسي، محمد بيرم الخامس، صفة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج2، دار صادر بيروت، المطبعة الإعلامية مصر، 1303هـ .
- 16- الجوزية، ابن قيم، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، المجلد الأول، دار عالم الفوائد، مطبوعات امجمع المؤتمر الإسلامي، جدة .
- 17- الجويني، أبو المعالي، غيآث الأمم في التياث الظلم، تحقيق ودراسة مصطفى حلمي و فؤاد عبد المنعم ، د.ط. دار الدعوة الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.س.
- 18- الحداد، الطاهر، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2011م .
- 19- الكواكبي، عبد الرحمان، طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد، تقديم: أسعد السحمراني، دار النفائس، ط4، لبنان 2011 .

20- الناصري، محمد المكي، إظهار الحقيقة وعلاج الخليفة ( من مناهضة الطرقية إلى مقاومة الإحتلال )، تحقيق. محمد برعيش الصفرىوي، ط 1، مطبعة طوب بريس، الرباط 2010 .

21- المنوني، محمد، مظاهر يقظة المغرب، ج1، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1973 .

22-23-24- الفاسي، علال :

- دفاع عن الشريعة، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2014 .

- النقد الذاتي، ط 8 ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999 .

- الحركات الإستقلالية بالمغرب العربي، دار الطباعة الوطنية، تطوان، المغرب 1956.

25- الميلي، محمد، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001 .

26- الشاوي، توفيق، مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي-1945-1995م، دار الشروق .ط1،بيروت 1998 .

27- عبد الرازق، علي، الإسلام و أصول الحكم بحث في الخلافة و الحكومة في الإسلام، بدون طبعة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1988 .

28- غرين، أرلوند، العلماء التونسيون، 1873-1915م، ترجمة حفاوي عمائرية وأسماء معلّى، الطبعة الأولى، المجمع التونسي دار الحكمة ، تونس 1995 .

29- سبيلمان، جورج، المغرب من الحماية إلى الإستقلال1912-1956م ، تر: محمد المؤيد، ط1، مطابع الرباط،المغرب،2014 .

30- ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، في التعليم العربي الإسلامي، ط3، دار سحنون للطبع والتوزيع،تونس،2010 .

ب- الدوريات و المقالات :

31-32- ابن باديس، عبد الحميد :

- مجلة الشهاب، عدد كانون الثاني 1937م، ج1، م 12 .

- مجلة الشهاب، السنة الأولى، العدد 28، الصحيفة 9، 28 ماي 1926 .

33-34- رضا، محمد رشيد:

- مجلة المنار، محمد رشيد رضا، المجلد6، الجزء الأول، مطبعة المنار، مصر، بتاريخ يوم الإثنين غرة المحرم 1321هـ / 30 مارث " آذار " سنة 1903م .  
- مجلة المنار، ج1،م22 ، بتاريخ ديسمبر 1920: تحميل من موقع :

35- المكتبة الوقفية للكتب المصورة- <http://waqfeya.com/book.php?bid=7374>

36-37- جمال الدين الأفغاني و محمد عبده :

- العروة الوثقى لا انفصام لها، مطبعة التوفيق، بيروت، 1328هـ، ج1.  
<http://majles.alukah.net/t110397/>  
- العروة الوثقى لا انفصام لها، مطبعة التوفيق ، بيروت ، 1328هـ ، ج 13 .

38- عبد الحميد بن باديس ، <http://www.nouralhuda.com>

- 39- مجلة البصائر، العدد20، الصادرة بتاريخ 19 جانفي 1948م،ص،158.تحميل من موقع: ملتقى أهل الحديث [https://ia601402.us.archive.org/15/items/ElBassarDZ/El-Bassar\\_DZ\\_Part\\_2-2.pdf](https://ia601402.us.archive.org/15/items/ElBassarDZ/El-Bassar_DZ_Part_2-2.pdf)

## ثانيا: المراجع .

### أ- الكتب :

- 40- أميدة، عمير اوي، أبحاث في الفكر والتاريخ (الجزائر و فلسطين)، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003 .  
41- أشقراء، عثمان، الوطنية والسلفية الجديدة بالمغرب من 1839 إلى 1956م، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2007 .  
42- أولمان، سوميّة، دور الشيخ المجاوي عبد القادر وكتابه "إرشاد المتعلمين" في الصمود الفكري بالجزائر، د.ط، مطبعة زيتا كرافيك، الجزائر، د.ت .  
43- اسماعيل، فادي، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة في الخطاب الفكري العربي المعاصر (1978-1987م)، رسالة ماجستير في الأدب، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1988 .

- 44- إمام، عبد الفتاح إمام، الأخلاق.. والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001 .
- 45- أبيجينانزي، لينين والثورة الروسية، ترجمة محي الدين مزيد، المجلس الأعلى للثقافة والقاهرة، 2003 .
- 46- آل دخيل الله، محمد بن علي، مختصر التجانية، دار العصمة ، ط1. الرياض 2002.
- 47- المولى، سعود، الإخوان وسيد قطب، ط1، دار المشرق، القاهرة، 2017 .
- 48- الحافظة، علي، الإتجاهات الفكرية في عصر النهضة 1798-1914م، ط5، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987 .
- 49- العقاد، صلاح، ليبيا المعاصرة، د، ط، المطبعة الفنية الحديثة، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1970 .
- 50-51-52-53-54-55- الصلابي، علي محمد:
- تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ط3، دار المعرفة، لبنان، 2009 .
- الثمار الزكية للحركة السنوسية للبيبا، الإمام محمد علي السنوسي و منهجه في التأسيس...، ج1، ط1، مكتبة الصحابة الإمارات، مكتبة التابعين القاهرة، 2001 .
- الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، سيرة الزعيمين محمد السنوسي وعمر المختار، ط1، مكتبة الصحابة، الشارقة، 2001 .
- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، مصر، 2011 .
- الشيخ الجليل عمر المختار، نشأته، وأعماله، واستشهاده، المكتبة العصرية، بيروت، د.
- 56- الزبيري، محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1984 .
- 57-58- الطويلي، أحمد :
- رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، د. ط، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، تونس، 2010 .
- في الأدب العربي المعاصر، في المشرق والمهجر الأمريكي و تونس، د. ط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 2013 .

- 59- الريسوني، أحمد، **علال الفاسي، عالما و مفكرا، ط2، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014 .**
- 60-61- الميلاد، زكي :
- من التراث إلى الاجتهاد، الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2004 .
- الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات، ط2، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2012 .
- 62- المرنيسي، عبد الحميد، **الحركة الوطنية المغربية، من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي إلى أيام الإستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط، 1978.**
- 63- الكتاني، محمد، **السلفية إشكالية المفهوم والممارسة ، ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي، مطبوعات جمعية المحيط الثقافية، ط1، المغرب، 1989 .**
- 64- العلوي، أحمد بابا، **علال الفاسي رائد التنوير الفكري في المغرب، الفكر السلفي المجدد والزعيم السياسي، ط1، دار أبي الرقاق للطباعة والنشر، الرباط، 2010 م .**
- 65- الزموري، عبد الحق، **مراجعات في وعي النهضة تونس القرن 19 أنموذجا، الدار التونسية للنشر، ط1، تونس 2009 م .**
- 66- القصاب، أحمد، **تاريخ تونس المعاصر (1881-1956) ، تعريب حمادي الساحلي، ط1، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، 1986 .**
- 67-68- القرضاوي، يوسف :
- الإسلام والعلمانية وجها لوجه، ط7، مطبعة المدني، القاهرة، 1977 .
- الحلول المستوردة و كيف جنت على أمتنا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط17، بيروت، 1995 .
- 69- القباج، حماد، **حياة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، ط1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2014 .**
- 70- الإمام، رشاد، **التفكير الإصلاحية في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون "عهد الأمان" ، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس، 2010 م .**

71-72-73- الجندي، أنور:

- اليقظة الإسلامية في مواجهة الإستعمار، دار بوسلامة للنشر والتوزيع. تونس، ط2. تونس . 1985 .

- عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية و النهضة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984

- معالم الفكر العربي المعاصر، د.ط، مطبعة الرسالة، القاهرة، د.ت .

74- الجاروني، محمد عمر، الإسبان و فرسان القديس يوحنا في طرابلس. د.ط، مطبعة ماجي، طرابلس 1952.

75- الزبيري، محمد العربي، الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1984 .

76- الزبداني، عمر أنور، السياسة الشرعية عند الجويني، قواعدها و مقاصدها، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2011.

77- الخديمي، علال، مجلس الأعيان ومشروع الإصلاحات الفرنسية بالمغرب سنة 1905م ، مطبعة النجاح و الدار البيضاء، 1986 .

78- الخرفي، صالح، عبد العزيز الثعالبي من آثاره و أخباره في الشرق والغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995 .

79- التريكي، فتحي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003 .

عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1991

80- العلوي، سعيد بنسعيد، الإجتهد والتحديث دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001 .

81- العمري، مومن، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، رسالة دكتوراه جامعة منتوري، 2010 .

83- المسماري، محمد العربي، علال الفاسي حضور وعطاء ودور، د.ط، مطبعة الأمان، الرباط، 2013 .

- 84- المطوي، محمد الهادي بن الطاهر، الطريق إلى الحداثة والتحديث في إعلام (الجوائب) للشدياق، 1861-1884م دراسة ومختارات، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2011 .
- 85- الميلي، محمد، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية و نضاله الوطني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001 .
- 87-88- الدراجي، محمد:
- الإمام عبد الحميد بن باديس و جهوده في تجديد العقيدة الإسلامية، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 .
- الحركة الإصلاحية في الجزائر رجال..وأفكار، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- 89- الجمل، شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977م .
- 90- الجابري، محمد عابد، المشروع النهضوي العربي مراجعات نقدية، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013 .
- 91- الصديق، محمد الصالح، الإجتهد والتجديد في الفكر الإسلامي، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- 92- النملة، علي ابراهيم، التصير، مفهومه و وسائله و سبل مواجهته ، دار الصحوة للنشر، القاهرة ، 1993 .
- 93- النيفر، احميدة، الشيخ محمد النخلي العالم الشاهد، المجلة التونسية للعلوم الإجتماعية . عدد 133 ، تونس، 1993 .
- 94- بوغابة، يوسف، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دراسة تحليلية، طبعة خاصة، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 .
- 95- بوشتي، بوعسرية، المقاومة المغربية ضد الإستعمار 1904-1955الجنور والتجليات، دط، الهلال العربية للطباعة و النشر، الرباط1997 .
- 96- بن سميحة، محمد، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ج1، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، الجزائر، 2014 .

- 97- بروشين، نيكولاي إينيتش، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، تر: عماد حاتم، ط2، دار الكتب الجديدة المتحدة، ليبيا، 2001 .
- 98-99- بوبكر، جيلالي:
- الإصلاح والتجديد لدى "محمد إقبال" و"مالك بن نبي" بين النظرة الصوفية والتفسير العلمي ، ط1، دار الأمل للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2010 .
- استراتيجية البناء الحضاري عند مالك بن نبي، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 100- بلقزيز، عبد الإله، العرب والحداثة : دراسة في مقالات الحداثيين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى . بيروت 2007 .
- 101- باي، محمد بخداي، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية و طبيعة علاقاتها بالحضارة في تصوّر مالك بن نبي، ط2، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .
- 102- بن خليف، مالك، الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، أطروحة مطبوعة لنيل شهادة الدكتوراه، ط1، دار طليطلة.الجزائر 2019 .
- 103- بيرنجيه، جان وآخرون، موسوعة تاريخ أوروبا العام، ترجمة وجيه البوعيني، مراجعة أنطوان الهاشم، ج2، بيروت، منشورات عويدات، 1985م .
- 104- توشار، جان وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، بيروت، الدار العالمية للطباعة و الشر و التوزيع، 1981م .
- 105- حيمر، جمال، البعثات التعليمية في عهد السلطان مولاي الحسن، د.ط، مطبعة ابن ازناسن، الرباط، 2015 .
- 106- جحيدر، عمّار، آفاق و وثائق في تاريخ ليبيا الحديث، د.ط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1991.
- 107-108- جدعان، فهمي :
- تحرير الإسلام ووسائل زمن التحولات، ط1، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت، 2014 .



- أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، ط3، مصر، 1988 .
- 109- جدي، أحمد، محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005 .
- 110- حوراني، ألبرت، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، دار النهار للنشر، ط3. بيروت 1977 .
- 111- حيدر، ناصر، العالم العربي بين القومية العربية و الجامعة الإسلامية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. 2014.
- 112- داهش، محمد علي، المغرب العربي المعاصر ( الإستمرارية والتغيير )، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014 .
- 113- دبوز، محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971 .
- 114- رابح، عامرة تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، الجزائر، 2001 .
- 115-116-117-118-119-120-121-122- سعد الله، أبو القاسم :
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .
- الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 .
- الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992،
- أفكار جامحة أو منطلقات فكرية في الجدل الثقافي وقضايا شائكة، ط2، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2005 .
- تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج4، دار البصائر. الجزائر 2007 .
- بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، عالم المعرفة، مطبعة خاصة. الجزائر 2011 .

- رائد التجديد الإسلامي، محمد بن العنابي المتوفي 1850م، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1990 .
- 123- سعيدوني، ناصر، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط.2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009 .
- 124- سيد أحمد، محمد محمود، أعداء الحداثة، مراجعات الفكر الغربي في تأزم فكر الحداثة، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، السعودية، 1434هـ .
- 125- سنبل، أميرة وأخريات، النساء العربيات في العشرينيات حضورا وهوية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2010 .
- 126-127- سبيلا، محمد :
- الحداثة و ما بعد الحداثة. ط1، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء. المغرب. 2000 .
- الحداثة وما بعد الحداثة، ط2، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007 .
- 128- سالم، محمد بهي الدين، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشرق، القاهرة د.س .
- 129- شيبان، عبد الرحمان، مقدمة مجلة الشهاب أنشأها الإمام عبد الحميد بن باديس ، دار المعرفة، د. ط، الجزائر 2008 .
- 130- 131 - شاكور، محمود :
- التاريخ المعاصر تاريخ المغرب، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996 .
- ليبيا، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، لبنان، 1972 .
- 132- شيخاني، محمد، التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام ، ط1، دار قنتيبة للنشر والتوزيع، دمشق، 2008 .
- 133- شترة، خيرالدين، اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939م، دار البصائر، طبعة خاصة 2009، الجزائر .
- 134- صالح، نغم محمد، الحركات الإسلامية في المغرب العربي (المغرب-تونس-الجزائر)، دراسة لدورها السياسي في ظل التحولات الديمقراطية، ط1. الجنان للنشر والتوزيع، دم. ط، 2010.

135-136- صديق، شافية :

- المشروع الفردي باستحضار الآخر (إشكالية النهوض في الفكر الإسلامي المعاصر)، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006 .
- التغيير من خلال الجماعة، الوهابية، العروة الوثقى، جمعية العلماء المسلمين، ط1، دار قرطبة، الجزائر. 2006 .
- 137- طيبي، مسعود، المشروع النهضوي عند سلامة موسى، دراسة تحليلية نقدية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 .
- 138- طه، محمد محمود سيد أحمد، أعداء الحداثة مراجعات الفكر الغربي في تآزم فكر الحداثة، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرياض، 1434 .
- 139- طه، أنور، مآزق الدولة بين الإسلاميين والعلمانيين، ط1، جسور للترجمة والنشر، لبنان، 2017
- 140- عطاء الله، شوقي، عبد الله عبد الرازق، تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2013 .
- 141- عامر، محمد علي، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبيا)، د.ط، منشورات جامعة دمشق، 2000م .
- 142- عميرة، لطيفة، سؤال النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري 1889-1940، دار الأيام للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2015 .
- 143- عبد الله، الطاهر، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1856م، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990 .
- 144-145- عويمر مولود:
- عبد الحميد بن باديس مسار وأفكار، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 .
- أعلام و قضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، ط1، دار الخلدونية للنشر و التوزيع الجزائر، 2007
- 146- عياش، جرمان، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الدار البيضاء، 1986 .

- 147- عبد الرحمان، طه، العمل الديني و تجديد العقل، ط2، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب 1997 .
- 148- عبد اللطيف، كمال، أسئلة النهضة العربية، التاريخ، الحداثة، التواصل، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003 .
- 149- عجالي، كمال، الفكر الإصلاحي في الجزائر، الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، د.ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 .
- 150- بن علي، زهير، قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925-1954، تحت إشراف، سليمان قريري، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015 .
- 151- عبد الرزاق، أحمد محمد جاد، فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، ج1، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية 1995 .
- 152- عاطف، محمد، معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009
- 153- عبد الرحمان، طه، العمل الديني وتجديد العقل، ط2، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب 1997 .
- 154- عبادة، عبد اللطيف، فقه التغيير في فكر مالك بن نبي، ط.2، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 .
- 155- عميش، ابراهيم فتحي، التاريخ السياسي و مستقبل المجتمع المدني في ليبيا، ج1، برنيق للطباعة والنشر، ليبيا، 2008 .
- 156- غليون، برهان، الوعي الذاتي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992.
- 157- غلاب، عبد الكريم، ملامح من شخصية علال الفاسي، د.ط، مطبعة الرسالة، د.م.ط .
- 158- فيلال، عبد العزيز، الشيخ أحمد حماني و دوره في الحركة الإصلاحية الوطنية 1915-1998م، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- 159- فايد، بشير، الإمام البشير الإبراهيمي داعية الوحدة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2013 .

- 160- فيدلمان، نوح، سقوط الدولة الإسلامية ونهوضها، ترجمة الطاهر بوساحية، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2014 .
- 161- فلاح، محمد العربي، أدونيس تحت المجهر، محاولة لتسليط الضوء على زوايا فكر أدونيس المظلمة . ط1، دار الفكر الخلدونية، الجزائر 2008 .
- 162- قوال، أحمد، التحضر، التحديث، الحداثة، في المجتمع المغربي الحديث، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء. المغرب 2012 م .
- 163- قطب، محمد علي، يهود الدونمة، أصلهم، دورهم على الإنقلاب العثماني، خطرهم على أمة الإسلام ، ط1، دار القلم ، بيروت. 1987م .
- 164- كوثراني، وجيه، أفكار النهضة بين الأمس واليوم من الدعوة لها إلى البحث فيها، ط1، منتدى المعارف، بيروت، 2011 .
- 165- كافي، أحمد، مشاريع الإصلاح السياسي بالمغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013 .
- 166- لونيبي، رابح، الحداثة والديمقراطية في إيديولوجية الثورة الجزائرية، د.ط ، دار المعرفة. الجزائر، 2012 .
- 167- مقالاتي، عبد الله، إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس و طلابه في الثورة التحريرية، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014 .
- 168- مالكي، أحمد، الحركات الوطنية والإستعماري المغربي العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1994.
- 169- مسعودان، نور الدين، مالك بن نبي حياة وأثار شهادات ومواقف، دار نون للنشر والتوزيع، د.ط، د.م.ط .
- 170-171-172- مناصرية، يوسف :
- الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، د.ط، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 2002 .
- دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، 1830-1954م، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2014 .

- دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين 1919-1934م، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2014م ..
- 174- مروة، أديب، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، د.ط، مكتبة الحياة للنشر، بيروت، د.ت
- 175- هاشم، هشام سوادي، تاريخ العرب الحديث 1516-1918م، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى 2010 .
- 176- هاشمي، نادر، الإسلام والعلمانية والديمقراطية الليبرالية نحو نظرية ديمقراطية للمجتمعات المسلمة، ترجمة أسامة غاوجي، ط1، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017 .
- 177- هلال، نبيل هلال، الإستبداد و دوره في انحطاط المسلمين، د.ط، و. د.ت، ط، دار الكتاب العربي، القاهرة الترقيم الدول (1.090.376.977) .

- الرسائل والأطروحات الجامعية :

- 178- العقبى، حسن موسى محمد، مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة، إشراف د.صالح حسين الرقب، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية، غزة. 2005 .
- 179- فادي اسماعيل، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة و التقدم و الحداثة في الخطاب الفكري العربي المعاصر (1978-1987م)، رسالة ماجستير في الأدب، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1988 .
- 180- فقيقي، محمد الكبير، الحركة الوهابية في كتابات المغاربة (1157-1364هـ/1745-1945م)، تحت إشراف، بوغوفالة ودان، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015 .
- 181- عمارة، حياة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب، تحت إشراف، محمد عباس، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013 .
- 182- مرجي، عبد الحليم، قضايا تحرير المغرب العربي عند محمد البشير الإبراهيمي وعلال الفاسي 1919-1962م. إشراف عبد الله مقلاتي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2015 .

ب- الأبحاث والمقالات :

- 183- العرباوي، عمر، أرزازي محمد، إشكالية المرأة في الفكر العربي الإسلامي رؤية مالك بن نبي نموذجا، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية، العدد1، مخبر البحوث التاريخية والإجتماعية، جامعة معسكر، جوان 2011.
- 184- بن معروف، سامية، الإخوان التيجانيين .. الرهان الجديد في الجزائر، مجلة دراسات إسلامية .العدد3 جويلية، الجزائر، 2007م .
- 185- سعد الله، أبوالقاسم، مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830-1954"دراسة مركزة على الجزائر"، مجلة الثقافة ،العدد،79،يناير،فبراير،1984، وزارة الثقافة، الجزائر.
- 186- شاطو، محمد، استراتيجية الأمير عبد القادر في التعامل مع القبائل المتمردة، الأمير عبد القادر عبقرية في الزمان والمكان، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية. جامعة معسكر.الجزائر 2012 .
- 187- قاسي، فريدة، موقف جمعية العلماء الجزائريين من الثورة- تحليل لمقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي- مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية ،ع.30،جوان2012 .
- 188- حمداوي، جميل، المغرب والحداثة، مقال من موقع: [http://www.aljabriabed.net/n93\\_07hamdaoui.htm](http://www.aljabriabed.net/n93_07hamdaoui.htm) بتاريخ 2017/01/28 .
- 189- زيادة، رضوان، التنوير في عصر النهضة، مقال على موقع: مؤمنون بلا حدود، تاريخ التصفح /2018/02/29/ <http://www.mominoun.com/articles/>
- 190-مقاصد الشريعة الإسلامية، موقع الألوكة الشرعية: <http://www.alukah.net/sharia/0/94949> ، تاريخ التصفح 2017/12/24.

ج- القواميس :

191- 193- الزركلي، خير الدين :

- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج3، ط5، دار الملايين، بيروت، 1980 .

- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين والمستشرقين ،ج4، ط 15، دار الملايين، بيروت، 2002 .

194- أحمد العلونة، ذيل الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط1، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، 1998 .

195- سهيل، إدريس، جبّور عبد النور، المنهل قاموس عربي فرنسي، ط9، دار العلم للملايين، بيروت 1987 .

196- بن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، ج1 ، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1979 .

197- المنجد في اللغة والأعلام، ط36، دار المشرق، بيروت، 1997 .

198- مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2010 .

199- علي بن هادية، بلحسن البليش، القاموس الجديد، ط7، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991 .

166- سعيد، جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، د.ط، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004 .

200- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ، ط.36، 1997م .

201- المنجد في اللغة والأعلام، ط، 36 ، دار الملايين، بيروت، 1997.

202- Petit Larousse. Librairie Larousse, France, 1986 .

د- المراجع باللغة الأجنبية .

203-ALI Merad : Le reformisme musulman en Algerie de1925 à1940 .essai d'histoire religieuse et social, 2eme édition , les éditions elhikma , Alger. 1999 .



- 204- Stora(Benjamin),les sources du nationalismeAlgérien -  
parcours indéologiques ,origine des acteurs,ed L'harmattan,Paris  
1989 .
- 205- Mahfoud Kaddache,Histoire du Nationalisme Algerienne,  
question National et PolitiqueAlgerienne 1919-1951,2eme edition :  
societè National d'Édition et de diffusion, Alger,1981.
- 206- Benyoucef Benkhedda, Les Origines du 1<sup>er</sup> Novembre  
1954,ed Dahleb, Alger 1989 .
- 207- H.Ait Ahmed, Mémoire d'un combattant –l'espoire  
d'indépendance (1942-1952) ed Bouchène , Alger. 1990 .

- المواقع الإلكترونية :

- 208- موقع طلبة التاريخ بتلمسان، <http://studentshistory13.com> تاريخ  
التصفح.2017/12/02.
- 209- رشيد طلحة، تاريخ اليسار في المغرب، مجلة "الحوار المتمدن"، العدد 2409  
، 2008/09/19، على موقع : <http://www.ahewar.org> ، تاريخ التصفح  
2017/12/01.
- 210- جريدة المنار، من مقال " سؤال وجواب " جريدة " المنار " العدد 51 ،السنة الثالثة  
بتاريخ 1جانفي 1954، الجزائر، من موقع :  
[https://archive.org/download/Manar\\_DZ/Manar\\_DZ.pdf](https://archive.org/download/Manar_DZ/Manar_DZ.pdf)
- 211- فرحات حشاد زعيم العمل النقابي في تونس، على الموقع :  
<http://arb.majalla.com> / تاريخ التصفح :2017/12/02م .
- 212- الموسوعة التونسية المفتوحة ، محمد علي الحامي ،على الموقع :  
<http://www.mawsouaa.tn/wiki/> . تاريخ التصفح:2017/12/02 .
- 213- معجم البابطين لشعراء العربية، القرنين التاسع عشر و العشرين ، على الموقع :  
[http://www.almoajam.org/poet\\_details.php?id=7333](http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=7333) . بتاريخ  
2017/12/10م .
- 214- . موقع قاموسك للسيرة ،-<http://biography.yourdictionary.com/louis->  
بتاريخ 2018/03/08م.

- 215- موقع إسلام واب :  
<http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option>
- 216- موقع : إتحاد الشباب الماركسي اللينيني ، على الرابط : [http://ujml.over-](http://ujml.over-blog.com) / تاريخ التصفح : 2017/12/02 م .
- 217- ليبيا في العصر الحديث، موقع : الموسوعة العربية [https://www.arab-](https://www.arab-ency.com/ar/) ، تاريخ التصفح : 2017/12/11 م.
- 218- موقع: أرشيف إسلام أولان،  
<https://archive.islamonline.net/?p=8921>، بتاريخ : 2018/03/08 م.
- 219- موقع الدكتور سعيد بويزري ( الشيخ أبو يعلى الزواوي). الرابط:  
[http://www.saidbouizeri.com/ar/a3lam-alhouda-html/abou-ya3la-](http://www.saidbouizeri.com/ar/a3lam-alhouda-html/abou-ya3la-zeouaoui.html)  
[zeouaoui.html](http://www.saidbouizeri.com/ar/a3lam-alhouda-html/abou-ya3la-zeouaoui.html) تاريخ التصفح: 2018/03/25.
- 220- موقع " إسلام ويب " مركز الفتوى، الموقع : بتاريخ 2017/02/10  
<http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=2085>، 76
- 221- موقع المعرفة، لويس التاسع . <http://www.marefa.org> / لويس التاسع، فحص بتاريخ 29/09/2017 م .
- 223- محمود الماطري [/http://www.mawsouaa.tn/wiki](http://www.mawsouaa.tn/wiki)
- 224- موقع د. راغب السرجاني . [islamway.net/article/49285/-002](http://islamway.net/article/49285/-002) -الأمير-محمد بن عبد الكريم الخطابي ، فحص في 20/08/2017 م .
- 225- فتحي أبو القاسم الغماري، تاريخ ليبيا، مدونة، على موقع :  
<http://proffathi.blogspot.com/2013/11/v-behaviorurldefaultvmlo.html>
- 226- مقال إلكتروني لمحمد بن شكر الشريف، حكم الحاكم المتغلب، الموقع :  
<http://ar.islamway.net/article/19671> / بتاريخ 2017/02/04 م
- 227- الإمام شامل صقر القوقاز ، موقع : <http://islamstory.com> بتاريخ 2017/07/17

( أ )

- أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك : 57، 94، 108، 112، 324 .
- إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان: 94، 314 .
- إمرأتنا في الشريعة والمجتمع: 299 .
- الإسلام وأصول الحكومة الخلافة والحكومة في الإسلام: 52، 194 .
- الإكتراث بحقوق الإناث: 289 .
- نظام الأتنيين : 51 .
- الإصلاح "جريدة" : 181 .

( ب )

- البصائر "جريدة" : 274، 293 .

( ت )

- تاج الملك المبتكر و مداده من خراج وعسكر: 284 .
- تونس الشهيدة : 132 .
- تحرير المرأة : 300 .
- تفتق الاكمام عن حقوق المرأة في الإسلام : 293 .
- تخلص الإبريز في تخلص باريز: 15 .
- تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي: 59 .
- تعريف الخلف برجال السلف: 78 .
- التونسي "جريدة": 116 .

( ج )

- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي: 284 .
- الجوائب "مجلة" : 13 .

( ح )

- .300 - الحجاب والسفور:  
.300 - الحداد على امرأة الحداد:  
.186 - الحرية "جريدة" :  
.116 - الحاضرة "جريدة" :  
.77 - الحاضرة "جريدة" :

( خ- د - ذ )

- .33 - الخلافة أو الإمامة العظمى:  
.188 - خطوة الأعلام في التعليم و التربية في الإسلام :  
.34 - داعي الرشاد إلى سبيل الإتحاد والإنقياد :  
.325، 311، 54 - دفاع عن الشريعة:  
.249 - ذو الفقار "جريدة":

( ر- ز )

- .324 - روح الحضارة الإسلامية:  
.232، 114 - روح التحرير في القرآن :  
.293 - رسالة في المرأة :  
.205 - رسالة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام:  
.116 - الزهرة "جريدة" :

( س )

- .83 - السعي المحمود في نظام الجنود:  
.13 - الساق على الساق فيما هو الفاريق:

( ش )

.335، 51 - الشعر الجاهلي:

.182 - الشهاب "جريدة" :

( ص - ض )

.94 - صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار:

.259 - صوت المستضعفين "جريدة" :

.181 - صدى الصحراء "جريدة":

( ع )

.284 - عناية الإستعانة في حكم التوظيف والمعونة :

.260 - العمل التونسي "جريدة" :

.64، 18 - العروة الوثقى "مجلة" :

( ف - ق )

.51 - قادة الفكر :

.187 - الفتح "جريدة":

( ك - ل )

.289 - اللباب في أحكام الزينة واللباس والحجاب:

.287 - كوكب إفريقيا "جريدة" :

( م )

.321 - الملل و النحل:

.284 - مقمع الكفرة بالسنان و الحسام في بيان إيجاب الإستعداد و حرب النظام :

.194، 52 - من هنا نبدأ:

.192 - مجموع الفتاوى:

.14 - مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية:

- .205 ،118 - مظاهر يقظة المغرب:  
.77 ،33 - المنار "مجلة" :  
.277 - المنار الجزائرية " جريدة" :  
.80 - المجلة التونسية "مجلة" :  
.283 - المشير "مجلة" :  
.79 - المبشر "جريدة" :  
.48 - المؤيد " جريدة" :  
.48 - المقطم "جريدة" :

( ن - هـ - و - ي )

- .33 - الوحدة الإسلامية:  
.235 ،188 - النقد الذاتي:  
.82 - وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان إلى المغرب:



- ب- في تونس.....94  
ج- في المغرب.....102  
د- في ليبيا.....103

### الفصل الثاني:

#### تطور مشروع النهضة في المغرب العربي ووسائلها

- 185-108 ( الجزائر- تونس - المغرب - ليبيا )  
1- دور النشوؤ ( 1867- 1918م ) ..... 109  
2- دور الشباب ( 1919- 1938م ) ..... 135  
3- دور النضوج ( 1939- 1945م )..... 156

### الفصل الثالث:

#### مجالات مشروع النهضة المغربي

- 253 -186  
1- المجال التربوي والديني والتعليمي ..... 187  
2- المجال السياسي ..... 198  
3- قضايا النهضة عند الرواد المغاربة ..... 225  
أ- رؤية خير الدين التونسي النهضوية..... 226  
ب-سؤال النهضة في فكر عبد الحميد بن باديس..... 238  
ج- أسس النهضة في فكر علال الفاسي..... 243

### الفصل الرابع:

#### اتجاهات حركة النهضة المغربية وروادها

- 310 -254  
1- الإتجاه السلفي ..... 254  
2- الإتجاه التغريبي الليبيرالي العلماني ..... 264  
3- الإتجاه القومي الإشتراكي العلماني ..... 269  
4- الإتجاه السلفي ( الإخواني ) ..... 277  
5- الخلافة والجامعة الإسلامية في فكر الإصلاحية المغربية ..... 288



الفصل الخامس:

مشروع النهضة

358 -311	بين المعيقات الميدانية والإشكاليات النظرية
311 .....	1- إشكاليات ومعوّقات النهضة في الفكر المغاربي المعاصر.....
311.....	أ- المعوّقات الميدانية .....
327.....	ب- الإشكاليات النظرية.....
335.....	2- مقارنة بين المشروع النهضوي وإشكاليات الحداثة .....
359 .....	- خاتمة .....
365 .....	- الملاحق .....
390.....	- المصادر والمراجع .....
409.....	- فهرس الأعلام .....
224.....	- فهرس المذاهب والفرق .....
426.....	- فهرس المصادر .....
430.....	- فهرس الموضوعات .....